

خزائن العرب

١٢

إعجاز الفراء

للبيافلاني
أبي بكر محمد بن الطيّب

٤٠٣ هـ

تحقيق

السيد أحمد صقر

الطبعة الثالثة



دار المعارف بمصر

إعجاز القرآن

للجافلاني
أبي بكر محمد بن الطيّب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

جرت سنة الله في ابتعاث رسله إلى خلقه ، لتبصيرهم بعظمته وجمعهم على عبادته ، أن يؤيدهم بأمور حسية تخالف السنن الكونية ، وتشد عن النواميس الطبيعية ؛ وتكون من قبيل ما استحکم في زمانهم ، وغلب على خاصتهم ، وعظم في نفوس عامتهم ؛ لتكون معجزة الرسول المرسل إليهم مفحمة لأعجب الأمور في أنظارهم ، ومبطللة لأقوى الأشياء في حسابانهم ؛ ولئلا يجد المبطلون متعلقاً يتشبثون به ، ولا سيلاً يتخذونه إلى اختداع الضعفاء .

فقد أيد الله جل جلاله موسى عليه السلام — وكان عصره عصر سحر — بخلق البحر ، وانقلاب العصا حية تسعى ، وانبعاس الحجر الصلد بعين الماء الرّواء . وأيد عيسى عليه السلام — وكان عهده عهد طب — بإبراء الأكمه والأبرص ، وخلق الطير من الطين ، وإحياء الموتى بإذنه .

ولمّا أرسل رسوله محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الناس أجمعين ، وجعله خاتم النبيين — أيده بمعجزات حسية كمعجزات من سبقه من المرسلين ، ونخصّه بمعجزة عقلية خالدة ، وهى إنزال القرآن الكريم ، الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . وكان ذلك في زمن سما فيه شأن البيان ، وجلّت مكانته في صدور أهله ، وعرفوا باللسن والفصاحة ، وقوة العارضة في الإعراب عن خوائج النفوس ، والإبانة عن مشاعر القلوب .

وظل رسول الله ، صلوات الله عليه ، يتحدّاهم بما كانوا يعتقدون في أنفسهم القدرة عليه ، والتمكن منه ، ولم يزل يقرّعهم بعجزهم ، ويكشف عن نقصهم ؛ حتى استكانوا وذلوا ، وطبع عليهم الخزي بطابعه ، وصاروا حيال فصاحته في أمر مريع .

وقد أدهش القرآن العرب لما سمعوه ، وحيرَ ألبابهم وعقوبهم بسحر بيانه ، وروعة معانيه ، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه ؛ فمنهم من آمن به ومنهم من كفر ، وافترقت كلمة الكافرين في وصفه ، وتباينت في نعته . فقال بعضهم : هو شعر ، وقال فريق : إنه سحر ، وزعمت طائفة أنه أساطير الأولين اكتتبها محمد ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، وذهب قوم إلى أنه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . وقال غير هؤلاء وهؤلاء : لو نشاء لقلنا مثل هذا . ولكنهم لم يقولوا هم ولا غيرهم ؛ لأن تأليف القرآن البديع ، ووصفه الغريب ، ونظمه العجيب ، قد أخذ عليهم منافذ البيان كلها ، وقطع أطماعهم في معارضته ؛ فظلوا مقموعين مدحورين ثلاثة وعشرين عاماً ، يتجرعون مرارة الإخفاق ، ويهبطون لقوارع التبكيت ، وينغصون رؤوسهم تحت مقارع التحدى والتعير ، مع أنفتهم وغزتهم ، واستكمال عدتهم ؛ وكثرة خطبائهم وشعرائهم ، وشيوخ البلاغة فيهم ؛ والتهاب قلوبهم بنار عداوته ، وترادف الحوافز إلى مناهضته ؛ وعرفانهم أن معارضته بسورة واحدة أو آيات يسيرة أنقض لقلوه ، وأفعل في إطفاء أمره ، وأنجع في تحطيم دعوته ، وتفريق الناس عنه - من مناجزته ، ونصبهم الحرب له ؛ وإخطارهم بأرواحهم وأموالهم ، وخروجهم عن أوطانهم وديارهم .

وقد ندب الله المسلمين إلى تلاوة القرآن ، وقراءة ما تيسر منه ، وحضهم على ادِّكار معانيه ، وتدبر أغراضه ومراميهِ ؛ ليهتدوا ببصائره وهداه ، وليستضيئوا بأنواره في الحياة ؛ حتى تكون كلمتهم فيها هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى . فأقبل عليه علماءهم يتدبرونه ويفسرونه ، ويُجَلِّون آياته على أعين الناس لعلهم يشهدون ما فيها من المنافع لهم ؛ فيأتَمروا حيث أمر ، ويتنهبوا حيث زجر . وأقبل عليه غيرهم ، من أعدائه وأعدائهم ، فاتبَعوا ما تشابه من آيه ابتغاء الفتنة وبتأويلها ، وتحريف كَلِمه عن مواضعها ؛ وخيلت لهم أفهامهم الكلييلة ، وأذهانهم العلييلة ، أن في نظمه فساداً ، وفي أسلوبه لحناً ، وفي معانيه تناقضاً ، وفي نقله اضطراباً ؛ فنفوا عنه صفة الإعجاز ، وسددوا نحوه المطاعن ، وبشَّوا حوله الشكوك . وكان الناجمون الأولون منهم يخافتون بأقوالهم ، ويجمعون بأرائهم ، ويستخفون بتأهيبهم ،

ويصطنعون الحذر والدهاء في كل ما يأتون وما يذرون ، خوفاً من بطش الخلفاء الراشدين ، ومن تلاهم من خلفاء الأمويين .

وخلف من بعد هؤلاء خلف كانوا أكثر ثقافة ، وأغزر علماً ، وأحسن بياناً ؛ فأصْحَرُوا بآرائهم ، وجأهروا بمعتقداتهم ، وبثوا شكوكهم في المجالس والأندية ، وسطّروها في الكتب والرسائل التي أسرفوا في تحسينها ، وبالغوا في تزيينها ، وغالوا في انتقاء ورقها ومدادها واستجادة خطها ؛ ليحسن وقعها في الأنظار ، وتصبو إليها أنفس القراء .

وقد ساعدهم على جههم هذا ومكن لهم منه ، تبدل الزمان ، وتغير الحال ، بتسامح الخلفاء في غير ما يمس سلطانهم ويعرض لدولتهم ، وامتلاك غير العرب لزمام الأمور في الدولة ، وانتشار الكتب المترجمة ؛ وازدياد اتصال العرب بغيرهم من أهل المذاهب والنحل الأخرى ، وكثرة الجدل بين المذاهب الإسلامية ، واشتعال نار العداوة بين الفرق الكلامية .

ولما كثرت المطاعن في القرآن ، وأوشكت الشبهات أن تأخذ سبيلها إلى نفوس الأغرار والأحداث - : نهض فريق من العلماء يدعون عنه ، وينافحون دونه ، ويرمون من ورائه بالحجج النيرة ، والأدلة الواقعة ؛ فشرعوا أقلامهم لتأليف الكتب والرسائل في الرد عليهم ، وتبيين مفترياتهم . وفي طليعة هؤلاء أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري ، فقد عمد إلى مطاعنهم فيه فجمعها ، ثم كر عليها بالنقض في كتابه الجليل : « تأويل مشكل القرآن » .

وكانت مسألة الإعجاز من أبرز المسائل التي تعاورها العلماء بالبحث في أثناء تفسيرهم للقرآن ، وردهم على منكري النبوة ، وخوضهم في علم الكلام ، كعلي بن ربن كاتب المتوكل في كتاب : « الدين والدولة » ؛ وكأبي جعفر الطبري في تفسيره : « جامع البيان عن وحوه تأويل آي القرآن » ؛ وكأبي الحسن الأشعري في « مقالات الإسلاميين » ، وأبي عثمان الجاحظ في كتاب : « الحجة في تثبيت النبوة » .

وكان علماء الاعتزال أكثر المثيرين للكلام في إعجاز القرآن ؛ فقد ذهب النظام - من بينهم - إلى أن القرآن نفسه غير معجز ، وإنما كان إعجازه بالصفة .

وقال . « إن الله ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام . والعرب إنما لم يعارضوه ؛ لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك ، وسلب علومهم به .

وذهب هشام القوطي ، وعبد بن سليمان إلى أن القرآن لم يُجعل عَلَمًا للنبي ، وهو عرض من الأعراض ، والأعراض لا يدل شيء منها على الله ولا على نبوة النبي . وكان ذلك وغيره من أقوال أئمتهم ، منبعًا غزيرًا للقول في إعجاز القرآن .

وقد انبرى كثير منهم للرد على من أنكر إعجازه جملة ، كأبي الحسين الحياط وأبي على الجبائي ، اللذين نقضا على « ابن الرواندي » كتابه « الدامع » الذي طعن فيه على نظم القرآن وما يحتويه من المعاني ، وقال : إن فيه سفهًا وكذبًا .

وكذلك رد كثير منهم على من خالف عن قول جماعتهم : بأن تأليف القرآن ونظمه معجز ، وأنه علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كالجاحظ الذي رد على النظام رأيه في الصرفة ، في كتاب : « نظم القرآن » .

ألف الجاحظ كتابه في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه ، وبديع تركيبه ، على حد قوله في مقدمة كتاب الحيوان . وهو من كتبه الضائعة . وقد أشار إليه الباقلاني في إعجاز القرآن ؛ إذ يقول ص ٧ : « وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » .

وأخشى أن يكون الباقلاني قد حاف في حكمه على نظم القرآن ، وحملته العصبية المذهبية على تنقصه . فقد وصف الجاحظ نظم القرآن في كتابه « حجج النبوة » حيث يقول في صفحة ١٤٧ مخاطباً من كتب له الكتاب : « وفهمت - حفظك الله - كتابك الأول ، وما حثت عليه من تبادل العلم ، والتعاون على البحث ، والتحاب في الدين ، والنصيحة لجميع المسلمين . وقلت : اكتب إلى كتاباً تقصد فيه إلى حاجات النفوس ، وإلى صلاح القلوب ، وإلى معتلجات الشكوك ، وخواطر الشبهات ؛ دون الذي عليه أكثر المتكلمين من التطويل ، ومن التعمق والتعقيد ، ومن تكلف ما لا يجب ، وإضاعة ما يجب . وقلت : كن كالمعلم

الرفيق ، والمعالج الشفيق : الذى يعرف الداء وسببه ، والدواء وموقعه ؛ ويصبر على طول العلاج ، ولا يسأم كثرة الترداد . وقلت : اجعل تجارتك التى إياها تؤمل ، وصناعتك التى إياها تعتمد - إصلاح الفاسد ، وردّ الشارد . وقلت : ولا بد من استجماع الأصول ، ومن استيفاء الفروع ، ومن حسم كل خاطر ، وقمع كل ناجم ، وصرف كل هاجس ، ودفع كل شاغل ؛ حتى تتمكن من الحجة . وتتهنأ بالنعمة ، وتجدر رائحة الكفاية ؛ وتثلج ببرد اليقين ، وتنفضى إلى حقيقة الأمر . وقلت : ابدأ بالأخف فالأخف ، وبكل ما كان آتق فى السمع وأحلى فى الصدر ، وبالباب الذى منه يؤتى الرّيح المتكثف ، والجسور المتعجرف ؛ وبكل ما كان أكثر علمًا ، وأنفذ كيدًا ... فكتبت لك كتابًا أجهدت فيه نفسى ، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلى فى الاحتجاج للقرآن . والرد على كل طعان ؛ فلم أدع فيه مسألة لرافضى ، ولا لحديثى . ولا لحشوى ؛ ولا لكافر مبّاد ، ولا لمنافق مقموع ؛ ولا لأصحاب « النظام » ، ولمن نجم بعد « النظام » ممن يزعم : أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة ، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة ؛ فلما ظننت أنى قد بلغت أقصى محبتك ، وأتيت على معنى صفتك - أتانى كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن ، وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن وكانت مسألتك مبهمة ؛ فكتبت لك أشق الكتابين وأثقلهما ، وأغمضهما دعنى ، وأطولهما طولًا ... » .

ولست أعرف نقلًا عن كتاب : « نظم القرآن » ولا حديثًا عنه ، ولا وصفًا له غير وصف الجاحظ هذا ، وأحسبه فيه من الصادقين .

وقد قلد الجاحظ فى هذه التسمية أبو بكر : عبد الله بن أبى داود السجستانى ، المتوفى سنة ٣١٦ فى كتابه : « نظم القرآن » .

وأبو زيد البلخى : أحمد بن سليمان ، المتوفى سنة ٣٢٢ هـ قال أبو حيان فى كتاب « البصائر والذخائر » : قال أبو حامد القاضى : لم أر كتابًا فى القرآن مثل كتاب لأبى زيد البلخى ، وكان فاضلاً يذهب فى رأى الفلاسفة ، لكنه تكلم فى القرآن بكلام لطيف دقيق فى مواضع ، وأخرج سرائره وسماه : « نظم القرآن » ولم يأت على جميع المعانى فيه .

وكذلك أبو بكر : أحمد بن علي ، المعروف بابن الإخشيد ، المعتزلي ، المتوفى سنة ٣٢٦ هـ ؛ فإنه قد ألف كتاباً أسماه : « نظم القرآن » .

وأول كتاب علمناه ، يشتمل عنوانه على كلمة الإعجاز هو كتاب : « إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه » لأبي عبد الله : محمد بن يزيد الواسطي ، المعتزلي ، المتوفى سنة ٣٠٦ هـ . وهو من الكتب التي لا نعرف عنها غير أسائها المجردة . وقد بقي من الكتب المؤلفة في القرن الرابع عن إعجاز القرآن ، ثلاثة كتب . أولها : كتاب الرماني ، وثانيها : كتاب الخطابي ، وثالثها : كتاب الباقلاني . وهي التي نعرض لها بالبيان والتحليل ، فيما يلي :

إعجاز القرآن للرماني :

ولد أبو الحسن : علي بن عيسى الرماني المعتزلي في سنة ٢٧٦ ، ومات سنة ٣٨٤ وكان يعرف أيضاً بالإخشيدي ، نسبة إلى أستاذه ابن الإخشيد ، وبالوراق ؛ لأنه كان يحترف الوراقة . وقال عنه ياقوت في معجم الأدباء ٧٤/١٤ : « كان إماماً في علم العربية ، علامة في الأدب ، في طبقة أبي علي الفارسي ، وأبي سعيد السيرافي . وله تصانيف في جميع العلوم : من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام ، على رأي المعتزلة . وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق ؛ حتى قال أبو علي الفارسي : إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شيء » . وقال عنه أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ١٣٣/١ : « وأما علي بن عيسى فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ؛ وعيب به ، لأنه لم يسلك طريق واضح المنطق ، بل أفرد صناعة ، وأظهر براعة وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً . هذا مع الدين الثخين ، والعقل الرصين » . وقال عنه في تقريب الجاحظ ، كما قال ياقوت ، في معجم الأدباء ٧٦/١٤ : « لم ير مثله قط ... علماً بالنحو ، وغزارة في الكلام ، وبصراً بالمقالات ، واستخراجاً للعويص ، وإيضاحاً للمشكل ؛ مع تأله وتنتزه ، ودين ويقين ، وفصاحة وفقاهة ، وعفافة ونظافة » .

والكتاب النفيس الذى أشار التوحيدى إليه ، هو كتاب : « الجامع لعلم القرآن » وقد ذكره الرماني في إعجاز القرآن .

بدأ الرماني كتابه ببيان وجوه إعجاز القرآن ، فقال : إنها تظهر من سبع جهات وهى : ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ، والصرقة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة .

ثم قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات ، وقال : إن ما كان في أعلاها معجز ، وهو بلاغة القرآن . ثم عرف البلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ؛ وأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن . ثم قسم البلاغة إلى عشرة أقسام ، وهى : الإنجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس والتصريف ، والتضمنين ، والمبالغة ، وحسن البيان .

ثم فسرهما باباً باباً على ترتيبها تفسيراً وافياً شافياً . فهو — مثلاً — عندما عرض لباب الاستعارة عرفها ، وفرق بينها وبين التشبيه . ثم بين أركانها ، وقال : إن كل استعارة حسنة توجب بلاغة بيان لا تنوب منابها الحقيقة ، وذلك أنه لو كان يقوم مقامه كانت الحقيقة أولى به ، ولم تجز الاستعارة . ثم ذكر ما جاء في القرآن من الاستعارة على جهة البلاغة ، وبدأ بقول الله تعالى : ﴿ وقدمننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ ؛ فقال : « حقيقة "قدمنا" هنا : عمدنا . و "قدمنا" أبلغ منه ؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر ، لأنه من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ، ثم قدم فراهم على خلاف ما أمرهم . وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال . والمعنى الذى يجمعهما العدل ؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل ، والقدم أبلغ لما بينا » .

وجملة الآيات التى ذكرها في هذا الباب على ذلك النحو العظيم — أربع وأربعون آية .

وبعد أن فرغ الرماني من تفسير أبواب البلاغة العشر ، عاد إلى البيان عن الوجوه السبعة التى ذكرها في أول الكتاب ، وقال : إنها مظاهر إعجاز القرآن .

قَابَان عن أوجه دلالتها على الإعجاز . ويعيننا أن نذكر هنا ما قاله عن توفر الدواعي ، و « الصرفة » لما للأولى من دلالة خاصة ، ولأهمية الثانية .

قال : « وأما توفر الدواعي فتوجب الفعل مع الإمكان لا محالة ، في واحد كان أو في جماعة . والدليل على ذلك أن إنساناً لو توفرت دواعيه إلى شرب الماء بحضرته ، من جهة عطشه واستحسانه لشربه ، وكل داع يدعو إلى مثله ، وهو مع ذلك ممكن له ؛ فلا يجوز أن لا يقع شربه منه حتى يموت عطشاً لتوفر الدواعي على ما بينا . فإن لم يشربه مع توفر الدواعي له دل ذلك على عجزه عنه ، فكذلك توفر الدواعي إلى المعارضة على القرآن لمَّا لم تقع المعارضة دل ذلك على العجز عنها . » وقال عن الصرفة : « وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة . وعلى ذلك يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن معارضته ، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة . وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي تظهر منها للعقول . »

وختم كتابه بالإجابة عن سؤال أورده ، فقال : « فإن قيل : فلم اعتمدتم على الاحتجاج بعجز العرب دون المولدين ، وهو عندكم معجز للجميع ، مع أنه يوجد للمولدين من الكلام البليغ شيء كثير ؟ قيل له : لأن العرب كانت تقيم الأوزان والإعراب بالطباع ، وليس في المولدين من يقيم الإعراب بالطباع كما يقيم الأوزان بالطباع ؛ والعرب على البلاغة أقدر لما بينا من فطنتهم لما لا يفتن له المولدون من إقامة الإعراب بالطباع . فإذا عجزوا عن ذلك فالمولدون عنه أعجز . »

وقد ذهب الرماني إلى نفي السجع من القرآن ، وتسمية ما فيه من ذلك فواصل ، لأن الأسجاع عيب ، والواصل بلاغة ؛ لأن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجيه الحكمة في الدلالة .

* * *

إعجاز القرآن للخطابي :

ولد أبو سليمان : حمّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُسْتِي سنة ٣١٩ وتوفي سنة ٣٨٨ هـ . وهو من أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع الذين امتازت كتبهم

بغزارة المادة ، وعمق الفكرة ؛ ودقة الاستنباط وروعة البيان ؛ وظهرت فيها شخصيتهم واضحة المعالم ، بينة القسّمات . ومن كتب الخطّابى الجليلية : كتاب « غريب الحديث » و« معالم السنن فى شرح سنن أبى داود » و« أعلام السنن فى شرح البخارى » و« إعجاز القرآن » وهو أصغرّها حجماً .

بدأ الخطّابى كتابه بقوله : « قد أكثر الناس الكلام فى هذا الباب قديماً وحديثاً ، وذهبوا فيه كل مذهب من القول ؛ وما وجدناهم — بعد — صدّروا عن رى ؛ وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز فى القرآن ، ومعرفة الأمر فى الوقوف على كفيّته » .

ثم عرض للأقوال التى قيلت قبله فى وجوه الإعجاز ، وبدأ برأى القائلين بأن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد تحدّى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه ، وانقطوا دونه . وعقب عليه بقوله : « وهذا — من وجوه ما قيل فيه — أئينها دلالة ، وأيسرها مؤونة ؛ وهو مقنع لمن لم تنازعه نفسه مطالعة كفيّة وجه الإعجاز فيه » .

ثم ثنى برأى القائلين بأن العلة فى إعجازه « الصرفة » أى صرف المهم عن المعارضة ، وإن كانت مقدوراً عليها ، غير معجوز عنها ؛ إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجارى العادات — صار كسائر المعجزات . وعلق عليه بقوله : « وهذا أيضاً وجه قريب ، إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه ، وهى قوله سبحانه : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ . فأشار فى ذلك إلى أمر طريقه التكلّف والاجتهاد ، وسبيله التأهب والاحتشاد ؛ والمعنى فى الصرفة التى وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدل على أن المراد غيرها » .

ثم ذكر رأى الطائفة التى زعمت أن إعجازه إنما هو فيما تضمنه من الأخبار عن الكوائن فى مستقبل الزمان ، وصدّقت أقوالهما مواقع أكوانها . ثم نقده بقوله : « ولا يشك فى أن هذا وما أشبهه من أخباره ، نوع من أنواع إعجازه ؛ ولكنه ليس بالأمر العام الموجود فى كل سورة من سور القرآن . وقد جعل سبحانه فى صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها ، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثلها ،

فقال : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ، من غير تعيين . فدلّ على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه .

ثم ذكر الرأى الرابع الذى ذهب إليه الأكثرون من علماء أهل النظر ، وهو أن إعجازه من جهة « البلاغة » قال : « وجدت عامة أهل هذه المقالة ، قد جروا فى تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد ، وضرب من غلبة الظن ؛ دون التحقيق له ، وإحاطة العلم به . ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التى اختص بها القرآن ، وعن المعنى الذى يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة — قالوا : لا يمكننا تصويره ، ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام : وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة ، لا يمكن تحديده . وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذى يقع فيه التفاضل ، فتقع فى نفوس العلماء به — عند سماعه — معرفة ذلك ، ويتميز فى أفهامهم قسبيلُ الفاضل من المفضول منه . وقد يخفى سببه عند البحث ، ويظهر أثره فى النفس ، حتى لا يلتبس على ذوى العلم والمعرفة به . وقد توجد لبعض الكلام عذوبة فى السمع ، وهشاشة فى النفس ، لا يوجد مثلها لغيره ؛ والكلامان معاً فصيحان ، ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علّة » .

ثم عقب الخطابى على ذلك بقوله : « وهذا لا يقنع فى مثل هذا العلم ، ولا يشقى من داء الجهل به ، وإنما هو إشكال أحيل به على إبهام » .

ثم ذكر أن دقيق النظر ، وشاهد العبر ؛ قد دلّاه على ما يباين به القرآن سائر الكلام ؛ وأن العلة فى ذلك : « أن أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها فى نسبة التبيان متفاوتة ، ودرجاتها فى البلاغة متباينة غير متساوية . فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز المطلق الرسل . وهذه أقسام الكلام الفاضل . فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثانى أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه . فعازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّة ، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة ؛ فانظمت لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة والعذوبة . وهما على الانفراد فى نعوتهما

كالتضادين ؛ لأن العذوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة فى الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة . فكان اجتماع الأمرين فى نظمه — مع نُسُوب كل واحد منهما عن الآخر — فضيلة خصّ بها القرآن .

ثم قال : « وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله ؛ لأمر :

منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية ، وبأوضاعها التى هى ظروف المعانى ، والحوامل لها . ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التى بها يكون اختلافها وارتباط بعضها ببعض ، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها ، إلى أن يأتوا بكلام مثله . وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى قائم به ، ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ؛ ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه . وأما المعانى فلا خفاء على ذى عقل أنها هى التى تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها ، والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها . وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع الكلام ؛ فأما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه ، فلم توجد إلا فى كلام العليم القدير ، الذى أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كل شىء عدداً .

فتفهم الآن ، واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، فى أحسن نظم التأليف ، مضمناً أصح المعانى : من توحيد له — عزت قدرته — وتنزيه له فى صفاته ، ودعاء إلى طاعته ، وبيان بمنهاج عبادته : من تحليل وتحريم ، وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساوئها . واضعاً كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء أولى منه ، ولا يرى فى صورة العقل أمر أليق منه ؛ مودعاً أخبار القرون الماضية ، وما نزل من مشلات الله بمن عصى وعاند منهم ؛ منبهاً عن الكوائن المستقبلية فى الأعصار الباقية من الزمان ؛ جامعاً فى ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ؛ ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه ، وإنباءً عن وجوب

ما أمر به ونهى عنه . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتنسق - أمر تعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قُدْرُهم : فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله ، أو مناقضته في شكله .

وأنّى لهم ذلك وأمر معاناة المعانى التى تحملها الألفاظ ، شديد بالغ الشدة لأنها نتائج العقول ، ولولائد الأفهام ، وبنات الأفكار .

وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر ؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعانى ، وبه يتصل أخذ الكلام ، ويلتزم بعضه ببعض ؛ فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان .

ثم ذكر أقوال المعاندين للقرآن ، لما عجزوا عن معارضته ؛ وقال : « إن عمود هذه البلاغة التى تجتمع لها هذه الصفات ، هو وضع كل نوع من الألفاظ التى تشمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذى إذا أبدل مكانه غيره جاء منه : إمّا تبدل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الروق الذى يكون معه سقوط البلاغة . ذلك أن فى الكلام ألفاظاً متقاربة فى المعانى يحسب أكثر الناس أنها متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب ؛ كالعلم والمعرفة والحمد والشكر .. والأمر فيها وفى ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك ؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبيتها فى بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان فى بعضها » . ثم مضى يبين الفروق بين معانى الكلمات التى ذكرها ، وأتبعها بطائفة الاعتراضات التى وجهت إلى القرآن ، أو التى يمكن أن توجه إليه ؛ كتأليف معظم كلامه من ألفاظ مبتذلة فى مخاطبات العرب ، مستعملة فى محاوراتهم ؛ وقلة حظه من الغريب المشكل ، بالإضافة إلى واضحته الكثير ؛ وقلة عدد الفقّر والغرر من ألفاظه ، بالقياس إلى مبادئه ومراسيله . والقول بأن كثيراً من العبارات الواقعة فى القرآن ، لم تقع فى أفصح وجوه البيان وأحسنها ، وأنه قد عرض فيه سوء التأليف من نسق الكلام على ما ينبو عنه ولا يليق به ، وإدخاله بين الكلامين ما ليس من جنسهما ، مع ما فيه من الحذف والاختصار ، ومضاعفة التكرار ؛ وغير ذلك مما يشكل معه الكلام ، ويستغلق معناه ، ويخرج به عن الفصاحة العالية والبلاغة السامية .

ثم كر على تلك الاعتراضات فنقضها ، وفصل القول في تأويل الآيات الكثيرة التي أوردتها . وبين أسرار بلاغتها تبيناً ترتاح إليه القلوب ، وتطمئن له العقول . ثم قال : « وفي إعجاز القرآن وجه آخر ، ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم . وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً ، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى — ما يخلص منه إليه . تستشربه النفوس ، وتشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق ، وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود ، وتزعج له القلوب . يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها . فكم من عدو للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من رجال العرب وفتاكها ، أقبلوا يريدون اغتياله وقتله ، فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه ؛ وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيماناً » . ثم أورد من المثل التاريخية ، والآيات القرآنية ما هو مصداق لما وصفه من أمر القرآن . وكان ذلك خاتمة الكتاب .

ثم ألف بعد الزماني والخطابي معاصرهما أبو بكر الباقلاني ، كتابه « إعجاز القرآن » .

* * *

الباقلاني وإعجاز القرآن :

هو أبو بكر : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلاني ، أو ابن الباقلاني .

ولد بالبصرة ، ولم يعين أحد من المؤرخين عام ولادته ؛ وقد تلقى العلم على أعلامها ، ثم رحل إلى بغداد فأخذ عن علمائها ، ثم اتخذها داراً لإقامته ، حتى قضى نحبه فيها ولم يذكر أحد كذلك متى رحل إليها أول ما رحل ، ولا متى اتخذها مستقراً ؟

وقد أتبع للباقلاني أن يتلمذ لطائفة من العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل ،

وشهروا بالورع والتقوى . ونحن نشير إلى من وقفنا عليه منهم ، فيما يلي :

(١) فمنهم أبو بكر الأبهري : محمد بن عبد الله (٢٨٩ - ٣٧٥هـ) شيخ المالكية في عصره ؛ وقد أخذ عنه الباقلاني الفقه ، وصحبه فأطال صحبته . ومما يؤثر عن الأبهري أنه أخرج في آخر حياته ثلاثة آلاف مقال ، وفرقها على تلامذته ، وكانوا جماعة وافرة ، وأثر الباقلاني فأعطاه منها مائة مقال .

(٢) أبو بكر : أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي راوى مسند الإمام أحمد (٢٧٤ - ٣٦٨) ؛ وقد أخذ عنه الحديث .

(٣) أبو محمد : عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي (٢٧٤ - ٣٦٩) .

(٤) أبو عبد الله : محمد بن خفيف الشيرازي المتوفى سنة ٣٧١ . وقد أخذ عنه الباقلاني علم الأصول .

(٥) ابن بهته : محمد بن عمر ، البزاز ، المتوفى سنة ٣٧٤ .

(٦) أبو أحمد : الحسين بن علي النيسابوري ، (٢٩٣ - ٣٧٥) .

(٧) أبو أحمد : الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٢٩٣ - ٣٨٢) .

(٨) أبو محمد : عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦ عن ست

وسعين سنة .

(٩) أبو عبد الله الطائي : محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ، البصري ، صاحب أبي الحسن الأشعري . وقد درس عليه الباقلاني الأصول والكلام ، وكان من أخص تلاميذه .

(١٠) أبو الحسن الباهلي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري ؛ قال الباقلاني :

« كنت أنا وأبو إسحاق الإسفراييني ، وابن فورك معاً في درس الشيخ الباهلي ، وكان يدرس لنا في كل جمعة مرة واحدة ، وكان منا في حجاب ، يرخي الستر بيننا وبينه كي لا نراه . وكان من شدة اشتغاله بالله مثل والهِ أو مجنون ، لم يكن يعرف مبلغ درسنا حتى نذكره ذلك » . ولم يكن الباهلي يحتجب عن هؤلاء الثلاثة فقط ، بل كان يحتجب عن كل الناس ، حتى عن الجارية التي كانت تخدمه . وقد سأله تلاميذه في أول عهدهم به عن سبب إرساله الحجاب بينه وبينهم

فقال : « إنكم ترون السوق ، وهم أهل الغفلة . فتروني بالعين التي ترون أولئك بها » ! وذكر ابن شاعر في « عيون التواريخ » أن الباهلي مات سنة ٣٧٠ . وكان الباهلي وابن مجاهد . أعرف العلماء بمذهب الأشعري ، وأشدّهم فقهاً له . وأقواهم حجة في الدفاع عنه : لأنهما كانا من أقرب تلاميذه إليه . وقد سجل المؤرخون للأشعري : أن أخص تلاميذه به أربعة : أبو بكر بن مجاهد ، وأبو الحسن الباهلي ، وأبو الحسن الطبري . وخادمه بندار بن الحسين الشيرازي المتوفى سنة ٥٣٣ هـ . وقد تلقى الباقلاني عليهما أصول المذهب . فتعشقه واندفع في نصرته ، بما عرف عنه من قوة الحجة . وبراعة المحاور ، وسرعة البديهة ، وطلاقة اللسان ، وغزارة البيان . فطار صيته في الآفاق . وهو مازال بعد في ريعان الصبا وفتاء الشباب ، حتى وصل إلى أعلام المعتزلة بشيراز .

وكانت شيراز في ذلك الوقت حاضرة ملك أبي شجاع فسأخسرو بن ركن الدولة البويهى . الذى آل إليه ملك فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة في سنة ٣٣٨ ، فتلقب بعضد الدولة .

وكان عضد الدولة أميراً عظيم الهبة ، غزير العقل ، شديد التيقظ ، كثير الفضل ، واسع الثقافة ، مشاركاً في العلوم ، قد تعلم على أحسن المعلمين . فكان يقدر العلم والعلماء ، ويحب الأدب والأدباء ، ويؤثر مجالستهم على مجالسة الأمراء ؛ ويمجى الجرايات على الفقهاء والمحدثين ، والنحاة والمفسرين ، والشعراء والمتكلمين ، والأطباء والمهندسين .

وكانت له خزانة كتب عظيمة ، عنى بها عناية فائقة ، يدل عليها وصف المقدسى لها بأنها « حجرة على حدة . عليها وكيل وخازن ومشرف . ولم يبق كتاب صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلا وحصله فيها . وهى أزج طويل فى صفة كبيرة ، فيه خزائن من كل وجه ، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق ، عليها أبواب تتحدر من فوق ! والدفاتر منصدة على الرفوف ، لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامى الكتب ، ولا يدخلها إلا كل وجيه » .

وكان يقرض الشعر ويتمثل به ، ويحكم على معانيه بعد التقرير له ؛ فقصده العلماء من كل فج ، وصنفوا له الكتب ؛ كأبي على الفارسي الذي ألف له كتاب « الإيضاح » وكتاب « التكملة » في النحو . وارتحل إليه الشعراء كأبي الطيب المتنبي الذي ورد عليه بشيراز في جمادى الأولى سنة ٣٥٤ ، وأنشده قصيدته الهائية التي يقول فيها :

وقد رأيتُ الملوكة قاطبةً وسرت حتى رأيت مولاها
ومن منايهاهمُ براحتيه يأمرها فيهمُ وينهاها
أبا شجاع بنارس عَضِدَ الدِّ دَوْلَةَ فَمَنَّا خُسْرُو شَهْنَشَاهَا
أَسَامِيًّا لم تَزده معرفة وإنما لَذَّةً ذكرناها

وقد أفرد عضد الدولة في داره لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفة ، موضعاً يقترب من مجلسه ؛ فكانوا يجتمعون فيه للمفاوضة والمذاكرة ، آمنين من السفهاء ورعاع العامة . وكان مجلسه هذا يحتوى على شياطين المعتزلة ، كأبي سعد : بشر بن الحسين قاضى قضاة شيراز . المتوفى سنة ٣٨٠ ، والأحاذب رئيس المعتزلة ببغداد ، وأبى إسحق النصيبى رئيسهم بالبصرة . وأبى الحسن : محمد بن شجاع .

وقد لاحظ عضد الدولة خلو مجلسه من أهل السنة ، فقال : هذا مجلس عامر بالعلماء ، إلا أنى لا أرى فيه واحداً من أهل الإثبات والحديث ؛ أما هؤلاء المثبتة من ناصر ؟ فقال القاضى بشر بن الحسين : ليس لهم ناصر ، وإنما هم عامة ، أصحاب تقليد ورواية ، يروون الخبر وضده ويعتقدونهما جميعاً ، لا يعرفون النظر والمعتزلة هم فرسان الجدل والمناظرة . فقال عضد الدولة : محال أن يخلو مذهب طبق الأرض من ناصر ! فانظر إلى موضع فيه مناظر يكتب فيه فيجلب . فلما تبين القاضى العزم في حديثه ، قال : سمعت أن بالبصرة شيخاً وشاباً ، الشيخ يعرف بأبى الحسن الباهلى ، والشاب يعرف بابن الباقلانى . فكتب عضد الدولة يومئذ إلى عامله بالبصرة ليعثهما إليه ، وأرسل إليهما خمسة آلاف درهم من الفضة . فلما وصل الكتاب إليهما قال الشيخ : هؤلاء الديلم قوم كفره فسقة روافض ، لا يحل

لنا أن نطأ بساطهم ؛ وليس غرض الملك من هذا إلا أن يقال : إن مجلسه مشتمل على أصحاب المحابر كلهم ؛ ولو كان ذلك خالصاً لله لنهضت . وشايغته على ذلك بعض أصحابه . ولكن الباقلاني لم يعجبه أى شيخه فقال له : كذا قال ابن كلاب والحارث بن أسد المحاسبى ومن فى عصرهم : إن المأمون فاسق ظالم لا نحضر مجلسه ، حتى ساق أحمد بن حنبل : وجرى عليه بعد ما عُرف ؛ ولو ناظروه لكفتوه عن هذا الأمر ، وتبين له ما هم عليه بالحجة . وأنت أيضاً — أيها الشيخ — تسلك سبيلهم حتى يجرى على الفقهاء ما جرى على أحمد . ويقولوا : بخلق القرآن ونفى الرؤية . وها أنا خارج إن لم تخرج . فقال الشيخ : أما إذا شرح الله صدرك لذلك فافعل .

قال الباقلاني : فخرجت إلى شيراز ، فلما دخلت المدينة استقبلني ابن خفيف فى جماعة من الصوفية وأهل السنة ؛ فلما جلسنا فى موضع كان ابن خفيف يدأرس فيه أصحابه « اللّمع » للشيخ أبى الحسن الأشعرى . فقلت له : تسمّد على التدريس كما كنت ؛ فقال لى : أصلحك الله ، إنما أنا بمنزلة المتيمم عند عدم الماء . فإذا وُجد الماء فلا حاجة إلى التيمم . فقلت له : جزاك الله خيراً ، وما أنت بمتيمم ، بل لك حظ وافر من هذا العلم ، وأنت على الحق ، والله ينصرك .

ثم قلت : متى الدخول إلى فنّاخُسُرو ؟ فقالوا لى : يوم الجمعة لا يحجب عنه صاحب طيلسان . فدخلت والناس قد اجتمعوا ، والملك قاعد على سرير ملكه ، والناس صفوف على يسار الملك ، وفوق الكل قاضى القضاة : بشر بن الحسين ، وكان يدخل مع الوزراء فى وزارتهم ، ويصغى الملك إلى رأيه فى أمر الدولة . فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس وأتخطى رقابهم ، من غير أن أرفع ؛ ولم تدعنى نفسى أن أقعد فى أخريات الناس . وكان عن يمين الملك المجلس خالياً ، ولا يقعد هناك إلا وزير وملك عظيم . فضيت وقعدت عن يمينه ، بجذاء قاضى القضاة ، فوجدوا من ذلك ، وفزعوا واضطربوا ؛ لأنه كان عندهم من الجنائيات العظام ؛ ونظر الملك لقاضى القضاة نظراً منكراً ، وما فى المجلس من يعرفنى إلا رجل واحد . فقال للقاضى : هذا هو الرجل الذى طلبه الملك من البصرة ، فأعلم الملك بذلك ، فقال قاضى القضاة : أطال الله بقاء مولانا ، هذا هو الرجل

الذى كتبت فيه . وهو لسان المثبته . فنظر الملك إلى الغلمان والحجّاب فطاروا من بين يديه : ثم قال : اذكروا له مسألة . وكان في المجلس رئيس البغداديين من المعتزلة ، وهو الأحذب . وكان أفصح من عندهم وأعلمهم . وعدد كثير من معتزلة البصرة ، أقدمهم أبو إسحاق النصيبى : فقال الأحذب لبعض تلاميذه : سله ، هل لله أن يكلف الخلق ما لا يطيقون ؟ أو ليس له ذلك ؟ - وكان غرضه تقبيح صورتنا عند الملك - فقلت له : إن أردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد ذلك ، لأن الله تعالى قال : ﴿ قل : كونوا حجارة أو حديداً ﴾ ونحن لا نقدر أن نكون حجارة ولا حديداً . وقال تعالى : ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ﴾ فطالبهم بما لا يعلمون . وقال تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ . وهذا كله أمر بما لا يقدر عليه الخلق . وإن أردتم بالتكليف الذى نعرفه . وهو ما يصح فعله وتركه ، فالكلام متناقض ، وسؤالك فاسد : فلا تستحق جواباً : لأنك قلت : تكليف ، والتكليف : اقتضاء فعل ما فيه مشقة على المكلف : وما لا يطاق لا يفعل لا بمشقة ولا بغير مشقة . فسكت السائل ، وأخذ الكلام الأحذب فقال : أيها الرجل ، أنت سئلت عن كلام مفهوم فطرحته في الاحتمالات ، وليس ذلك بجواب ؛ وجوابه إذا سئلت أن تقول : نعم أو لا . فأحفظنى كلامه لما لم يوقرنى توقير الشيوخ ولم يخاطبني بما يليق . وقلت له : يا هذا أنت نائم ورجلاك في الماء : إنما طرحت السؤال في الاحتمالات ، وقد بينت لك الوجوه المحتملة ؛ فإن كان معك في المسألة كلام فهاته ؛ وإلا تكلم في غيرها . فقال الملك للأحذب : أيها الشيخ ، قد بينت الاحتمال ؛ وليس لك أن تعيد عليه ، ولا أن تغالطه ؛ ثم إنى ما جمعتكم إلا للفائدة لا للمهاترة ، ولما لا يليق بالعلماء . ثم التفت إلى وقال لى : تكلم على المسألة . فقلت : ما لا يطاق على ضربين : أحدهما لا يطاق للعجز عنه ، والآخر لا يطاق للاشتغال عنه بضده ؛ كما يقال : فلان لا يطيق التصرف لاشتغاله بالكتابة وما أشبه ذلك ، وهذا سبيل الكافر : أنه لا يطيق الإيمان ، لا لأنه عاجز عن الإيمان ، لكنه لا يطيقه لاشتغاله بضده الذى

هو الكفر ؛ فهذا يجوز تكليفه بما لا يطاق . وأما العاجز فما ورد في الشريعة تكليفه ، ولو ورد لكان جائزاً وصواباً ؛ وقد أثني الله تعالى على من سأله أن يكلفه ما لا يطيق ، فقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ ؛ لأن الله تعالى له أن يفعل في ملكه ما يريد . ثم تجاوز الأحاديب الكلام إلى غيره ، ومال الملك إلى قولي .

ثم سألت النصيبيني عن مسألة الرؤية : هل يرى الباري سبحانه بالعين ؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو استحيل ؟ وقال : كل شيء يرى بالعين ، فيجب أن يكون في مقابلة العين . فالتفت الملك إلى وقال : تكلم أيها الشيخ في المسألة . فقلت : لو كان الشيء يرى بالعين لوجب أن يكون في مقابلة العين على ما قال : ولكن لا يرى الله بالعين . فتعجب الملك من قولي ، والتفت إلى قاضي القضاة ، فقال : إذا لم ير الشيء بالعين ، فبأي شيء يرى ؟ فقال : يسأله الملك . فقال : أيها الشيخ فبأي شيء يرى إذا لم ير بالعين ؟ فقلت : يرى بالإدراك الذي في العين ؛ ولو كان الشيء يرى بالعين لكان يجب أن تَرَى كل عين قائمة ؛ وقد علمنا أن الأجهر عينه قائمة ولا يرى شيئاً . فزاد الملك تعجباً ، وقال للنصيبيني : تكلم . فقال : إني لم أعلم أنه يقول هذا ، ولا بنيت إلا على ما نعرف ؛ وظننت أنه يسلم أن الشيء يرى بالعين ! فغضب الملك وقال : ما أنت مثل الرجل ؛ لأنك بنيت المسألة على الظن . ثم التفت إلى وقال لي : تكلم أنت . فقلت : العين لا ترى ، وإنما تُرَى الأشياء بالإدراك الذي يحدّثه الله تعالى فيها ، وهو البصر ؛ ألا ترى أن المحتضر يرى الملائكة ونحن لا نراهم ؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يرى جبريل عليه السلام ولا يراه من يحضره ؟ والملائكة يرى بعضهم بعضاً ولا نراهم نحن ؟ والدليل على جواز رؤية الباري تعالى أنه ليس فيها قلب للحقائق ، ولا إفساد للأدلة ، ولا إلحاق صفة نقص بالقديم تعالى ؛ فوجب أن يكون كسائر الموجودات ؛ لأنه تعالى موجود ، والشيء إنما يرى لأنه موجود ، لأن المرئي لم يكن مرئياً لأنه جنس ؛ لأننا نرى سائر الأجناس المختلفة ؛ ولا لقيام معنى بالمرئي ؛ لأننا نرى الأعراض التي لا تحمل المعاني ؛ وقد ثبت بالنص وجوب رؤية الحق سبحانه في الدار الآخرة . ثم جرى

في المجلس كلام كثير ، وقال الملك على إثره لقاضي القضاة : ألم أقل لك : إن مذهباً طبق الأرض لا بد له من ناصر . ولما انقضى المجلس صحبني بعض الحجاب إلى منزل هُيئ لي فيه جميع ما أحتاج إليه ، فسكنته .

ولما خرج الباقلاني قال الملك لقاضيه : فكرت بأى قتلة أقتله لجلوسه حيث جلس بغير أمرى ؛ وأما الآن فقد علمت أنه أحق بمكانى منى .

ثم دفع ابنه صمصام الدولة ، ليعلمه مذهب أهل السنة ؛ فعلمه وألف له كتاب « التمهيد » .

ولم يزل الباقلاني مع عضد الدولة ، إلى أن أقدم بغداد . وكان دخوله إياها في سنة ٣٦٧ ؛ وظل الباقلاني أثيراً لديه ، حتى إنه جعله رئيس البعثة التي أوفدها في سنة ٣٧١ إلى ملك الروم .

وقد قال الأستاذ « محمود محمد الخضيرى » والدكتور « محمد عبد الهادى أبو ريدة » فى مقدمتهما لكتاب التمهيد : « إن هذه المناظرة جرت فى مجلس الإمبراطور باسيلئوس الثانى ، الذى حكم من سنة ٣٦٥ إلى سنة ٤١٦ هـ . ثم قالوا : « ومهما يكن أمر سفارة الباقلانى بين عضد الدولة وبين ملك الروم ، فنحن لا نعرف ظروفها التاريخية ، وربما كان ملك الروم قد أراد من يبين له أمر الإسلام ، أو يجيب عن أسئلة النصارى بشأن ما يعتقده المسلمون . ويتبين من تفصيل المناقشات أن مهمة الباقلانى كانت مدنية علمية ، هى أشبه ببعثة تبادل الآراء ومعرفة وجهات النظر الدينية ، ولا سيما أنه ليس عندنا فى التاريخ ما يدل على اتصال وثيق بين عضد الدولة وبين الروم من شأنه أن يكون داعياً لبعثات سياسية أو حرية أو ما أشبه ذلك ، وأن المؤرخين يشيرون إلى هذه السفارة باختصار ، أو هم يذكرون ما يدل على صبغتها الفكرية الدينية الخالصة . على أنه من الجائز أن يكون ظهور شأن السلطان الفاتح عضد الدولة ، بعد حروب دامت طويلاً بين البيزنطيين والمسلمين وبعد تمرد أحد قواد الروم على الإمبراطور فى الشرق ، كان مما دعا الإمبراطور البيزنطى إلى عقد صلات التعارف مع عضد الدولة » . ثم قالوا : « إن الغرض الذى رعى إليه عضد الدولة من بعثة الباقلانى إلى بيزنطة هو إرضاء شعور

المسلمين بالسعى فى تحرير أسراهم المعذبين لدى الروم .

وكان خليفاً بالإستاذين الفاضلين ألا يكتبنا هذا الكلام البيزنطى بعد نقلهما لقول ابن الأثير : إن عضد الدولة أرسل الباقلانى إلى ملك الروم فى جواب رسالة وردت منه . وكان حسبهما أن يسجلا على أنفسهما عدم « معرفة ظروفها التاريخية » فإن ذلك كان أسلم لهما ، وكان يمنعهما من أن يتورطا فيما تورطا فيه .

فليس صحيحاً ما قالاه من أنه « ليس فى التاريخ ما يدل على اتصال وثيق بين عضد الدولة وبين الروم من شأنه أن يكون داعياً لبعثات سياسية أو حرية .. » . وليس صحيحاً كذلك أن المؤرخين أشاروا إلى هذه السفارة باختصار ، ودلّوا على صبغتها الدينية الخالصة . وليس صحيحاً مرة ثالثة أن عضد الدولة قد قصد من بعثة الباقلانى إرضاء شعور المسلمين بالسعى فى تحرير أسراهم .

أجل إن هذه الأقوال كلها ليست من الصحة والصواب فى شيء ، فقد بين المؤرخون لتلك الفترة من الزمان الاتصال الوثيق بين عضد الدولة وملك الروم ، وأن البعثات السياسية قد تبدلت بينهما عدة مرات منذ سنة ٣٦٩ حتى وفاة عضد الدولة فى شوال سنة ٣٧٢ ، وأن وفد الروم الثالث أدرك وفاة عضد الدولة وحضر مجلس صمصام الدولة وتسلم منه الهدايا وتم عقد المعاهدة . ومجمل ما فصله المؤرخون فى ذلك : أنه لما توفى أرمانوس ملك الروم وقام بعده ابنه باسيل وقسطنطين ، افرقت كلمة الروم ، وطمع كبار القوادى فى الاستئثار بالملك . وكان ممن طمع فى ذلك السقلاروس المعروف بورد الرومى ؛ فجمع الجموع واستجاش بالمسلمين من الثغور وكاتب أبا تغلب بن حمدان وواصله وصاهره ، وأخرج إليه الملكان عسكرياً بعد عسكري فكسروهم ، وجرت بين الفريقين معارك طاحنة ، انتهت فى يوم الأحد لثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨ هـ بانهزام السقلاروس ؛ وقد توجه بعد هزيمته إلى ديار بكر ، ونزل بظاهر ميفارقين ، وأنفذ أخاه قسطنطين إلى عضد الدولة يستنصره على ملكى الروم ، ويعدّه ببذل الطاعة وحمل الخراج إذا انتصر ؛ فأحسن عضد الدولة استقباله ، ووثق إليه بخطه ووعدّه بحمىل لإنجاده ؛ وتطاول مقام قسطنطين لدى عضد الدولة ، وانتهى خبره إلى الملكين الأخوين بقسطنطينية ؛ فأنفذوا إلى عضد

الدولة كاتباً لهما وجهياً أريباً ، يسمى نقفور ويعرف بالأورانوس ، ليفسد ما شرع فيه مع السقلاروس ؛ واجتمع الرسولان على بساط عضد الدولة يتنافسان في التقرب إليه ، ويستبقان إلى التماس الدمام منه ، ولم ينصرفا إلى أن انسلخت سنة تسع وستين وثلاثمائة . وذلك أمر لم يكن مثله قط ، ويعده المؤرخون من مآثر عضد الدولة .

وكان طلب الأورانوس ينحصر في تسليم السقلاروس ولو بابتياغه ، والوعد بتأمينه ومن معه ، وإخراج كل أسير للمسلمين في بلاد الروم . فقال عضد الدولة إلى ذلك ، واحتال حتى حمل إليه عامله على ديار بكر السقلاروس مقبوضاً عليه ، فأكرمه بعد أن احتاط عليه ، ووعدته بإطلاقه وتجريد عساكر معه لنصرته ، ثم وعد الأورانوس خيراً ، وأخرج معه الباقلاني بجواب الرسالة ، وعاد الباقلاني بمشروع معاهدة ، ومعه رسول يعرف بابن قونس ليأخذ إمضاء عضد الدولة عليها ، ولكن عضد الدولة بدا له أن يظفر في المعاهدة باسترجاع بعض الحصون ، فأعاد ابن قونس وأرسل معه أبا إسحاق بن شهرام ، ورجع ابن شهرام بمشروع المعاهدة الأخير ، ومعه رسول يعرف بنقفور الكانكلي ، ولكن وصولهما صادف اشتداد العلة على عضد الدولة وموته في الثامن من شوال . ووقع المعاهدة صمصام الدولة على شرطين : أولهما عقد الهدنة لمدة عشر سنوات ، وتسليم الحصون التي اشترط ابن شهرام استرجاعها ؛ وثانيهما إطلاق نقفور بعد أخذ خط ملك الروم بتأمينه ، وإرجاعه إلى مرتبته .

ذلك مجمل ما كان من أمر الصلة بين عضد الدولة وبين ملك الروم ، والبعثات العديدة التي كانت بينهما ، والتي قال الأستاذ الحصري والدكتور أبو ريذة : إنه ليس في التاريخ ما يدل عليها . ورتبنا على ذلك مارتبا من شتى الفروض والاحتمالات ، ولو قد فطنا لقول ابن الأثير في حوادث سنة ٧٠ : « إن عضد الدولة أرسل الباقلاني إلى ملك الروم في جواب رسالة » وقدرا قوله هذا حق قدره ، ورجعا إلى كلامه في حوادث سنة ٦٩ - لألفياه بفصل القول في السبب الذي دعا ملك الروم إلى مراسلة عضد الدولة ومفاوضته ، وطلب عقد الهدنة معه ٢٥٥/٨ - ٢٥٦ .

وعندما تهيأ الباقلاني للخروج إلى القسطنطينية ، قال له أبو القاسم : المطهر بن عبدالله ، وزير عضد الدولة : الطالع خروجك . فسأله عن معنى هذا الكلام ، فلما فسر له مراده ، قال الباقلاني : لا أقول بهذا ؛ لأن السعد والنحس كله والشر والخير بيد الله عز وجل ، وليس للكواكب ههنا مثقال ذرة من القدرة ؛ وإنما وضعت كتب المنجمين ليتعيش بها الجاهلون من العامة ، ولا حقيقة لها . فقال الوزير : أحضروا إلى أبا سليمان المنطقي ، فليست المناظرة من شأني ، ولا أنا قائم بها ؛ وإنما أنا أحفظ علم النجوم وأقول : إذا كان من النجوم كذا كان كذا ، وأما تعليقه فهو من علم المنطق . فأحضر وأمر بمكالمة الباقلاني ، فقال أبو سليمان للوزير : هذا القاضي يقول : إن الباري - سبحانه - قادر على أن يركب عشرة أنفس في ذلك المركب الذي في دجلة ، فإذا وصلوا الجانب الآخر يكون الله قد زاد فيهم آخر فيكونون أحد عشر ، ويكون الحادي عشر قد خلقه الله في ذلك الوقت . ولو قلت أنا : لا يقدر على ذلك ، أو هو محال - قطعوا لساني وقتلوني ، وإن أحسنوا إلى كتفوني ورموني في الدجلة . وإذا كان الأمر كما ذكرت لم يكن للمنظري معه معنى !! فالتفت الوزير إلى الباقلاني وقال : ما تقول أيها القاضي ؟ فقال : ليس كلامنا ههنا في قدرة الباري تعالى . والباري قادر على كل شيء ، وإن جحد هذا الجاهل ؛ وإنما كلامنا في تأثيرات هذه الكواكب ؛ فانتقل إلى ما ذكر لعجزه وقلة معرفته ؛ وإلا فأى تعلق للكلام في قدرة الباري عز وجل في مسألتنا ؟ وأنا وإن قلت : إن القديم . تعالى ، قادر على ذلك ؛ ما أقول : إنه يخرق العادة ويفعل هذا ؛ لأنه لا يجوز عندنا أن يخلق اليوم إنساناً من غير أبوين ؛ فإذا كان كذلك ، فقد علم الوزير أن هذا فرار من الزحف . فقال الوزير : هو كما ذكرت . وقال أبو سليمان المنطقي : المناظرات دُربة وتجربة ، وأنا لا أعرف مناظرات هؤلاء القوم ، وهم لا يعرفون مواضعائنا وعباراتنا ، ولا تجمل المناظرة بين قوم هذا حالهم . فقال له الوزير : قبلنا إعتذارك ، والحق أبلغ . ثم مال إلى الباقلاني بوجهه ، وقال له : سر في رعاية الله . قال الباقلاني : « فخرجت فدخلنا بلاد الروم حتى وصلنا إلى ملك الروم بالقسطنطينية ؛ وأخبر الملك بمقدمنا ،

فأرسل إلينا من يلقانا ، وقال : لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تنزعوها ، إلا أن تكون مناديل لطافاً ؛ وحتى تنزعوا أخفافكم . فقلت : لا أفعل ، ولا أدخل إلا بما أنا عليه من الزّيّ واللباس ؛ فإن رضيتم . وإلا فخذوا الكتب تقرأونها ، وأرسلوا بجوابها . وأعود بها . فأخبر بذلك الملك ، فقال : أريد معرفة سبب هذا ، وامتناعه عما مضى عليه رسمى مع الرسل ؟ فسئلت عن ذلك ، فقلت : أنا رجل من علماء المسلمين ، وما تحبونه منا ذلّ وصغار ؛ والله تعالى قد رفعنا بالإسلام ، وأعزّنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وأيضاً فإن من شأن الملوك إذا بعثوا رسلهم إلى ملك آخر رفع أقدارهم . لا إذلالهم ؛ سيما إذا كان الرسول من أهل العلم ؛ ووضع قدره انهدام جانبه عند الله تعالى . وعند المسلمين . فعرف الترجمان الملك بذلك ، فقال : دعوه يدخل ومن معه كما يشاءون . فدخل الباقلاني ومن معه كما أرادوا ، وسأله الملك عن السبب في امتناعه عن اتباع ما جرى به رسمه مع الرسل من قبل ؛ فشرح وجهة نظره ؛ وذكره : أن رسوله قد دخل بملابسه على أمير المؤمنين الطائع ، وأدخل بها على السلطان عضد الدولة ؛ ثم قال : « فما تنكرون علىّ هذا ؛ وأنا رجل من علماء المسلمين ؛ فإن دخلت بغير هيئتي ، ورجعت إلى حكمك أهنت العلم ونفسي . وذهب عند المسلمين جاهي » فقال الملك لترجمانه : قل له : قد قبلنا عذرَكَ . ورفعنا منزلتك ؛ وليس محلك عندنا محل سائر الرسل ، وإنما محلك عندنا محل الأبرار الأخيار ؛ وقد أخبرنا صاحبكم في كتابه أنك لسان المسلمين ، والمناظر عنهم ؛ وأنا أشتهد أن أعرف ذلك منك ، كما ذكره عنك . فقلت : إذا أذن الملك . فقال : انزلوا حيث أعددت لكم ، ويكون بعد هذا الاجتماع . فنهضنا إلى موضع أعدّ لنا فلما كان يوم الأحد بعث الملك في طلبي ، وقال لي من بعثه : من شأن الرسول حضور مائدة الملك ؛ فيجب أن تجيب إلى طعامنا ، ولا تنقض كل رسومنا . فقلت له : أنا من علماء المسلمين ، ولست كالرسل من الجند وغيرهم الذين يُعرفون ما يجري في هذا الوطن عليهم ؛ والملك يعلم أن العلماء لا يقدر أن يدخلوا في هذه الأشياء وهم يعلمون ؛ وأخشى أن يكون على مائدته من لحوم الخنازير ، وما حرّمه الله تعالى ، على رسوله وعلى المؤمنين . فذهب الترجمان وعاد

على . وقال : يقول لك الملك : ليس على مائدتي . ولا في شيء من طعامي شيء
تكرهه . وقد استحسنت ما أتيت به ؛ وما أتت عندنا كسائر الرسل ، بل أعظم ؛
وما كرهت من لحوم الخنازير إنما هو خارج من حضرك ؛ بنى وبينه حجاب .
فنهضت على كل حال ، وجلست وقدم الطعام . ومددت يدي وأوهمت الأكل ؛
ولم آكل منه شيئاً ، مع أنى لم أر على مائدته ما يكره .

فلما فرغ من الطعام بخر المجلس وعطّره ، ثم قال :
هذا الذى تدّعون فى معجزات نبيكم : من انشقاق القمر ؛ كيف هو عندكم ؟
فقلت : هو صحيح عندنا ؛ انشق القمر على عهد رسول الله حتى رأى الناس
ذلك ؛ وإنما رآه الحضور ومن اتفق نظره إليه فى تلك الحال .

فقال الملك : وكيف : ولم يره جميع الناس ؟ !
قلت : لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعده لشقوه وحضوره .
فقال : وهذا القمر بينكم وبينه نسبة وقربة ؟ لأى شيء لم تعرفه الروم وغيرها
من سائر الناس ؛ وإنما رأيتموه أنتم خاصة ؟ !

قلت : فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة ؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود والنصارى
والبراهمة وأهل الإلحاد ، وخاصة يونان جيرانكم ؛ فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن ،
وأنتم رأيتموها دون غيركم ؟

فتحير الملك . وقال بكلامه : سبحان الله . وأمر بإحضار فلان القسيس
ليكلمنى ، وقال : نحن لا نطيعه ؛ لأن صاحبه قال : ما فى مملكتى مثله ، ولا
للمسلمين فى عصره مثله . فلم أشعر إذ جاء برجل كالدثب ، أشقر الشعر ؛
فقعده ، وحكيت عليه المسألة ؛ فقال : الذى قاله المسلم لازم ، وهو الحق ؛
لا أعرف له جواباً إلا ما ذكره .

فقلت له : أنقول : إن الحسوف إذا كان يراه جميع أهل الأرض ؟ أم يراه
أهل الإقليم الذى بمحاذاته ؟

قال : لا يراه إلا من كان فى محاذاته .

فقلت : فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان فى ناحية أن لا يراه أهل تلك

الناحية ومن تأهّب للنظر له ؛ فأما من أعرّض عنه ، أو كان فى الأمكنة التى لا يرى القمر منها فلا يراه .

فقال : كما قلت لا يدفعك عنه دافع ؛ وإنما الكلام فى الرواة الذين نقلوه ؛ فأما الطعن فى غير هذا الوجه فليس بصحيح .
فقال الملك : وكيف يطعن فى النقطة ؟

فقال القسيس : شبه هذا من الآيات — إذا صح وجب أن ينقله الجسم الغفير حتى يتصل بنا العلم الضرورى به ؛ ولما لم نعلم ذلك بالضرورة ، دلّ على أن الخبر مفتعل باطل .

فالتفت الملك إلى " ، وقال : الجواب ؟

قلت : يلزمه فى نزول المائدة ، ما يلزمنى فى انشقاق القمر؛ ويقال : لو كان نزول المائدة صحيحاً لوجب أن ينقله العدد الكثير ؛ فلا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا وثنى إلا ويعلم هذا بالضرورة ؛ ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة دلّ أن الخبر مكذوب .

فبهت القسيس والملك ومن ضمّه المجلس ؛ وانفصل المجلس على هذا .

* * *

قال الباقلانى : ثم سألتنى الملك فى مجلس ثان ، فقال : ما تقولون فى المسيح عيسى بن مريم ؟

قلت : روح الله وكلمته وعبدّه ، ونبيه ورسوله ؛ كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن . فـيكون ، وتلوت عليه النص .

فقال : يا مسلم ؛ تقولون : المسيح عبد ؟

فقلت : نعم ؛ كذا نقول ، وبه ندين .

قال : ولا تقولون : إنه ابن الله ؟

قلت : معاذ الله ؛ ﴿ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ﴾ ، إنكم لتقولون قولاً عظيماً ، فإذا جعلتم المسيح ابن الله فمن أبوه وأخوه وجده وعمه ونحاله ؟ وعددت عليه الأقارب — فتحير ، وقال :

يتضرع إلى موسى ؟ وكل صاحب نبي يقول : إن المسيح كان يتضرع إلى نبيه ؟ !
فلا فرق بين الموضوعين في الدعوى . وانفصل المجلس على هذا .

* * *

قال الباقلاني : وفي تكلمنا في مجلس ثالث ، قلت : لم اتحد اللاهوت
بالناسوت ؟

فقال : أراد أن ينجي الناس من الهلاك .

فقلت : وهل درى بأنه يقتل ويصلب ويفعل به كذا ، ولم يأمن من اليهود ؟
فإن قلت : إنه لم يدرك ما أراد اليهود ؛ بطل أن يكون إلهًا ؛ وإذا بطل أن يكون إلهًا
بطل أن يكون ابنًا . وإن قلت : قد درى ودخل في هذا الأمر على بصيرة ، فليس
بحكيم ؛ لأن الحكمة تمنع من التعرض للبلاء .
فبهت ؛ وكان آخر مجلس لي معه .

* * *

وما جرى في تلك المجالس : أن الباقلاني قال لبعض المطارنة : كيف أنت ؟
وكيف الأهل والأولاد ؟

فقال له الملك وقد عجب من قوله : ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك
لسان الأمة ، ومتقدم على علماء الملة ! أما علمت أننا ننزه هؤلاء عن الأهل والولد ؟
فقال الباقلاني : أنتم لا تنزهون الله ، سبحانه وتعالى . عن الأهل والأولاد ،
وتنزهونهم ؟ ! فكأن هؤلاء عندكم أقدر وأجل وأعلى من الله ، سبحانه وتعالى !!
فسقط في أيديهم ، ولم يردوا جوابًا .

ثم قال له الملك : أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم ، وما قيل فيها ؟
فقال : هما اثنتان ، قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ، ومريم ابنة عمران ؛ فأما
زوج نبينا : فلم تلد ؛ وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها ؛ وكل قد برأها الله
مما رميت به . فانقطع الملك ولم يجر جوابًا .

ويروى القاضي عياض : أن الملك قال للبطررك : ما ترى في أمر هذا الشيطان ؟
فقال : تقضى حاجته ، وتلاطف صاحبه ، وتبعث بالهدايا إليه ؛ وتخرج هذا عن

بلدك من يومك إن قدرت ؛ وإلا لم آمن الفتنة به على النصرانية . ففعل الملك ذلك .
وأحسن جواب عضد الدولة وهداياه . وعجل تسريحه . ومعه عدة من أسارى
المسلمين والمصاحف . ووكل بالباقلاني من جنده من يحفظه حتى يصل إلى مأمنه .
ويروى الخطيب البغدادي بسنده : أن الباقلافي لما ورد على ملك الروم
مدينته . وعُرف خبره . وبُين له محله من العلم — : « أفكر في أمره . وعلم أنه
لا يكفر له إذا دخل عليه . كما جرى رسم الرعية . أن تقبل الأرض بين يدي
الملوك . ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه . وراء باب لطيف
لا يمكن أحد أن يدخل منه إلا راعياً . ليدخل القاضي منه على تلك الحال ،
فيكون عوضاً من تكفيره بين يديه . فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال
القاضي من الباب ؛ فسار حتى وصل إلى المكان . فلما رآه تفكر فيه ؛ ثم فطن
بالقصة . فأدار ظهره . وحنا رأسه راعياً . ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه ،
قد استقبل الملك بديره . حتى صار بين يديه . ثم رفع رأسه . ونصب ظهره ،
وأدار وجهه حينئذ إلى الملك . فعجب من فطنته . ووقعت له الهبة في نفسه » .
ولست أشك في أن هذه الرواية أسطورة من الأساطير التي نسجت خيوطها
حول رحلة الباقلافي إلى القسطنطينية . وفيها قصة الباقلافي . من امتناعه من خلع
عمامته ونزع خفته ؛ وتهديده بعدم الدخول على الملك ؛ ونزول الملك على رأيه ،
وقوله : دعوه يدخل ومن معه كما يشاءون — : ما يجعل هذه الفكرة الساذجة ،
بعيدة الوقوع . ولو قد وقعت لتحدث بها للباقلاني . فيما حدث به من أخبار رحلته .

* * *

وعاد الباقلافي إلى بغداد ، وظل مع عضد الدولة حتى مات في شوال سنة
٣٧٢ ، وتولى بعده ابنه صمصام الدولة .

ولسنا نعرف متى تولى الباقلافي وظيفة القضاء بالنظر ؟ ولا من الذي ولاه ؟
وقد جاء في ترجمة أبي حامد : أحمد بن أحمد الاستوائى (٣٥٨ — ٤٣٤)
الشافعي الأشعري : أنه « ولي القضاء بعكبرا من قبل أبي بكر بن الطيب الباقلافي » .

* * *

وقد وقف الباقلاني حياته على أمرين ، ملكا عليه أقطار نفسه ، وشغفاه حباً ،
وهما : التدريس ، والتأليف .

أما « التدريس » فقد اجتمعت له كل أدواته ، ولم يصرفه عنه صارف ؛ حتى
إنه في أثناء مقامه مع عضد الدولة بشيراز ، وتدرسه لابنه الأمير أبي كاليبجار
المرزبان ؛ لم يمتنع عنه ، بل عقد دروساً عامة لأهل السنة . ومن الكتب التي
درسها لهم كتاب « اللمع » لأبي الحسن الأشعري .

وقد « تتلمذ » عليه كثيرون في البصرة وبغداد وغيرهما ؛ ونحن نشير إلى بعضهم
فيما يلي :

(١) القاضي أبو محمد : عبد الوهاب بن نصر ، البغدادي المالكي (٣٦٢ -
٤٢٢) . قيل له : مع من تفقّهت ؟ قال : صحبت الأبهري ، وتفقّهت مع
أبي الحسن بن القصّار ، وأبي القاسم بن الجلاب ، والذي فتح أفواهنا ، وجعلنا
نتكلم : أبو بكر بن الطيب

(٢) أبو عمران : موسى بن عيسى بن أبي حجاج الغنّـة-جُـمُوي ، وقد أثبت سماعه
من الباقلاني إملاءً في رمضان سنة ٤٠٢ ؛ وقال : رحلت إلى بغداد ، وكنت قد
تفقهت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القابسي ، وأبي محمد الأصيلي ، وكانا
عالين بالأصول . فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ، ورأيت كلامه في
الأصول والفقه مع المؤلف والمخالف ، حقرت نفسي ، وقلت : لا أعلم من العلم
شيئاً ؛ ورجعت عنده كالمبتدئ . وقال عنه حاتم بن محمد : كان أبو عمران
من أحفظ الناس وأعلمهم ، لم ألق أحداً أوسع منه علماً ، ولا أكثر رواية .
وذكر أن الباقلاني كان يعجبه حفظه ، ويقول له : لو اجتمعت في « مدرستي »
أنت وعبد الوهاب - وكان إذ ذاك بالموصل - لاجتمع علم مالك ؛ أنت تحفظه ،
وهو ينظره . وتوفي أبو عمران سنة ٤٣٠ عن خمس وستين سنة . وكانت رحلته
إلى بغداد في سنة ٣٩٩ .

(٣) أبو ذرّ الهروي عبد بن أحمد (٣٥٥ - ٤٣٤) المالكي الأشعري .
قال له بعض الشيوخ : أنت من هرة ، فمن أين تمذهب للمالك والأشعري ؟ فقال :

سبب ذلك أنى قدمت بغداد لطلب الحديث ، فلزمت الدآرقطنى ٣٠٦ - ٣٨٥) ؛ وكنت مرة ماشياً معه ، فر بنا شاب ، فأقبل الشيخ عليه وعظمه ، وأكرمه ودعا له ؛ فلما فارقه قلت : أيها الشيخ الإمام ؛ من هذا الذى أظهرت من إكرامه ما رأيت ؟ فقال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا . فقال : هذا أبو بكر بن الطيب الأشعري ، ناصر السنة ، وقامع المعتزلة . ثم أفاض فى الثناء عليه . فكان ذلك سبب اختلافى إليه ، وأخذى عنه .

(٤) أبو الحسن على بن عيسى السكرى الفارسى (٣٤٧ - ٤١٣) الشاعر الذى استفرغ شعره فى مدح الصحابة ، والرد على الرافضة ، والنقض على شعرائهم . وقد صحب الباقلانى ؛ ودرس عليه الكلام ؛ ومدحه بقصيدة طويلة ، أوردها الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٣٨١/٥ - ٣٨٢ ، وابن عساكر فى تبين كذب المفترى ص ٢٢٤ - ٢٢٦ . وهى من أشعار العلماء ؛ وفيها يقول :

اليعربى فصاحةً وبلاغةً والأشعري إذا اعتزى للمذهب
قاص إذا التبس القضاء على الحجى كشفت له الآراء كل مغيب
وإذا الكلام تطاردت فرسانه وتحامت الأقران كل مجرب
ألفيته من ليه وجنانه ولسانه وبيانه فى مقنّب

(٥) أبو الحسن الحربى : على بن محمد المالكى (٣٥٦ - ٤٣٧) .

(٦) القاضى أبو جعفر : محمد بن أحمد السمتانى ، الحنفى (٣٦١ - ٤٤٤) .

(٧) أبو الحسن البغدادى : رافع بن نصر ، المتوفى سنة ٤٤٧ .

(٨) أبو طاهر الواعظ محمد بن على ، المعروف بابن الأتبارى (٣٧٥ - ٤٤٨) .

(٩) أبو عبد الله : الحسين بن حاتم الأزدي ، المتوفى غريباً بالقيروان . وهو أحد الذين روى عن الباقلانى وصفه لمناظراته فى مجلس ملك الروم . وقد جاء فى تبين كذب المفترى ص ٢١٦ : أن أبا الحسن بن داود الأشعري ، المتوفى سنة ٤٠٢ « لما كان يصلى فى جامع دمشق ، تكلم فيه بعض الحشوية ؛ فكتب إلى القاضى أبى بكر : محمد بن الطيب بن الباقلانى يعرفه ذلك ، ويسأله أن يرسل إلى

دمشق من أصحابه من يوضح لهم الحق بالحجة . فبعث القاضي تلميذه أبا عبد الله :
الحسين بن حاتم الأزدي ، فعقد مجلس التذكير في جامع دمشق ، في حلقة
أبي الحسن بن داود ، وذكر التوحيد ، ونزه المعبود ، ونفى عنه التشبيه والتحديد .
فخرج أهل دمشق من مجلسه يقولون : أحد أحد . وأقام أبو عبد الله الأزدي
بدمشق مدة ، ثم توجه إلى المغرب ، فنشر العلم بتلك الباحية ، واستوطن القيروان
إلى أن مات بها رحمه الله .

وإليه وإلى أبي طاهر الواعظ ، يرجع الفضل في انتشار مذهب الباقلاني في
المغرب .

(١٠) أبو عبد الرحمن السلمى : محمد بن الحسين الصوفى (٣٣٠ - ٤١٢) .
وقد أخذ عن الباقلاني في أثناء إقامته مع عضد الدولة بشيراز ، وقرأ عليه كتاب
« اللمع » لأبي الحسن الأشعري .

(١١) أبو محمد بن أبي نصر . قال القاضي عياض : « وتفقه عند القاضي :
أبو محمد بن [أبي] نصر ؛ وعلّق عنه ، وحكى في كتبه ما شاهد من مناظرته
في الفقه - بين يدي ولي العهد ببغداد - للمخالفين » .

(١٢) أبو حاتم : محمود بن الحسن الطبري ، المعروف بالقزويني ؛ المتوفى
سنة ٤١٤ بمدينة « آمل » التي ولد فيها ؛ وكان قد قدم بغداد ، ودرس على الباقلاني
أصول الفقه .

(١٣) القاضي أبو محمد : عبد الله بن محمد الأصبهاني ، المعروف بابن اللبان
الشافعي المتوفى بأصبهان سنة ٤٤٦ ، وقد صحب الباقلاني ودرس عليه كتاب :
« المقدمات في أصول الديانات » وكتاب : « أصول الفقه » .

(١٤) أبو بكر بن الحسين الإسكافي . وهو الذي روى عن الباقلاني ،
خبر رحلة ابن خفيف الصوفي من شيراز إلى البصرة ، لسماع أبي الحسن الأشعري ؛
كما في تبين كذب المفتري ص ٩٥ .

(١٥) أبو علي : الحسن بن شاذان (٣٣٩ - ٤٢٦) .

(١٦) أبو القاسم : عبيد الله بن أحمد الصيرفي (٣٥٥ - ٤٣٥) .

(١٧) أبو الفضل : عبيد الله بن أحمد المقرئ (٣٧٠ - ٤٥١) .
وقد تتلمذ له جماعة كثيرة غير هؤلاء ، وكان أكثرهم من العراق وخراسان .

* * *

أما « التأليف » فقد أسهم فيه الباقلاني بنصيب موفور . وكان من عادته أنه إذا صلى العشاء ، وقضى ورْدَه ، وضع دواته بين يديه ، وكتب خمساً وثلاثين ورقة ؛ فإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنفه ليلته ، وأمره بقراءته عليه ؛ وأملى عليه من الزيادات ما يلوح له فيه .

وقد تسنى له أن يؤلف نيفاً وخمسين كتاباً ؛ لم يصل إلينا منها إلا عدد يسير .
ونحن نشير إلى ما عرفناه منها ، وما علمناه من حديثها ، فيما يلي :

(١) كتاب : « إعجاز القرآن » ، ويأتى الحديث عنه فيما بعد .

(٢) كتاب « التمهيد » . وقد ألفه - في أثناء مقامه بشيراز - للأمير أبي كالبجار المرزبان ، ابن عضد الدولة ، وولى عهده . وهو من أهم الكتب الكلامية ، التى تعلق بها أهل السنة تعلقاً شديداً ؛ لأنه أجمع كتاب يبصرهم بمسائل الخلاف بينهم وبين مخالفينهم فى الرأى والعقيدة ؛ ويرشدهم إلى أقوى الأدلة الجدلّية ، وأحكم البراهين العقلية ؛ التى تعضد مذهبهم ، وتظهر مناعته ورجاحته على المذاهب الأخرى ، إسلامية كانت أو غير إسلامية .

وخير ما يعرف بهذا الكتاب ويدل على قيمته ، قول مؤلفه فى مقدمته :
« أما بعد ؛ فقد عرفت إثثار سيدنا الأمير ... لعمل كتاب جامع مختصر ، مشتمل على ما يحتاج إليه فى الكشف عن معنى العلم وأقسامه ، وطرقه ومراتبه ؛ وضروب المعلومات ، وحقائق الموجودات ؛ وذكر الأدلة على حدّث العالم ، وإثبات مُحدّثه ، وأنه مخالف لخلقه ؛ وعلى ما يجب كونه عليه ، من وحدانيّته ، وكونه حيّاً عالماً قادراً فى أزله ؛ وما جرى مجرى ذلك من صفات ذاته ، وأنه عادل حكيم فيما أنشأه من مخترعاته ؛ من غير حاجة منه إليها ، ولا محرّك وداعٍ وخاطر وعِلَلٍ دعته إلى إيجادها ؛ تعالى عن ذلك . وجواز إرساله رسلاً إلى خلقه ، وسفراء بينه وبين عباده ؛ وأنه قد فعل ذلك ، وقطع العذر فى إيجاب تصديقهم ؛ بما أبانهم

به من الآيات ؛ ودل به على صدقهم من المعجزات . وجمل من الكلام على سائر أهل الملل المخالفين للملة الإسلام ، من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، وأهل التثنية ، وأصحاب الطوائع ، والمنجمين . ونعقب ذلك بذكر أبواب الخلاف بين أهل الحق ، وأهل التجسيم والتشبيه ، وأهل القدر والاعتزال ، والرافضة ، والخوارج ، وذكر جمل من مناقب الصحابة ، فضائل الأئمة الأربعة ؛ وإثبات إمامتهم ، ووجه التأويل فيما شجر بينهم ، ووجوب موالاتهم . ولن آلو جهداً فيما يميل إليه سيدنا الأمير - حرس الله مهجته ، وأعلى كعبه - من الاختصار ، وتحرير المعاني والأدلة والألفاظ ؛ وسلوك طريق العون على تأمل ما أودعهُ هذا الكتاب ، وإزالة الشكوك فيه والارتباب . وأنا - بحول الله وقوته - أسارع إلى امتثال ما رسمه ، وأقف عنده ؛ وإلى الله - جل ذكره - أرغب في حسن التوفيق ، والإمداد بالتأييد والتسديد .

وقد أشار الباقلاني إلى « التمهيد » ، في كتاب « هداية المسترشدين » . حيث يقول « وقد تكلمنا في ” التمهيد “ بجمل على اليهود والنصارى والمجوس ؛ تغني الناظر فيها » . كما أشار إليه أبو المظفر الإسفراييني في « التبصير » ص ١١٩ ، وابن قيم الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية » ص ١١٩ ، ١٢٠ .

وقد طبع كتاب « التمهيد » في سنة ١٣٦٦ هـ بتحقيق الأستاذين محمود محمد الخضيرى ، ومحمد عبد الهادى أبو ريدة . وقد تسرعا في نشره عن نسخة واحدة في مكتبة باريس ؛ وهى نسخة تنقص فصولا كثيرة من الكتاب . يزيد عددها على عشرين باباً ؛ كبابي « التعديل والتجوير » . و« القول في الإمامة » اللذين نص الباقلاني على أنه قد عقدهما في كتابه ! فهو يقول في ص ٩٧ : « وستكلم على هذا الباب وما يتصل به ، في باب التعديل والتجوير من كتابنا هذا : إن شاء الله » ؛ ويقول في ص ١٤٠ : « وسنقول في تفصيل الأخبار .. وغير ذلك من أحكام الأخبار ؛ في باب القول في الإمامة ؛ إن شاء الله » .

(٣) كتاب : « هداية المسترشدين ، والمقنع في معرفة أصول الدين » . يقول

القاضي عياض عنه : إنه كتاب كبير . ويشير إليه أبو المظفر الإسفراييني . في « التبصير » ص ١١٩ : وابن تيمية في «رسالة الفرقان بين الحق والباطل» ص ١٣٠ . وفي الرسالة التسعينية من فتاويه ٢٤١٥ .

وقد بقي من هذا الكتاب مجلد . في مكتبة الأزهر . يحتوى على ٢٤٨ ورقة : كتبه محمد بن عبد الله العدوي بمدينة صور في سنة ٤٥٩ . ولكن يد البلي قد عاثت فيه . وأتلفت كثيراً من أوراقه . وقد تركز إفسادها في أوراق متتالية (٨٦-١٠٥) فخرقت أساطها . وجعلتها في حكم الأوراق المفقودة . ويشتمل هذا المجلد على أحد عشر جزءاً من تجزئة المؤلف . تبتدى بأول الجزء السادس . وتنتهى بانتهاء الجزء السابع عشر . وهذه الأجزاء كلها مقصورة على القول في النبوات . وأهم ما فيها وأروع . تلك الأنحاث الجليلة الطويلة . التي أدار الباقلاني الكلام فيها على « إعجاز القرآن » وملاؤها ستاً وخمسين ومائة ورقة (٦١-٢١٧) وهي أكبر حجماً من كتاب « إعجاز القرآن » . وأغزر مادة . وأكثر تفصيلاً . وأعمق بحثاً . وأدق بياناً .

وكنت على نية إفرادها ونشرها مستقلة : لولا أن بعض أصدقائي المغاربة أشار علىّ بالتريث حتى يحضر لي صورة من نسخة ناقصة . قال : إنه رآها في بعض المكاتب هناك . فامتثلت لإشارته ، رجاء أن يكون في تلك النسخة ما يصلح مواطن الفساد في نسخة الأزهر .

(٤) كتاب : « الانتصار لصحة نقل القرآن ، والرد على من نخله الفساد بزيادة أو نقصان » . وقد قال في مقدمته : « أما بعد فقد وقفت — تولى الله عصمتكم ، وأحسن هدايتكم وتوفيقكم — على ما ذكرتموه من شدة حاجتكم إلى الكلام في نقل القرآن ، وإقامة البرهان على استفاضة أمره ، وإحاطة السلف بعلمه ، وانقطاع العذر في نقله ، وقيام الحجة على الخلق به ، وإبطال ما يدعيه أهل الضلال من تحريفه وتغييره ، ودخول الخلل فيه ، وذهاب شيء كثير منه ، وزيادة أمور فيه . وما يدعيه أهل الإلحاد وشيعتهم من متحلى الإسلام — من تناقض كثير منه ، وخلو بعضه من الفائدة ، وكونه غير متناسب . وماذكروه

من فساد النظم ، ودخول اللحن فيه ، وركاكة التكرار ، وقلة البيان ، وتأخير المقدم وتقديم المؤخر ؛ إلى غير ذلك من وجوه مطاعنهم . وذكر جمل مما روى من الحروف الزائدة ، والقراءات المخالفة لمصحف الجماعة ، والإبانة عن وهاء نقل ذلك وضعفه ، وأن الحجة لم تقم بشيء منه . وعرفت ما وصفتموه من كثرة استضرار الضعفاء بتمويههم ، وعظم موقع الاستبصار والانتفاع بنقض شبههم . ونحن بحول الله وعونه نأتى فى ذلك بجمل تزيل الريب والشبهة . وتوقف على الواضحة .

ونبدأ بالكلام فى نقل القراءات ، وقيام الحجة به . ووصف توفر همم الأمة على نقله وحياطته ؛ ثم نذكر ابتداء أبى بكر . رضى الله عنه ، لجمعه على ما أنزل عليه ، بعد تفرقه فى المواضع التى كتب فيها ، وفى صدور خلق حفظوا جميعه ، وخلق لم يحيطوا بحفظ جميعه ، واتباع عمر رضى الله عنه والجماعة له على ذلك ، وصوابه فيما صنع ، وسبقه إلى الفضيلة به . والسبب الموجب لذلك .

ثم نذكر جمع عثمان رضى الله عنه - الناس على مصحف واحد ، وحرف زيد بن ثابت ، ونبين أنه لم يقصد فى ذلك قصد أبى بكر فى جمع القرآن فى صحيفة واحدة على ترتيب ما أوحى به ؛ إذ كان ذلك أمراً قد استقر وفرغ منه قبل أيامه . ونبين صواب عثمان رضى الله عنه فى جمع الناس على حرف ، وحظه ومنعه لما عدها من القراءات ، وأن الواجب على كافة الناس اتباعه ، وحرام عليهم - بعد - قراءة القرآن بالأحرف والقراءات التى حظرها عثمان ومنع منها ، وأن له أخذ المصاحف المخالفة لمصحفه ، ومطالبة الناس بها ، ومنعهم من نشرها والنظر فيها .

ونذكر ما يتعلق به من ادعاء نقصان القرآن ، وتغيير نظمه وتحريفه - من الروايات الشاذة الباطلة ، عن عمر وعثمان وعلى وأبى وعبد الله بن مسعود ، وما يرويه قوم من الرافضة فى ذلك عن أهل البيت خاصة . ونكشف عن تكذّب هذه الروايات ، ونبين أيضاً ما خالف فيه عبد الله بن مسعود عثمان والجماعة ، وهل كان ذلك على جهة الحيلة ، ونسبته إياهم إلى زيادة فيه أو نقصان منه ، أو تغيير لنظمه وما أنزل عليه ؟ أو التصويب لما فعلوه ، وإن استجاز مع ذلك قراءته والتمسك بحرفه . ونذكر ما شجر بينه وبين عثمان رضى الله عنه ، ونصف رجوعه إلى مذهب الجماعة

وخنوعه لعمان . وقدر ما نقمه من أمر زيد بن ثابت . وعيب عليه وعلى الجماعة لأجله . ثم نبين أن القرآن معجزة للرسول . صلى الله عليه وسلم . ودلالة على صدقه ، وشاهد لنبوته . ثم نبين أن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف . ونوضح ما هذه السبعة أحرف ، والروايات الواردة فيها . وجنس اختلافها . ونذكر خلاف الناس في تأويلها ، ونفسد من ذلك ما ليس بصواب . وندل على صحة ما نرغب فيه ونجتيه . ونذكر حال قراءة القراء : وهل قراءتهم هي السبعة الأحرف التي أنزل القرآن بها ، أو بعضها ؟ وهل هم بأسرهم متبعون لمصحف عثمان وحرف زيد ، أو يختلفون في ذلك وقارئون أو بعضهم بغير قراءة الجماعة ؟

ونصف جملاً من مطاعن الملحدين وأتباعهم من الرافضة في كتاب الله عز وجل . ونكشف عن تمويه الفريقين بما يوضح الحق . ونذكر في كل فصل من هذه الفصول بمشيئة الله وتوفيقه — ما فيه بلاغ للمهتدين ، وشفاء وتبصرة للمسترشدين توحياً لطاعة الله جل وعز . ورغبة في جزيل ثوابه . وما توفيقنا إلا بالله ، وهو المستعان .

وقد ذكره في « هداية المسترشدين » : حيث يقول (ورقة ١٤١ - ١) : « وقد ذكرنا في كتاب " الانتصار لصحة نقل القرآن " جميع مطاعن الملحدة وكل من خالف عن الملة — على القرآن ؛ وكشفنا عن فساد توهمهم وتمويههم ودعواهم لتناقض آيات منه واختلافها ؛ وما طعنوا به من كثرة التكرار ؛ وما قالوه : من أنه قد ذكر فيه أشياء لا يعرفها أهل اللغة ؛ من نحو قوله : ﴿ وفاكهة وأباً ﴾ وقولهم : إن فيه ما ليس من لغة العرب . وقولهم : إن فيه كلمات ملحونة لا تجوز في الإعراب . وأبطلنا أيضاً قدهم فيه بكونه مثبتاً على غير تاريخ نزوله ، وأنه قد قدم منه ما يجب تأخيره ، وأخر ما يجب تقديمه . وأفسدنا أيضاً قدهم فيه بإنزال بعضه متشابهاً ، مع الإخبار بالحداد قوم فيه واتباع المتشابه منه . وأبطلنا أيضاً قول من قال : إن فيه تحريفاً وتغييراً وتبديلاً ، وزيادة ونقصاناً وإنه إنما أثبتته السلف بأخبار الآحاد ، وشهادة الاثنين ، ومن جرى مجراهما ؛ وإن الدأجن والغنم آكلا كثيراً منه فضاع وثر . وأبطلنا أيضاً قول من قال : إنه ليس فيه

ما يدل على شيء بظاهره . وإن علم ذلك يجب أخذه عن الرسول والإمام ، ولا يسوغ أن يفسره سواههما . وماتقوله الباطنية وتهلدى به وتموه في هذا الباب . واعترضه أيضاً على قول من زعم أن القرآن يجب الإيمان به . والتسليم بصحته : دون معرفة معناه وتأويله . وأبطلنا أيضاً طعنهم على القرآن باختلاف خطوط المصاحف ، واختلاف القراءات . وذكر الشواذ . وبيننا ما ثبت من ذلك . وما يجب إبطاله . وذكرنا قلدحهم فيه بما روى من قوله عليه السلام : " تلك الغرائق العلاء . وإن شفاعتهم لترتجى " . إلى غير ذلك من وجوه اعتراضاتهم على صحة القرآن . وأوردناه في ذلك الكتاب . وطرفاً منه في " أصول الفقه " : بما يغني يسيره الناظر فيه . إن شاء الله .

وتوجد نسخة من الجزء الأول من هذا الكتاب في مكتبة « قرا مصطفى باشا »
بإستنبول .

وقد نقل منه ابن حزم في الفصل ٢١٨/٤ . ٢٢٠ . ٢٢١ . ٢٢٢ نقولاً
رماه من أجلها بالكفر . والكذب للدين . وتكذيب الله ، وغير ذلك مما رماه به !
كما نقل منه السيوطي في الإتيقان ٤٨/١ . ١٠٣ . ١٠٦ . ١٠٧ . ١٢٢ . ١٣٤ .
٤٢/٢ .

(٥) كتاب : « الفرق بين معجزات النبيين . وكرامات الصالحين » ذكره
في « هداية المسترشدين » مرتين : قال في أولاهما : « وقد بينا في كتاب : الفرق
بين معجزات النبيين وكرامات الصالحين : معنى وصف النبي أنه نبي . وأن من
الناس من قال : إنه مشتق وأخوذ من الإنباء عن الأشياء ، والإخبار عن الله
عز وجل » . ومن هذا الكتاب قسم في مكتبة « تينجن » بألمانيا .

(٦) كتاب : « مناقب الأئمة ، ونقض المطاعن على سلف الأمة » أشار
إليه في « التمهيد » ص ٢٢٩ ؛ وفي الخزانة الظاهرية بدمشق ، نسخة من الجزء الثاني ،
كتب تحت عنوانها : « تأليف القاضي أبي بكر بن الطيب » . وقد علق على
هذه العبارة الدكتور يوسف العش — في فهرس مخطوطات الظاهرية ص ٨٤ —
بقوله : « ولا شك أنه أحمد بن علي الباقلاني المتوفى سنة ٥٤٠٣هـ » . وقد أخطأ

الدكتور في اسم الباقلاني واسم أبيه ، فهو : « محمد بن الطيب » ؛ لا « أحمد ابن علي » .

(٧) كتاب : « إكفار المتأولين » . أشار إليه في كتاب التمهيد في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته ص ١٨٦ حيث يقول : « وقد ذكرنا ما في هذا الباب ، في كتاب إكفار المتأولين ، وذكرنا ما روى في معارضتها ، وقلنا في تأويلها بما يغني الناظر فيه » .

(٨) كتاب : « الإمامة الكبير » . وقد أشار إليه في « هداية المسترشدين » في آخر حديثه عن آية انشقاق القمر ؛ إذ يقول : « وقد تفحصنا القول في ذلك في كتاب الإمامة — بما يغني متأمليه » . وقد ذكره ابن حزم في الفصل ٢٢٥/٤ ، ونقل منه في ص ١٦٦ .

(٩) كتاب : « الأصول الكبير في الفقه » . أشار إليه أبو المظفر الإسفراييني في كتاب التبصير ص ١١٩ ؛ وقال : إنه يشتمل على عشرة آلاف ورقة . وذكره الباقلاني في كتابي : « التمهيد » و « هداية المسترشدين » .

(١٠) كتاب « كيفية الاستشهاد » ، « في الرد على أهل الجحد والعناد » ؛ أشار إليه في كتاب « التمهيد » ص ٤٠ .

(١١) كتاب : « نقض النقض » . ذكره أبو المظفر الاسفراييني في التبصير ص ١١٩ .

(١٢) كتاب : « كشف الأسرار ، وهتك الأسرار » ؛ في الرد على الباطنية . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٤٦/١١ ؛ فقال : « وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء ؛ سماه كشف الأسرار ، وهتك الأسرار ؛ بين فيه فضائحهم وقبائحهم ، ووضح أمرهم لكل أحد ... وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم : هم قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر المحض » .

وقد نقل منه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٧٥٧/٤ في كلامه عن نسب المعز وآبائه ، فقال : « وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني : القداح ، جد عبيد الله ، كان مجوسياً ، ودخل عبيد الله المغرب ، وادعى أنه علوي ؛ ولم يعرفه

أحد من علماء النسب : وكان باطنياً خبيثاً . حريصاً على إزالة ملّة الإسلام
أعدم الفقه والعلم . ليتمكن من إغراء الخلق . وجاء أولاده أسلوبه ، وأباحوا الخمر
والفروج : وأشاعوا الرفض ، وبثوا دعاة فأسدوا عقائد جبال الشام . كالنصيرية
والدرزية . وكان القداح كاذباً محترفاً : وهو أصل دعاة القرامطة » .

وقد أشار إلى هذا الكتاب السيوطي . في حسن المحاضرة ٢/٢٨ : والسبكي
في طبقات الشافعية ٤/١٩٢ : أثناء في ترجمته لنجم الدين الحبوشاني ، المتوفى سنة
٥٨٧ والذي كان على يده خراب بيت العبيديين الراضية ، الذين يزعمون أنهم
فاطميون . وأشار إليه ابن البطليوسي في الانتصار ٤٧ وابن تيمية في الرد على
المنطقيين ص ١٤٢ .

(١٣) كتاب : « الإيجاز » . ذكره أبو عذبة في كتاب « الروضة البهية ،
فيما بين الأشاعرة والماتريدية » : ثلاث مرات . قال في أولها ص ١٨ : إن القاضي
أبا بكر ذكر في كتاب الإيجاز أن اخبة والإرادة ، والمشية والإشاعة ، والرضى
والاختيار : كلها بمعنى واحد : كما أن العلم والمعرفة شيء واحد . وقال في الثانية
ص ٣٥ : إنه يقول في هذا الكتاب : إن أحكام الدين على ثلاثة أضرب : ضرب
لا يعلم إلا بالدليل العقلي : كحدوث العالم وإثبات محدثه : وما هو عليه من صفاته
المتوقف عليها الفعل ، كقدرته تعالى وإرادته ، وعلمه وحياته ، ونبوة رسله . وضرب
لا يعلم إلا من جهة الشرع : وهو الأحكام المشروعة ، من الواجب والحرام
والمباح . وضرب يصح أن يعلم تارة بدليل العقل ، وتارة بالسمع : نحو الصفات
التي لا تتوقف على العقل ، كالسمع له تعالى والبصر والكلام ، والعلم بجواز رؤيته
تعالى ، وجواز الغفران للمذنبين ، وما أشبه ذلك . وقال في الثالثة ص ٥٨ : إن
القاضي أبا بكر ذكر في كتاب الإيجاز أن نبينا صلى الله عليه وسلم معصوم
فيما يؤديه عن الله تعالى : وكذا سائر الأنبياء : وأن الصغيرة تجوز على الأنبياء
بعد الوحي مطلقاً : لا على سبيل السهو وحده .

(١٤) كتاب : « الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة » . وقد
نقل منه ابن تيمية : في « رسالة الفتوى الحموية الكبرى » ص ٧٦ ، وابن قيم
الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية ، على غز والمعلقة والجمهية » ص ١٢٠ .

(١٥) كتاب : « دقائق الكلام والرد على من خالف الحق من الأوائل ومتحلى الإسلام » . ذكره في « هداية المسترشدين » . وأشار إليه ابن تيمية ، في كتاب « بيان موافقة صريح المعقول ، لصحيح المنقول » ١/ ٨٨ في أثناء كلامه على كثرة الاختلاف بين طوائف الفلاسفة ؛ إذ يقول : « واعتبر هذا بما ذكره أرباب المقالات عنهم في العلوم الرياضية والطبيعية ؛ كما نقله الأشعري في كتابه : في مقالات غير الإسلاميين وما ذكره القاضي أبو بكر عنهم ، في كتابه في الدقائق . فإن في ذلك من الخلاف عنهم - أضعاف أضعاف ما ذكره الشهرستاني وأمثاله ممن يحكى مقالاتهم » . وذكره أيضاً في كتاب الرد على المنطقيين ص ٣٣٤ حيث يقول : « وأما اختلاف الفلاسفة فلا يحصره أحد . وقد ذكر أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات : مقالات غير الإسلاميين » عنهم من المقالات ما لم يذكره الفارابي وابن سينا ، وأمثالهما . وكذلك القاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب « الدقائق » الذي رد فيه على الفلاسفة والمنجمين ، ورجح فيه منطق المتكلمين من العرب على منطق اليونان » .

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٣٥٠ أن للباقلاني كتاباً اسمه : « دقائق الحقائق » . ولا أدري أهو اسم لهذا الكتاب أم اسم لكتاب آخر ؟

(١٦) كتاب : « رسالة الحرّة » . ومبلغ علم الباحثين عنه أنه من كتب الباقلاني المفقودة ، التي لا يعرفون موضوعها ، ولا يفقهون معنى تسميتها . ومن أعجب العجب أن الكتاب موجود بين أيديهم ، مطبوع يقرءون فيه ! لكنه يحمل اسماً آخر لم يضعه له الباقلاني ؛ وهو : « الإنصاف » ، الذي طبع بالقاهرة في سنة ١٣٦٩ بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري .

وإني لأقطع بأن كتاب « الإنصاف » هذا إنما هو في حقيقة الأمر كتاب « رسالة الحرّة » ؛ وأن ذلك الاسم الذي طبع به ، اسم دخيل عليه ، قد وضع على نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية .

والذي دفعني إلى ذلك القطع ، قول الباقلاني في أول مقدمته : « أما بعد ؛ فقد وقفت على ما التمسته "الحرّة" الفاضلة الديانة - أحسن الله توفيقها - لما تنوخاه

من طلب الحق ونصرته ، وتنكّب الباطل وتجنّبهُ ، واعتماد القرّة باعتماد المفروض في أحكام الدين ، واتباع السلف الصالح من المؤمنين ؛ من ذكر جمل ما يجب على المكلفين اعتقاده ، ولا يسع الجمل به ، وما إذا تدينّ به المرء صار إلى التزام الحق المفروض ، والسلامة من البدع والباطل المرفوض . وإني - بحول الله تعالى وعونه ، ومشيتّه وطوّله - أذكر " لها " جملاً مختصرة ، تأتي على البغية من ذلك ؛ ويستغنى بالوقوف عليها عن الطلب ، واشتغال الهمة بما سواه . فنقول وبالله التوفيق : إن الواجب على المكلف ... » .

وقول الباقلاني هذا ، يدل دلالة قاطعة على أنه يقدم لرسالة الحرّة ، لا لكتاب الإنصاف . ولست أدري كيف مرّ محقق الكتاب على هذا الكلام ، دون أن ينتبه لدلالته الناطقة باسمه ؛ مع علمه بأن القاضي عياضاً قد ذكر « رسالة الحرّة » ضمن مؤلفات الباقلاني ، ولم يذكر « الإنصاف » !!

ولست أدري كيف فاته مع ذلك أن ينتبه إلى النصين الدخيلين على كلام الباقلاني في هذا الكتاب - في ص ٥٨ ، ٦٤ - والمصدرين بقول كاتبهما : « قال الشيخ الأجل الإمام جمال الإسلام : وقع لي أنا دليل ... » . و« قال الشريف الأجل جمال الإسلام : وقع لي جواب أخصر من هذا وأجود ... ؟ » ولا مرأ في أن هذين النصين من تعليق بعض قراء النسخة على هامشها ؛ فأدخلهما ناسخها أو طابعها في صلب الكتاب .

وقد نقل ابن حزم - في الفصل ٢١٦/٤ - قولاً زعم أن الأشاعرة قالوه في كتبهم ؛ وهو : « أن الروح تنتقل عند خروجها من الجسم إلى جسم آخر » ؛ وعقب عليه بقوله : « هكذا نص الباقلاني في أحد كتبه ؛ وأظنه الرسالة ، المعروفة بالحرّة . وهذا مذهب التناسخ بلا كلفة » . ولقد كذب على ابن حزم ظنه ، فليس في رسالة الحرّة ما يشير إلى هذا القول المزعوم من قريب أو بعيد ، ولم يرد في رسالة الحرّة - من حديث الروح - إلا قوله ص ٤٥ : « ويجب أن يعلم أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر ، وسؤال منكرو ونكير ، وردّ الروح إلى الميت عند السؤال ، ونصب الصراط والميزان ، والحوض ، والشفاعة للعصاة

من المؤمنين -- كل ذلك حق وصدق ، يجب الإيمان والقطع به ؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل .

ولقد نقل ابن قيم الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية ، على غزو المعطلة والجهمية » أقوالاً من كتب الباقلاني في صفات الله ؛ ختمها بقوله ص ١٢٠ : « ذكر قوله في رسالة الحرية . قال في كلام ذكره في الصفات : إن له وجهاً ويدين ، وإنه ينزل إلى سماء الدنيا . ثم قال : وإنه استوى على عرشه ، فاستولى على خلقه . ففرق بين الاستواء الخاص ، والاستيلاء العام » .

وما أشار إليه ابن قيم الجوزية من قول الباقلاني في الوجه واليدين ، والاستواء على العرش المذكور في رسالة الحرية المسماة بالإنصاف ص ٢١ ، ٢٢ ونص عبارته في ذلك : « ... وأخبر الله أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضى الماضيات . واليدين اللتين نطق بإثباتهما القرآن .. وأنهما ليستا جارحتين ، ولا ذوى صورة وهيئة . وأن الله جل ثناؤه مستو على العرش ، ومستول على جميع خلقه ، كما قال تعالى : « الرحمن على العرش استوى » .. بغير مماسة وكيفية ، ولا مجاورة ؛ وأنه في السماء إله وفي الأرض إله . كما أخبر بذلك » .

وقد نقل منها ابن قيم الجوزية في كتاب تهذيب سنن أبي داود ١٠٣/٧ وذلك قوله : « وقال أبو بكر بن الطيب المالكي الأشعري في رسالته المشهورة التي سماها « رسالة الحرية » وأن الله سبحانه مريد ، كما قال : ﴿ فعال لما يريد ﴾ وقال : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقال : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له : كن فيكون ﴾ وأن الله مستو على عرشه ومستول على جميع خلقه ، كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ بغير مماسة ولا كيفية ولا مجاورة » وما نقله ابن قيم الجوزية موجود بنصه في رسالة الحرية المطبوعة باسم الإنصاف ص ٢٢ . وهذا دليل آخر يؤكد ما ذهب إليه من أن كتاب « الإنصاف » إنما هو « رسالة الحرية »

(١٧) كتاب : « التريب والإرشاد » في أصول الفقه . قال القاضي عياض : إنه كتاب كبير . وذكره أبو المظفر الإسفراييني في كتاب التبصير ص ١١٩ ،

وأشار إليه السيوطي في الإتقان ٤٨/١ .

- (١٨) كتاب : « التبصرة » . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٠/١١ .
- (١٩) كتاب : « البيان عن فرائض الدين وشرائع الإسلام » . ووصف ما يلزم من جرت عليه الأفلام ، من معرفة الأحكام .
- (٢٠) كتاب : « الحدود » في الرد على أبي طاهر : محمد بن عبد الله بن القاسم .
- (٢١) كتاب : « تصرف العباد ، والفرق بين الخلق والاكساب » .
- (٢٢) كتاب : « الرد على المعتزلة ، فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن » .
- (٢٣) كتاب : « الدماء التي جرت بين الصحابة » .
- (٢٤) كتاب : « المقدمات في أصول الديانات » .
- (٢٥) كتاب : « المقنع في أصول الفقه » .
- (٢٦) كتاب : « الأصول الصغير » .
- (٢٧) كتاب : « مسائل الأصول » .
- (٢٨) كتاب : « مختصر التقريب والإرشاد الصغير » .
- (٢٩) كتاب : « مختصر التقريب والإرشاد الأوسط » .
- (٣٠) كتاب : « المسائل التي سأل عنها ابن عبد المؤمن » .
- (٣١) كتاب : « رسالة الأمير » .
- (٣٢) كتاب : « المسائل القسطنطينية » .
- (٣٣) جواب أهل فلسطين .
- (٣٤) البغداديات .
- (٣٥) الأصبهانيات .
- (٣٦) النيسابوريات .
- (٣٧) الحرجانيات .
- (٣٨) كتاب : « الكرامات » .
- (٣٩) كتاب : « الأحكام والعلل » .
- (٤٠) كتاب : « إمامة بني العباس » . ذكره القاضي عياض .

(٤١) كتاب : « نقض النقض على الهمداني » . ذكره في « هداية المسترشدين »

(٤٢) كتاب : « الإمامة الصغير » .

(٤٣) كتاب : « التعديل والتجوير » .

(٤٤) شرح اللمع لأبي الحسن الأشعري . ذكره في « الانتصار » .

(٤٥) كتاب : « شرح أدب الجدل » .

(٤٦) كتاب : « أمالي إجماع أهل المدينة » .

(٤٧) كتاب : « في أن المعدوم ليس بشيء » .

(٤٨) كتاب : « فضل الجهاد » .

(٤٩) كتاب : « المسائل والمجالات المنشورة » .

(٥٠) كتاب : « الرد على المتناسخين » .

(٥١) نقض الفنون للجاحظ .

(٥٢) كتاب : « الكسب » . ذكره أبو المظفر الإسفراييني في التبصير ص ١١٩ .

(٥٣) كتاب : « في الإيمان » أشار إليه ابن تيمية في رسالته « الفرقان

بين الحق والباطل » في أثناء حديثه عن الإيمان ؛ حيث يقول ص ٤٣ : « وكلام الناس في هذا الاسم ومسماه كثير ، وقد رأيت لابن الهيثم فيه مصنفًا في : أنه قول اللسان فقط . ورأيت لابن الباقلاني فيه مصنفًا : أنه تصديق القلب فقط . وكلاهما في عصر واحد ؛ وكلاهما يرد على المعتزلة والرافضة » .

(٥٤) كتاب : « النقض الكبير » ومنه هذا النص الذي أورده إمام الحرمين

في الشامل : « قال أبو بكر الباقلاني في النقض الكبير : من زعم أن السين من بسم الله بعد الباء ، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء ، لا أول له — فقد خرج عن المعقول . وجحد الضرورة ، وأنكر البديهة . فإن اعترف بوقوع شيء بعد شيء ، فقد اعترف بأوليته ؛ فإن ادعى أنه لا أول له ، فقد سقطت محاجته ، وتعين لحوقه بالسفسطة . وكيف يرجى أن يرشد بالدليل من يتوابع في جحد الضروري ؟ ! »

(٥٥) كتاب : « الرد على الرافضة والمعتزلة ، والخوارج والجمعية » ذكره

الصلاح الصفدي في « الوافي بالوفيات » ١٧٧/٣ .

آراء العلماء في الباقلاني :

(١) روى ابن عساكر في تبیین كذب المفتري - عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة ، على رأس كل مائة سنة ، من يجدد لها دينها » : ثم قال ص ٥٣ : « وسمعت الشيخ الإمام أبا الحسن علي بن المسلم - على كرسيه بجامع دمشق - يقول وذكر حديث أبي علقمة هذا : « كان علي رأس المائة الأولى : عمر بن عبد العزيز ؛ وكان علي رأس المائة الثانية : محمد بن إدريس الشافعي ؛ وكان علي رأس المائة الثالثة : الأشعري ، وكان علي رأس المائة الرابعة : ابن الباقلاني » .

(٢) قال صاحب ابن عباد في وصفه ووصف زميله - : أبي بكر بن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ ، وأبي إسحاق الإسفراييني ، المتوفى سنة ٤١٨ - : وابن الباقلاني بحر مغرق ، وابن فورك صِلٌ مُطَرِّق ، والإسفراييني نار تحرق . وقد علق ابن عساكر على هذا القول في تبیین كذب المفتري ص ٢٤٤ - فقال : « وكأن روح القدس نفث في رُوعه ، حيث أخبر عن حال هؤلاء الثلاثة ، بما هو حقيقة الحال فيهم » .

(٣) قال الخطيب البغدادي ٣٧٩/٥ : « كان الباقلاني ثقة . وأما الكلام فكان أعرف الناس به ، وأحسنهم خاطراً ، وأجودهم لساناً ، وأوضحهم بياناً ، وأصحهم عبارة » .

(٤) قال القاضي عياض في « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك » : « ومن أهل العراق والمشرق : أبو بكر : محمد بن الطيب بن محمد ، القاضي ، المعروف بابن الباقلاني ؛ الملقب بشيخ السنة ، ولسان الأمة ؛ المتكلم على مذهب المشبته وأهل الحديث ، وطريقة أبي الحسن الأشعري . قال الخطيب .. وقال أبو الحسن بن جهضم الهمداني : كان شيخ المالكيين في وقته ، وعالم عصره المرجوع إليه فيما أشكل على غيره . قال غيره : وإليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته ؛ وكان حسن الفقه ، عظيم الجدل ؛ وكانت له ببغداد حلقة عظيمة ، وكان ينزل الكرخ . ذكر أبو عبد الله بن سعلون الفقيه : أن

سائر الفرق رضيت بالقاضى أبى بكر فى الحكم بين المتناظرين » .

(٥) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء : « ابن الباقلانى الإمام العلامة .
أوحد المتكلمين . مقدم الأصوليين ، صاحب التصانيف ، كان يضرب المثل
بفهمه .. وكان بحق إماماً بارعاً ، صنف فى الرد على المعتزلة والرافضة ، والخوارج
والجهمية والكرامية . وانتصر لطريقة أبى الحسن الأشعرى ، وقد يخالفه فى مضائق ،
فإنه من نظرائه ، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه ... » .

(٦) قال ابن العماد فى شذرات الذهب ١٦٨/٣ : « القاضى أبو بكر
ابن الباقلانى محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، البصرى ، المالكى الأصولى
المتكلم ، صاحب المصنفات ، وأوحد وقته فى فنه ... وكانت له بجامع المنصور
حلقة عظيمة ... وقال ابن الأهدل : سيف السنة : القاضى أبو بكر بن الباقلانى
الأصولى الأشعرى المالكى ، مجدد الدين على رأس المائة الرابعة .. » .

(٧) قال ابن تيمية فى رسالة الفتوى الحموية الكبرى ص ٧٦ : « وقال
القاضى أبو بكر : محمد بن الطيب الباقلانى المتكلم — وهو أفضل المتكلمين المنتسبين
إلى الأشعرى ، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده — قال فى كتاب الإبانة ... » .

(٨) قال ابن خلكان ٤٠٠/٣ : « القاضى أبو بكر : محمد بن الطيب
ابن محمد بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلانى ، البصرى ، المتكلم المشهور ،
كان على مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى ، ومؤيداً اعتقاده ، وناصراً طريقته .
وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة فى علم الكلام وغيره ، وكان أوحد زمانه ،
وانتهت إليه الرياسة فى مذهبه : وكان موصوفاً بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب
وسمع الحديث . وكان كثير التطويل فى المناظرة ، مشهوراً بذلك عند الجماعة » .

(٩) قال الصفدى فى الوافى بالوفيات ١٧٧/٣ : « أبو بكر الباقلانى
البصرى ، صاحب التصانيف فى علم الكلام . وكان ثقة عارفاً بالكلام ، صنف
الرد على الرافضة والمعتزلة ، والخوارج والجهمية .. جرى بينه وبين أبى سعيد الهارونى
مناظرة ، فأكثر الباقلانى الكلام فيها ، ووسع العبارة ، وزاد فى الإسهاب ؛ ثم
التفت إلى الحاضرين ، وقال : أشهدوا على أنه إن أعاد ما قلت لم أطالبه بالجواب ،

فقال الهاروني : اشهدوا على أنه إن أعاد كلام نفسه سلّمت له ما قال . .
وذكره الصفدي أيضاً في ترجمة أبي الحسن المتكلم : محمد بن شجاع المعتزلي ؛
حيث يقول ١٤٧/٣ : « حضر مجلس عضد الدولة ، وكَلَّمَ أبا بكر الباقلافي
الأشعري في مسألة كلامية ، فطوّل في بعض نوبه ؛ فلما أخذ أبو الحسن الكلامَ
في نوبته ، قال له القاضي أبو بكر : قد أخلّلت بالجوّاب عن فصل يا شيخ . وأخذ
الباقلاني الكلام على نوبته فزاد في الطول ؛ فقال له أبو الحسن : علاؤك أثقل
من حملك . فضحك عضد الدولة من ذلك » .

(١٠) قال ابن عمار الميُورقي : « كان ابن الطيب مالكيّاً فاضلاً متورّعاً
ممن لم تحفظ عليه زلة قط ، ولا نسبت إليه نقيصة . وكان يلقب بشيخ السنة ،
ولسان الأمة ؛ وكان فارس هذا العلم ، مباركاً على هذه الأمة . وكان حصناً من
حصون المسلمين ، وما سرّ أهل البدع بشيء كسرورهم بموته » .

(١١) قال أبو القاسم : عبد الواحد بن علي بن برّهان النحوي ، المتوفى سنة
٤٥٦ : « من سمع مناظرة القاضي أبي بكر ، لم يستلذ بعدها بسماع كلام أحد
من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمسترسلين ؛ ولا الأغاني أيضاً ؛ من طيب كلامه
وفصاحته ، وحسن نظامه وإشارته » .

(١٢) قال أبو عمران القاسمي (٣٦٨ - ٤٣٠) : « القاضي أبو بكر : سيف
أهل السنة في زمانه ، وإمام متكلم في أهل الحق في وقتنا » .

(١٣) قال أبو عبد الله الصيرفي : « كان صلاح القاضي أكثر من علمه ؛
وما نفع الله هذه الأمة بكتبه ، وبثها فيهم إلا بحسن نيته ، واحتسابه بذلك . وكان
يدرس نهاره وأكثر ليله » .

(١٤) قال أبو حاتم الطبري : محمود بن الحسن القزويني : « إن ما كان
يضمّره القاضي الإمام أبو بكر الأشعري رضي الله عنه ، من الورع والديانة ،
والزهد والصِّبْغ ، أنما كان يظهره ؛ فقيل له في ذلك ؟ فقال : إنما أظهر
ما أظهره غيظاً لليهود والنصارى ، والمعتزلة والرافضة والخالفين ؛ لئلا يستحقروا علماء
الحق والدين ، فأضمّر ما أضمّره ؛ فلما رأيت آدم - مع جلالته - نودى عليه

بذو وقّة ، وداود بنظرة ، ويوسف بهمة ، ومحمداً بخطرّة ؛ عليهم السلام .
 (١٥) قال أبو الفرج : محمد بن عمران الخلّال : « وكان ورد القاضي أبي بكر
 محمد بن الطيب ، في كل ليلة ، عشرين ترويقة . ما يتركها في حضر ولا سفر » .
 (١٦) قال أبو بكر الخوارزمي : محمد بن العباس ، المتوفى سنة ٣٨٣ - :
 « كل مصنّف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه ؛ سوى القاضي
 أبي بكر ، فإن صدره يحوى علمه وعلم الناس » .
 (١٧) قال أبو محمد : عبدالله بن محمد الخوارزمي البافى : المتوفى سنة ٣٩٨ :
 « لو أوصى رجل بثلث ماله أن يُدفع إلى أفصح الناس ، لوجب أن يُدفع لأبي بكر
 الأشعري » .

(١٨) قال على بن محمد بن الحسن الحربي ، المالكي : « كان القاضي
 أبو بكر الأشعري ، يهتم بأن يختصر ما يصنّفه ، فلا يقدر على ذلك ؛ اسعة علمه ،
 وكثرة حفظه . وما صنّف أحد خلافاً إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين ؛ غير القاضي
 أبي بكر ، فإن جميع ما كان يذكر خلافاً للناس فيه ، صنّفه من حفظه » .
 (١٩) روى الإمام أبو عبدالله : الحسين بن أحمد الدامغانى ؛ قال : « لما قدم
 القاضي الإمام أبو بكر الأشعري بغداد ، دعاه الشيخ أبو الحسن التميمي الحنبلي
 (٣٧١) إمام عصره في مذهبه ، وشيخ مصره في ربهطه ؛ وحضر الشيخ أبو عبدالله
 ابن مجاهد (٣٧٠) ، والشيخ أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون (٣٨٧) ،
 وأبو الحسن الفقيه ، فجرت مسألة الاجتهاد - بين القاضي أبي بكر ، وبين
 أبي عبد الله بن مجاهد ، وتعلق الكلام بينهما إلى أن انفجر عود الصبح ، وظهر
 كلام القاضي عليه . وكان أبو الحسن التميمي الحنبلي يقول لأصحابه : تمسكوا بهذا
 الرجل فليس للسنة عنه غنى أبداً » .

(٢٠) أما أبو حامد الإسفراييني (٣٤٤ - ٤٠٦) فقد كان شديد الإنكار
 على أصحاب الكلام عامة ، وعلى الأشاعرة والباقلاني خاصة ، حتى إنهم رَوَوْا أن
 الباقلاني كان يخرج إلى الحمام متبرّعاً خوفاً منه . وقد نقل ابن تيمية في فتاويه
 ٢٣٩/٥ : أن أبا الحسن الكرخي قال في كتابه « الفصول في الأصول » :

« سمعت شيخى الإمام أبا منصور ، الفقيه الأصبهانى ، يقول : سمعت شيخنا الإمام أبا بكر الزاذقانى يقول : كنت فى درس الشيخ أبى حامد الإسفرايينى وكان ينهى أصحابه عن الكلام ، وعن الدخول على الباقلانى . فبلغه أن نقرأ من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام ، فظن أنى معهم ومنهم ؛ وذكر قصة قال فى آخرها : إن الشيخ أبا حامد قال لى : يا بنى ، بلغنى أنك تدخل على هذا الرجل - يعنى الباقلانى - فأياك وإياه ؛ فإنه مبتدع يدعو الناس إلى الضلالة وإلا فلا تحضر مجلسى ، فقلت : أنا عائد بالله مما قيل ! وتائب إليه ! واشهدو علىّ أنى لا أدخل عليه ! »

وأعجب مما سبق قوله أيضاً : « كان الشيخ أبو حامد : أحمد بن أبى طاهر الإسفرايينى - إمام الأئمة الذى طبّق الأرض علماً وأصحاباً - إذا سعى إلى الجمعة من قطعة الكرخ إلى جامع المنصور ، يدخل الرباط المعروف بالروزي المحاذي للجامع ، ويقبل على من حضر ويقول : اشهدوا علىّ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، كما قاله أحمد بن حنبل ، لا كما يقوله الباقلانى ، وتكرر ذلك منه فى جمعات ؛ فقبل له فى ذلك ؛ فقال : حتى يتشرف فى الناس وفى أهل الصلاح ، ويشيع الخبر فى البلاد : أنى برىء مما هم عليه - يعنى الأشاعرة - وبرىء من مذهب أبى بكر الباقلانى ، فإن جماعة من المتفقهة الغرباء ، يدخلون على الباقلانى خفية فيقرءون عليه ، فيفتون بمذهبه ، فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة ، فيظن ظان أنهم منى تعلموه وأنا قلته ، وأنا برىء من مذهب الباقلانى وعقيدته . »

هذا قول الإسفرايينى فى معاصره الباقلانى ، وهو قول سداه الإسراف والتجنى ، ولحمته الهوى والعصبية ، وما كان الباقلانى مبتدعاً يدعو الناس إلى الضلالة ، وما كان مذهبه فاسداً ، ولا عقيدته مدخولة ؛ بحيث يتبرأ منهما مسلم ، ولكن العصبية قاهرة غلبة ، والتعاصر مع المائل فى الصناعة مدرجة العداوة والبغضاء .

(٢١) ذكر أبو حيان التوحيدى فى كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ١/١٤٣

أن الوزير أبا عبدالله العارض ، سأله في الليلة الثامنة ، وقال له : « فإ تقول في ابن الباقلاني ؟ قلت :

فما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا يزعم أنه ينصر السنة ، ويفهم المعتزلة ، وينشر الرواية ، وهو في أضعاف ذلك على مذهب الحرَّميَّة ، وطرائق الملاحدة ! قال : والله إن هذا لمن المصائب الكبار ، والحن الغلاظ ، والأمراض التي ليس لها علاج » .

ولست أرتاب في أن أبا حيان قد جاء بالإفك ، حين رمى الباقلاني بأنه كان على مذهب الحرَّميَّة ، وطرائق الملاحدة ، ولو كان لذلك الاتهام نصيب من الصحة لجرَّد له قلمه الجبار ، وذهب يمين عن مظاهره ومصادره ، ويفيض في الطعن عليه ، ولبادر إلى ثلبه والتشهير به أعداؤه من شتى المذاهب والنحل التي تقض أقوالها ، وأتى على معتقداتها من القواعد ؛ ولتسابقوا إلى تأليب الناس عليه ، وتخريض السلطان على إهدار دمه وصلبه ، كما صلب بابك الخرمي . فإن الحرمة فرقة مبتدعة ، لا يعدها أحد في زمرة المسلمين ؛ لأنها تستحل كل محرم ، وتذهب إلى شركة الناس جميعاً في الأموال والنساء ، ويجتمع رجالها ونساؤها في ليل مخصوصة ، يفنونها في احتساء الخمر والرقص ، ثم يطفئون كل سراج منير ، وكل نار موقدة ، ويعكف كل واحد منهم على المرأة التي اتفق جلوسها بجانبه ! وهم يدينون بألوهية بابك الخرمي ، ويدعون أنه كان لهم ملك في الجاهلية اسمه « شروين » ينوحون على موتاهم باسمه ، ويفضلونه على الأنبياء جميعاً .

ولست أدري كيف يكون الباقلاني على مذهب هؤلاء الحرَّمية ، ويخفي أمره على أعدائه المتربصين به ، وعلى أوليائه الملتفين حوله ، ولا يظهر إلا لأبني حيان وحده ! فيتفرد بتسجيله عليه ! ثم لا ينقله عنه ناقل ، ولا يبرزه به نابز ! إن في ذلك لآية على إفكه ، ودليلاً على اختلاقه عليه ، وعداوته له .

ولعل من أسباب عداوة أبي حيان للباقلاني ، بغضه للكلام والمتكلمين ، الذي أفصح عنه بقوله : « ولم أر متكلماً في مدة عمره بكى خشية ، أو دمعت عينه خوفاً ، أو أقلع عن كبيرة رغبة ؛ يتناظرون مستهزئين ، ويتحاسدون متعصبين ،

ويتلاقون متخادعين ، ويصنفون متحاملين ، جذّ الله عروقهم ، واستأصل شأفتهم ، وأراح البلاد والعباد منهم ، فقد عظمت البلوى بهم ، وعظمت آفاتهم على صغار الناس وكبارهم ، ودبّ داؤهم ، وعسر دواؤهم ؛ وأرجو ألا أخرج من الدنيا حتى أرى بنيانهم متضععاً ، وساكنه متجعجعاً .

وقد يكون أبو حيان مدفوعاً إلى تلك العداوة بتأثير العداوة بين الباقلاني وبين أستاذه أبي سليمان المنطقي من جهة ، وبينه وبين أبي حامد الإسفراييني من جهة أخرى ، وكلاهما له في نفس أبي حيان منزلة سامية ، وإجلال بالغ . ومهما يكن من أمر عداوة أبي حيان للباقلاني ، وأياً كان مبعثها ومآتاتها ، فلا مراء في أنه قد ظلمه ظلماً مبيهاً ؛ إذ نسبته إلى طائفة الحرمية ، وهو منها برى براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

(٢٢) وثلاثة الأثافي التي رى بها الباقلاني ، تلك الأقوال المنكرة التي قالها عنه ابن حزم الظاهري (٣٨٤ - ٤٥٦) في كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » فهو عنده : « كافر أصلع الكفر ! مشرك يقدر في النبوات ! ملحد خبيث المذهب ملعون ، يلحد في أسماء الله ، ويخالف القرآن ويكذب الله ! نذل يوجب الشك في الله وفي صحة النبوة ! مظلم الجهالة ، من أهل الضلالة ، مسرور فاسق أحق ؛ يكيّد للإسلام ويسخف به !! قد صدق فيه قول القائل :

شهدت بأن ابن المعلم هازل بأصحابه والباقلاني أهزل
وما جعل الملعون في ذاك دونه وكلّهم في الإفك والكفر منزل
هذه بعض أقوال ابن حزم في الباقلاني ، نقلتها بالفاظها كما أثبتتها في مواضع مختلفة من كتابه .

ولو صدق بعض هذه الأقوال عليه لوجب على المسلمين البراءة منه ، ونبذ كتبه ، وعدّه في طليعة أعداء الإسلام ؛ فكيف إذا صدقت كلها ؟ !
ويجدر بنا - قبل أن نعرض للحكم عليها - أن نتبين : هل كان ابن حزم نزيهاً في حكمه ، منصفاً في قوله ؛ أميناً في نقله ؛ سليم الصدر من دواعي الهوى والعصبيّة ؟ أم كان غير ذلك ؟

وما يدعو إلى الدهشة والعجب حقاً ، ويملاً النفس بالأسف الممض ، أن يكون ابن حزم عريباً عن ذلك كله ، متنكباً سبيل العلم والأخلاق والدين في حديثه عن الباقلاني ؛ لأنه أشعري ، وهو ظاهري يبغض الأشاعرة جميعاً ، ويصفهم بخبث المقالة وفساد الدين واستسهال الكذب على الله جهاراً ، وعلى رسوله بلا رهبة ؛ ويقول عنهم : « والحمد لله الذي لم يجعلنا من أهل هذه الصفة المردولة ، ولا من هذه العصابة المخدولة » ، ويحمد الله على ضعفهم في عصره ، فيقول : « وأما الأشاعرة فكانوا يبغداد والبصرة ؛ ثم قامت لهم سوق بصلقية والقيروان بالأندلس ؛ ثم رق أمرهم ، والحمد لله رب العالمين ! »

وهو ينسب إليهم أقوالاً لم يقولوها ، ومذاهب لم يذهبوا إليها ؛ ثم يندفع في تكفيرهم ، وكيل الشتائم لهم ، كما صنع في باب الرد على من زعم أن الأنبياء والرسل ليسوا اليوم أنبياء ولا رسلاً ، حيث يقول ٨٨/١ : « حديث فرقة مبتدعة ، تزعم أن محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليس هو الآن رسول الله . ولكنه كان رسول الله . وهذا قول ذهب إليه الأشعرية . وهذه متالة خبيثة ، مخالفة لله تعالى ولرسوله ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام منذ كان الإسلام إلى يوم القيامة .. ونعوذ بالله من هذا القول ، فإنه كفر صراح لا ترداد فيه » ؛ ثم اندفع في إبطال هذا القول في شدة وعنف ؛ ونسى أو تناسى أن هذا القول لم يقل به أحد من الأشاعرة ؛ وإنما نسبته إليهم بعض الكرامية ؛ واشتد نكيرهم على من نسبته إليهم ، وبينوا أنه مختلق على إمامهم الأجل أبي الحسن الأشعري .

وفي ذلك يقول أبو القاسم القشيري (٣٧٦ - ٤٧٥) في كتابه « شكايه أهل السنة » - : « فأما ما حكى عنه وعن أصحابه أنهم يقولون : إن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، ليس بنبي في قبره ، ولا رسول بعد موته ؛ فبهتان عظيم ، وكذب محض ، لم ينطق به أحد منهم ، ولا سمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم ، ولا وجد ذلك في كتاب لهم .. » .

وليس أدل على كذب هذا القول على الأشاعرة من قول الباقلاني عنه - في كتاب رسالة الحرة المسمى بالإلصاف ص ٥٥ : « ويجب أن يعلم أن نبوات

الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة ؛ بل حكمهم في حال خروجهم من الدنيا كحكمهم في حالة نومهم ، وحالة اشتغالهم إما بأكل وشرب ، أو قضاء وطر . والدليل عليه : أن حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم في حالة اشتغالهم بأداء الرسالة ، دون غيرها من الحالات — لكانوا في غيرها من الأحوال غير موصوفين بذلك . وقد غلط من نسب إلى المحققين من الموحدين — إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا . وليس ذلك بصحيح ؛ لأن مذهب المحققين : أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة ؛ وإنما صار رسولا ، واستحق شرف الرسالة والنبوة ، بقول مرسله — وهو الله تعالى — : أنت رسولى ونبيي ؛ وقول الله تعالى قديم لا يزول ولا يتغير . والدليل على صحة هذا أيضاً : أنه صلى الله عليه وسلم ، سئل فقيل له : متى كنت نبياً ؟ فقال : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » . فحاصل الجواب في هذا : أن شرف النبوة وكمال المنصب ثابت للأنبياء ، صلوات الله عليهم أجمعين الآن حسب ما كان ثابتاً لهم في حال الحياة ؛ لم ينلهم ، ولم ينتقص ؛ سواء نسخت شرائعهم أو لم تنسخ . ومن راجع نفسه ، ولم يغالط حسه ، عرف وتحقق أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الآن لم يخاطب شفاها ، ولا يأمرهم ، ولا يكلمهم من غير واسطة ؛ لكن حكم شريعته وصحة نبوته ؛ ثابت لم ينتقص لأجل خروجه من الدنيا ، ولم تزل مرتبته ، ولا انخرمت رسالته ، ولا بطلت معجزته . فاعلم ذلك وتحققه » .

ولست أدري : كيف يقرأ ابن حزم كلام الباقلاني هذا في كتابه هذا ؛ ثم يستسيغ ضميره أن يزعم بعد ذلك أن الأشاعرة قالوا هذه المقالة الخبيثة ؛ مع قوله : إن الباقلاني كبيرهم ؟ حقاً إن هذا لشيء عجاب !

وما أكثر التهم التي ألصقها ابن حزم بالأشاعرة إلصاقاً ؛ وما أوفر عبارات القذف والسباب التي قذفهم بها وسبهم ، والتي بلغت أقصى حدود الإفحاش والإقذاع ؛ وقد اختص الباقلاني منها بأعظم قسط ، وأجزل نصيب . ولعل مرد ذلك إلى أن الباقلاني قد نقد داود الظاهري (٢٠٠ — ٢٧٠) ؛ كما يشعر بذلك قول

ابن حزم في الفصل ٢٢٥/٤ : « ومن العجب أن هذا النذل الباقلاني قطع بأن داود خالف الإجماع في قوله بإبطال القياس ، أفلا يستحي هذا الجاهل من أن يصف العلماء بصفته ، مع عظيم جهله ؟ ولكن من يضل الله فلا هادي له . وما أحفظه عليه أيضاً ، وأرث نار عداوته في صدره ، أنه كان لا يعبا بالظاهريّة ، ولا يعدّهم من العلماء ؛ وقد نقل شيخ الأزهر الشيخ حسن العطار ، (المتوفى سنة ١٢٥٠) في حاشيته على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع ٢٢١/٢ - أن أبا إسحاق الإسفراييني قال : « كل مسلك يختص به أصحاب الظاهر عن القياسيين ، فالحكم بحسبه منقوض ؛ وبحق قال حَبْرُ الأصول القاضي أبو بكر : إني لا أعدّهم من علماء الأمة ، ولا أبالي بخلافهم ولا وفاقهم » . ولست أريد أن أقبس هنا سائر ما أورده من قول ؛ وما نخله من رأى ؛ ثم أين ما صنعه فيه من تحريف كلمه عن مواضعها ، ولّى عباراته عن معانيها ، وقطع مقدماته عن نتائجها ؛ وأخذ من ظاهر لفظه ما يتفق وهوى نفسه ، ويتسق وما يريد أن يلزمه من إلزامات شائنة ، تذهب بسمعته ومكانته . لست أريد ذلك لأن بيانه يحتاج إلى بسط وإطناب لا سبيل إليهما في هذا المقام . ولكني أذكر من ذلك ما لا مناص من ذكره ، وهو ما يتعلق بقوله في القرآن .

قال ابن حزم في معرض حديثه عن الأشاعرة ٢٢١/٤ : « ومن شنعهم قول هذا الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن : إن تقسيم آيات القرآن ، وترتيب مواضع سوره ، شئ فعله الناس وليس هو من عند الله ، ولا من أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقد كذب هذا الجاهل وأفك ؛ أتراه ما سمع قول الله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها 〉 ؛ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في آية الكرسي ، وآية الكلاله ، والخبر : أنه عليه السلام كان يأمر إذا نزلت آية كذا ، أن تجعل في سورة كذا ، وموضع كذا . ولو أن الناس رتبوا سوره ، لما تعدوا أحد وجوه ثلاثة : إما أن يرتبوها على الأول فالأول نزولا ، أو الأطول فما دونه ، أو الأقصر فما فوقه . فإذا ليس ذلك كذلك ، فقد صح أنه أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الذي لا يعارض ، عن الله عز وجل ، لا يجوز غير ذلك أصلا » .

وما كذب الباقلافي ولا أفك في مسألتي ترتيب الآيات ، وترتيب مواضع
السور في القرآن ، وما خرج بقوله فيهما عما قاله أعلام الأئمة وأجمعوا عليه . فقد
أجمعوا جميعاً على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة فيه ؛ وأيد إجماعهم ما تاردف
في ذلك من النصوص . ولم تجتمع كلمتهم على أن ترتيب السور توقيفي ؛ فمنهم
من قال به ، ومنهم من قال : إنه باجتهاد من الصحابة : كمالك بن أنس .

وأضع دليل على صدق الباقلافي وبرأته مما رماه به ابن حزم ، قوله في
كتاب « الانتصار لنقل القرآن » : « ترتيب الآيات أمر واجب ، وحكم لازم ؛
فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا موضع كذا » . وقوله أيضاً في ذلك
الكتاب (ورقة ٤ - ب) : « والذي نذهب إليه في ذلك أن جميع القرآن الذي
أنزله الله ، وأمر بإثبات رسمه . ولم ينسخه ، ويرفع تلاوته بعد نزوله - هو هذا
الذي بين الدفتين . الذي حواه مصحف عثمان ؛ وأنه لم ينقص منه شيء . ولا زيد
فيه ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمته الله تعالى . ورتبه عليه رسوله ، من آي
السور ، لم يقدّم من ذلك مؤخرًا ، ولا أخر منه مقدماً ؛ وأن الأمة ضبطت عن
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ترتيب آي كل سورة ومواقعها ، وعرفت مواقعها :
كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة ؛ وأنه يمكن أن يكون الرسول صلى
الله عليه وسلم ، قد رتب سوره على ما انطوى عليه مصحف عثمان ، ويمكن أن
يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ، ولم يتول ذلك بنفسه . وأن هذا القول الثاني
أقرب وأشبه أن يكون حقاً » .

ولن يمتري إنسان - بعد قراءة هذا الكلام - في تكذيب ابن حزم في قوله ،
إن الباقلافي يقول : « إن ترتيب الآيات والسور شيء فعله الناس ، وليس هو
من عند الله ، ولا من أمر رسول الله . فقد كذب هذا الجاهل وأفك ! »

ولن يمتري كذلك في أنه نص صريح في تكذيب ابن حزم في قوله عن
الأشاعرة : « وقالوا كلهم : إن القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد ،
عليه الصلاة والسلام ، وإنما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن كلام الله ؛ وإن
القرآن ليس عندنا ألبتة إلا على هذا المجاز ؛ وإن الذي نرى في المصاحف ونسمع

من القراء ، ونقرأ في الصلاة ، ونحفظ في الصدور — ليس هو القرآن ألبتة ، ولا شيء منه كلام الله ألبتة ، بل شيء آخر : وإن كلام الله لا يفارق ذاته . وإن قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل . ومخالفة القرآن والنبي ، صلى الله عليه وسلم : ومخالفة جميع أهل الإسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة . وهذا افتراء قصد به التشنيع والتلبيس على الناس ، يدحضه قول الباقلاني في « رسالة الحرة » ص ٦٢ : « اعلم أن الله تعالى متكلم له كلام عند أهل السنة والجماعة ، وأن كلامه قديم ليس بمخلوق ، ولا مجعول ، ولا محدث : بل كلامه قديم . صفة من صفات ذاته ، كعلمه وقدرته وإرادته . ونحو ذلك من صفات الذات . ولا يجوز أن يقال : كلام الله عبارة ولا حكاية . ولا يوصف بشيء من صفات الخلق . ولا يجوز أن يقول أحد : لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق ؛ ولا إني أتكلم بكلام الله » .

وقوله ص ٨٢ : « ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة كما قال : ﴿ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون ﴾ ، وهو في مصاحفنا مكتوب على الوجه الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ : كما قال تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ . لكن نحن نعلم وكل عاقل أن كلام الله الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، هو والقرآن المكتوب في مصاحفنا شيء واحد ، لا يختلف ولا يتغير : وأن اللوح غير أوراق مصاحفنا . وأن الخط الذي فيه غير الخطوط التي في مصاحفنا . وأن القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ غير أقلامنا . وكذلك ما اختلف وغاير غيره ، واختص بمكان دون مكان ، وزمان دون زمان فهو مخلوق مربوب ، وكل ما هو على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير ، ولا يجوز عليه شيء من صفات الخلق . فكذلك هو كلام الله تعالى القديم وجميع صفات ذاته . وكذلك القرآن محفوظ بالقلوب على الحقيقة ، كما قال تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ . لكن نعلم قطعاً أن زيدا الحافظ غير عمرو الحافظ ، وأن قلب هذا غير قلب هذا ، وأن حفظ هذا غير حفظ هذا ؛ لكن المحفوظ لهذا يحفظه هو المحفوظ للآخر يحفظه ، وهو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير ،

إذ هو صفة الله تعالى ، قديم غير مخلوق . وكذلك نقول : إنه مقروه بألستنا ، نتلو بها على الحقيقة ؛ لكن نعلم أن زيدا القارئ غير عمرو القارئ ، وأن لسان زيد غير لسان عمرو ، وأن قراءة زيد غير قراءة عمرو ؛ ولكن المقروه لزيد هو المقروه لعمرو ، شيء واحد لا يختلف ولا يتغير ؛ بل هو كلام الله القديم الذى ليس بمخلوق ولا يجوز عليه صفات الخلق . وهذا كما قال تعالى : ﴿ أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ يعلمه زيد بعلمه ، ويعلمه عمرو بعلمه ؛ ويعبده زيد بعبادته ، ويعبده عمرو بعبادته ؛ ويدعوه زيد بدعائه ، ويدعوه عمرو بدعائه ؛ ويذكره زيد بذكره ، ويذكره عمرو بذكره ؛ ويسبحه زيد بتسبيحه ، ويسبحه عمرو بتسبيحه ؛ فزيد غير عمرو ، وذكره غير ذكر عمرو ، وعبادته غير عبادة عمرو ، ولكن المعبود لهذا هو المعبود لهذا ، والمذكور لهذا هو المذكور لهذا ، والمسبح لهذا هو المسبح لهذا ؛ والله تعالى القديم الواحد الذى ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير .

وقوله فى ص ٨٣ ، ٨٥ : « ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مسموع لنا على الحقيقة ؛ لكن بواسطة ، وهو القارئ ... ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، نزول إعلام وإفهام ، لا نزول حركة وانتقال » ، و « أن جبريل عليه السلام علّم كلام الله وفهمه ، وعلمه الله النظم العربى الذى هو قراءته ، وعلم هو القراءة نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ولم يزل ينقل الخلف عن السلف ذلك ، إلى أن اتصل بنا ، فصرنا نقرأ بعد أن لم نكن نقرأ » .

ويستبين من سائر هذه النصوص أن ابن حزم لم يكن أميناً فى نقله ، ولا صادقاً فى قوله ؛ وإنما خان أمانة العلم ؛ وكذب فيما ادعاه على الباقلانى والأشاعرة ، ليتسنى له تكفيرهم ، وسبهم بما يرضى نفسه الظائمة إلى الطعن والسباب . وقد عرف ذلك عنه ، حتى قال فيه ابن العريف : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين » ؛ وسجل عليه ذلك المؤرخون له ، كابن خلكان ، الذى يقول فى وفيات الأعيان : « وكان كثير الوقوع فى العلماء المتقدمين ، لا يكاد يسلم أحد من لسانه ؛ فنفرت عنه القلوب ، واستهدف لفقهاء وقته ، فماتوا على بغضه ، وردوا

قوله ، وأجمعوا على تضليله . وشنعوا عليه ؛ وحذروا سلاطينهم من فتنه . ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه ؛ فأقصته الملوك وشردته عن بلاده . وكالحافظ الذهبي الذي قال عنه في سير أعلام النبلاء : « لم يتأدب مع الأئمة في الخطاب ؛ بل فجعج العبارة . وسب وجدع . فكان جزاؤه من جنس فعله . بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها . ونفروا منها ؛ وأحرقت في وقته » .

وإذا كان ذلك كذلك فيجب ألا يلتفت إنسان إلى قول ابن حزم في الباقلاني ، ولا ينظر بعين الاعتبار إلى طعنه عليه ، وتكفيره له .

(٢٣) قال ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢ - ٨٠٨) في مقدمته ، في أثناء حديثه في فصل علم الكلام ص ٤٦٥ : « .. وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري ؛ واقتفى طريقته من بعده تلاميذه ، كابن مجاهد وغيره ، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني ، فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذبها ، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار . وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء ، وأن العرض لا يقوم بالعرض ، وأنه لا يبقى زمانين ، وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم ، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها ؛ لتوقف تلك الأدلة عليها ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول . وحملت هذه الطريقة ، وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية ، إلا أن صور الأدلة تعتبر بها الأقيسة ، ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ؛ ولو ظهر منها بعض الشيء ، فلم يأخذ به المتكلمون ؛ لملاستها للعلوم الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالجملة ، فكانت مهجورة عندهم لذلك . ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني إمام الحرمين أبو المعالي ، فأملى في الطريقة كتاب الشامل ، وأوسع القول فيه ، ثم لخصه في كتاب الإرشاد ، واتخذته الناس إماماً لعقائدهم .. » .

٥٠ (٢٤) قال ابن تيمية في كتاب « بغية المرئاد » ص ١٠٧ في معرض حديثه عن مصادر معارف أبي حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥) وأستاذه أبي المعالي الجويني ؛ إمام الحرمين (٤١٩ - ٤٧٨) - : « وأبو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في " الإرشاد " و " الشامل " ونحوهما ، مضمومة إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر

الباقلاني ، لكنه في أصول الفقه سلك في الغالب مذهب ابن الباقلاني ، مذهب الواقفة وتصويب المجتهدين ، ونحو ذلك ، وضم إلى ذلك ما أخذه من كلام أبي زيد الدبوسي وغيره في القياس ونحوه . وأما في الكلام فطريقته طريقة شيخه دون القاضي أبي بكر .

وأما شيخه أبو المعالي فمادته الكلامية أكثر من كلام القاضي أبي بكر ونحوه ، واستمد من كلام أبي هاشم الجبائي : على مختارات له . وكان قد فسر انكلام على أبي قاسم الإسكافي . عن أبي إسحاق الإسفراييني . ولكن القاضي هو عندهم أولى . ولقد خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة » .

(٢٥) ومن ألد أعداء الأشعرى والأشاعرة : أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز . الأهوازي (٣٦٢ - ٤٤٦) وقد ألفت في مثال الأشعرى كتاباً . رماه فيه بكل ما أمكنه ذكره من الأمر الشنيع والوصف القبيح ، كما رمى كبار أصحابه . وأعلام مذهبه . وقد نقض عليه كتابه الحافظ ابن عساكر في كتاب « تبين كذب المفترى » ص ٣٦٤ - ٤٢٠ ومن قوله في ص ٣٩٨ : « وأما ما ذكره في حق القاضي أبي بكر بن الباقلاني رحمه الله ، من أنه كان أجير الفامي ، وأنه إنما ارتفع قدره بمداخلة السلاطين لا بالعلم - فعين الجهل والتعamy . وهل ينكر فضل القاضي أبي بكر في العلم والفهم من شتم أدنى شمة من العلم ؟ وتصانيفه في الخلق مبثوثة ، وعلومه عنه مستفادة موروثه . وقد كان يدرس المدة الطويلة في دار السلام . ويصنف الكتب الجليلة في قواعد الإسلام ، ويؤخذ عنه علم الفقه على مذهب مالك بن أنس ، وينتفع بدروسه في أصول الدين والفقه كل مقتبس ، والرحلة من الشرق والغرب ، فقلوه في حقه قول من لا يتحاشى من الكذب » .

والذي حدا بالأهوازي إلى الطعن في الأشعرى ومتابعيه ، أنه كان مشبهاً مجسماً ، يقول بالظاهر ، ويذهب مذهب السالية ، وهي فرقة من المشبهة ، يقولون : إن الله سبحانه يرى في صورة آدمي ، وإنه يقرأ على لسان كل قارئ ، وإنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ يرون أنهم يسمعون من الله . ويعتقدون أن الميت يأكل في قبره

ويشرب . وقد اتهم العلماء الأهوازي بالوضع والاختلاق ، وقد قال عنه تلميذه الخطيب البغدادي : « أبو علي الأهوازي كذاب في الحديث والقرآن جميعاً ! »

الباقلاني وابن المعلم :

وكان يعاصر الباقلاني إمام الرافضة ولسان الإمامية أبو عبد الله : محمد بن محمد ابن النعمان بن سعيد ، البغدادي الكوفي ، المعروف بابن المعلم ، والملقب عند الشيعة بالشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣) وكان ابن المعلم جليل المكانة في الدولة البويهية ، وكان عضد الدولة يزوره في داره ، وكان قويّاً في الكلام والفقه والجدل ، مولعاً بمناظرة أهل كل عقيدة . قال الخطيب البغدادي ٣٧٩/٥ : « إن ابن المعلم شيخ الرافضة ومتكلمها ، حضر بعض مجالس النظر مع أصحاب له ، إذ أقبل القاضي أبو بكر الأشعري ، فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه ، وقال لهم : قد جاءكم الشيطان ، فسمع القاضي كلامهم - وكان بعيداً من القوم - فلما جلس أقبل على ابن المعلم وأصحابه وقال لهم : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزِرُهُمْ أَرْسَالًا ﴾ أى إن كنت شيطاناً فأنتم كفار ، وقد أرسلت عليكم ! »

قال القاضي : وحكى غير الخطيب أن الحكاية جرت للباقلاني مع أهل مجلس فتنأخسرو الملك ، من شيوخ المعتزلة ، وأنه كان داخلاً إذ سمعهم يذكرون أمره ، فقال لهم بعضهم : ما هو إلا شيطان ؟ فوصل إليهم وهو يتلو الآية .

قال : وسمعت بعض الشيوخ يحكى : أن ابن المعلم تكلم معه يوماً فلما احتد الكلام بينهما ، رماه ابن المعلم بكف باقلاء (فول) أعده له ، يعرض له بما ينسب إليه ، ليخجله بذلك ويحصره ، فرد القاضي للحين يده في كمه ورماه بِدِرَّةٍ أعدها له ، فعجب من فطنته وإعداده للأمور أشباهها قبل وقتها !

وفاة الباقلاني :

حدث الخطيب البغدادي ٣٨٢/٥ عن علي بن أبي علي المعدل ، قال : مات القاضي أبو بكر : محمد بن الطيب ، في يوم السبت لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وأربعمائة .

وقال أبو الحجاج : يوسف بن عبد العزيز اللخمي : توفي القاضي الباقلاني سنة أربع وأربعمائة .

وقد نقل القاضي عياض في « ترتيب المدارك » ما حكاه الخطيب ، ثم قال : « وجدت عن غيره : سنة أربع ، أيام بهاء الدولة ، والخليفة القادر بالله ، وهذا خطأ والأول أصح » .

وقد صلى على الباقلاني ابنه الحسن ، وكان شاباً مرجواً ، واخترمته المنية بعد أبيه . ودفن القاضي في داره ، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب ، في تربة بقرب قبر أحمد بن حنبل ، ونقش على شاهد تربته ما نصه : « هذ قبر القاضي الإمام السعيد ، فخر الأمة ، ولسان الملة ، وسيف السنة ، عماد الدين ، ناصر الإسلام ، أبي بكر : محمد بن الطيب البصري ، قدس الله روحه ، وألحقه بنبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه ، ويزار ويستسقى ويتبرك به » .

وقد حضر أبو الفضل التميمي الحنبلي (٣٤١ - ٤١٠) يوم وفاته الغزاء حافياً مع إخوته وأصحابه ، وأمر أن ينادى بين يدي جنازته : « هذا ناصر السنة والدين ، هذا إمام المسلمين ، هذا الذي كان يذب عن الشريعة السنة المخالفين ، هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة ردّاً على الملحدين » . وقعد للغزاء ثلاثة أيام فلم يبرح وكان يزور تربته كل يوم الجمعة في الدار .

وكان يزورها أيضاً للترحم عليه أبو الفضل : عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ (٣٧٠ - ٤٥١) وأبو علي : الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان (٣٣٩ - ٤٢٦) وأبو القاسم : عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي (٣٥٥ - ٤٣٥) .

وقد رثى الباقلاني بعض الشعراء فقال :

انظر إلى جبل تمشي الرجال به وانظر إلى القبر ما يحوى من الصلّافِ
وانظر إلى صارم الإسلام منعمداً وانظر إلى درة الإسلام في الصّدَفِ

كتاب إعجاز القرآن

وهو أول كتب الباقلافي نشرًا ، وأشهرها ذكرًا ، وهو أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم ، وإن كره ذلك بعض المتعصبين على المعهد العتيق . ولقد حدثني من أثق بصدق حديثه : أن دارًا للنشر والطبع استشارت كبيراً منهم في طبع هذا الكتاب بتحقيق ، فكتب إليها بخط يده يقول : « أنا لا أنصح بطبع كتاب إعجاز القرآن للباقلافي ؛ لأنه ليس أنفـس كتاب في موضوعه » !! ! ولا لقيت كاتب هذا التقرير العجيب قذفت سامعته بهذا التحدى : « دُلّني على كتاب واحد في إعجاز القرآن تربو قيمته على كتاب الباقلافي أو تضارعه » ! فأبلس ولم يجر جوابًا . . .

* * *

ذكر الباقلافي في مقدمته أن الذين ألفوا في « معاني القرآن » من علماء اللغة والكلام ، لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته ، والدلالة على مكانه ؛ مع أن الحاجة إلى ذلك البيان أمسّ ، والاشتغال به أوجب ، فهو أحق بالتصنيف من الجزء والطفرة والأعراض وغريب النحو وبديع الإعراب . وأن ما صنفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل في بابه ، قد أخل بتهذيبه ، وأهمل ترتيبه ، وقد التمس بعضهم العذر فيما وقع منه من تفريط ؛ لأن بيان وجه الإعجاز « مما لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار ، دقيقة المسلك ، لطيفة المآخذ » . وقال : إن الجاحظ « صنف في نظم القرآن كتابًا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » .

ثم قال : إن سائلا سأله أن يذكر جملة من القول جامعة ، تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال ، وتنتهي إلى ما يخطر لهم ، ويعرض لأفهامهم ، من الطعن في وجه المعجزة . فأجابه إلى ذلك ، وألف هذا الكتاب ، وذكر أنه أشار إلى ما سبق بيانه من غيره ، ولم يبسط القول فيه ؛ لثلا يكون ما ألفه مكرراً

ومقولا . وقال : إنه لا يزعم أنه يمكنه أن يبين ما رام بيانه ، وأراد شرحه وتفصيله ، إلا لمن كان « من أهل صناعة العربية » ، وقد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه ، وعرف جملة من طرق المتكلمين ونظر في شيء من أصول الدين . ثم بين في الفصل الأول أن نبوة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، مبنية على دلالة معجزة القرآن ، واستدل على ذلك بآيات كثيرة ، وقال : إنه ما من سورة من السور المفتتحة بذكر الحروف المقطعة إلا وقد أشيع فيها بيان ذلك « وكثير من هذه السور إذا تأملته ، فهو من أوله إلى آخره مبنى على لزوم حجة القرآن ، والتنبيه على معجزته » .

وفصل القول في نظم سورتي غافر وفصلت ، وبين دلالته على ذلك .

* * *

وعقد الفصل الثاني ص ٢١ لبيان وجه دلالة معجزة القرآن على نبوة النبي وبنى ذلك على أصليين : أولهما : وقوع العلم الضروري بأن القرآن المتلو المحفوظ المرسوم في المصاحف — هو الذي جاء به النبي من عند الله تعالى ، وأنه تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة ، وقام به في المواقف ، وكتب به إلى البلاد وتحملته عنه إليها من تابعه ، حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشبهه . والأصل الثاني : أنه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله ، وقرعهم على ترك الإتيان طول تلك السنين فلم يأتوا بذلك ، واستدل على هذا الأصل بآيات كثيرة ، منها آية استدلت بها على بطلان قول من زعم أن وحدانية الله لا تعلم إلا من جهة العقل ، ولا يمكن أن تعلم من القرآن ، وهي قوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه ، قل : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ، وأن لا إله إلا هو ، فهل أنتم مسلمون ؟ ﴾ . وقد عقب عليها بقوله ص ٢٣ : « فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ، ودليلاً على وحدانيته » .

ثم كشف عن المعاني التي استقصى أهل العلم الكلام فيها قبله ، وما جاء به بعدهم ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف كون القرآن معجزاً حين أوحى إليه من قبل أن يقرأه على غيره أو يتحدى إليه سواه . وأفاض في إبطال قول

القائلين بالصرفة ، وقال : إن التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الله يشارك القرآن في الإعجاز بما تضمنه من الإخبار عن الغيوب ، وبيانه في أنه ليس بمعجز في النظم والتأليف ؛ لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولم يقع به التحدى كما وقع بالقرآن ؛ ولأن الألسنة التي نزل بها لا يتأتى فيها من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى إلى حد الإعجاز . وقال : إن كتاب زرادشت وكتاب مانى ليس يقع فيهما إعجاز ، وإنه لا يوجد لابن المقفع كتاب يدعى مدع أنه عارض فيه القرآن .

* * *

والفصل الثالث ص ٤٨ في جملة وجوه إعجاز القرآن . وقد ذكر في مستهله أن الأشاعرة وغيرهم ذكروا في ذلك ثلاثة أوجه : أولها : ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم إليه .
والوجه الثانى : أنه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظمت الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم إلى مبعثه ، مع أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ، ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم .
والوجه الثالث : « أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه » . وقال : إن الذى أطلقه العلماء في هذا الوجه هو على هذه الجملة ، أما هو فقد كشف الجملة التى أطلقوها ، وفصل ذلك بعض التفصيل ، حيث يقول ص ٥١ : « فالذى يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه :
منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد » .
ومنها ص ٥٣ « أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع ، والمعانى اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة ، والتشابه في البراعة ؛ على هذا الطول ، وعلى هذا القدر .. وهذا المعنى هو غير المعنى الأول ، فتأمله تعرف الفصل » .

والمعنى الثالث ص ٥٤ : أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التى يتصرف فيها ويشتمل عليها « وإنما هو على حد

واحد في حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف . وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة ، تفاوتاً بيناً ، ويختلف اختلافاً كثيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة ، وغاية البراعة ، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر . »

والمعنى الرابع : أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل والعلو والنزول ، والتقريب والتباعد ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع . وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء ، والتحول من باب إلى باب . والقرآن على اختلاف فنونه ، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة ، والطرق المختلفة - يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد . وهذا أمر عجيب ، تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ، ويتجاوز العرف . »

والمعنى الخامس : أن نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس ، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ، ويقصرون دونه كقصورنا . »

والمعنى السادس ص ٦٢ : « أن الذي ينقسم عليه الخطاب ، من البسط والاقتصار ، والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم - موجود في القرآن ، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة . »

والمعنى السابع ص ٦٣ : « أن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع . »

والمعنى الثامن : أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته ، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تنذف ما بين شعر ، فتأخذها الأسماع وتشوف إليها النفوس ، ويرى وجه رونقها باديًا ، غامراً سائر ما تقرن به ، كالدرة التي ترى في سلك من خرز ، وكالياقوتة في واسطة العقد . وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير ، وهي غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه ، وتخصيصه برونقه وجماله ، واعتراضه في حسنه ومائه » .

ثم قال في ص ٦٤ : « ولولا هذه التي بينها ، لم يتحير فيه أهل الفصاحة ، ولكانوا يفزعون إلى العمل للمقابلة ، والتصنع للمعارضة ... فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك — علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور ، لعلمهم بعجزهم عنه ، وقصور فصاحتهم دونه » .

والمعنى التاسع ص ٦٦ : « أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً ، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمانية وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفاً ؛ ليدل بالمذكور على غيره ، ويعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم » .

والمعنى العاشر : « أنه سهل سبيله ، فهو خارج عن الوحشى المستكره والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفة . وجعله قريباً إلى الأفهام ، يبادر معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس . وهو مع ذلك ممتنع المطلب ، عسير المتناول ، غير مطمع مع قربه في نفسه ، ولا مُوهِم مع دنوه في موقعه — أن يقدر عليه ، أو يظفر به » .

ثم قال في ص ٧٠ : « وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد ؛ فإننا جمعنا بين أمور ، وذكرنا المزية المتعلقة بها . وكل واحد من تلك الأمور مما يمكن اعتماده في إظهار الإعجاز فيه » .

ثم ختم كلامه في هذا الفصل بالإجابة على سؤال هام أورده في ص ٧١ ، وهو : « فإنه قيل : فهل تزعمون أنه معجز ؛ لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ،

أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟ »

قيل : « لسنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟ ولا نقول أيضاً : إن وجه الإعجاز في نظم القرآن من أجل أنه حكاية عن كلام الله ؛ لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله عز وجل - معجزات في النظم والتأليف . وقد بينا أن إعجازها في غير ذلك . وكذلك يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردا . وقد ثبت خلاف ذلك » .

* * *

والفصل الرابع ص ٧٢ : عقده لشرح ما بينه من وجوه إعجاز القرآن الثلاثة السابقة ، وهي الإخبار عن الغيوب ، والإنباء عن قصص الأولين وسير المتقدمين وبراعة النظم والتأليف والرصف .

* * *

والفصل الخامس ص ٧٦ : مقصور على نفي الشعر من القرآن .
وأما الفصل السادس فقد عقده لنفي السجع من القرآن . وقد استهله بقوله : « ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن . وذكره الشيخ أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه . وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ؛ وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ؛ وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة . وأقوى ما يستدلون به عليه : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون ، عليهما السلام ، ولما كان السجع قيل في موضع : « هارون وموسى » ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون ؛ قيل : « موسى وهارون »

ثم قال الباقلاني : « وهذا الذي يزعمونه غير صحيح . ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ؛ ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز . ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لحاز أن يقولوا : شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؟ لأن الكهانة تنافي النبوات ، وليس كذلك الشعر . وقد روى أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال للذين جاءوه وكنتموه في شأن الجنين : كيف ندي من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يطل ؟ فقال : « أسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟ » وفي بعضها : « أسجعاً كسجع الكهان ؟ » فرأى ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالة .

والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ؛ لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ؛ لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع ؛ لأن اللفظ يقع فيه تالياً للمعنى . ثم قال : « ويقال لهم : لو كان الذى في القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموماً مردولاً ؛ لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه : كان قبيحاً من الكلام . وللسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة » .

ثم قال : « فلورأوا أن ما نلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فنزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ، ونتجاوز حده في البراعة والحسن »

ويقول ص ٩٠ : « ولو كان الكلام الذى هو في صورة السجع منه لما تحيروا فيه ، ولكانت الطباع تدعو إلى المعارضة ؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم ، بل هو في عادتهم ، فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة ، وهو غير خارج عنها ولا متميز منها ؟ » .

ثم مضى في حديثه عن السجع ، وذكر فيما ذكر اختلاف العلماء في الشعر كيف اتفق للعرب قوله أولاً ؟ وهل كان اتفاقاً غير مقصود إليه ؟ أم تواضعوا على هذا الوجه من النظم ؟ وأن الله عرفهم محاسن الكلام ، ودلهم على كل طريقة عجيبة . ثم أعلمهم عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن « ووجدوا أن هذا لما تعذر عليهم مع التحدى والتفريع الشديد والحاجة الماسة إليه ، مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر ، وتكامل أحوالهم فيه — دل على أنه اختص به ؛ ليكون دلالة على

النسبة ، ومعجزة على الرسالة .

وختم الباقلاني كلامه في هذا الفصل بإلزام عجيب لمخالفيه حيث يقول في ص ٩٩ : « ولابد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه النظام ، وعباد بن سليمان ، وهشام القوطي ، ويذهب مذهبهم ، في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ؛ وإنما صرفوا عنه ضرباً من الصرف . ويتضمن كلامه تسليم الخط في طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها . ويستعين ببدیع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه ! وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه ، وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم ، أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة . فإذا ادعوا على القرآن مثل ذلك ؛ لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين ! »

هذا مجمل ما قاله الباقلاني في هذا الفصل الذي عقده لبيان نفي السجع من القرآن ؛ وهو أحف فصول الكتاب وزناً ، وأقلها قدراً ، وأحفلها بالخطأ البين في أصل الفكرة ، وفي كيفية نصرتها والدفاع عنها ، والحجاج دونها ، والرد على مخالفها ومرد ذلك — فيما يلوح لي — إلى أن الباقلاني قد اندفع في كلامه بدافع المناصرة لمذهب الأشاعرة الذي كان يدين به .

والذي حدا بالأشاعرة إلى نفي السجع من القرآن أنهم ظنوا ، بل تيقنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذم السجع في حديث الجنيين . ومن قصة هذا الحديث أن حمل بن مالك بن النابغة كان قد تزوج بامرأتين ، يقال لإحدهما : مليكة بنت ساعدة ؛ وللأخرى : أم عفيفة بنت مسروح ؛ فتغايرتا كما هو الشأن دائماً بين الضرتين ، فضربت أم عفيفة مليكة بمسطح بيتها أو بعمود فسطاطها ، وهي حامل فألقت جنينها ، ورفعت قضيتها إلى النبي فقضى على عاقلة الضاربة بغرة : عبد أو أمة . فقال أخوها العلاء بن مسروح : يارسول الله ، أنغرم من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل ، فثل هذا يطل ؟ ! فقال عليه السلام : « أسجع كسجع الجاهلية ؟ » وقد روى قول النبي بعدة روايات ، منها : « أسجع كسجع

الجاهلية وكهانتها ؟ » . ومنها : « دعنى من أراجيز الأعراب » . ومنها : « أسجاعة بك ؟ » . ومنها : « أسجع كسجع الجاهلية ؟ قيل : يا رسول الله ، إنه شاعر » . ومنها : « لسنا من أساجيع الجاهلية فى شىء » ومنها . « إنما هذا من إخوان الكهان » . ومنها : « إن هذا ليقول بقول شاعر ، بل فيه — أى فى الجنين — غرّة » . ومنها : « أسجع كسجع الأعراب ؟ »

وقد فهم كثير من العلماء أن هذا الحديث إنما ورد فى ذم السجع ، والتنفير منه . ولا شك أنهم واهمون فى ذلك . ولو كان النبى أراد إلى ذمه لقال : « أسجعاً » فقط . وإنما أراد النبى بقوله هذا ، كما يتضح من سياق الحديث ، إنكار تشادق هذا الساجع فى دفعه حقاً وجب عليه وعلى عاقلته ، وقعقته بالسجع على طريقة الكهان فى الجاهلية .

وقد أغرب الباقلانى فى استنباطه من هذا الحديث ص ٨٨ : أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى أن السجع مذموم ، فلا يصح أن يكون فى دلالته على نبوته ! وكيف يذم النبى السجع وكثير من كلامه مسجوع ؟ يقول : « أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطمعوا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام ؟ »

وقد أخطأ الباقلانى فى قوله : إن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع . فليس السجع كذلك على الإطلاق ، وإنما هذا نوع من السجع ردىء لا يقع إلا فى كلام الضعفاء . ومنه نوع آخر يقع فيه اللفظ موقعه الرائع ، وهو مع ذلك تابع للمعانى . وهذا هو النوع المحمود منه الذى جاء فى المأثور الصحيح عن بلغاء الجاهلية ، وفصحاء الإسلام ، وورد فى أحاديث الرسول على أكمل وجه وأتم نسق اتفق وجوده فى كلام البشر ، وإليه يُرْبِغُ المثبتون للسجع فى القرآن ، القائلون بأن ما كان منه كذلك هو نهاية النهايات ، وأبعد الغايات فى البلاغة ، وقد بان بطلانوته وصفاء لفظه وتمكن معناه — عن جميع ما جرى هذا المجرى من كلام الخلق .

ولو قد تدبر الباقلانى ما حكاه من قول المثبتين للسجع فى القرآن : إنه مما يبين

به فضل الكلام ، وإنه من الأجناس التى يقع فيها التفاضل فى البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ، وما أشبه ذلك من الوجوه التى تعرف بها الفصاحة لو تدبر هذا القول ، ولم يكن مدفوعاً إلى معارضته لمخالفته مذهب أصحابه - لراه قولاً وجيهاً ، ولما وجد بين السجع وبين أنواع البديع التى ذكرها من فرق ، ولقال عنه مثل قوله عن البديع ص ١٧٠ : « ولكن قد يمكن أن يقال فى البديع الذى حكيناه وأضفناه إليهم : إن ذلك باب من أبواب البراعة ، وجنس من أجناس البلاغة ؛ وإنه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ، ولا وجه من وجوه فصاحتهم ؛ وإذا أورد هذا المورد ، ووضع هذا الموضع ؛ كان جديراً » .

ولو صنع ذلك لاهتدى إلى سواء الصراط ، ولما ذهب يتمحل العلل الواهية لنفى السجع من القرآن ، كقوله : « لو كان الذى فى القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموماً مردولاً ؛ لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه - كان قبيحاً من الكلام ! وللسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط ، متى أحل به المتكلم وقع الخلل فى كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة ... فلو كان ما تلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فنزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن ، ونتجاوز حدّه فى البراعة والحسن » . وفوق ما فى كلامه هذا من خطأ ونهافت ، فإن فيه هفوة أخرى ، إذ حكم قواعد البلاغة فى القرآن ؛ مع أن القرآن هو الأساس الذى يجب أن تحاكم إليه قواعد البلاغة ، وأن تجرى على سنته ، ووفق أحكامه .

وكقوله : « ولا بد لمن جوز السجع فى القرآن وسلك ما سلكوه ، من أن يسلم ما ذهب إليه النظام وعباد وهشام ، ويذهب مذهبه فى أنه ليس فى نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صرفوا عنه ضرباً من الصرف ! ويتضمن كلامه تسليم الخط فى طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ! ويستعين ببديع نظمه ، وعجيب تأليفه الذى وقع التحدى إليه « !!!

وهذه إلزامات عجيبة لا تلزم المثبتين للسجع فى القرآن بحال من الأحوال ؛

لأنهم يرون أن السجع الرائع مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة ، والامتلاك لزمام الفصاحة ؛ وأن السجع الكثير في القرآن قد جاء في أرفع صور البيان ، وباين كل أسجاع الساجعين ؛ كما يؤمنون بأن سر إعجاز القرآن نظمه البديع ، وبلاغته الرائعة المجاوزة لجميع بلاغات العرب .

وأى فارق بين مشاركة القرآن كله لغيره من الكلام في كونه كلاماً عربياً مؤلفاً من ألفاظ فصيحة بليغة ، وبين مشاركة بعض آيه في كونها جاءت مسجوعة ؟ وكيف يكون السجع المحمود من أمارات الفصاحة المحدودة ، التي يقصد إليها أعلام البلغاء في بعض كلامهم لتوشيته وتزيينه ، وتحسينه بعقد المناسبة بين ألفاظه ثم نجرد القرآن منه ، وننفيه عنه بزعمنا ؛ مع ادعائنا أنه قد اشتمل على أنواع البلاغة والفصاحة جميعاً ؟

ولئن قال الباقلاني : إن السجع عيب يجب تفيه عن القرآن ؛ فيأني أقول : إن السجع من الميزات البلاغية التي يجدر بنا أن ننزه القرآن عن خلوه منها .

* * *

والفصل السابع من فصول إعجاز القرآن ص ١٠١ في ذكر البديع من الكلام ، بدأه الباقلاني بقوله : إن سأل سائل فقال : هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن من جهة تضمنه البديع ؟ قيل : ذكر أهل الصنعة ومن صنف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها ، ثم نبين ما سألوا عنه ؛ ليكون الكلام وارداً على أمر مبين ، وباب مقرر مصور . ثم نقل جملة من بديع الشعر ، بعضها من كتابي البديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ؛ وقال ص ١٦٢ : « وقد قدّر مقدرون أنه يمكن الاستفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي نقلناها ، وأن ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه . وليس كذلك عندنا ؛ لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها ، والوجوه التي نقول : إن إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منها ، فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل إليه بحال . » ونختم كلامه في هذا الفصل بقوله : « إنا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة ، ووفقاً عليها ، ومضافاً إليها ، وإن صح أن تكون

هذه الوجوه مؤثرة في الجملة ، آخذة بحظها من الحسن والبهجة ، متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع ، والتعمل المستشع .

* * *

والفصل الثامن في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن . وعنده : أن إعجاز القرآن لا يخفى على العربي البليغ الذي قد تناهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها ، ولا يشتهه على ذى بصيرة ، ولا يخيل عند أخفى معرفة . وأما من لم يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ؛ فهو كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بأن يعلم أن العرب قد عجزوا عنه ؛ وإذا عجز هؤلاء عنه فهو عنه أعجز .

ثم نقل الباقلافي نصوصاً من خطب النبي وكتبه ، وكلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وابن عباس وعبد الله بن مسعود ومعاوية وعمر بن عبد العزيز والحجاج وقس ابن ساعدة وأبى طالب . وقد استغرقت هذه النصوص من ص ١٩٦ - إلى ص ٢٣٤ . ثم قال : إنه نسخ لقارئ كتابه جملاً من كلام الصادر الأول ومحاوراتهم وخطبهم ، ليتأملها بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفرغ لب ، وجمع عقل حتى يقع له الفصل بين كلام الآدميين ، وبين كلام رب العالمين ؛ ويعلم أن نظم القرآن يخالف نظمهم ، ويتبين الحد الذي يتفاوت بين كلام البليغين والخطيبين والشاعرين ، وبين نظم القرآن جملة .

ثم عقد باباً جليلاً الشأن عظيم الخطر ص ٢٣٦ ، لبيان أن نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ؛ قال فيه : «إذا أردنا تحقيق ما ضمنناه لك ، فمن سبيلنا أن نعد إلى قصيدة متفق على كبر محلها . وصحة نظمها ، وجودة بلاغتها ، ورشاقة معانيها ، وإجماعهم على إبداع صاحبها فيها ؛ مع كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة ، والمعروفين بالخلق في البراعة ؛ فننقذك على مواضع خللها ، وعلى تفاوت نظمها ، وعلى اختلاف فصولها ، وعلى كثرة فضولها ، وعلى شدة تعسفها ، وبعض تكلّفها ؛ وما تجمع من كلام رفيع ، يقرن بينه وبين كلام وضع ؛ وبين لفظ سوق ، يقرن بلفظ ملوكي » .

وبعد أن عرض لكلام مسيلمة ، رجع إلى ما ضمنه من الكلام على الأشعار

المتفق على جودتها . فهدد لذلك بالكلام على جودة شعر امرئ القيس وبراعته وفصاحته ، وما ابتدعه في طرق الشعر ؛ ثم عرض لنقد معلقته حيث يقول ص ٢٤٣ : « ونظم القرآن جنس متميز ، وأسلوب متخصص ، وقيل عن النظر متخلص ؛ فإذا شئت أن تعرف عظم شأنه ، فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في أجود أشعاره ، وما نبين لك من عواره ؛ على التفصيل » . ثم مضى في نقد المعلقة ، وانتهى منه في ص ٢٧٧ بعد أن بين أن « هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة ، وأبيات متوسطة ، وأبيات ضعيفة مردولة ، وأبيات وحشية غامضة مستكرهة ، وأبيات معدودة بديعة ، وأن وحشيها مستنكر يروع السمع ، ويهول القلب ، ويكد اللسان ؛ ويعبس معناه في وجه كل خاطر ، ويكفهر مطالعه على كل متأمل أو ناظر ؛ ولا يقع بمثله التمدح والتفاسيح » .

ثم قال ص ٢٧٧ : « وقد بينا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في ألياتها تفاوتاً بيناً في الجودة والرداءة ، والسلاسة والانعقاد ، والسلامة والانحلال والتمكن والاستصعاب ، والتسهيل والاسترسال ، والتوحش والاستكراه ؛ وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في محاسنها ، ومعارضون في بدائعها . ولا سواء كلام ينحت من الصخر تارة ، ويدب تارة ؛ ويتلون تلون الحزباء ، ويختلف اختلاف الأهواء ، ويكثر في تصرفه اضطرابه ، وتتقاذف به أسبابه ، وبين قول يجري في سبكه على نظام ، وفي رصفه على منهاج ، وفي وضعه على حد . وفي صفائه على باب ؛ وفي بهجته ورونقه على طريق ، مختلفه مؤتلف ، ومؤتلفه متحد ، ومتباعده متقارب ، وشارده مطيع ، ومطيعه شارد ، وهو على متصرفاته واحد لا يستصعب في حال ، ولا يتعقد في شأن » .

ثم عرض لنظم القرآن ونهجه ، فقال : « فأما نهج القرآن ونظمه ، وتأليفه ورصفه ؛ فإن العقول تته في جهته ، وتحار في بحره ، وتضل دون وصفه . ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض ، وتستولي به على الأمد ، وتصل به إلى المقصد ، وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس ، وتيقن تناهي بلاغته كما تيقن الفجر ؛ وأقرب عليك الغامض ، وأسهل لك العسير » .

ثم ذكر آيات كثيرة ، وبين أسرار إعجازها بياناً شافياً كافياً ، على نحو رائع جميل ، كقوله في ص ٢٩٤ : « ما رأيك في قوله تعالى : ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم ؛ إنه كان من المفسدين ﴾ ؟ هذه تشتمل على ست كلمات ، سناؤها وضياؤها على ما ترى ، وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ، ورونقها على ما تعاین ، وفصاحتها على ما تعرف . وهي تشتمل على جملة وتفصيل ، وجامعة وتفسير : ذكر العلو في الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء ؛ وإذا تحكّم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ؟ ! لأن النفوس لا تطمئن على هذا الظلم ، والقلوب لا تقرر على هذا الجور . ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد ، وكفت في التظلم ، وردت آخر الكلام على أوله ، وعطفت عجزه على صدره . ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ . وهذا من التأليف بين المؤتلف ، والجمع بين المستأنس . »

وقد استغرق كلامه على تلك الآيات من ص ٢٨١ - إلى ٣٢٢ ؛ ثم رجع إلى حديثه عن امرئ القيس وعمن عارض القرآن بشعره ؛ ثم قال ص ٢٢٧ : « فإن قال قائل : أجلك تحاملت على امرئ القيس ، ورأيت أن شعره يتفاوت بين اللين والشراسة ، وبين اللطف والشكاسة ؛ وبين التوحش والاستئناس ، والتقارب والتباعد ؛ ورأيت الكلام الأعدل أفضل ، والنظام المستوثق أكمل ؛ وأنت تجد البحترى يسبق في هذا الميدان ، ويفوت الغاية في هذا الشأن ؛ وأنت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل كلام ، ويقدمون رأيه في البلاغة على كل رأى ؛ وكذلك تجد لأبي نواس من بهجة اللفظ ، ودقيق المعنى ، ما يتحير فيه أهل الفضل ... فكيف يعرف فضل ما سواه عليه ؟ »

ثم خلاص من الإجابة عن هذا السؤال ؛ وقال في ص ٣٣٣ : « ونحن نعمد إلى بعض قصائد البحترى فتكلم عليها ، كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس ؛ ليزداد الناظر في كتابنا بضيرة ، ويستخلص من سر المعرفة سريرة ؛ ويعلم كيف تكون الموازنة ، وكيف تقع المشابهة والمقاربة . ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها

أجود شعره . وهي التي مطلعها :

أهلاً بذككم الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل

ثم أخذ في نقدها حتى قال في ص ٣٧٣ : « وإنما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحترى ؛ لأن الكتاب يفضلونه على أهل دهره ، ويقدمونه على من في عصره . ومنهم من يدعى له الإعجاز غلوًا ، ويزعم أنه يناغى النجم في قوله علوًا .. فبينما قدر درجته ، وموضع رتبته ، وحد كلامه . وهيهات أن يكون المطموع فيه كالمأيوس منه . وأن يكون الليل كالنهار ، والباطل كالحق ، وكلام رب العالمين ككلام البشر . »

والحق أن نقد الباقلافي لمعلقة امرئ القيس وقصيدة البحترى ، من نماذج النقد الأدبي الرائعة ، وصوره الرفيعة البارعة ؛ غير أنه شأن حسنهما ، وشاب صفاءهما ، بتحامله عليهما ، وإسرافه في نقد أبياتهما ؛ كقوله في نقد قول امرئ القيس ص ٢٥٣ :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقلت : لك الويلات إنك مرجلي

قوله : « دخلت الخدر خدر عنيزة » ذكره تكريراً لإقامة الوزن ، لا فائدة فيه غيره . ولا ملاحاة له ولا رونق ! وقوله : « فقلت : لك الويلات إنك مرجلي » كلام مؤنث من كلام النساء ، نقله من جهته إلى شعره ! وليس فيه غير هذا !! وكقوله ص ٢٣٥ في نقد قول البحترى :

أهلاً بذككم الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل

برق سرى في بطن وجرة فاهتدت بسناه أعناق الركاب الضلل

البيت الأول في قوله : « ذاكم الخيال » ثقل روح وتطويل وحشو ، وغيره أصلح له . وأخف منه قول الصنوبري :

أهلاً بذاك الزور من زور شمس بدت في فللك الدور

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف ، فيصير إلى الكرازة ، وتعود ملاحظته بذلك ملوحة ، وفصاحته عيباً ، وبراعته تكلفاً ، وسلاسته تعسفاً ،

وملاسته تلويهاً وتعقداً ، فهذا فصل . وفيه شيء آخر ، وهو : أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهما خوطب به الخيال حال إقباله ، فأما أن يحكى الحال التي كانت وسلفت على هذه العيادة ؛ ففيه عهدةٌ ، وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة . وهو لبراعته وحذقه في هذه الصنعة — يعلّقُ نحو هذا الكلام ، ولا ينظر في عواقبه ؛ لأن ملاحظة قوله تغطى على عيون الناظرين فيه نحو هذه الأمور . ثم قوله : **فعل الذى نهواه أولم يفعل** ؛ ليست بكلمة رشيقة ، ولا لفظة ظريفة ؛ وإن كانت كسائر الكلام .

ولست أشك في أن الباقلاني قد حاد عن جادة الصواب عندما حكم بأن بيت الصنوبرى أخف من بيت البحرى . وغنى عن البيان أن بيت الصنوبرى ثقل بالغ الثقل ؛ وحسبه أن يجتمع في شطره الأول « الزور من زور » ، وأن يكون في شطره الثانى كلمة « الدَّور » ، ليأخذ سبيله إلى مستقره في حضيض الشعر الأوهد . وأما نقد الباقلاني لبيت البحرى الثانى ، فإنى أوردته ليكون بياناً لمنهجه في نقده ولأنه استطرد فيه إلى نقد امرئ القيس بنقد لطيف ذهب به ، ولم يسبقه أحد إليه . قال : « فأما بيته الثانى ، فهو عظيم الموقع في البهجة . وبديع المأخذ ، حسن الرواء ، أنيق المنظر والمسمع ، يملأ القلب والفهم ، ويفرح الخاطر ، وتسرى بشاشته في العروق . وكان البحرى يسمى نحو هذه الأبيات عروق الذهب ، وفي نحوه ما يدل على براعته في الصناعة ، وحذقه في البلاغة . ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل ، مع الديباجة الحسنة ، والرونق المليح . وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مسراه ؛ كما يقال : إنه يسرى كنسيم الصبا ، فيطيب ما مرّ به ؛ كذلك يضىء ما مرّ حوله ، وينور ما مرّ به . وهذا غلو في الصنعة ، إلا أن ذكره « بطن وجرة » حشو ، وفي ذكره خلل ؛ لأن النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمأن منها ، بخلاف ما يؤثر في غيرها ؛ فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة . وتحديد المكان — على الحشو — أحمد من تحديد امرئ القيس من ذكر « سقط اللوى بين الدخول فحومل ، فتوضح فالمقراة » ؛ لم يقتنع بذكر حد ، حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل فيخشى إن أخل

بحدّ أن يكون بيعه فاسداً أو شرطه باطلاً !! فهذا باب . ثم إننا يذكر الخيال بخفاء الأثر ، ودقة المطلب ، ولطف المسلك . وهذا الذى ذكره يضادّ هذا الوجه ، ويخالف ما وضع عليه أصل الباب . ولا يجوز أن يقدر مقدر أن البحرى قطع الكلام الأول ، وابتدأ بذكر برقٍ لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة ؛ لأن هذا القطع إن كان فعلة ، كان خارجاً به ، عن النظم المحمود ، ولم يكن مبدعاً ؛ ثم كان لا تكون فيه فائدة ؛ لأن كل برق شعل وتكرر وقع الاهتداء به فى الظلام ؛ وكان لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدماً . وهو على ما كان من مقصده ، فهو ذو لفظ محمود ، ومعنى مستجلب غير مقصود ، ويعلم بمثله أنه طلب العبارات ، وتعليق القول بالإشارات . وهذا من الشعر الحسن الذى يحلو لفظه ، وتقل فوائده .

ومن شواهد تجنى الباقلانى على البحرى قوله فى ص ٢٤٠ : « وأما قوله :

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن فيما أتاه ولا الجمال بمجمل
عُدل المشوق وإن من سِما الهوى فى حيث يحمله لَجَجَ العُدَل

قوله فى البيت الأول : « عندك » حشو ، وليس بواقع ولا بديع ، وفيه كلفة ، والمعنى الذى قصده ، أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء . وفيه شىء آخر ، لأنه يذكر أن حسنهما لم يُحسن فى تهيج وجده . وتهيم قلبه ؛ وضدّ هذا المعنى هو الذى يميل إليه أهل الهوى والحب . وبيت كشاجم أسلم من هذا وأبعد من الخلل ؛ وهو قوله :

بحياة حسنك أحسنى ، وبحق من جعل الجمال عليك وقفاً أجمل

ولست أرى رأى الباقلانى فى أن كلمة « عندك » قد وقعت حشواً متكلفاً ، ليست بواقعة ولا بديعة ؛ وإنما هى فى هذا المقام قد وقعت موقعها الطبعى البديع ، ولم يحتلبها التكلّف حشواً لا يغنى غناءه فى تأدية المعنى ، وإنما هى أصيلة فى أصل المعنى ، ولا يؤدى معناها غيرها . واست أشك كذلك فى أن بيت البحرى أمثل من بيت كشاجم .

ويخيل لى أن الباقلانى قد ضل عنه معنى بيت البحرى ؛ إذ فهم أنه « يذكر

أن حسنهما لم يحسن في تهيج وجده وتهيم قلبه . « وإني أفهم أن المعنى الذى أراغ إليه البحتري : أن حسنهما لم يحسن إليه بما يود الحبيب من حبيبه أن يحسن إليه به ، مما يتمتع نفسه ، ويروى ظمأ جبهه ؛ وأن جمالها لم يحمل بإصفاء المودة ، وإزالة جنى الحب المشتبه . وبذلك يتسق معنى البيت ، مع المعنى الذى يميل إليه أهل الهوى والحب .

ولئن كان الباقلاني قد أخطأ في نقد بيت البحتري الأول ، وضل عن معناه ، فإنه أصاب في نقده للبيت الثانى ، حيث يقول : « وأما البيت الثانى فإن قوله : « فى حيث » حشا بقوله كلامه ، ووقع ذلك مستنكراً وحشياً نافراً عن طبعه ، جافياً فى وضعه ؛ فهو كرقعة من جلد فى ديباج حسن ! فهو يمحو حسنه ، ويأتى على جماله . ثم فى المعنى شئ ؛ لأن لجاج العذّل لا يدل على هوى مجهول ، ولو كان مجهولاً لم يهتدوا للعذل عليه . فعلم أن المقصد استجلاب العبارات . ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن فى البيت معنى بديع ، ولا شئ يفوت قول الشعراء فى العذل ؛ فإن ذلك جعلهم الذلول ، قولهم المكرر المقول » .

* * *

ثم قال الباقلاني فى ص ٣٧٤ « وأما الغرض الذى صنفنا فيه ، فى التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن ، فلم نجده على التقريب الذى قصدنا ، وقد رجونا أن يكون ذلك مغنياً ووافياً .. وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ، ومهدنا الطريق » .

ثم عرض لنقد الجاحظ فى ص ٣٧٧ : بأن كلامه قريب ، ومنهاجه معيب ونطاق قوله ضيق . ومن أجل ذلك يستعين بكلام غيره ، ويفزع إلى ما يوشح به كلامه ، من بيت سائر ، ومثل نادر ؛ وحكمة منقولة ، وقصة مأثورة ؛ فإذا أطال ولم يستعن بكلام غيره ، كان كلامه ككلام غيره .

ثم زعم أن أبا الفضل بن العميد قد سلك مسلكه ، ونازعه طريقته ، فلم يقصر عنه . وأعله قد بان تقدمه عليه ؛ لأنه يأخذ فى الرسالة الطويلة فيستوفيهما على حدود مذهبه ، ولا يقتصر على أن يأتى بالأسطر من نحو كلامه ؛ كما ترى الجاحظ يفعل

فى كئبه ، مئى ذكر من كلامه سطرأ أتبعه من كلام الناس أوراقأ ؛ وإذا ذكر منه صفأة بنى عليه من قول غيره كتابأ . وفى هذا الكلام حق كثير ، وظلم مبين ؛ وأين كلام ابن العميد من سحر الجاحظ ؟ هيهات هيهات أن يقارنه أو يقاربه .

* * *

ثم عقد فصلاً فى ص ٣٨٠ لبيان أن عجز سائر أهل الأعصار عن الإتيان بمثل القرآن ثابت ، كعجز أهل العصر الأول .

ثم أعقبه بفصل فى التحدى ووجه الحاجة إليه فى باب القرآن ص ٣٨٢ .
وتلاه بفصل فى قدر المعجز من القرآن عند الأشاعرة والمعتزلة ص ٣٨٦ ؛ « فذهب عامة الأشاعرة إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن : السورة ، قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها . قال الأشعرى : فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ، وإن كانت سورة الكوثر ، فذلك معجز ؛ ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر . وذهبت المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهى معجزة » .

وبعده فصل فى أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ ص ٣٩٣ وقد ذهب إلى أن الأعجمى لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالأ ، وكذلك غير البليغ من العرب ؛ فأما البليغ الذى أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة ، فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الإتيان بمثله ، ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه . وجعل الفصل الذى يليه ص ٣٩٤ فيما يتعلق به الإعجاز : أهو الحروف المنظومة ؟ أم الكلام القائم بالذات ؟ أم غير ذلك ؟ وذهب إلى أن التحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة ، التى هى عبارة عن كلام الله تعالى ، فى نظمها وتأليفها ، وهى حكاية لكلامه ، ودلالات عليه ، وأمارات له ؛ على أن يكونوا مستأنفين لذلك ، لا حاكين لما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر فصلاً فى وصف وجوه من البلاغة ، بدأه بقوله : « ذكر بعض أهل الأدب والكلام : أن البلاغة على عشرة أقسام ... » . وهذا البعض الذى لم يشأ

أن يصرح باسمه ، هو معاصره أبو الحسن : على بن عيسى الرمانى المعتزلى وقد نقل
الباقلانى هذا الفصل الطويل بأمثلته من كتابه : « النكت فى إعجاز القرآن » ؛
وعلق عليه تعليقات شتى . وقد ذيلت كل مثال نقله بما قاله الرمانى فيه ؛ لتمام
فائدة القارئ ، وليستبين الفرق بين الرجلين .

ثم عقد الباقلانى فصلا فى حقيقة المعجز ص ٤٣٦ ، فبين معنى إعجازه على
أصول الأشاعرة بأنه لا يقدر العباد عليه ، وإنما ينفرد الله بالمقدرة عليه ؛ ولما لم يقدر
عليه أحد شُبّه بما يعجز عنه العاجز ؛ وإنما لا يقدر العباد على مثله ؛ لأنه لو صح
أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز ؛ وقد أجرى الله العادة بأن يتعذر فعل ذلك
منهم وأن لا يقدروا عليه . ولو كان غير خارج عن العادة لأنوا بمثله ، أو عرضوا
عليه من كلام فصحاءهم وبلغائهم ما يعارضه . فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا
لخروج ذلك عن أوزان كلامهم ، وأساليب نظامهم ؛ وزالت أطماعهم عنه .
وتعرض فى هذا الفصل لنظم القرآن ص ٤٣ ، وأن أصحابه قالوا فيه : إن الله يقدر
على نظم هيئة أخرى تزيد فى الفصاحة عليه ، كما يقدر على مثله وأما بلوغ بعض
نظم القرآن الرتبة التى لا مزيد عليها ، فقد قال مخالفونا : إن هذا غير ممتنع ..
والذى نقوله : إنه لا يمتنع أن يقال إنه يقدر الله تعالى على أن يأتى بنظم أبلغ
وأبدع من القرآن كله . وأما قُدّر العباد فهى متناهية فى كل ما يقدرون عليه ،
مما تصح قدرتهم عليه .

وعقد بعد ذلك فصلا فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتصل
بالإعجاز ، بين فيه أنه محال أن يكون القرآن من كلامه عليه السلام ، ورد فيه على
قول من يقول لولا أن كلامه معجز لم يشته على ابن مسعود الفصل بين المَعْبُودَيْنِ
وبين غيرهما من القرآن ؛ وكذلك لم يشته دعاء القنوت فى أنه هل هو من القرآن
أم لا .

وقال : إن هذا من تخطيط الملحدّين ، وإن الذى يروونه فى ذلك خبر واحد ،
لا يسكن إليه فى مثل هذا ولا يعمل به . وقد جوز أن يكون أبى قد كتب دعاء
القنوت على ظهر مصحفه لثلاثين سنة ، كما جوز أن يكون ابن مسعود قد شذ عن

مصحفه إثبات المعوذتين ، أو أن يكون الناقل اشتبه عليه الأمر ؛ لأن مصحفه مخالف في النظم والترتيب مصحف عثمان . وقال : « ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا ، لكانت الصحابة تناظره على ذلك ، وكان يظهر ويتشهر ؛ فقد تناظروا في أقل من هذا ؛ وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟ ! وقد علمنا إجماعهم على ما جمعه في المصحف ، فكيف يتمدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة في الإجماع المتقرر ، والاتفاق المعروف ؟ » ثم قال : « ولو كان القرآن من كلامه ، لكان اليون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئهما رجل واحد ؛ وكانوا يعارضونه ؛ لأننا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يخرج إلى حد الإعجاز ، ولا يتفاوت التفاوت الكثير ، ولا يخفى كلامه من جنس أوزان كلامهم ، وليس كذلك نظم القرآن ؛ لأنه خارج من جميع ذلك » .

ثم أجاب إجابة دقيقة موفقة على اعتراض أورده في ص ٤٤٦ وهو : « ولو كان القرآن معجزاً لم يختلف أهل الملة في وجه إعجازه ؟ » ثم أعقبه بفصل موجز لبيان أن من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه .

ثم ذكر الباقلاني الفصل الأخير من كتابه ص ٥٢ ، وقال في مستهله : « قد ذكرنا في الإبانة عن معجز القرآن وجيزاً من القول ، رجونا أن يكفي ، وأملنا أن يقنع ؛ والكلام في أوصافه - إن استقصى - بعيد الأطراف ، واسع الأكناف ؛ لعلو شأنه ، وشریف مكانه . والذي سطرناه في الكتاب ، وإن كان موجزاً ، وما أمليناه فيه ، وإن كان خفيفاً ، فإنه ينه على الطريقة ، ويدل على الوجه ويهتدي إلى الحجة ؛ ومتى عظم محل الشيء فقد يكون الإسهاب فيه عيباً ، والإكثار في وصفه تقصيراً ... ولولا أن العقول تختلف ، والأفهام تتباين ، والمعارف تتفاضل - لم نحتاج إلى ما تكلفنا ؛ ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ، ولو اتفقوا فيها لم يحز أن يتفقوا في معرفة هذا الفن ، أو يجتمعوا في الهداية إلى هذا العلم ؛ لاتصاله بأسباب خفية ، وتعلقه بعلوم غامضة الغور ، عميقة التعمق ، كثيرة المذاهب ، قليلة

الطلاب ، ضعيفة الأصحاب ، وبحسب تأتت مواقعته تقع الأفهام دونه ، وعلى قدر لطف مسالكة يكون القصور عنه . . فإذا كان نقد الكلام كله صعباً ، وتمييزه شديداً ، والوقوع على اختلاف فنونه متعذراً ؛ وهذا في كلام الآدميين ؛ فما ظنك بكلام رب العالمين ؟ »

ثم قال : « وقد بينا في نظم القرآن أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة ، والأسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف » . وأطلق لقلمه العنان في وصف القرآن وما اشتمل من جوامع المعاني وعظيم البلاغة وعجيب النظم المفارق لسائر النظم ؛ فأتى في ذلك بما يلد ويشوق . ويعجب ويضطرب ؛ ومن قوله في هذا المعنى : « تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج ، ونظم أنيق ، ومعرض رشيق ، غير معتنص على الأسماع ، ولا مغلق على الأفهام ، ولا مستكره في اللفظ ولا مستوحش في المنظر ؛ غريب في الجنس ، غير غريب في القبيل ؛ ممتلئ ماء ونضارة ، ولطفاً وغضارة ؛ يسرى في القلب كما يسرى السرور ، ويمر إلى مواقعه كما يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر ؛ طسوح ، العباب ، جموح على المتناول المتتاب ؛ كالروح في البدن ، والنور المستطير في الأفق ، والغيث الشامل ، والضيء الباهر ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ؛ من توهم أن الشعر يلحق شأوه بان ضلاله ، ووضح جهله ، إذ الشعر سمت قد تناولته الألسن ، وتداولته القلوب ، وانثالت عليه المواجهس ؛ وضرب الشيطان فيه بسهمه ، وأخذ منه بحظه . وما دونه من كلامهم فهو أدنى محلا ، وأقرب مأخذاً ، وأسهل مطلباً . . والقرآن كتاب دل على صدق متحمله ، ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها ، وبرهان شهد له براهين الأنبياء المتقدمين ، وبينه على طريقة ما سلف إلى الأولين . تحداهم به إذ كان من جنس القول الذي زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ؛ فعرفوا عجزهم ، كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج ، والوصول إلى أعلى مراتب الطب ؛ فجاءهم بما يبرزهم من إحياء الموتى ، وإبراء الأكهم والأبرص ، وكما أتى موسى بالعصا التي تلففت ما برعوا فيه من سحرهم ، وأتت

على ما أجمعوا عليه من أمرهم ، وكما سخر لسليمان الريح والطير والجن حين كانوا يولعون به من فائق الصنعة وبدائع اللطف . ثم كانت هذه المعجزة مما يقف عليه الأول والآخر وقوفاً واحداً ، ويبقى حكمها إلى يوم القيامة ... فتأمل ما عرفناك في كتابنا ، وفرغ له قلبك . واجمع عليه لبك ؛ ثم اعتصم بالله يهدك ، وتوكل عليه يعنك ويحرك ، واسترشد به يرشدك ، وهو حسبي وحسبك ، ونعم الوكيل .

* * *

رأى الرافعي في إعجاز القرآن :

قال في كتاب « تاريخ آداب العرب » ١٥٣ / ٢ : « وجاء القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ : فوضع كتابه المشهور " إعجاز القرآن " ، الذي أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز على حدة ؛ والغريب أنه لم يذكر فيه كتاب الواسطي ، ولا كتاب الرماني ، ولا كتاب الخطابي الذي كان يعاصره ، وأوماً إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما ، فكانه هو ابتداء التأليف في الإعجاز بما بسط في كتابه واتسع ، وفي ذلك ما يثبت لنا أن عهد هذا التأليف لا يرد في نشأته إلى غير الجاحظ . على أن كتاب الباقلاني وإن كان فيه الجيد الكثير ؛ وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له ، إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ، ولم يتحاش وجهاً من التأليف لم يرضه من سواه ، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ : " لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى " .

فإن مرجع الإعجاز فيه إلى الكلام ، وإلى شيء من المعارضة البانية بين جنس وجنس من القول ، ونوع وآخر من فنونه ، وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل من النظم والنثر ؛ ذهبت بأكثره ، وغمرت جملته ؛ وعدّها في محاسنه وهي من عيوبه ، وكان الباقلاني ، رحمه الله وأثابه ، واسع الحيلة في العبارة ، مبسوط اللسان إلى مدى بعيد ، يذهب في ذلك مذهب الجاحظ ومذهب مقلده ابن العميد ؛ على بصر وتمكن وحسن تصرف ؛ فجاء كتابه وكأنه في غير ما وضع له ؛ لما فيه من الإغراق في الحشد ، والبالغة في الاستعانة ، والاستراحة إلى النقل إذ كان أكبر

غرضه في هذا الكتاب أن " ينبه على الطريقة ، ويدل على الوجه ، ويهdy إلى الحجة " وهذه ثلاثة لو بسطت لها كل علوم البلاغة وفنون الأدب - لو سعتها ، وهي مع ذلك حشو ووصل .

على أن كتابه قد استبد بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز ، واحتمل المؤنة فيه بجملتها من الكلام والعربية والبيان والنقد ، ووفى بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل والأصول التي أوقع الكلام عليها ، حتى عدّوه الكتاب وحده ، لا يشرك العلماء معه كتاباً آخر في خطره ومنزلته ، وبُعد غوره ، وإحكام ترتيبه ، وقوة حجته ، وبسط عبارته ، وتوثيق سرده . فانظر ما عسى أن يكون غيره مما سبقه أو تلاه . وما زاد الباقلاني ، رحمه الله ، على أن ضمن كتابه روح عصره ، وعلى أن جعله في هذا الباب كالمستحيث للخواطر الوانية ، والهمم المتثاقلة في أهل التحصيل والاستيعاب الذين لم يذهبوا عن معرفة الأدب ، ولم يغفلوا عن وجه اللسان ، ولم ينقطعوا دون محاسن الكلام وعيونه ، ولم يضلوا في مذاهبه وفنونه ، حتى قال : " إن الناقص في هذه الصنعة كالحارج عنها ، والشاذي فيها كالبائن منها " . وقد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعهدده ، ولم يبلغ منها الاستنباط العلمي ولم تجرد فيها الأمهات والأصول ، ككتب عبد القاهر ومن جاء بعده ؛ فبسط الرجل من ذلك شيئاً ، وأجمل شيئاً ، وهذب شيئاً ، ونحا في الانتقاد منحى الذين سبقوه من العلماء بالشعر وأهل الموازنة بين الشعراء ، وكانت تلك العصور بهم حفيظة . وبالحملة فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه في عصره .

وقد طبع كتاب « إعجاز القرآن » عدة طبعات : الأولى بمطبعة الإسلام بمصر في سنة ١٣١٥ .

والثانية على هامش كتاب الإتقان للسوطى المطبوع بالمطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٧ .

والثالثة على هامشه كذلك فى المطبعة الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣١٨ .

والطبعة الرابعة فى المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ ؛ وهى بتحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب . وقد عارضها بنسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، وصدرها بكلمة طيبة عن الباقلانى . ومع أن هذه الطبعة أحسن طبعات الكتاب جميعاً ، فإنها لم تخل من شوائب التصحيف والتحريف ، والنقص الكثير : وفيها ما هو أكثر من ذلك . فقد كرر فيها كلام الباقلانى من السطر الحادى عشر من صفحة ١٧ إلى السطر الأول من ص ١٩ ، فأعيد بنصه وفصه ابتداء من السطر الثانى والعشرين من صفحة ٢١٧ إلى السطر التاسع من صفحة ٢١٩ ، مع أنه مقحم فى هذا الموضع إقحاماً يأباه المقام .

ومن أمثلة النقص الواقع فيها : ما جاء فى ص ٤١ : « وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة . فرأيناه غير مختلف » وقد ورد هذا الكلام فى طبعتنا كاملاً ص ٥٦ .. عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بيناً ، ويختلف اختلافاً كبيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف » .

ومنها فى ص ٧٠ وكقول على « حين سئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم : إنما قال ذلك والدين فى قل » . وهو فى طبعتنا : « حين سئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم : غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود — : إن النبى صلى الله عليه وسلم إنما قال ذلك والدين فى قل » .

ومنها ما جاء فى ص ٧٧ « ومن البليغ عندهم الغلو كقول النمر بن تولب » وهو فى طبعتنا : « ومن البليغ عندهم الغلو والإفراط فى الصفة ، كقول النمر بن تولب » . ومنها فى ٨٣ « إذا فريق منكم بربهم يشركون . ويعبدون من البديع الموازنة » .

وفى طبعتنا ص ١٣٣ «... يشركون . ومن هذا الجنس قول هند بنت العمان للمغيرة بن شعبة ، وقد أحسن إليها : برّتك يد نالتها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك الله عن يد نالت ثروة بعد فاقة . ويعدون من البديع الموازنة » .

ومنها فى ص ٨٧ « ونحوه صحة التفسير ، كقول القائل » . وفى طبعتنا ص ١٤٣ « ونحوه صحة التفسير ، وهو أن توضع معان تحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شرحت أثبتت تلك المعانى من غير عدول عنها ، ولا زيادة ولا نقصان ، كقول القائل » . وفى نفس الصفحة منها : « ومن البديع التكميل والتتميم ، كقول نافع بن خليفه » . وهو فى صفحتنا نفسها : « ومن البديع التكميل والتتميم وهو أن يأتى بالمعنى الذى بدأ به بجميع المعانى المصححة المتممة لصحته ، المكملة لجودته ، من غير أن يخل ببعضها ، ولا أن يغادر شيئاً منها . كقول القائل : وما عسيت أن أشركك عليه من مواعيد لم تشن بمطل ، ومرافد لم تشب بمن ، وبشر لم يمازجه ملق ، ولم يخالطه مدق . وكقول نافع بن خليفه » .

ومنها فى ص ٢٢٠ « وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت فى أنه هل هو من القرآن أم ، ولا يجوز أن يخفى عليهم » وهو فى طبعتنا ص ٢٤٢ «... هو من القرآن أم لا ، قيل : هذا من تخطيط الملحدين ؛ لأن عندنا أن الصحابة لم يخف عليهم ما هو من القرآن ، ولا يجوز أن يخفى عليهم » .

وقد رمزت إلى طبعة السلفية برمز « س » وضعت كل زيادة عليها بين هاتين العلامتين [] .

وأمثلة التحريف والتصحييف كثيرة مبينة فى أماكنها من الكتاب ، ولكننا نذكر منها :

جاء فى ص ٦٦ منها « وفطنوا لحسنه فتتبعوه من بعد ، وبنوا عليه وطلبوه ، ورتبوا فيه المحاسن التى يقع الاضطراب بوزنها ، وتهش النفوس إليها » . والصواب فى طبعتنا ص ٩٧ « التى يقع الإطراب بوزنها » .

وجاء فى ص ٩٧ « كامرى القيس ، وزهير ، والنابعة وإلى يومه ، ونحن نبين تميز كلامهم » . والصواب فى طبعتنا ص ١٦٧ « والنابعة ، وابن هرمة ، ونحن

نبين. تميز كلامهم » .

وحاء في ص ١٣١ « وإنما قرع له الأصمعي إلى إفادته هذه الفائدة خشية أن يعاب عليه » . والصواب في طبعتنا ص ٢٤٥ « وإنما فرغ الأصمعي إلى إفادته هذه الفائدة ؛ خشية أن يعاب عليه » .

وجاء في ص ١١٤ « هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله ، صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو : اصطلمحنا على وضع الحرب عن الناس عشرين سنة يأمن فيه الناس » . والصواب في طبعتنا ص ٢٠٥ « اصطلمحنا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس » .

وجاء في ص ١٣٠ في كلام الباقلاني عن امرئ القيس : « ثم ترى أنفس الشعراء تشوق إلى معارضته ، وتساويه في طريقته . وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة ، وتقدمت عليه في أسباب عجيبة » . والصواب في طبعتنا ص ٢٤٢ « . وربما غبّرت في وجهه في أشياء كثيرة » .

وجاء في كلام الباقلاني على بيت امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل
ص ١٣٨ « لأنه إن كان محتاجاً — على ما وصف به نفسه من الصباية فقلبه كله لها ، فكيف يكون بكائها هو الذي يخلص قلبه لها ؟ »
والصواب كما في طبعتنا ص ٢٦٠ « لأنه إن كان محبباً — على ما وصف به نفسه من الصباية .. » .

ص ١٠٠ « ثم ترى أنفس الشعراء تشوق إلى معارضته ، وتساويه في طريقته وربما عثرت في جهة على أشياء كثيرة ، وتقدمت عليه في أسباب عجيبة »
والصواب كما في طبعتنا ص ٢٤٢ « . . وربما غبّرت في وجهه في أشياء كثيرة . . »

ومن أجل ذلك وأمثاله رأيت أن أنشر الكتاب نشرة علمية قوينة ، تقوم أودّه ، وتكمل نقصه ، وكان لي ما أردت ، بحمد الله وتوفيقه .

وقد اعتمدت في نشره على أربع نسخ خطية :

فالنسخة الأولى : صورتها عن نسخة المتحف البريطاني رقم ٧٧٤٩ وعدد أوراقها ١٣٩ ورقة ، وخطها نسخ جميل وقد ضبطت كلماتها بالحركات . وكتب في آخرها بخط يخالف خطها : « هذا ما كتبه المؤلف لخزانة كتب عضد الدولة ، وطالع فيه الحسن ابن المؤلف ، سنة تسع وتسعين بعد للثلاثمائة » . ولست أمتري في أن هذه العبارة مزورة ، قد كتبها كاتب ليضني على النسخة قيمة تاريخية ليتسنى له بيعها بثمن مرتفع . وبعيد أن يكتب الباقلائي هذه النسخة لمكتبة عضد الدولة ، ويكون فيها : « خطبة لقس بن ساعدة الإيادي رضى الله عنه ! » ، ولا يعنى بتصحيحها وهذه النسخة مترعة بالتحريف ، وتنقص بعض النصوص ، كما هو مبين في أماكنه من الكتاب . وقد رمزتُ إلى هذه النسخة بالرمز « م » .

والنسخة الثانية : صورتها عن نسخة مكتبة « كوبرلي » بالآستانة ، وهي تقع في ١٠٤ ورقات ، ومقاسها ٢٥,٥ × ١٦,٨ وخطها نسخ مشكول بالحركات ، وهي مخرومة من وسطها ، وقد كتب في آخرها بخط ناسخها : « وكان الفراغ من نسخه سلخ الشهر المعظم رجب سنة ثمانية عشر وستائة . علقه الشريف حسن بن الشريف محمد ، بن الشريف علي بن الشريف حسين ، الحسيني ، السمرقندي الناسخ ، وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا » . وقد رمزت إليها بالحرف « ك » .

والنسخة الثالثة : مخطوطة خاصة مجهولة التاريخ ، وليس عليها ما يدل على اسم ناسخها ، وهي مكتوبة بخط مغربي دقيق ، غير مضبوطة وتقع في ١١٢ ورقة وقد فقدت منها الورقة الأولى ، وقد رمزت إليها بالحرف « ب » .

والنسخة الرابعة صورتها عن النسخة المحفوظة بمكتبة « الإسكوريال » بأسبانيا تحت رقم ١٤٣٥ وهي تقع في ١٢٥ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « وكان الفراغ منه في غرة ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، نسخه من أصل الفقيه الإمام أبي الحجاج : يوسف بن عبد العزيز اللخمي ، الذي عليه خط شيخه عمدة أهل الحق ، أبي عبد الله التميمي . وأخبرني أنه نسخها من نسخة صحيحة عليها

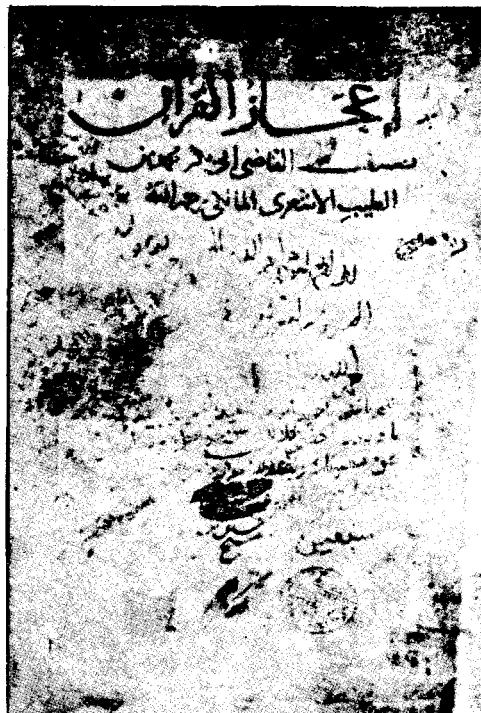
مكتوب : فرغ من نسخها في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمئة . وقال لي :
توفي القاضي المؤلف ، رحمه الله ، سنة أربع وأربعمئة . وعارضت نسختي هذه
بالأصل ، وقرأتها عليه وهو يمسك أصله ، والحمد لله رب العالمين « وقد رمزت
إلى هذه النسخة بحرف « ا » .

* * *

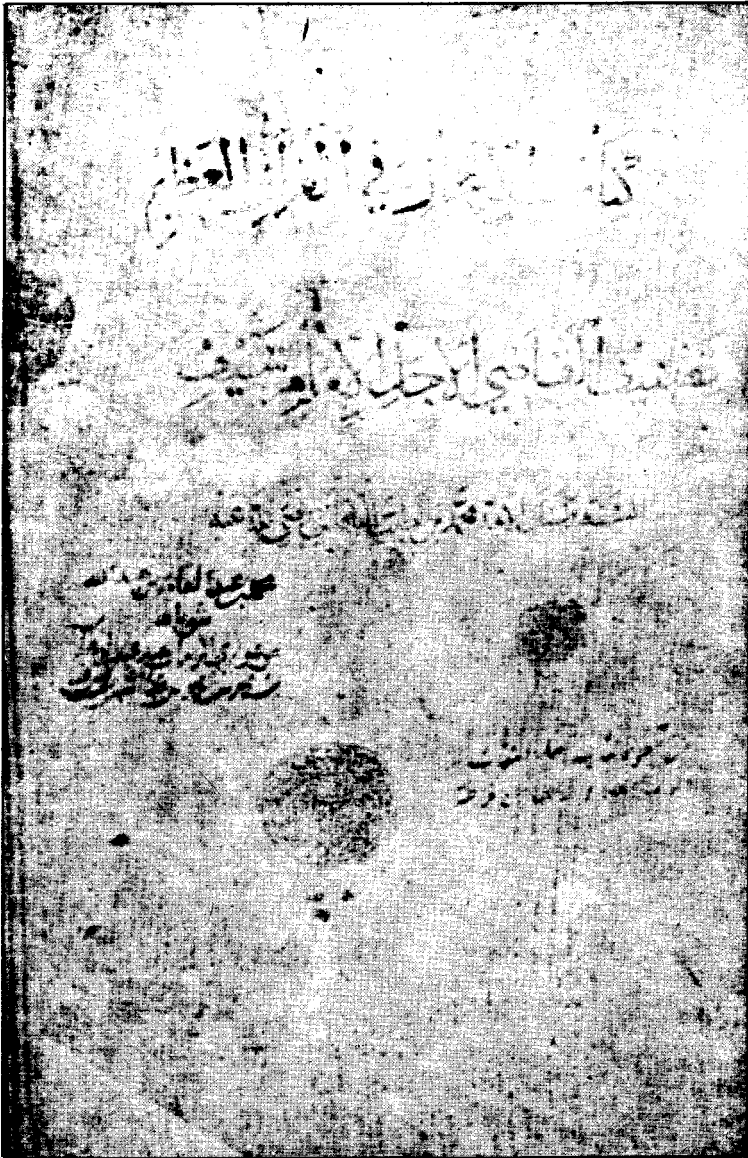
وبعد ، فإني أحمد الله سبحانه أن وفقني لإخراج الكتاب على هذا النحو ،
فإن كنت أصبت فالخير أردت ، وإن تكن الأخرى فحسبي أنني بذلت فيه
وسعي ، وفي لفتات النقاد ما يكمل النقص ويسد الخلل ، والله ولي التوفيق .

السيد أحمد صقر

القاهرة يوم الخميس } ١٨ من المحرم سنة ١٣٧٤ هـ
١٦ من سبتمبر ١٩٥٤ م



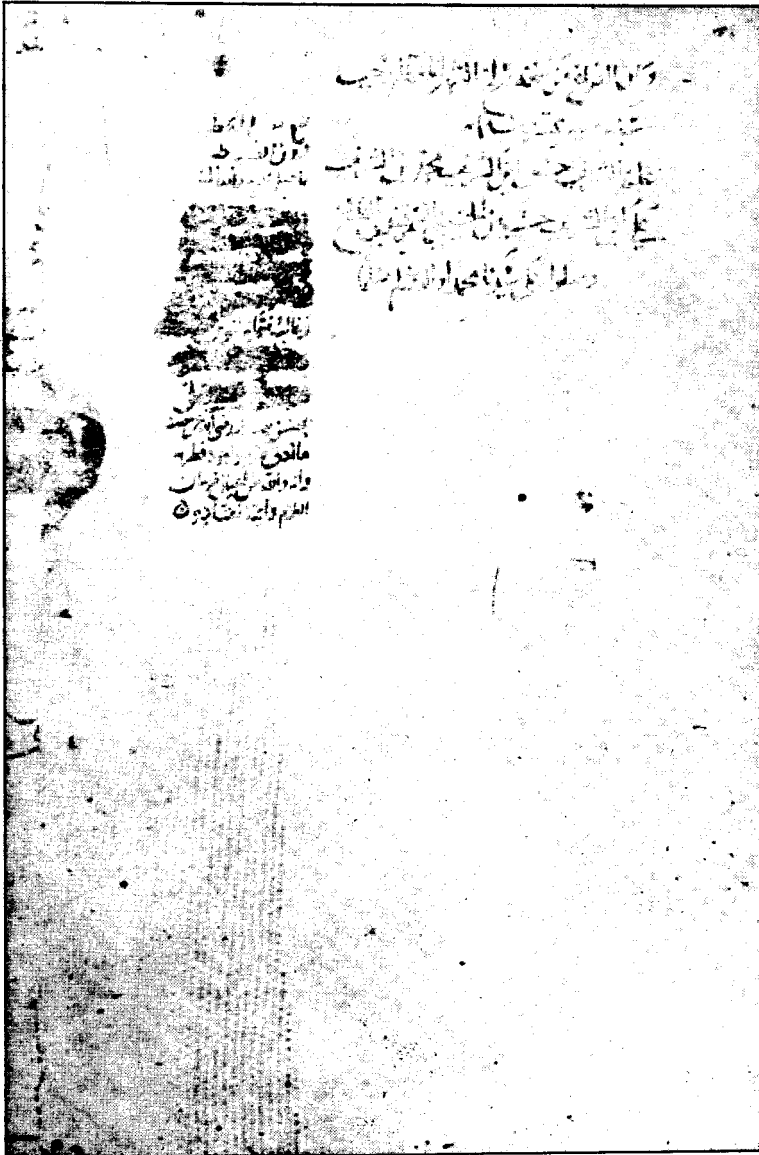
اللوحة رقم : ١
 عنوان نسخة المتحف البريطاني
 المرموز لها بحرف : م



اللوحة : ٤

عنوان نسخة كوبريللي

المرموز لها بحرف : ك



اللوحه : ٦

آخر صفحه من نسخه كوبريللى
المرموز لها بحرف : ك

إعجاز القرآن

للجافلاني
أبي بكر محمد بن الطيّب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المُنعم على عباده بما هداهم إليه من الإيمان ، والمُتمم إحسانه بما أقام لهم من جليّ البرهان ، الذي حمّد نفسه بما^(١) أنزل من القرآن ، ليُكونَ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وهادياً إلى ما ارتضى لهم من دينه ، وسلطاناً أوضح وجه تبيينه^(٢) ، ودليلاً على وحدانيته ، ومُرشداً إلى معرفة عزّته وجبروته ، ومُفصّحاً عن صفات جلاله ، وعلوّ شأنه وعظيم^(٣) سلطانه ، وحُجّة لرسوله الذي أرسله به ، وعَلَمًا على صدّقه ، وبيّنة على أنه أمينه على وحيه ، وصَادِعُ بَأمره .

فما أشرّفه من كتاب يتضمّن صدقَ متَحَمِّله ، ورسالة تشتمل على قولٍ مُؤدِّبها . بَيّن فيه سبحانه أن حُجّته كافية هادية ، لا يُحتاجُ مع وضوحها إلى بيّنة تغدوها ، أو^(٤) حُجّة تتلوها ، وأنّ الذهاب عنها كالذهاب عن الضّروريّات ، والتشكُّك في المشاهدات . ولذلك قال عزّ ذكره : ﴿ وَكُوِّنَ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ / لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾^(٥) . وقال عز وجل : ﴿ وَكُوِّنَ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا : إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾^(٦) . فله الشكر على جزيل إحسانه ، وعَظِيم مِنِّهِ . والصلاة على محمد المصطفى وآله ، وسلم .

ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كَشْفُهُ ، وأوّل ما يلزم بحثّه ؛

(٢) م : « بيته »

(٤) م : « ولا »

(١) ١ : « فيما »

(٣) م : « وعظيم »

(٥) سورة الأنعام : ٧

(٦) سورة الحجر : ١٥ . يعرجون : يصعلون . سكّرت : صارت سكرى ، أى غشيهم ما غطى

أبصارهم ، كما غشى السكران ما غطى عقله ، القرطبي ١٠ / ٨ - ٩

ما كان لأصل دينهم قواماً ، ولقاعدة توحيدهم عماداً^(١) ونظاماً وعلى صدق نبيهم ، صلى الله عليه وسلم ، بُرهاناً ، ولمعجزته ثبوتاً وحجة^(٢) ولا سيما أن الجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق^(٣) ، مستولٍ على الآفاق ، والعلم إلى عفاءٍ ودروس ، وعلى خفاءٍ وطُموس ، وأهله في جفوة الزمن البهيم^(٤) ، يقيسون من عبوسه لقاء الأسد الشميم^(٥) حتى صار ما يكابدونه قاطعاً عن الواجب من سلوك مناهجه ، والأخذ في سبله .

٥ / فالناس بين رجلين : ذاهبٍ عن الحق ، ذاهلٍ عن الرشد ، وآخر مضدودٍ عن نصرته ، مكذودٍ في صنعته .

فقد أدى ذلك إلى خوض الملحددين ، في أصول الدين ، وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين .

وقد قلَّ أنصاره ، واشتغل عنه أعوانه ، وأسلمه أهله . فصار عرضة لمن شاء أن يتعرض فيه ، حتى عاد مثل الأمر الأول على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره . فمن قائل قال : إنه سحر^(٦) ، وقائل يقول : إنه شعر^(٧) ، وآخر يقول : إنه أساطير الأولين^(٨) ، وقالوا : لو نشاء لقلنا مثل هذا^(٩) . إلى الوجوه التي حكى الله عز وجل عنهم أنهم قالوا فيه ، وتكلموا به ، فصرفوه إليه .

وذكر لي عن بعض جهالهم أنه جعل يعدله ببعض الأشعار ، ويوازن

(١) م : « عصاماً أو »

(٢) ا : « حجة وتبيناً » ، م : « حجة لمعجزته وتبيناً »

(٣) الرواق : الفسطاط . النفاق : الزواج (٤) البيم : الأسود

(٥) في اللسان ٢١١/١٥ : « أسد شميم : عابس »

(٦) قال تعالى في سورة سبا ٤٣ : (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إن هذا إلا سحر مبين)

(٧) قال تعالى في سورة الأنبياء ٥ : (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر) ،

وقال في سورة الصافات ٣٦ : (ويقولون : أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

(٨) قال تعالى في سورة الفرقان ٥ : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)

(٩) قال تعالى في سورة الأنفال ٢١ : (وإذا تملى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا

مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين)

بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يُفضله عليه !

وليس هذا ببديع من مُلحدة هذا العصر ، وقد سبقهم إلى عَظُم^(١) / ما يقولونه إخوانهم من ملحدة قریش وغيرهم . إلا أن أكثر مَنْ كان طَعَن فيه في أول أمره استبان رُشدَه ، وأبصر قصده ، فتاب وأناب ، وعرف من^(٢) نفسه الحق بغريزة طبعه ، وقوة إتقائه ، لا لتصرف لسانه ، بل لهداية^(٣) ربه وحسن توفيقه . والجهل في هذا الوقت أغلب ، والمُلحدون^(٤) فيه عن الرشد أبعد ، وعن الواجب أذهب .

وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن ، وتكلم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام ، أن يَبْسُطُوا القول في الإبانة عن وجه معجزته ، والدلالة على مكانه . فهو أحقُّ بكثير مما صَنَّفُوا فيه من القول في الجزء [والطُّفَرَة]^(٥) ، ودقيق الكلام في الأعراض ، وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو . فالحاجة إلى هذا أمْس ، والاشتغال به أوجب .

وقد قَصَّر بعضهم في هذه المسألة ، حتى أدَّى ذلك إلى تحول قوم منهم إلى مذاهب البرَاهِمَة فيها ، ورَأَوْا أَنَّ عَجَزَ أصحابهم عن نصره هذه المعجزة يوجب أن لا مُسْتَنْصَر^(٦) فيها ، ولا وجه لها ، حين رأوهم قد برَعُوا في لطيف ما أبدعوا ، وانتَهَوْا إلى الغاية فيما أَخْدَثُوا / وَوَضَعُوا . ثم رأوا ما صَنَّفُوهُ في هذا المعنى غيرَ كامل في بابهِ ، ولا مستوفى في وجهه ، قد أُخِلَّ بتهذيب طرقه ، وأُهْمِلَ ترتيبُ بيانه .

وقد يُعْذَرُ بعضهم في تفريطٍ . يقع منه فيه ، وذهاب عنه ؛ لأن هذا الباب مما لا يمكن إحكامه إلا بعد^(٧) التقدُّم في أمور شريفة المحل ، عظيمة المقدار ، دقيقة المسلك لطيفة المآخذ .

(١) م : « أعظم »

(٢) ا : « هداية »

(٣) الزيادة من ا ، م

(٤) س ، ك : « مما يمكن إحكامه بعد »

(٥) ك : « على »

(٦) ك : « والمُلحد »

(٧) س : « أن لا يستنصر »

وإذا انتهينا إلى تفصيل القول فيها ، استبان ما قلناه من الحاجة إلى هذه المقدمات ، حتى يمكن بعدها إحكام القول في هذا الشأن .
وقد صنف « الجاحظ » في نظم القرآن كتاباً ، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى .

* * *

وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة ، تسقط الشبهات ، وتريل الشكوك التي تعرض للجها ، وتنتهى إلى ما يخطر لهم ، ويعرض لأفهامهم ، من الطعن في وجه المعجزة .

فأجبناه إلى ذلك ، متقربين إلى الله عز وجل ، ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعاونته .

ونحن نبيّن ما سبق فيه البيان من غيرنا ، ونشير إليه ولا نبسط القول ؛ لئلا يكون ما ألفناه مكرراً ومقولاً ، بل يكون مستفاداً من جهة هذا الكتاب خاصة .

٨ / ونصّف ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب ، وترتيب وجوه الكلام ، وما تختلف فيه طرق البلاغة ، وتتفاوت من جهته سبل البراعة ، وما يشبه له ظاهر الفصاحة ، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية ، والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع .

ثم ما اختلفت به مذاهب مستعمليه في فنون ما ينقسم إليه الكلام ، من شعر ورسائل وخطب ، وغير ذلك من مجارى الخطاب . وإن كانت هذه الوجوه الثلاثة أصول ما يبين فيه التفاضح ، وتقصد فيه البلاغة ؛ لأن هذه أمور يتعمّل لها في الأغلب ، ولا يتجاوز فيها .

ثم من بعد هذا^(١) الكلام الدائر في محاوراتهم . والتفاوت فيه أكثر ؛

لأنَّ العمل فيه أقل ، إلا من غزارة طبع ، أو فطانة تصنع وتكلف .

ونشير إلى ما يجب في كل واحد من هذه الطرق ، ليُعرف عظيمُ محلِّ القرآن ، وليُعلم ارتفاعه عن مواقع هذه الوجوه ، وتجاوزه الحدَّ الذي يصحُّ أو يجوز أن يوازن بينه وبينها ، أو يشتبه ذلك على متأمل .

ولسنا نزعم أنه يمكننا أن نبين ما رُمنا ببيانه ، وأردنا شرحه وتفصيله ، لمن كان عن معرفة الأدب ذاهباً^(١) وعن وجه اللسان غافلاً ؛ لأنَّ ذلك

٩ / مما لا سبيل إليه ، إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا إليه من أهل صناعة العربية ، قد وقَّف على جُمَل من محاسن الكلام ومُتَصَرِّفاته ومذاهبه ، وعرف جملةً من طرق المتكلمين ، ونظر في شيء من أصول الدين . وإنما ضَمَّن الله عز وجل فيه البيانَ لمثل من وصفناه ، فقال : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) . وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٣) .

(١) م : « ذاهلاً »

(٢) سورة فصلت : ٣

(٣) سورة الزخرف : ٣

١ / فصل

في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن

الذى يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن ، أن نبوة نبيينا عليه السلام بُيِّنَتْ^(١) على هذه المعجزة ، وإن كان قد أُيدَ بعد ذلك بمعجزات كثيرة . إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة ، وأحوال خاصة ، وعلى أشخاص خاصة . ونقل بعضها نقلًا متواترًا يقع به العلم وجودًا . وبعضها مما نقل نقلًا خاصًا ، إلا أنه حُكِيَ بمشهد من الجمع العظيم وأنهم شاهدوه ، فلو كان الأمر على خلاف ما حُكِيَ لأنكروه ، أو لأنكره بعضهم ، فحلَّ محلَّ المعنى الأول ، وإن لم يتواتر أصل النقل فيه . وبعضها مما نقل من جهة الآحاد ، وكان وقوعه بين يدي الآحاد .

فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة ، عَمَّتِ الثَّقَلَيْنِ ، وبقيت بقاء العَصْرَيْنِ . ولزومُ الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد ، وإن كان قد يُعلم بمعجز أهل العصر الأول عن الإتيان / ١١ بمثله - وجهُ دلالاته ، فيغنى ذلك عن نظر مجددٍ في عجز أهل هذا العصر عن الإتيان^(٢) بمثله . وكذلك قد يغنى عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله ، عن النظر في حال أهل العصر الأول .

وإنما ذكرنا هذا الفصل ، لما حُكِيَ عن « بعضهم » أنه زعم أنه وإن كان قد عجز عنه أهل العصر الأول فليس أهل هذا العصر بعاجزين عنه ، ويكفى عجزُ أهل العصر الأول في الدلالة ؛ لأنهم خُصُّوا بالتحدُّى دون غيرهم^(٣) .

(١) م : « أثبتت » (٢) س : « أول العصر عن مثله »

(٣) ليس القرآن ومعجزة على ذلك ، فإن أهل العصر الأول لم يَخْصُوا بالتحدُّى دون غيرهم ، وذلك لأن القرآن معجزة باقية على الزمن ؛ فالتحدُّى باق معها على الزمن ، فهو تحدُّى لأهل كل عصر كما كان لأهل العصر الأول ، وقد حبا الله هذا الرسول العربي الكريم بالرسالة « مؤيداً بدلالة على الأيام باقية ، وعلى الدهور والأزمان ثابتة ، وعلى مر الشهور والسنين دائمة . يزداد ضياؤها على كره الدهور إشراقاً ، وعلى مر الليالي والأيام اتساقاً » كما قال الطبري في مقدمة تفسيره ٣/١ . فالإعجاز فيها واقع في كل عصر . والتحدُّى بها لازم لأهل كل زمان

ونحن نبين خطأ هذا القول في موضعه ، إن شاء الله :

فأما الذى يبين ما ذكرناه من أن الله تعالى حين ابتعثه جعل معجزته القرآن ، وبَنَى أمر نبوته عليه - فَسُورٌ كثيرة وآيات نذكر بعضها ، ونسبه بالمدكور على غيره ، فليس يخفى بعد التنبيه على طريقه .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿الرَّ . كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ لِيَقَعَ الْاهْتِدَاءُ بِهِ ، وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ حُجَّةٌ ، وَلَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا لَمْ يَكُنْ مُعْجَزَةً .

١٢ / وقال عز وجل : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (٢) فَلَوْلَا أَنَّ سَمَاعَهُ إِيَّاهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ لَمْ يَقِفْ أَمْرُهُ عَلَى سَمَاعِهِ . وَلَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا وَهُوَ مُعْجَزَةٌ .

وقال عز وجل : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . وَهَذَا بَيِّنٌ جَدًّا فِيمَا قُلْنَاهُ ، مِنْ أَنَّهُ جَعَلَهُ سَبَبًا لَكُونِهِ مُنْذِرًا . ثُمَّ أَوْضَحَ ذَلِكَ بِأَنَّ قَالَ : ﴿يَلْسَانَ عَرَبٍ مُبِينٍ﴾ (٣) . فَلَوْلَا أَنَّ كُونَهُ بِهَذَا اللَّسَانِ حُجَّةٌ ، لَمْ يُعْقَبْ كَلَامُهُ الْأَوَّلُ بِهِ .

وَمَا مِنْ سُورَةٍ افْتَتَحَتْ بِذِكْرِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ إِلَّا وَقَدْ أُشْبِعَ فِيهَا بَيَانُ مَا قُلْنَاهُ . وَنَحْنُ نَذْكُرُ بَعْضَهَا لِنُسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى مَا بَعْدَهُ .

وكثيرٌ من هذه السور إذا تَأَمَّلْتَهُ فَهُوَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ مُبْنًى عَلَى لُزُومِ حُجَّةِ الْقُرْآنِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى وَجْهِ مُعْجَزَتِهِ .

فمن ذلك سورة المؤمن (٤) . قوله عز وجل : ﴿حَمِّ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ . ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ ، وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَهٌ الْمَصِيرِ . مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ / تَقْلِبُهُمْ فِي

البلاد ﴿ فدل على أن الجدل في تنزيله كفر وإنحاد .

ثم أخبر بما وقع^(١) من تكذيب الأمم برسولهم ، بقوله عز وجل : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُذْخِرُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ فتوعدهم بأنه آخذهم في الدنيا بذنبيهم في تكذيب الأنبياء .

ورد إبراهيم فقال تعالى : ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ .
ثم توعدهم بالنار ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ .

ثم عظم شأن المؤمنين بهذه الحجة ، بما أخبر من استغفار الملائكة لهم ، وما وعدهم عليه من المغفرة ، فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ . فلولا أنه برهان قاهر لم يذم الكفار على العدول عنه ، ولم يحمد المؤمنين على المصير إليه .

ثم ذكر تمام الآيات في دعاء الملائكة للمؤمنين ، ثم عطف على وعيد الكافرين ، فذكر آيات ، ثم قال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ . فأمر بالنظر في آياته وبراهينه ، إلى أن قال : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ / فجعل القرآن والوحي به كالروح ؛ لأنه يؤدي إلى حياة الأبد ، ولأنه لا فائدة للجسد من دون الروح . فجعل هذا الروح سبباً^(٢) للإنذار ، وعلماً عليه ، وطريقاً إليه . ولولا أن ذلك برهان بنفسه لم يصح أن يقع به الإنذار والإخبار عما يقع عند مخالفته ، ولم يكن الخبر عن الواقع في الآخرة عند ردهم دلالة^(٣) من الوعيد - حجة ولا معلوماً صدقه ، فكان لا يلزمهم قبوله .

فلما خلاص من الآيات في ذكر الوعيد على ترك القبول ، ضرب لهم

المثل بمن خالف الآيات ، وجحد الدلالات والمعجزات ، فقال : ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ .

ثم بين أن عاقبتهم صارت إلى السوآى ، بأن رُسُلهم كانت تأتيهم بالبينات ، وكانوا لا يقبلونها منهم . فعلم أن ما قدم ذكره في السورة بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر قصة موسى ويوسف عليهما السلام ، ومجيئهما بالبينات ، ومخالفتهما حكمها ، إلى أن قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ / عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ . فأخبر أن جدالهم في هذه الآيات لا يقع بحجة ، وإنما يقع عن جهل ، وأن الله يطبع على قلوبهم ، ويصرفهم عن تفهّم وجه البرهان . لبحودهم وعنادهم واستكبارهم .

ثم ذكر كثيراً من الاحتجاج على التوحيد ، ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴾ .

ثم بين هذه الجملة ، وأن من آياته الكتاب ، فقال : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ . إلى أن قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

فدل على أن الآيات على ضربين : أحدهما كالمعجزات التي هي أدلة^(١) في دار التكليف . والثاني الآيات التي ينقطع عندها العذر ، ويقع عندها العلم الضروري ، وأنها إذا جاءت ارتفع التكليف ، ووجب الإهلاك . إلى أن قال تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ . فأعلمنا أنه قادر على هذه الآيات ، ولكنه إذا أقامها زال التكليف ، وحقت العقوبة على الجاحدين .

وكذلك ذكر في ﴿حَم﴾ السجدة^(١) على هذا المنهاج الذي شرحنا ، فقال عز وجل : ﴿حَم . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتابٌ فصلت آياته قرآنًا عربيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بشيرًا ونذيرًا﴾ فلولا أنه جعله / برهانًا لم يكن بشيرًا ولا نذيرًا ، ولم يَخْتَلِفْ بآن يكون عربيًّا مفصَّلًا أو بخلاف^(٢) ذلك . ثم أخبر عن جحودهم وقلة قبولهم ، بقوله تعالى : ﴿فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ . ولولا أنه حجة لم يضرهم الإعراض عنه .

وليس لقائل أن يقول : قد يكون حجة ولكن^(٣) يحتاج في كونه حجة إلى دلالة أخرى ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حجة ، ولكنه يحتاج إلى دلالة على صدقه ، وصحة نبوته . وذلك : أنه إنما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل ، ولم يذكر حجة غيره .

وبين ذلك : أنه قال عقيب هذا : ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي﴾ . فأخبر أنه مثلهم لولا الوحي .

ثم عطف عليه بحمد المؤمنين به المصدقين له ، فقال : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ . ومعناه : الذين آمنوا بهذا الوحي والتنزيل ، وعرفوا هذه الحجة .

ثم تصرف في الاحتجاج على الوجدانية والقدرة ، إلى أن قال : ﴿فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود﴾ . فتوعدهم بما أصاب من قبلهم من المكذبين بآيات الله من قوم عاد / وثمود في الدنيا . ثم توعدهم بأمر الآخرة ، فقال : ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ ، إلى انتهاء ما ذكره فيه .

ثم رجع إلى ذكر القرآن ، فقال : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ .

ثم أثنى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا ﴾ .
ثم قال : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وهذا ينبه على أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف إعجاز القرآن ، وأنه دلالة له على جهة الاستدلال ؛ لأن الضروريات لا يقع فيها نزغ الشيطان . ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه .

ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ ، إلى أن قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ . وهذا وإن كان متأولاً على أنه لا يوجد فيه غير الحق مما يتضمنه من أقاصيص الأولين وأخبار المرسلين ، وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه^(١) من الإخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الاتي - فلا يخرج عن أن يكون متأولاً على ما يقتضيه نظام الخطاب ، من أنه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة / تقدح في معجزته ١٨ أو تعارضه في طريقه . وكذلك لا يأتيه من بعده قطُّ أمرٍ يشكك في وجه دلالته [وإعجازه] . وهذا أشبهُ بسياق الكلام ونظامه .

ثم قال : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا : لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾^(٢) . فأخبر أنه لو كان أعجمياً لكانوا يحتجون في رده : إمَّا بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم ، أو كانوا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه ، وبأنهم لا يبين^(٣) لهم وجه الإعجاز فيه . لأنه ليس من شأنهم ولا من لسانهم ، أو بغير ذلك من الأمور ، وأنه إذا تحدّاهم إلى ما هو من لسانهم وشأنهم فمعجزوا عنه - وجبت الحجة عليهم به ، على ما نبينه في وجه هذا الفصل . إلى أن قال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَادَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَكْفُرُتُمْ بِهِ ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ .

والذى ذكرناه من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور ، فكرهنا سرّد القول فيها . فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه يعجده كذلك .

ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل : ﴿ وقالوا : لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين . أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ ^(١) فأخبر أن الكتاب آية من / آياته ، وعلم من أعلامه ، وأن ذلك يكفي في الدلالة ، ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء ، صلوات الله عليهم .

ويدل عليه قوله عز وجل : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذى له ملك السموات والأرض ﴾ ^(٢) .

ويدل عليه قوله : ﴿ أم يقولون افتترى على الله كذباً ، فإن يشأ الله يختم على قلبك ، ويمحور الله الباطل ويحق الحق بكلماته ﴾ ^(٣) .

فدل على أنه جعل قلبه مستودعاً لوحيه ، ومستنزلاً لكتابه ، وأنه لو شاء صرف ذلك [عنه] إلى غيره . وكان له حكم دلالة على تحقيق الحق ، وإبطال الباطل مع صرفه عنه . ولذلك أشباه كثيرة تدل على نحو الدلالة التى وصفناها .

فبان بهذا وبنظائره ^(٤) ما قلناه ، من أن بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته ، وصار له من الحكم فى دلالة على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى ، وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء ؛ لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد عليها ، ووصف منضاف ^(٥) إليها ؛ لأن نظمها ليس معجزاً ^(٦) ، وإن / كان ما تتضمنه ^(٧) من الإخبار عن الغيوب ^(٨) معجزاً .

وليس كذلك القرآن ؛ لأنه يشاركها فى هذه الدلالة ، ويزيد عليها

(٢) سورة الفرقان : ١ و ٢

(٤) ١ : « بها وبنظائرها »

(٦) م : « بمعجز »

(٨) م : « عن الغائبات والغيوب »

(١) سورة النكبات : ٥٠ و ٥١

(٣) سورة الشورى : ٢٤

(٥) س : « منضاف »

(٧) س : « يتضمنه »

في أن نظمه معجز، فيمكن أن يستدل به عليه ، وحلّ في هذا من وجه محلّ سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالى ؛ لأن موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقة كلامه .

وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله ، وإن اختلف الحال في ذلك من بعض الوجوه ؛ لأن موسى عليه السلام سمعه من الله عز وجل ، وأسمعه نفسه متكلماً ، وليس كذلك الواحد منّا . وكذلك قد يختلفان في غير هذا الوجه ، وليس ذلك قصّداً بالكلام في هذا الفصل .

والذي نرومه الآن ما بيناه من اتفاقهما في المعنى الذي وصفناه ، وهو : أنه عليه السلام يعلم أن ما يسمعه كلام الله من جهة الاستدلال ، وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه^(١) من هذا على جهة الاستدلال .

فى [بيان وجه] الدلالة على أن القرآن معجز

قد ثبت بما بينا فى الفصل الأول أن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن فيجب أن نبين وجه الدلالة من ذلك :

قد ذكر العلماء أن الأصل فى هذا هو : أن يُعلم أن القرآن ، الذى هو متلو محفوظ مرسوم فى المصاحف ، هو الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه هو الذى تلاه على من فى عصره ثلاثاً وعشرين سنة .

والطريق إلى معرفة ذلك هو النقل المتواتر ، الذى يقع عنده العلم الضرورى به .

وذلك أنه قام به فى المواقف ، وكتب به إلى البلاد ، وتحملته عنه إليها من تابعه ، وأورده على غيره ممن لم يتابعه . حتى ظهر فيهم الظهور الذى لا يشتبه على أحد ، ولا يخيّل أنه قد خرج من أتى بقرآن يتلوه ، ويأخذه على غيره ، ويأخذه غيره على الناس ، حتى انتشر ذلك فى أرض العرب كلها ، وتعدى إلى الملوك المصاقبة لهم ، كملك الروم والعجم والقبط . والحبش ، وغيرهم من ملوك الأطراف .

ولما ورد ذلك مضاداً لأديان أهل ذلك العصر كلهم ، ومخالفاً لوجوه اعتقاداتهم المختلفة فى الكفر - وقف جميع أهل المخلاف على جملته ، ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله بالإيمان على جملته / وتفاصيله ، وتظاهر بينهم ، حتى حفظه الرجال ، وتنقلت به الرّحال ، وتعلمه الكبير والصغير ؛ إذ كان عمدة دينهم ، وعلماً عليه ، والمفروض تلاوته فى صلواتهم ، والواجب استعماله فى أحكامهم .

ثم تناقله خلف عن سلفهم^(١) مثلهم في كثرتهم وتوفّر دواعيهم على نقله ، حتى انتهى إلينا ، على ما وصفناه من حاله .
فلن يتشكك أحدٌ ، ولا يجوز أن يتشكك ، مع وجود هذه الأسباب ، في أنه أتى بهذا القرآن من عند الله تعالى . فهذا أصلٌ .

وإذا ثبت هذا الأصل وجوداً ، فإننا نقول : إنه تحدّاهم إلى^(٢) أن يأتوا بمثله ، وقرّعهم على ترك الإتيان به ، طول السنين التي وصفناها ، فلم يأتوا بذلك . [وهذا أصلٌ ثانٍ] .

والذى يدل على هذا الأصل : أننا قد علمنا أن ذلك مذكور في القرآن في المواضع الكثيرة ، كقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٣) .

وكقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ، وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤) .
فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ، ودليلاً على وحدانيته . وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم أنه لا يمكن أن تعلم بالقرآن الوجدانية ، وزعم أن ذلك مما لا سبيل إليه إلا من جهة العقل ؛ لأن القرآن كلام الله عز وجل ، ولا يصح أن يُعلم الكلام حتى يُعلم المتكلم أولاً .

فقلنا : إذا ثبت بما نبينه إعجازه ، وأن الخلق لا يقدر علىه - ثبت أن الذى أتى به غيرهم ، وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم ، وأنه صدق . وإذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقاً ، وليس إذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع أن يُعرف من [طريق القرآن ، بل

(٢) ١ : « على »

(٤) سورة هود : ١٣ و ١٤

(١) ١ : « عن سلفهم »

(٣) سورة البقرة : ٢٣ و ٢٤

يمكن عندنا أن يُعرف من [الوجهين .

وليس الغرض تحقيق القول في هذا الفصل ؛ لأنه خارج عن مقصود كلامنا ، ولكننا ذكرناه من جهة دلالة الآية عليه .

ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتُوا بِمِثْلِ هذا القرآنِ لا يأتُون بِمِثْلِهِ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ، بَلْ لا يُؤْمِنُونَ . فليأتُوا بِحَدِيثٍ / مِثْلِهِ إِنْ كانوا صادقين ﴾ ^(٢) فقد ثبت بما بيننا أنه تحدّاهم إليه ، ولم يأتوا بمثله .

٢٤

وفي هذا أمران : أحدهما التحدى إليه . والآخر أنهم لم يأتوا له بمثل ^(٣) . والذي يدل على ذلك النقل المتواتر الذى يقع به العلم الضرورى ، فلا يمكن جحود واحد من هذين الأمرين .

وإن قال قائل : لعله لم يقرأ عليهم الآيات التى فيها ذكر التحدى ، وإنما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن - : كان ذلك قولاً باطلاً ، يُعلم بطلانه بمثل ^(٤) ما يُعلم به بطلان قول [من زعم] أن القرآن أضعافُ هذا ! وهو يبلغ جَمَلُ جَمَلٍ ! وأنه كُتِبَ ، وسيُظهره [المهدي] !!!

أو يدعى أن هذا القرآن ليس هو الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو شئٌ وضعه عمرٌ أو عثمان ، رضى الله عنهما ، حيث وُضع ^(٥) المصحفُ .

أو يدعى فيه زيادة أو نقصانا .

وقد ضَمِنَ الله حفظَ كتابه أن يأتِيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، ووَعَدَهُ الحق .

وحكاية قول من قال ذلك يغنى عن الردِّ عليه . لأنَّ العدَدَ الذين / أخذوا القرآن فى الأمصار وفى البوادي ، وفى الأسفار والحضر ، وضبطوه حفظاً ،

٢٥

(٢) سورة الطور : ٣٣ و ٣٤

(٤) س : « مثل »

(١) سورة الإسراء : ٨٨

(٣) ا ، م : « يأتوا بمثله »

(٥) ا ، م : « وضعا »

من بين صغير وكبير ، وعرفوه حتى صار لا يشتبه على أحد منهم حرف - لا يجوز عليهم السهو والنسيان ، ولا التخليط فيه والكتمان .

ولو زادوا أو نقصوا أو غيروا لظهر . وقد علمت أن شعر امرئ القيس وغيره - على أنه لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن ، ولا أن يحفظ كحفظه ، ولا أن يضبط . كضبطه ، ولا أن تمس الحاجة إليه إمساسها^(١) إلى القرآن - لو زيد فيه بيت ، أو نقص منه بيت ، لا ، بل لو غير فيه لفظ - لتبرأ منه أصحابه ، وأنكره أربابه .

فإذا كان ذلك مما لا يمكن [أن يكون] في شعر امرئ القيس ونظرائه ، مع أن الحاجة إليه تقع لحفظ العربية ، فكيف يجوز أو يمكن ما ذكره في القرآن ، مع شدة الحاجة إليه في [الصلاة التي هي] أصل الدين ، ثم في الأحكام والشرائع ، واشتغال الهمم المختلفة على ضبطه :

فمنهم من يضبطه لإحكام قراءته ومعرفة وجوها ، وصحة أدائها .
ومنهم من يحفظه للشرائع والفقهاء .

ومنهم من يضبطه ليعرف تفسيره ومعانيه .

ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة .

/ ومن المالحدين من يحصله لينظر في عجيب شأنه .

٢٦

وكيف يجوز على أهل هذه الهمم المختلفة والآراء المتباينة - على كثرة أعدادهم ، واختلاف بلادهم ، وتفاوت أغراضهم - أن يجتمعوا على التغيير والتبديل والكتمان ؟ !

وبين ذلك : أنك إذا تأملت ما ذكر في أكثر السور مما بينا ، ومن نظائره في رد قومه عليه ورد غيرهم ، وقولهم : ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾^(٢) [وقول بعضهم : إن ذلك سحر] ، وقول بعضهم : ﴿ ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا آخلاق ﴾^(٣) إلى الوجوه التي يصرف إليها قولهم في الطعن عليه .

فمنهم من يستهين بها^(١) ويجعل ذلك سبباً لتركه الإتيان بمثله .
ومنهم من يزعم أنه مُفْتَرَى ، فلذلك لا يأتي بمثله
ومنهم من يزعم أنه دَارَس ، وأنه أساطير الأولين .
وكرهنا أن نذكر كل آية تدل على تحديه ، لثلا يقع التطويل .

ولو جاز أن يكون بعضه مكتوماً لجاز على كله . ولو جاز أن يكون بعضه
موضوعاً لجاز ذلك في كله .

فثبت بما بيناه أنه تحدّاهم به ، وأنهم لم يأتوا بمثله^(٢) . وهذا الفصل
قد بينّا أن الجميع قد ذكروه وبنوا عليه .

٢٧

/ فإذا ثبت هذا وجب أن يُعلم بعده أن تركهم الإتيان بمثله كان لعجزهم عنه .
والذى يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن : أنه
تحدّاهم إليه حتى طال التحدى ، وجعله دلالة على صدقه ونبوته ، وضمن^(٣)
أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبى ذريتهم ، فلو كانوا يقدرّون على
تكذيبه لفعّلوا ، وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهاليهم وأموالهم من حكمه ،
بأمر قريب ، هو عادتهم في لسانهم ، ومألوف من خطابهم ، وكان ذلك
يغنيهم عن تكلف القتال ، وإكثار المراء والجدال ، وعن الجلاء عن الأوطان ،
وعن تسليم الأهل والذرية للسبي .

فلما لم تحصل هناك معارضة منهم ، علّم أنهم عاجزون عنها .
يُبيّن ذلك أن العدو يقصد لدفع قول^(٤) عدوه بكل ما قدر عليه من
المكايد ، لا سيما مع استعظامه ما بدّاه بالمجىء من^(٥) خلع آلهته ، وتسفيه
رأيه في ديانته ، وتضليل آبائه ، والتغريب عليه بما جاء به ، وإظهار أمر
يوجب الانقياد لطاعته ، والتصرف على حكم إرادته ، والعدول عن إلفه
وعادته ، والانخراط في سلك الأتباع بعد أن كان متبوعاً ، والتشيع بعد

(٢) س : « تحدى إليه . . . له بمثل »

(٤) ا : « لقول »

(١) ا ، م : « به »

(٣) س : « وتضمن »

(٥) ا : « مع »

أَن كَانَ مَشِيْعًا ، وتحكيم الغير في ماله ، وتسليطه إياه على جملة أحواله ،
والدخول تحت تكاليف شاقة ، / وعبادات مُتَعَبَةٍ ، بقوله ، وقد علم أَن بعض ٢٨
هذه الأحوال مما يدعو إلى سلب النفوس دونه .

هذا ، والحمية حميتهم ، والهمم الكبيرة همهم ، وقد بذلوا له السيف
فَأَخْطَرُوا^(١) بنفوسهم وأموالهم . فكيف يجوز أَن لا يتوصلوا إلى الرد عليه
وإلى تكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم ، وما يمكن تناوله من غير أَن
يعرق فيه^(٢) جبين ، [أو ينقطع دونه وتين] ، أو يشتمل به خاطر ، وهو
لسانهم الذى يتخاطبون به ، مع بلوغهم في الفصاحة النهاية التى ليس
وراءها مُتَطَّلِع ، والرتبة التى ليس فوقها^(٣) مَنْزَع ؟ !

ومعلوم أَنهم لو عارضوه بما تحداهم إليه لكان فيه توهينُ أمره ، وتكذيبُ
قوله ، وتفريقُ جمعه ، وتشتيتُ أسبابه ، وكان من صدق به يرجع على
أعقابه ، ويعود في مذهب أصحابه .

فلما لم يفعلوا شيئاً من ذلك ، مع طول المدة ، ووقوع الفسحة ،
وكان أمره يتزايد حالاً فحالاً ، ويعلو شيئاً فشيئاً ، وهم على العجز عن
القدح في آيته ، والظعن [عما يؤثر] في دلالته - عُلِمَ مما^(٤) بينا أَنهم
كانوا لا يقدرُونَ على معارضته ، ولا على توهين حجته .

/ وقد أخبر الله تعالى عنهم : أَنهم ﴿ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾^(٥) وقال : ﴿ وتَنذِرُ ٢٩
به قَوْمًا لَّدَا ﴾^(٦) ، وقال : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾^(٧) .
وعلم أيضاً ما كانوا^(٨) يقولونه من وجوه اعتراضهم على القرآن ، مما
حكى الله عز وجل عنهم من قولهم : ﴿ لو نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ، إِنَّ هَذَا
إِلَّا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٩) وقولهم : ﴿ ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ، وما سَمِعْنَا

(٢) ١ ، م : « له »

(٤) ١ ، م : « بما »

(٦) سورة مريم : ٩٧

(٨) س : « أن ما كانوا »

(١) س : « وأخطروا »

(٣) س : « مطلع . . . وراءها »

(٥) سورة الزخرف : ٥٨

(٧) سورة النحل : ٤

(٩) سورة الأنفال : ٣١

بهذا في آياتنا الأولى^(١) وقالوا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾^(٢) وقالوا : ﴿ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرِ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ ﴾^(٣) وقالوا : ﴿ أَئِنَّا لَتَارْكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾^(٤) ، وقال : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ؛ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ، وَقَالُوا : ٣٠ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً / وَأَصِيلًا ﴾^(٥) ، ﴿ وَقَالِ الظَّالِمُونَ : إِنَّ تَبَعِيْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصْيَنَ ﴾^(٧) .

إلى آيات كثيرة في نحو هذا ، تدل على أنهم كانوا متحيرين في أمرهم ، متعجبين من عجزهم ، يفزعون إلى نحو هذه الأمور : من تعليل وتعذير ، ومدافعة بما وقع التحدى إليه ، ووجد^(٨) المحث عليه .

وقد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب ، وجَاهَدُوهُ^(٩) ونابذوه ، وقطعوا الأرحام ، وأخطروا بأنفسهم ، وطالبوه بالآيات والإتيان [بالملائكة] وغير ذلك من المعجزات ، يريدون تعجيزه ليُظهروا عليه بوجه من الوجوه .

فكيف يجوز أن يقدرُوا على معارضته القريبة السهلة عليهم - وذلك يَدْخُضُ حِجَّتَهُ ، ويفسد دلالاته ، ويبطل أمره - فيعدلون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور التي ليس عليها مزيد في المنابذة والمعاداة ، ويتركُونَ الأمرَ الخفيف ؟ !

هذا مما يمتنع وقوعه في العادات ، ولا يجوز اتفاقه^(١٠) من العقلاء . وإلى هذا [الموضوع] قد استقصى أهلُ العلمُ الكلام ، وأكثرُوا في هذا المعنى وأحكموه .

٣١ / ويمكن أن يقال : إنهم لو كانوا قادرين على معارضته والإتيان بمثل ما أتى به ، لم يجوز أن يتفق منهم تركُ المِبارِضة ، وهم على ما هم عليه من

(٢) سورة الحجر : ٦

(٤) سورة الصافات : ٣٦

(٦) سورة الفرقان : ٨

(٨) س ، « وعرف »

(١٠) س : « إتقانه »

(١) سورة القصص : ٣٦

(٣) سورة الأنبياء : ٣

(٥) سورة الفرقان : ٤ و ٥

(٧) سورة الحجر : ٩١

(٩) س : « جاهره »

الذَّارِبَةِ وَالسَّلَاقَةِ^(١) ، والمعرفة بوجوه الفصاحة ؛ وهو يستطيل عليهم بأنهم عاجزون عن مباراته ، وأنهم يَضْعُفُونَ عن مجاراته . ويكرر^(٢) فيما جاء به ذكر عجزهم عن مثل ما يأتي به ، ويقرعهم ويؤنبهم عليه ، ويُدْرِكُ آماله فيهم ، وينجح ما سعى له في تركهم^(٣) المعارضة .

وهو يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه ، وتفخيم أمره ، حتى يتلو قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمُكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ ﴾^(٨) وقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٩) ، وقوله : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(١٠) .

إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن تعظيم شأن القرآن . فمنها ما يتكرر في السورة في مواضع منها ، ومنها ما ينفرد فيها . وذلك مما يدعوهم إلى المباراة ، ويحضهم على المعارضة ، وإن لم يكن متحدثاً إليه .
ألا ترى أنهم قد ينافر شعراؤهم بعضهم بعضاً ؟ ولهم في ذلك مواقف معروفة ، وأخبار مشهورة ، وآثار منقولة مذكورة^(١١) . وكانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والذَّلَاقَةِ ، ويتبجحون بذلك ، ويتفاخرون بينهم .

(١) في اللسان ١٢ / ٢٥ : « وعلقه بلسانه يسلفه سلقاً : أسمه ما يكرر فأكثر ، وعلقه بالكلام سلقاً : إذا آذاه ، وهو شدة القول باللسان ، وفي التنزيل : (سلوكم بالسنة حداد) أى بالنوا فيكم بالكلام وخصاموكم في الغنمة أشد خصامة وأبلغها »

(٢) س : « ما يسعى له يتركهم »

(٣) م « وتكرر »

(٤) سورة النحل : ٢

(٥) سورة الإسراء : ٨٨

(٦) سورة الحجر : ٩

(٧) سورة الحجر : ٨٧

(٨) سورة البقرة : ٢

(٩) سورة الزخرف : ٤٤

(١٠) س : « وأيام منقولة وكانوا »

(١١) سورة الزمر : ٢٣

فلن يجوز - والمحال هذه - أن يتغافلوا عن معارضته لو كانوا قادرين عليها ،
تحدّاهم أو لم يتحدّهم إليها .

ولو كان هذا القبيل مما يقدر عليه البشر ، لوجب في ذلك أمر آخر ،
وهو : أنه لو كان مقدوراً للعباد لكان قد اتفق إلى وقت مبعثه من هذا
لقبيل ما كان يمكنهم أن يعارضوه به ، وكانوا لا يفتقرون إلى تكلف
وضعه ، وتعمل نظمه في الحال .

٣٣ / فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق ، وخطبة متقدمة ، ورسالة سائلة ،
ونظم بديع ، ولا عارضوه به فقالوا : هذا أفصح مما جئت به وأعرب منه أو هو
مثله - علّم أنه لم يكن إلى ذلك سبيل ، وأنه لم يوجد له نظير .

ولو كان وجد له مثل لكان يُنقل إلينا ، ولعرفناه ، كما نُقل إلينا أشعارُ
أهل الجاهلية ، وكلامُ الفصحاء والحكماء من العرب ، وأدّى إلينا كلامُ الكهان
وأهل الرجز والسجع والقصيد ، وغير ذلك من أنواع بلاغاتهم ، وصنوف فصاحتهم .
فإن قيل : الذي بُني عليه الأمر في تثبيت معجزة القرآن : أنه وقع التحدى
إلى الإتيان بمثله ، وأنهم عجزوا عنه بعد التحدى إليه . فإذا نظر الناظر وعرف
وجه النقل المتواتر في هذا الباب - وجب له العلم بأنهم كانوا عاجزين عنه .
وما كترتم يوجب سقوط تأثير التحدى ، وأن ما أتى به قد عُرِف العجز عنه بكل حال .
قيل : إنما احتيج إلى التحدى لإقامة الحجة ، وإظهار وجه البرهان [على الكافة] .

٣٤ لأن المعجزة إذا ظهرت فإنما تكون حجةً بأن يدعيها . من ظهرت عليه ، ولا تظهر
على مدّعيها إلا وهي معلومة أنها من عند الله . فإذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها
للكافة بالتحدى وجب فيها التحدى . لأنه تزول بذلك الشبهة عن الكل ،
وينكشف للجميع أن العجز واقع عن المعارضة . وإلا كان (١) مقتضى ماقدّمناه
من الفصل أن من كان يعرف وجوه الخطاب ، ويفتقن في مصارف (٢) الكلام ،
وكان كاملاً في فصاحته ، جامعاً للمعرفة بوجوه الصناعة - لو أنه احتج عليه
بالقرآن ، وقيل له : إن الدلالة على النبوة والآية للرسالة ما تلوته (٣) عليك منه ،

(٢) س : « ويتقن مصارف » .

(١) س : « وإلا فإن » .

(٣) س : « على الرسالة ما أتوته » .

لكان ذلك بالغاً^(١) في إيجاب الحجّة [عليه] ، وتاماً في إلزامه فرضَ المصير إليه .

وما يؤكد هذا : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الآحاد إلى الإسلام ، محتجاً عليهم بالقرآن ، لأننا نعلم [ضرورة] أنه لم يلزمهم تصديقه تقليداً ، ونعلم أن السابقين الأولين إلى الإسلام لم يقلدوه ، إنما دخلوا على بصيرة . ولم نعلمه قال لهم : ارجعوا إلى جميع الفصحاء ، فإن عجزوا عن الإتيان بمثله فقد ثبّت حجتى .

بل لما رآهم يعلمون إعجازه ، ألزمهم حكمه فقبلوه ، وتابعوا الحق ، وبادروا إليه مستسلمين ، ولم يشكّوا في صدقه ، ولم يرتابوا في وجه دلالته .

فمن كانت بصيرته أقوى ، ومعرفته أبلغ ، كان إلى القبول منه / أسبق . ٣٥
ومن اشتبه عليه وجه الإعجاز ، أو خفي^(٢) عليه بعض شروط المعجزات وأدلة النبوت — كان أبطأ إلى القبول ، حتى تكاملت أسبابه ، واجتمعت له بصيرته وترادفت عليه موادّه .

وهذا فصل يجب أن يتمم القول فيه [من] بعد ، فليس هذا بموضع له .
وبيّن ما قلناه : أن هذه الآية علمٌ يلزم الكلّ قبوله والانقياد له ؛ وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ، ومعرفة وجه دلالته ؛ لأن الأعجمي لا يعلم أنه معجز إلا بأن يعلم عجزَ العرب عنه . وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى أمور لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة الفصاحة . فإذا عرف عجز أهل الصنعة حلّ محلهم ، وجرى مجراهم في^(٣) توجه الحجّة عليه .

وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان ، من هذا الشأن ، ما يعرفه العالى في هذه الصنعة . فربما حل في ذلك محل الأعجمي ، في أن لا تتوجه عليه الحجّة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه .

وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده ، أو الغاية في معرفة الخطب أو الرسائل وحدهما — [من] غَوْرَ هذا الشأن — ما يعرف من استكمل معرفة

(٢) س : « واشتبه » .

(١) س : « بلاغاً » .

(٣) ١ : « من » .

٣٦ جميع تصارييف الخطاب ووجوه / الكلام وطرق البراعة . فلا تكونُ الحجةُ قائمةً على المختصّ ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحقيقه لِعجز^(١) البارع في هذه العلوم كلها عنه .

فأما مَنْ كان متناهِياً في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة ، فهو متّبيّ سمع القرآن عرف إعجازه . وإن لم نقل ذلك أدّى هذا القول إلى أن يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف إعجاز القرآن حين أوحى إليه ، حتى سبر الحال بعجز أهل اللسان عنه ! وهذا خطأ من القول .

فصح من هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أوحى إليه القرآن عرف كونه معجزاً ، أو عرف - بأن^(٢) قيل له : إنه دلالة وعلم على نبوتك . - أنه كذلك ، من قبل أن يقرأه على غيره أو يتحدّى إليه سواه .

ولذلك قلنا : إن المتناهي في النصيحة والعلم بالأساليب التي يقع فيها التفاسيح ، متى سمع القرآن عرف أنه معجز ؛ لأنه يعرف من حال نفسه أنه لا يقدر عليه ، وهو يعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه ، فيعلم أن عجز غيره كعجزه هو . وإن كان يحتاج بعد هذا إلى / استدلال آخر على أنه علم على نبوته ، ودلالة على رسالته^(٣) بأن يقال له : إن هذه آية لنبيّ ، وإنها^(٤) ظهرت عليه ، وادّعاها معجزة له ، وبرهاناً على صدقه .

٣٧ فإن قيل : فإن من الفصحاء من يعلم عجز نفسه عن قول الشعر ، ولا يعلم مع ذلك عجز غيره عنه . فكذلك البليغ ، وإن علم عجز نفسه عن مثل القرآن ، فهو يخفي عليه عجز غيره .

قيل : هو مع مستقرّ العادة ، وإن عجز عن قول الشعر ، وعلم أنه مفحم ، فإنه يعلم أن الناس لا ينفكون من وجود الشعراء فيهم .

ومتى علم البليغ المتناهي في صنوف البلاغات عجزه عن القرآن ، علم عجز غيره عنه ، وأنه كهو ، لأنّه^(٥) يعلم أن حاله وحال غيره في هذا الباب سواء .

(١) س : « يعجز » . (٢) س : « معجزاً ، وبأن قيل » .

(٣) س : « على نبوة . . . على رسالة » . (٤) س : « لنبيه وإماماً » .

(٥) س : « غيره لأنه كهو لأنه »

إذ ليس في العادة مثل للقرآن يجوز أن^(١) يعلم قدرة أحد من البلغاء عليه . فإذا لم يكن لذلك مثل في العادة - وعرف هذا الناظر جميع أساليب الكلام ، وأنواع الخطاب ، ووجد القرآن مبايناً لها - علم خروجه عن العادة ، وجرى مجرى ما يعلم أن إخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادات ، فهو لا يجوز من نفسه ، وكذلك لا يجوز وقوعه من غيره ، إلا على وجه نقض العادة ، بل يرى وقوعه / موقع المعجزة . وهذا وإن كان يفارق فلق البحر ، وإخراج اليد البيضاء ونحو ذلك من وجه ، فهو^(٢) أنه يستوي الناس في معرفة عجزم عنه ، بكونه^(٣) ناقضاً للعادة ، من غير تأمل شديد ، ولا نظر بعيد . فإن النظر في معرفة إعجاز القرآن يحتاج إلى تأمل ، ويفتقر إلى مراعاة مقدمات ، والكشف عن أمور نحن ذاكرها بعد هذا الموضوع . فكل واحد منهما^(٤) يؤول إلى مثل حكم صاحبه ، في الجمع الذي قدمناه .. وما يبين ما قلناه - : من أن البليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف إعجاز القرآن ، وتكون معرفته حجة عليه ، إذا تحدّث إلى الله وعجز عن مثله ، وإن لم ينتظر وقوع التحدي في غيره ، وما الذي يصنع ذلك بالغير . - فهو ماروي في الحديث أن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في مُعْنَى حليف له ، أراد أن يفاديه ، فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ في صلاة الفجر ، قال : فاما انتهى إلى قوله : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ ، ماله من دافع ﴾ ، قال : خشيت أن يدركني العذاب . فأسلم^(٥) . وفي حديث آخر : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع سورة ﴿ طه ﴾ فأسلم^(٦) . ٣٩ / وقد روى أن قوله عز وجل في أوَّل ﴿ حم ﴾ السجدة إلى قوله : ﴿ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾^(٧) نزلت في شيبه وعتبة ابني ربيعة ، وأبي سفيان بن حرب ، وأبي جهل . وذكر أنهم بعثوا هم وغيرهم من وجوه قريش ، بعثة بن ربيعة

(١) س : « للقرآن يجوز أو » . (٢) س : « وهو أنه » .

(٣) س : « فكونه » . (٤) س : « منها » .

(٥) راجع البخاري ٢٤٩/٧ (من الفتح) والإصابة ٢٣٥/١ - ٢٣٦ .

(٦) راجع الإصابة ٢٨٠/٤ .

(٧) سورة فصلت : ٤ .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليكلّمه ، وكان حسن الحديث ، عجيب البيان ^(١) ، بليغ الكلام ؛ وأرادوا أن يأتيهم بما عنده ، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة ﴿حَم﴾ السجدة ، من أولها حتى انتهى إلى قوله : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ﴾ ، فوثب مخافة العذاب ، فاستحكه ما سمع فذكر أنه لم يفهم ^(٢) منه كلمة واحدة ، ولا اهتدى لجوابه . ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد . فقال له عثمان بن مظعون : لتعلموا أنه من عند الله ، إذ لم يهتد لجوابه ^(٣) .

وَأَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ، حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ ^(٤) فجعل سماعه حجة عليه بنفسه ، فدل على أن يفهم من يكون سماعه إياه حجة عليه .

فَإِنْ قِيلَ : لَوْ كَانَ [كَذَلِكَ] عَلَى مَا قُلْتُمْ ، لَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ حَالُ / الْفَصْحَاءِ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي إِسْلَامِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ . قِيلَ لَهُ : لَا يَجِبُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ صَوَارِفَهُمْ كَانَتْ كَثِيرَةً ، مِنْهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَشْكُونَ : فِيهِمْ ^(٥) مِنْ يَشْكُ فِي إثْبَاتِ الصَّانِعِ ، وَفِيهِمْ مَنْ يَشْكُ فِي التَّوْحِيدِ ، وَفِيهِمْ مَنْ يَشْكُ فِي النُّبُوَّةِ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَبَاسَفِيَّانَ بْنِ حَرْبٍ ، لَمَّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ لِي سَلَامٌ ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ : بَلَى . فَشَهِدَ ، قَالَ : أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ : أَمَا هَذِهِ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ !

فَكَانَتْ وَجْهَ شَكْوَكِهِمْ مُخْتَلِفَةً ، وَطَرُقَ شَبْهَهُمْ مُتَبَايِنَةً : فَفَنَّهُمْ مِنْ قَلَّتْ شَبْهَهُ ، وَتَأَمَّلَ الْحُجَّةَ حَقَّ تَأْمُلِهَا وَلَمْ يَسْتَكْبِرْ ، فَأَسْلَمَ . وَمِنْهُمْ مَنْ كَثُرَتْ شَبْهَهُ ، أَوْ أَعْرَضَ ^(٦) عَنْ تَأْمُلِ الْحُجَّةَ حَقَّ تَأْمُلِهَا ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى حُدُودِ النِّهَايَةِ ، فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ إِلَى أَنْ نَظَرَ وَاسْتَبْصَرَ ، وَرَاعَى وَاعْتَبَرَ ، وَاحْتِاجَ إِلَى أَنْ يَتَأَمَّلَ ^(٧) عَجْزَ غَيْرِهِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، فَلِذَلِكَ وَقَفَ أَمْرُهُ .

(٢) س : « لم يسمع »

(١) س : « عجيب الشأن »

(٣) راجع تفسير القرطبي ١/ ٣٣٨ .

(٥) س : « يشكون منهم »

(٤) سورة التوبة : ٦

(٧) م : « إلى تأمل »

(٦) م ، س : « وأعرض »

ولو كانوا فى الفصاحة على مرتبة واحدة ، وكانت صوارفهم وأسبابهم متفقة -
لتوافوا إلى القبول جملة واحدة .

٤١ / فإن قيل : فكيف يعرف البليغ الذى وصفتموه إعجاز القرآن ؟ وما الوجه الذى يتطرق به إليه ، والمنهاج الذى يسلكه ، حتى يقف به على جليلة الأمر فيه ؟
قيل : هذا سبيله أن يفرد له فصل .

* * *

فإن قيل : فلم زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف
البلاغات ، وتصرفهم فى أجناس الفصاحات ؟ وهلاً قلم : إن من قدر على جميع
هذه الوجوه البديعة بوجه^(١) من هذه الطرق الغريبة - كان على مثل نظم القرآن قادراً ،
ولأنما يصرفه الله عنه ضرباً من الصرف ، أو يمنعه من الإتيان بمثله ضرباً من المنع ،
أو تقصر دواعيه [إليه] دونه ، مع قدرته عليه . ليتكامل ما أراد الله من الدلالة ،
ويحصل ما قصده من إيجاب الحجة ؛ لأن من قدر على نظم كلمتين بديعتين ،
لم يعجز عن نظم مثلها ، وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية إلى الأولى ،
وكذلك الثالثة ، حتى يتكامل قدر الآية والسورة ؟

فالجواب : أنه لو صح ذلك لصح لكل من أمكنه نظم ربع بيت ، أو مصراع
من بيت - أن ينظم القصائد ويقول الأشعار ، وصح لكل ناطق - قد يتفق فى
كلامه الكلمة البديعة - نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة ! ومعلوم أن ذلك
غير سائغ ولا ممكن .

٤٢ على أن ذلك لو لم يكن معجزاً على ما وصفناه من جهة نظمه / الممتنع ، لكان
مهما حط من رتبة البلاغة فيه ، ومنع^(٢) من مقدار الفصاحة فى نظمه ، [كان]
أبلغ فى الأعجوبة^(٣) ، إذا صرفوا عن الإتيان بمثله ، ومنعوا من^(٤) معارضته ،
وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن إنزاله على النظم البديع ، وإخراجه فى^(٥)
المعرض الفصيح العجيب .

(٢) س : « وضع »

(٤) س : « عن »

(١) س : « وتوجه »

(٣) م : « فى العجوبة »

(٥) م : « على »

على أنه لو كانوا صُرفوا على ما ادعاه ، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف . لأنهم لم يتحدوا إليه ، ولم تلزمهم حجته .
فلمّا لم يوجد في كلام من قبله مثله ، علم أن ما ادّعاه القائل « بالصرفة » ظاهر البطلان .

وفيه معنى آخر ، وهو : أن أهل الصنعة في هذا الشأن إذا سمعوا كلاماً مطعماً لم يخفَ عليهم ، ولم يشبهه لديهم .
ومن كان متناهِياً في فصاحته لم يجر أن يطمع في مثل هذا القرآن بحال .
فإن قال صاحب السؤال : إنه قد يطمع في ذلك .

قيل له : أنت تزيد على هذا فتزعم أن كلام الآدمي قد يضارع القرآن ، وقد يزيد / عليه في الفصاحة ولا يتحاشاه ، وبحسب أن ما ألفه^(١) في الجزء والطفرة هو أبداع وأغرب من القرآن لفظاً ومعنى ! ولكن ليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه ، وبحسبه ظان من أمره . والمرجوع في هذا إلى جملة الفصحاء دون الآحاد . ونحن نبين بعد هذا وجه امتناعه عن الفصيح البليغ ، ونميزه في ذلك عن سائر أجناس الخطاب ، ليعلم أن ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ ببيان الغلط ، وأن هذا التمهيد من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم كتابه : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَتَمَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾^(٢) فهم يعبرون عن دعواهم : أنهم يمكنهم أن يقولوا مثله ، وأن^(٣) ذلك من قول البشر ؛ لأن لما كان من قولهم فليس يقع فيه التفاضل إلى الحد الذي يتجاوز إمكان معارضته .

وما يبطل ماذكروا من القول « بالصرفة » أنه لو كانت المعارضة ممكنة — وإنما منَع منها « الصرفة » — لم يكن الكلام معجزاً ، وإنما يكون المنع هو المعجز^(٤) ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه .

(٢) سورة المدثر : ١٨ - ٢٥

(٤) س : « النع معجزاً »

(١) م : « أن ما قد ألفه »

(٣) س : « بأن »

٤٤ / وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم : أن الكل قادرون على الإتيان بمثله ، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به .
ولا بأعجب من قول فريق منهم : إنه لافرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب ، وإنه يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد .

فإن قيل : فهل تقولون بأن غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز ، كالتوراة والإنجيل والصحف ؟

قيل : ليس شيء من ذلك بمعجز^(١) في النظم والتأليف ، وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار عن الغيوب^(٢) .

وإنما لم يكن معجزاً لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولأننا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع التحدي إلى القرآن .

ولغنى آخر ، وهو أن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ، ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز ، ولكنه يتقارب . وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا في سائر الألسنة ، ويقولون : ليس / يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقديم العجيب . ويمكن بيان ذلك بأننا^(٣) لا نجد في القدر الذي نعرفه من الألسنة للشيء الواحد ، من الأسماء مانع من اللغة ، وكذلك لانعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة على ما تتناوله العربية ، وكذلك التصرف في الاستعارات والإشارات ، ووجوه الاستعمالات البديعة ، التي يجيء تفصيلها بعد هذا .

ويشهد لذلك من القرآن : أن الله تعالى وصفه بأنه : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾^(٤) وكرر ذلك في مواضع كثيرة ، وبيّن أنه رفعه عن أن يجعله أعجمياً .

فلو كان يمكن في لسان العجم إيراد مثل فصاحته ، لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة . وأنه وإن كان يمكن أن يكون من فائدة قوله : إنه عربي مبين ، أنه مما يفهمونه ولا يفتقرون فيه إلى الرجوع إلى غيرهم ، ولا يحتاجون في تفسيره إلى سواهم^(٥) ، فلا يمتنع أن يفيد ما قلناه أيضاً ، كما أفاد بظاهره ما قدّمناه .

وبيّن ذلك أن كثيراً من المسلمين قد عرفوا تلك الألسنة ، وهم من أهل

(٢) س : « الإخبار بالغيوب »

(٤) سورة الشعراء : ١٩٥

(١) م : « معجز »

(٣) م : « فإننا »

(٥) س : « إلى من »

٤٦ البراعة فيها ، وفي العربية ، فقد وقفوا على أنه ليس فيها / من التفاضل والفصاحة ، ما يقع في العربية . ومعنى آخر ، وهو أنا لم نجد أهل التوراة والإنجيل ادّعوا الإعجاز لكتابهم ، ولا ادّعى لهم المسلمون . فعلم أن الإعجاز مما يختص به القرآن .
ويبين هذا أن الشعر لا يتأتى في تلك الألسنة ، على ما قد اتفق في العربية . وإن كان قد يتفق منها صنف أو أصناف ضيقة ، لم يتفق فيها من البديع ما يمكن ويستأتنى في العربية . وكذلك لا يتأتى في الفارسية جميع الوجوه التي تبين فيها الفصاحة ، على ما يتأتى في العربية .

فإن قيل : فإن المجوس تزعم أن كتاب زرادشت ، وكتاب ماني معجزان ؟
قيل : الذي يتضمنه كتاب ماني ، من طرق النيرنجات^(١) ، وضروب من الشعوذة ، ليس يقع فيها إعجاز . ويزعمون أن في الكتاب الحكيم ، وهي حكم منقولة ، متداولة على الألسن^(٢) ، لا تختص بها أمة دون أمة ، وإن كان بعضهم أكثر اهتماماً بها ، وتحصيلاً لها ، وجمعاً لأبوابها .

٤٧ وقد ادّعى قوم أن « ابن المقفع » عارض القرآن ، وإنما فزعوا إلى « الدرّة » و « التليمية » . وهما كتابان : أحدهما يتضمن حكماً منقولة ، توجد عند / حكماء كل أمة مذكورة بالفضل . فليس فيها^(٣) شيء بديع من لفظ ولا معنى .
والآخر في شيء من الديانات ، وقد تهوّس فيه بما لا يخفى على متأمل .
وكتابه الذي بيناه في الحكيم ، منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة .
فأى صنع له في ذلك ؟ وأى فضيلة حازها فيما جاء به ؟

وبعد ، فليس يوجد له كتاب يدّعى مدع أنه عارض فيه القرآن ، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ، ثم مزق ما جمع ، واستحيا لنفسه من إظهاره . فإن كان كذلك ، فقد أصاب وأبصر القصد ، ولا يمتنع أن يشبهه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده ، ويتبين له أمره ، وينكشف له عجزه . ولو كان بقي على اشتباه الحال عليه ، لم يخف علينا موضع غفلته ، ولم يشبهه لدينا وجه شبهته .
ومتى أمكن أن تدعى الفرس في شيء من كتبها أنه معجز في حسن تأليفه ، وعجيب نظمه ؟

(١) النيرنجات : ضروب من السحر وليست به ، إنما هي تخيل وتليس . كما في تاج العروس

(٢) م : « الألسن التي » . (٣) م : « فليس في هذا منها شيء » . ١٠٥/٢

في جملة وجوه إعجاز القرآن

ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز :

أحدها : يتضمن الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم إليه . فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه ، عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان ، بقوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(١) ، ففعل ذلك .

وكان أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله ، من إظهار دينه . ليثقوا بالنصر ، ويستيقنوا بالنجح .

وكان عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يفعل كذلك في أيامه ، حتى وقف أصحاب جيوشه عليه ، فكان سعد بن أبي وقاص ، رحمه الله ، وغيره من أمراء الجيوش ، من جهته ، يذكر ذلك لأصحابه ، ويحرضهم / به ، ويوثق لهم ؛ وكانوا يَلْقَوْنَ الظَّفَرَ فِي مَتَوَجِّهَاتِهِمْ^(٢) ، حتى فُتِحَ إلى آخر أيام عمر ، رضى الله عنه ، إلى بَلْخُ ، وبلاد الهند ، وفتح في أيامه مرو الشاهجان ، ومرو الروذ ، ومنعهم من العبور إلى جيحون^(٣) ، وكذلك فتح في أيامه فارس إلى إصطخر^(٤) ، وكرمان ، ومكران ، وسجستان ، وجميع ما كان من مملكة كسرى ، وكل ما كان يملكه ملوك فارس ، بين البحرين من الفرات إلى جيحون ، وأزال ملك ملوك الفرس ، فلم يعد إلى اليوم ، ولا يعود أبداً ، إن شاء الله تعالى ، ثم إلى حدود إرمينية ، وإلى باب الأبواب . وفتح أيضاً ناحية الشام ، والأردن ، وفلسطين ، وفسطاط مصر ، وأزال ملك قيصر عنها ، وذلك من الفرات إلى بحر مصر ، وهو ملك قيصر . وغزت الخيول في أيامه إلى عَمُورِيَّة ، فأخذ الضواحي كلها ، ولم يبق

(٢) س : « في موجاتهم »

(٤) ١ : « إلى الإصطخر »

(١) سورة التوبة : ٣٣

(٣) س : « بجيحون »

منها^(١) إلا ما حَجَزَ دونهُ بحر ، أو حال عنه جبل منيع ، أو أرض خشنة ، أو بادية غير مسلوكة .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾^(٢) ، فصدق فيه .

٥٠ / وقال في أهل بدر : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾^(٣) . ووفى لهم بما وعد .

وجميع الآيات التي يتضمنها القرآن ، من الإخبار عن الغيوب ، يكثر جداً ، وإنما أردنا أن نبه بالبعض على الكل .

* * *

والوجه الثاني : أنه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه كان أمياً لا يكتب ، ولا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين ، وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم . ثم أتى بحمل ما وقع وحدث من عظيمة الأمور ، ومهمات السير ، من حين خلق الله آدم عليه السلام ، إلى حين مبعثه ، فذكر في الكتاب ، الذي جاء به معجزة له : قصة آدم عليه السلام ، وابتداء خلقه . وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة . ثم جملاً من أمر ولده وأحواله وتوبته ؛ ثم ذكر قصة نوح عليه السلام ، وما كان بينه وبين قومه ، وما انتهى إليه أمرهم^(٤) . وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام ، إلى ذكر سائر الأنبياء المذكورين في القرآن ، والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الأنبياء ، صلوات الله عليهم .

٥١ / ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه ، إلا عن تعلم ؛ وإذ كان معروفاً أنه لم يكن ملائماً لأهل الآثار وحملة الأخبار ، ولا متردداً إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ ، فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه — علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي . ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْتَطِّلُونَ ﴾^(٥) وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾^(٦) . وقد بينا أن من

(٢) سورة آل عمران : ١٢

(٤) س ، م : « إني أمره »

(٦) سورة الأنعام : ١٠٥

(١) س : « دونها »

(٣) سورة الأنفال : ٧

(٥) سورة العنكبوت : ٤٨

كان يختلف إلى تعلم علم ، ويشغل بملابسة أهل صنعة ، لم يخف على الناس أمره ، ولم يشبهه ^(١) عندهم مذهبه ، وقد كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم ، وإن كان نادراً ، وكذلك كان يعرف من يختلف إليه للتعلم ، وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها ، فلو كان منهم لم يخف أمره .

والوجه الثالث : أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

والذي أطلقه العلماء هو على هذه الحملة ، ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ، ونكشف الحملة التي أطلقوها .

فالذي يشتمل عليه بديع نظمه ، المتضمن للإعجاز وجوه :

- منها : ما يرجع إلى الحملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، / وتباين ^(٢) ٥٢ مذاهبه — خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد . وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم ، تنقسم إلى أعاريض الشعر ، على اختلاف أنواعه ، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ، ثم إلى ما يرسل إرسالاً ، فتطلب فيه الإصابة والإفادة ، وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع ، ترتيب لطيف ، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه ، وذلك شبيه ^(٣) بجملة الكلام الذي لا يتعمل [فيه] ، ولا يتصنع له . وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق . ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب السجع ، ولا فيه شيء منه ، وكذلك ليس من قبيل الشعر ؛ لأن من الناس من زعم أنه كلام مسجع ، ومنهم من يدعى ^(٤) فيه شعراً كثيراً . والكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع . فهذا إذا تأمله المتأمل تبين — بخروجه عن أصناف كلامهم ، وأساليب خطابهم — أنه خارج عن العادة ، وأنه معجز . وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن ، وتتميز حاصل في جميعه .

* * *

(٢) س : « واختلاف »

(٤) س : « أن فيه »

(١) س : « ولم يختلف »

(٣) م : « يشبهه »

/ ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة . والتشابه في البراعة ، على هذا الطول ، وعلى هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم ^(١) قصائد محصورة ، يقع فيها مانيينه بعد هذا من الاختلال ، ويعترضها ما تكشفه من الاختلاف ، ويشملها ^(٢) مانبيده من التعمل والتكلف ، والتجوز والتعسف . وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسباً في الفصاحة ، على ما وصفه الله تعالى به ، فقال عز من قائل : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ، مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ ^(٤) فأخبر سبحانه أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت ، وبأن عليه الاختلال .

وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي بدأنا بذكره ، فتأمله تعرف الفصل ^(٥) .

* * *

/ وفي ذلك معنى ثالث : وهو أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها : من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج ، وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخويف ، وأوصاف ، وتعليم أخلاق كريمة ، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة . وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها . ونجد كلام البليغ الكامل ، والشاعر المفلق ، والخطيب المصقع — يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور .

فن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو .

ومهم من يبرز في الهجو دون المدح .

ومهم من يسبق في التقريظ دون التأبين .

ومهم من يجود في التأبين دون التقريظ .

(٢) س : « ويقع فيها »

(٤) سورة النساء : ٨٢

(١) م : « شاعر »

(٣) سورة الزمر : ٢٣

(٥) س : « الفضل »

ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل ، أو سير الليل ، أو وصف الحرب ، أو وصف الروض | ، أو وصف الخمر ، أو الغزل ، أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتناوله ^(١) الكلام ، ولذلك ضرب الممثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابعة إذا رهب ، وبزهير إذا رغب . ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام .

ومنى تأملت شعر الشاعر البليغ ، رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتى بالغاية في البراعة في معنى ، / فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ، ٥٥ ووقف دونه ، وبان الاختلاف على شعره ؛ ولذلك ضرب المثل بالذين سميهم ؛ لأنه لا خلاف في تقدّمهم ^(٢) في صنعة الشعر ؛ ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم . فإذا كان الاختلال يتأتى في شعرهم ، لاختلاف ما يتصرفون فيه ، ستغنينا عن ذكر من هو دونهم . وكذلك يستغنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسائل ونحوها . ثم نجد من الشعراء من يجود في الرجز ، ولا يمكنه نظم القصيد أصلاً . ومنهم من ينظم القصيد ، ولكن يقصر [تقصيراً عجيباً ^(٣)] ، ويقع ذلك من رجزه موقعاً بعيداً . ومنهم من يبلغ في القصيدة الرتبة العالية ، ولا ينظم الرجز ، أو يقصر [فيه مهما تكلفه أو تعمله ^(٤)] .

ومن الناس من يجود في الكلام المرسل ، فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصاناً يبيّن ^(٥) . ومنهم من يوجد بضد ذلك .

وقد تأملنا نظم القرآن ، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدّمنا ذكرها ، على حدّ واحد ، في حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف ، ٥٦ لا تفاوت ^(٦) فيه ، ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب ، من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدّ واحد لا يختلف . وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة [تفاوتاً بيناً ، ويختلف اختلافاً كبيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة] فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت

(٢) م : « في تقدّمهم »

(٤) س : « عمله »

(٦) م : « لا يتفاوت »

(١) س : « ويتناوله »

(٣) س : « بيناً »

(٥) س : « عجيباً »

بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة . فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر ، لأن الذى يقدر على قد بينّا فيه التفاوت الكثير ، عند التكرار وعند تباين الوجوه ، واختلاف الأسباب التى يتضمن .

* * *

ومعنى رابع : وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيّناً فى الفصل والوصل ، والعلوّ والزلول ، والتقريب والتبجيل ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع .
ألا ترى أن كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره ، والخروج من باب إلى سواه . حتى إن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحترى ، مع جودة نظمه ، وحسن وصفه — فى الخروج من النسيب إلى المديح . وأطبقوا على أنه لا يحسنه ، ولا يأتى فيه بشيء ، وإنما اتفق له — فى (١) مواضع معدودة — خروج يرتضى ، وتنقل يستحسن .

٥٧

/ وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء ، والتخول من باب إلى باب . ونحن نفصل بعد هذا ، ونفسر هذه الجملة ، ونبين (٢) أن القرآن — على اختلاف [فنونه و] ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة — يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر فى الأفراد إلى حد الآحاد . وهذا أمر عجيب ، تبين به الفصاحة ، وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ، ويتجاوز العرف .

* * *

ومعنى خامس : وهو أن نظم القرآن وقع موقعاً فى البلاغة يخرج عن عادة كلام (٣) [الجن ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس] . فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ، ويقصرون دونه كقصورنا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (٤) .

(٢) س : « على أن »

(١) م : « فى قوله مواضع »

(٤) سورة الإسراء : ٨٨

(٣) س : « كلام الإنس والجن . فهم يعجزون »

فإن قيل : هذه دعوى منكم ، وذلك أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم عجز الجن عن [الإتيان] بمثله ، وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله ، وإن كنا عاجزين ، كما أنهم قد يقدرّون على أمور لطيفة ، / وأسباب غامضة دقيقة ، ٥٨ لا نقدر نحن عليها ، ولا سبيل لنا - للطفها - إليها . وإذا كان كذلك ، لم يكن إلى علم ما ادعيتُم سبيل .

قيل : قد يمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عز وجل . وقد يمكن أن يقال : إن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن ، وما يروون لهم من الشعر ، ويحكون عنهم من الكلام ، وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم . والقدر الذي نقلوه [من ذلك] قد تأملناه ، فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس ، ولعله يقصر عنها . ولا يمتنع أن يسمع كلامهم ، ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات . على أن القوم إلى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان ، ولهم أشعار محفوظة مدونة^(١) في دواوينهم . قال تأبط شرًّا^(٢) :

وأدهمَ قد جُبْتُ جِلْبَابَهُ كما اجْتَابَتْ الكاعِبُ الخَيْعَلَا^(٣)
إلى أن حدا الصبحُ أَثْنَاءَهُ وَمَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَيْلَا^(٤)
/ على شَيْمٍ نارٍ تَنَوَّرَتْهَا فَبِتُّ لَهَا مُدْبِرًا مُقْبِلَا^(٥)
فَأَصْبَحْتُ والغُولُ لى جَارَةٍ فَيَا جَارَتَا أَنْتِ مَا أَهْوَلَا
وظالبتها بَضْعُهَا ، فالتوت بوجه تَهَوَّلَ واستغولَا^(٦)
فمن سال أَيْنَ ثَوْتُ جَارَتِي فَإِنْ لَهَا بِاللَّوَى مِنْزَلَا
وكنْتُ إِذَا مَا هَمَمْتُ اعْتَزَمَ ت وَأَحْرَ إِذَا قَلْتُ أَنْ أَفْعَلَا

(١) س : « مروية »

(٢) ترجمته في الشعر والشعراء ٢٧١/١ ، والأبيات في حسانة ابن الشجرى ص ٤٧

(٣) الأدهم هنا : الليل . اجْتَابَتْ : لبست . الخَيْعَل : ثوب تبذله المرأة . والبيت في اللسان

٢٢٣/١٣ . وقد نسبته ابن برى لحاجز السروى

(٤) حدا : ساق . أَثْنَاءَ الليل : أوقاته وقطعه . الأَيْلِل : الشديد الظلمة

(٥) الشيم : النظر إلى النار ، وفي حسانة ابن الشجرى : « على ضوء » . تنوَّرتُها : تبصرتها

(٦) البضع : الفرج ، تهول : صار هولة ، من الهول : أى كرهه المنظر يفزع منه . واستغول : تلون

وقال آخر^(١) :

عَشَمُوا نَارِي فَقُلْتُ : مَنْوَنَ أَنْتُمْ ؟ فقالوا : الجنُّ ، قلت : عِمُوا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الإنس الطعام^(٢)
ويذكرون لامرئ القيس قصيدة مع عَمَرُوا الجنى ، وأشعاراً لهما ، كرهنا
نقلها^(٣) لطلوها . وقال عبيد بن أيوب :

٦٠ / فلله در الغول أي رقيقة
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت
وقال ذو الرمة^(٦) بعد قوله :

قد أعسف النازح المجهول معسفه
للجن بالليل في حافاتها زجل
دوية ودجى ليل كأنهما
وقال أيضاً :

وكم عرست بعد السرى من معرس به من كلام الجن أصوات سامر^(١٠)

(١) هوشمير بن الحارث الضبي كما في نوادر أبي زيد ص ١٢٣ . راجع خزاعة الأدب ٣/٣
والحيوان ٤/٨٢ ، ١٩٧/٦ ، ومعنى عشا ناري : وأوها ليلا على بعد فقصدوها مستضيئين بها . وفي نوادر
أبي زيد : أتوا ناري فقلت منون قالوا سراة الجن . . .

(٢) س : « فقت إلى » (٣) س : « ذكرها »

(٤) م : « متقتر » . وفي الحيوان ١٦٥/٦ « متقتر » ، وفي منتهى الطلب « يتقتر » .

(٥) أرنت : صوت . وفي منتهى الطلب : « تعنت » ، وفي س والحيوان ٤/٨٢ ، ١٢٣/٥ :

« تبوخ وتزهر » (٦) ديوانه ص ٥٧٤ والحيوان ١٧٥/٦

(٧) أعسف : أسير على غير هداية . النازح : البعيد . والأخضر هنا : الأسود ، والمراد به الليل .
وفي الديوان : « أغصف » أي أسود ، والهام : ذكر البوم ، وأنثاه الصدى .

(٨) حافاتها : جوانبها . زجل : صوت . عيشوم : من ضروب النبت يتخشخش إذا هبت عليه الريح

(٩) م : « في حافاتها » . والدوية : الفلاة ، واليم : البحر . الدجى : الليل . والرطانة :

كلام العمم والروم وما ليس بعربي من اللغات . حافاته : جوانبه . شبه البرية وما تراكم عليها من سواد
الليل بالبحر وأمواجه .

(١٠) ديوانه ص ٢٩٢ والحيوان ١٧٦/٦ والتعريس : النزول آخر الليل للنوم والاستراحة .

سامر : الذين يتحدثون بالليل .

/ وقال :

ورمل عَزِيفُ الجن في عَقَبَاتِهِ هَزِيرٌ كَتَضْرَابِ الْمُغْنِينِ بِالطَّبْلِ^(١)
وإذا كان القوم يعتقدون كلام الجن ومخاطباتهم ، ويحكون عنهم ، وذلك القدر
المحكى لا يزيد أمره على فصاحة العرب — صح ما وصف عندهم من عجزهم عنه
كعجز الإنس .

ويبين ذلك من القرآن : أن الله تعالى حكى عن الجن ما تفاوضوا فيه من القرآن
فقال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا
أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾^(٢) إلى آخر ما حكى عنهم فيما يتلوه .
فإذا ثبت أنه وصف كلامهم ، ووافق ما يعتقدونه من نقل خطابهم ، صح
أن يوصف الشيء المألوف بأنه ينحط عن درجة القرآن في الفصاحة .

وهذان الجوابان أسدُّ عندى من جواب «بعض المتكلمين» عنه ، بأن عجز
الإنس^(٣) عن القرآن يثبت له حكم الإعجاز ، فلا يعتبر غيره . / ألا ترى أنه لو عرفنا
من طريق المشاهدة عجز الجن عنه ، فقال لنا قائل : فدُلُّوا على أن الملائكة تعجز
عن الإتيان بمثله ، لم يكن لنا في الجواب غير هذه الطريقة التي قد بينها .
وإنما ضعفنا هذا الجواب ، لأن الذى حُكِيَ وذكر عجزُ الجن والإنس^(٤)
عن الإتيان بمثله — فيجب أن نعلم عجز الجن عنه ، كما علمنا عجز الإنس عنه .
ولو كان وصف عجز الملائكة عنه ، لوجب أن نعرف ذلك أيضًا بطريقه .
فإن قيل : أنتم^(٥) قد انتهيتُم إلى ذكر الإعجاز في التفاصيل ، وهذا الفصل
إنما يدل على الإعجاز في الجملة ؟

قيل : هذا كما أنه يدل على الجملة ، فإنه يدل على التفصيل أيضًا ، قصح^(٦)
أن يلحق هذا القليل . كما كان يصح أن يُلْحَق بباب الحمل .

* * *

(١) ديوانه ص ٤٨٨ والحيوان ١٧٦/٦ . وفي الديوان : « في عقداته هدوؤا » . وعزيف الجن :
صوت يسمع بين الرمال . وعقدات الرمل : ما انمقد منه . هدوؤا : أى بعد ساعة من الليل . هزير :
صوت ، يعنى صوت الرحي وما أشبهها

(٢) سورة الأحقاف : ٢٩

(٤) م : « والإنس أنهم عجزوا عن »

(٦) م : « فيصح »

(٣) م : « الإنسان »

(٥) م : « إنه قد »

ومعنى سادس : وهو أن الذى ينقسم عليه الخطاب ، من البسط والاختصار ، والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ، ونحو ذلك من الوجوه التى توجد فى كلامهم — موجودة فى القرآن . وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم ، فى الفصاحة / والإبداع والبلاغة . وقد ضمنا بيان ذلك [من] بعد ؛ لأن الوجه هنا ذكر المقدمات ، دون البسيط والتفصيل .

* * *

ومعنى سابع : وهو أن المعانى التى تضمنها^(١) فى أصل وضع الشريعة والأحكام ، والاحتجاجات فى أصل الدين ، والرد على الملحدین ، على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضاً فى اللطف والبراعة ، مما يتعذر على البشر ويمتنع ؛ وذلك^(٢) أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعانى المتداولة المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة^١ . فإذا برع اللفظ فى المعنى البارع ، كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع فى المعنى المتداول المتكرر ، والأمر المتقرر المتصور ، ثم انضاف إلى ذلك التصرف البديع فى الوجوه التى تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه ، ويراد تحقيقه — بان التفاضل فى البراعة والفصاحة ، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى ، والمعانى وفقها ، لا يفضل أحدهما على الآخر — فالبراعة أظهر ، والفصاحة أتم .

* * *

ومعنى ثامن : وهو أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته ، / بأن تذكر منه الكلمة فى تضاعيف كلام ، أو تقذف ما بين شعر ، فتأخذها^(٣) الأسماع ، وتشوّف إليها النفوس ، ويرى وجه رونقها بادياً غامراً سائر ما تُقرَن^(٣) به ، كالدرّة التى ترى فى سلك من خرز ، وكالياقوتة فى واسطة العقد .

وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها فى تضاعيف كلام كثير ، وهى غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه ، برونقه وجماله ،

(٢) س : « ويمتنع ذلك »

(١) س : « تتضمن »

(٣، ٢) س : « فتأخذها . . . إليه النفوس . . . وجه رونقه . . . ما يقرن »

واعتراضه في حسنه^(١) ومائه ، وهذا الفصل أيضاً مما يحتاج فيه إلى تفصيل وشرح ونص ؛ ليتحقق ما أدعينا منه .

ولولا هذه الوجوه التي بينها ، لم يتحير فيه أهل الفصاحة ، ولكانوا يفرعون إلى العمل للمقابلة ، والتصنع للمعارضة ، وكانوا ينظرون في أمرهم ، ويراجعون أنفسهم ، أو كان يراجع بعضهم بعضاً في معارضته ويتوقفون لها .

فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ، علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور ؛ لعلمهم بعجزهم عنه ، وقصور فصاحتهم دونه .

ولا يمتنع أن يلتبس — على من لم يكن بارعاً فيهم ، ولا متقدماً في الفصاحة منهم — هذا الحال ؛ حتى لا يعلم إلا بعد نظر وتأمل ، وحتى / يعرف حال عجز غيره . ٦٥
إلا أنا رأينا صناديدهم وأعيانهم وجوههم سلموا ولم يشتغلوا بذلك ، تحققاً بظهور العجز وتبيناً له . وأما قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾^(٢) فقد يمكن أن نكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم [وقد يمكن أن يكون قاله منهم أهل الضعف في هذه الصناعة دون المتقدمين فيها] ، وقد يمكن أن يكون هذا الكلام إنما خرج منهم ، وهو يدل على عجزهم . ولذلك أورده الله مورد تقريرهم ؛ لأنه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد إلى الإنجاز ، والضمن إلى الوفاء ؛ فلما لم يفعلوا^(٣) ذلك — مع استمرار التحدثى وتطاول زمان الفسحة في إقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه — علم عجزهم ؛ إذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط .

ومعلوم من حالهم وحميتهم أن الواحد منهم يقول في الحشرات والهوام والحيات ، وفي وصف الأزمة والأنساع ، والأمور التي لا يؤبه لها ، ولا يحتاج إليها ، ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ، ويتبجحون به أشد التبجح . فكيف يجوز أن تمكنهم معارضته في هذه المعاني الفسيحة ، والعبارات الفصيحة ، مع تضمن المعارضة لتكذيبه ، والذب عن أديانهم القديمة ، وإخراجهم أنفسهم من تسفيهه رأيهم ، وتضليله إياهم . والتخلص من منازعته ، ثم من محاربتة ومقارعتة .

٦٦ ثم لا يفعلون شيئاً من ذلك ، / وإنما يُحِيلُونَ أنفسهم على التعاليل ، ويعتَلُونها بالباطيل . [هذا محال] .

* * *

ومعنى تاسع ، وهو : أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً . وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة . وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفاً . ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم ١ .

والذي تنقسم إليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبَسَّوْا عليها وجوهها — أقسام ، نحن ذاكروها :

فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة ، وأخرى مجهورة .
فالمهموسة منها عشرة : وهى الحاء ، والهاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والطاء ، والفاء . والتاء ، والصاد ، والسين .

وما سوى ذلك من الحروف فهى مجهورة .
وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور .

وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء ، لا زيادة ولا نقصان .
« والمجهور » معناه : أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع أن يجرى معه [النفس] حتى ينقضى لاعتماد ، ويجرى الصوت .

٦١ / « والمهموس » كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس .
وذلك مما يحتاج إلى معرفته لتبني^(١) عليه أصول العربية .

وكذلك مما يقسمون إليه الحروف ، يقولون : إنها على ضربين : أحدهما حروف الحلق ، وهى ستة أحرف : العين ، والحاء ، والهمزة ، والهاء ، والخاء ، والغين .

والنصف [الآخر] من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل

عليها الحروف المثبتة^(١) في أوائل السور ، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق .

وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين : أحدهما حروف غير شديدة ، وإلى الحروف الشديدة ، وهي التي تمنع الصوت أن يجرى فيه ، وهي الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، ~~والظاء~~ ، ~~والذال~~ ، والطاء ، والناء^(٢) .

وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضاً هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بنى عليها تلك السور .

ومن ذلك الحروف المُطَبَّقة ، وهي أربعة أحرف ، وما سواها منفتحة . فالمطبقة : الطاء ، والظاء ، والصاد ، والضاد .

/ وقد علمنا أن نصف هذه [الحروف] في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور .

وإذا كان القوم — الذين قسموا في الحروف هذه الأقسام لأغراض لهم في ترتيب العربية ، وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم — رأوا مبانى اللسان على هذه الجهة ، وقد نبه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر ، على حد التنصيف الذي وصفنا — دل على أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه — بعد العهد الطويل — لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل ؛ لأن ذلك يجرى مجرى علم الغيوب .

وإن كان إنما تنبهوا على ما بنى عليه اللسان في أصله ، ولم يكن لهم في التقسيم^(٣) شيء ، وإنما التأثير لمن وضع أصل اللسان . فذلك أيضاً من البديع الذي يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان .

فإن كان أصل اللغة توقيفاً فالأمر في ذلك أبين . وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً ؛ لأنه لا يصح أن تجتمع همهمم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى . وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه .

(١) س : « المينة »

(٢) م : « والناء »

(٣) م : « فلم . . . في الذي قسم شيء »

وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة^(١) تخصصها في النظم ، إذا كانت حروفاً ، كـ ﴿الْم﴾ لأن الألف المبدوء بها هي أقصاها / مَطْلَعاً ، واللام متوسطة ، والميم متطرفة ؛ لأنها تأخذ في الشفة . فنبه بذكرها على غيرها من الحروف ، وبين أنه إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين .

ويشبه أن يكون التصنيف وقع في هذه الحروف دون الألف ، لأن الألف قد تلغى ، وقد تقع الهمزة وهي موقعاً واحداً .

* * *

ومعنى عاشر^{٦٩} ، وهو : أنه سهّل سبيله ؛ فهو خارج عن الوحشيّ المستكره ، والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفّة . وجعله قريباً إلى الأفهام ، يبادرُ معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس . وهو مع ذلك ممتنع المطلب ، عسير المتناول ، غير مُطمع مع قربه في نفسه ، ولا مُوهِم مع دنوه في موقعه أن يُقدّر عليه ، أو يُظفر به .

فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام مبتذل ، والقول المسفسف ؛ فليس يصح أن تقع فيه فصاحة^{٧٠} أو بلاغة ، فيطلب فيه الممتنع^(٢) ، أو يوضع فيه الإعجاز .

ولكن لو وضع في وحشيّ مستكره ، أو غُمر بوجوه الصنعة ، وأطبق بأبواب التعسف والتكلف — لكان لقاتل أن يقول فيه ويعتذر ، أو يعيب ويقرع . ولكنه أوضح مناره ، وقرب منهاجته ، وسهّل سبيله ، وجعله في ذلك متشابهاً مماثلاً ، وبين مع ذلك إعجازهم فيه .

/ وقد علمت أن كلام فصحاءهم ، وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف في غريب مستنكر ، أو وحشيّ مستكره ، ومعان مستبعدة . ثم عدوهم إلى كلام مبتذل وضع لا يوجد دونه في الرتبة ، ثم تحوّلهم إلى كلام معتدل بين الأمرين ، متصرف بين المتزلتين .

فن شاء أن يتحقق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما تتصرف إليه هذه القصيدة ونظائرها ومنزلتها من البلاغة ، ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها ، على وجه يُؤخذ باليد ، ويُتناول من كَشَب ، وَيُتَصَوَّر في النفس كتصور الأشكال ؛ ليتبين ما ادعينا من الفصاحة العجيبة للقرآن .

واعلم أن من قال من أصحابنا : إن الأحكام معللة بعلة موافقة لمقتضى العقل — جعل هذا وجهاً من وجوه الإعجاز ، وجعل هذه الطريقة دلالة فيه ، كنحو ما يعللون به الصلاة ، ومعظم المروض وأصولها . ولهم في كثير من تلك العلة طرق قريبة ، ووجوه تستحسن .

وأصحابنا من أهل «خراسان» يولعون بذلك ، ولكن الأصل الذي يبنون عليه عندنا غير مستقيم . وفي ذلك كلام يأتي في «كتابنا في الأصول» .

وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد ؛ فإننا جمعنا بين أمور ، وذكرنا المزية المتعلقة بها . وكل واحد من تلك / الأمور مما قد يمكن اعتماده ٧١ في إظهار الإعجاز فيه .

فإن قيل : فهل تزعمون أنه معجز ؛ لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ، أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟

قيل : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟ ولا نقول أيضاً : إن وجه الإعجاز في نظم القرآن [من أجل] أنه حكاية عن كلام الله ^(١) ، لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة الإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف . وقد بينّا أن إعجازها في غير ذلك .

وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفرداً ، وقد ثبت خلاف ذلك .

في شرح ما بينا من وجوه إعجاز القرآن

فأما الفصل الذي بدأنا بذكره من الإخبار عن الغيوب ، والصدق والإصابة في ذلك كله - فهو كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) فأغزاهم أبو بكر ، وعمر ، رضى الله عنهما ، إلى قتال العرب والفرس والروم .

وكقوله : ﴿ أَلَمْ يَغْلِبِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ ^(٢) . وراهن أبو بكر الصديق رضى الله عنه في ذلك ، وصدق الله وعده .

وكقوله في قصة أهل بدر : ﴿ وَإِذْ يَبْعَثُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ ^(٣) [

وكقوله] : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونِ الدُّبُرَ ﴾ ^(٤)

وكقوله : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ : لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ، لَا تَعْرَافُونَ ﴾ ^(٥) .

/ وكقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ ^(٦) . وصدق الله تعالى وعده في ذلك كله وقال في قصة المُخَلَّفِينَ عنه في غزوته : ﴿ إِنْ تَخَرَّجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ ^(٧) . فحق ذلك كله وصدق ، ولم يخرج من المنافقين ^(٨) الذين خوطبوا بذلك معه - أحد .

(٢) سورة الروم : ١ - ٤

(٤) سورة القمر : ٤٥

(٦) سورة النور : ٥٥

(٨) س : « المخالفين »

(١) سورة الفتح : ١٦

(٣) سورة الأنفال : ٧

(٥) سورة الفتح : ٤٥

(٧) سورة التوبة : ٨٣

وكقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١)
 وكقوله : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
 وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢) .
 فامتنعوا من المُبَاهَلَةِ ، ولو أجابوا إليها اضطربت عليهم الأودية ناراً ،
 على ما ذُكِرَ في الخبر^(٣) .

وكقوله : ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ
 النَّاسِ فَمَتَمَنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾^(٤)
 ولو تمنَّوهُ لوقع بهم . فهذا وما أشبهه فصل .

٧٤ / وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه ، من إخباره عن قصص الأولين ، وسير المتقدمين
 فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على الأخبار ، ولم يشتغل بدرس الآثار^(٥) .
 وقد حكى في القرآن تلك الأمور حكاية من شهدها وحضرها .

ولذلك قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخِطُّهُ
 بِيَمِينِكَ ، إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٦) .

وقال : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
 مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٧) .

وقال : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ، وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ،
 لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٨) . فبيّن وجه دلالاته من إخباره
 بهذه الأمور الغائبة السالفة .

(١) سورة التوبة: ٢٣ (٢) سورة آل عمران: ٦٠ (٣) راجع أسباب نزول القرآن للواحدى ٩٩
 (٤) سورة البقرة: ٩٤ - ٩٥ (٥) قال المؤلف في كتاب « التمهيد » : ص ١٣٠ « والوجه
 الآخر : ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين وسير الماضين ، وأحاديث المتقدمين ، وذكر ما شجر
 بينهم وكان في أعصارهم ، مما لا يجوز حصول علمه إلا لمن كثر لقائه لأهل السير ، ودرسه لها وعنايته
 بها ، وبجاسته لأهلها ، وكان من يتلو الكتب ويستخرجها ، مع العلم بأن النبي ، صلى الله عليه ، لم
 يكن يتلو كتاباً ولا يخطه بيمينه ، وأنه لم يكن ممن يعرف بدراسة الكتب وبجاسته أهل السير والأخذ عنهم ،
 ولا تلقى إلا من لقوه ، ولا عرف إلا من عرفوه ، وأنهم يعرفون دأبه ودينه ، ومنشأه وتصرفه ، في حال
 إقامته بينهم وظلمته عنهم ؛ فدل ذلك على أن الخبر له عن هذه الأمور هو الله سبحانه علام الغيوب »

(٦) سورة العنكبوت: ٤٨ (٧) سورة القصص: ٤٤ (٨) سورة القصص: ٤٦

/وقال : ﴿ تلك من أنباء الغيب نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، ما كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ
ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ، إن العاقبة للمتقين ﴾ (١) .

* * *

فأما الكلام في الوجه الثالث ، وهو الذى بيناه من الإعجاز الواقع في النظم
والتأليف والرَّصْف ، فقد ذكَّرْنَا من هذا الوجه وجوهًا :

منها : أنَّا قلنا : إنه نظم خارجٌ عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ،
ومباينٌ لأساليب خطابهم .

ومن ادَّعى ذلك لم يكن له بدٌّ من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ،
ولا السجع ، ولا الكلام الموزون غير المقفَّى ؛ لأن قومًا من كفار قريش ادَّعَوْا
أنه شعر .

ومن الملحدة من يزعم أن فيه شعرًا .

ومن أهل الملة من يقول : إنه كلام مسجَّع ، إلا أنه أفصح مما قد اعتادوه
من أسجاعهم .

ومنهم من يدَّعى أنه كلام موزون .

فلا يخرج بذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب .

في نَفْيِ الشعر من القرآن

قد علمنا أن الله تعالى نَفَى الشعر عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وما علَّمناه الشعرَ وما ينبغي له ، إنَّ هو إلا ذِكْرٌ وقرآنٌ مبين ﴾ ^(١) . وقال في ذم الشعراء : ﴿ والشعراء يتَّبِعُهم الغاؤون . ألم تَرَ أنَّهم في كلِّ وادٍّ يَهِيمُونَ ﴾ ^(٢) إلى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات . وقال : ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ ^(٣) .

وهذا يدل على أن ما حكاه عن الكفار — من قولهم : إنه شاعر ، وإن هذا شعر — لا بد من أن يكون محمولاً على أنهم نسبوه [إلى أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة في نظم الكلام ، لا أنهم نسبوه] في القرآن إلى أن الذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الأعاريض المحصورة المألوفة . أو يكون محمولاً على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر ؛ لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق . وإن كان ذلك الباب خارجاً عما هو عند العرب شعرٌ على الحقيقة .

/ أو يكون محمولاً على أنه أطلقه ^(٤) بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر . وهذا أبعد الاحتمالات .

فإن حمل على الوجهين الأولين كان ما أطلقوه صحيحاً ؛ وذلك أن الشاعر يفتن لما لا يفتن له غيره ، وإذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه — في رأيهم وعندهم — أقدر ، فنسبوه إلى ذلك لهذا السبب .

فإن زعم زاعم أنه قد وجدَ في القرآن شعراً كثيراً ، فن ذلك ما يزعمون أنه بيت تام أو أبيات تامة ، ومنه ما يزعمون أنه مصراع ، كقول القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوكي ﴿ هيهات هيهات لما تواعدون ﴾ ^(٥)

وما يزعمون أنه بيت ، قوله : ﴿ وَجَفَّانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُّوْا رَاسِيَا ﴾ ^(٦)

قالوا : هو من الرَّمَل ، من البحر الذي قيل فيه :

(٢) سورة الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٥

(٤) س : « أطلق عن بعض »

(٦) سورة سبأ : ١٣

(١) سورة يس : ٦٩

(٣) سورة الحاقة : ٤١

(٥) سورة المؤمنون : ٣٦

ساكنُ الريح نَطُوفُ الزُنْ مُنَحَلُّ العَزَالِ^(١) / وقوله : ﴿من تزكَّى فإنما يتزكَّى لنفسه﴾^(٢) . كقول الشاعر من بحر الخفيف :

٧٨

كل يوم بشمسه وغدٌ مثل أمسه
وكقوله عز وجل : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾^(٣) قالوا : هو من المتقارب .
وكقوله : ﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾^(٤) . ويشعرون حركة النيم ، فيزعمون أنه من الرجز .
وذكر عن أبي نواس أنه ضمن ذلك شعراً ، وهو قوله^(٥) :

وفتية في مجلس وجوههم ريحانهم قد عدوا التشقيلا
﴿دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾
وقوله عز وجل : ﴿ويُخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾^(٦) . زعموا أنه من الوافر ، كقول الشاعر^(٧) :

لنا غنم نسوقها غِزارُ كأنَّ قرونَ جلَّتِها عِصِي^(٨)
/ وكقوله عز وجل : ﴿أرأيتَ الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدعُ
اليتيم﴾^(٩) ضمنه أبو نواس في شعره ففصل ، وقال : « فذاك الذي » ، وشعره :

٧٩

وقرأ معلنا ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد السقيماً^(١٠)
أرأيت الذي يكذب بالدين فذاك الذي يدعُ اليتيم

(١) يصف يوماً مطيراً . والنطوف : القطور ، ولبلة نطوف : قاطرة تمطر حتى الصباح .
الزن : السحاب . والعزال : بكسر اللام : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من الراوية والقربة في أسفلها
حيث يستفرغ ما فيها من الماء . يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر : قد حلت عزاليها ، على تشبيه اتساع
المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة .

(٢) سورة فاطر : ١٨

(٣) سورة الطلاق : ٢ - ٣

(٤) سورة الإنسان : ١٤

(٥) أخبار أبي نواس ٥٣/٢

(٦) سورة التوبة : ١٤

(٧) امرؤ القيس كما في اللسان ١٢ - ٣٢ والديوان ص ١٩٢

(٨) نسوقها : نسوقها . غزار : كثيرة . جلَّتِها : جمع جليل ، وهي الغنم الكبيرة المسنة .

(٩) سورة الماعون : ١٤

(١٠) أخبار أبي نواس ٥٣/٢ وقد ذكرهما المؤلف في كتاب التهديد ص ١٢٨ ولم ينسهما .

وهذا من الخفيف . كقول الشاعر :

وفؤادى كعهده بسليمى بهوى لم يحل ولم يتغير^(١)
وكما ضمنه فى شعره من قوله :

سبحان من سخر هذا لنا (حقاً) وما كنا له مقرنين^(٢)
فزاد فيه حتى انتظم له الشعر .

وكما يقولونه فى قوله عز وجل : ﴿ والعاديات ضَبَحًا ، فالموريات قدَحًا ﴾^(٣)
ونحو ذلك فى القرآن كثير ، كقوله : ﴿ والذاريات ذَرَاوًا . فالحاملات وِقْرًا .
فالجاريات يُسْرًا ﴾^(٤) . وهو عندهم شعر من بحر البسيط .

والجواب عن هذه الدعوى التى ادَّعَوْهَا ، من وجوه :

٨٠ / أولها : أن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن ، لو كانوا يعتقدونه شعراً ،
ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم — لبادروا إلى معارضته ؛ لأن الشعر مسخر
لهم مسهل عليهم ، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب ، والاعتدال اللطيف .
فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ، ولا عولوا عليه — : علم أنهم لم يعتقدوا فيه شيئاً
مما يقدره الضعفاء فى الصنعة ، والمُرمِدون فى هذا الشأن . وإن استدراك من
يجيء الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة فى ذلك الزمان وبلغائهم
وخطبائهم ، وزعمه أنه قد ظفر بشعر فى القرآن [وقد] ذهب أولئك النفر عنه
وخفى عليهم مع شدة حاجتهم^(٥) [عندهم] إلى الطعن فى القرآن والغض منه
والتوصل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه — فلن يجوز أن يخفى على أولئك ، وأن
يجهلوهم ، ويعرفه من جاء الآن ، وهو بالجهل حقيق !

إذا كان كذلك ، علم أن الذى أجاب به العلماء عن هذا السؤال سديد ،
وهو أنهم قالوا : إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعراً ، وأقل الشعر

(١) فى العقد الفريد ٤٩١/٥ « لم يزل » .

(٢) أخبار أبى نواس ٥٥/٢ وفى ١ : « لنا هذا » . قال تعالى فى سورة الزخرف ١٣ : « سبحان

الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »

(٤) سورة الذاريات ١ - ٣

(٣) سورة العاديات : ١ - ٢

(٥) ب : « حاجته عندهم »

بيتان فصاعداً . وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام .
وقالوا أيضاً : إن ما كان على وزن بيتين ، إلا أنه يختلف وزنهما أو قافيتهما^(١) —
فليس بشعر .

٨١

ثم منهم من قال : إن الرجز ليس بشعر أصلاً ، لا سيما إذا كان مشطوراً
أو منهوكاً . وكذلك ما كان يقاربه^(٢) في قلة الأجزاء . وعلى هذا يسقط السؤال .
ثم يقولون : إن الشعر إنما يطلق ، متى قصّد القاصد إليه — على
الطريق الذي يتعمد ويسلك ، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء ، دون
ما يستوى فيه العامى والجاهل ، والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد ،
فليس يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر ؛ لأنه لو صح أن يسمى كل
من اعترض في كلامه ألفاظ تتّزن بوزن الشعر ، أو تنتظم انتظام بعض الأعاريض ،
كان الناس كلهم شعراء ؛ لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة
كلام كثير يقوله ، ما قد يتّزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه .

ألا ترى أن العامى قد يقول لصاحبه : « أغلق الباب وائتنى بالطعام » .
ويقول الرجل لأصحابه « أكرموا من لقيتم من تميم » ؟ ومتى تتبع الإنسان هذا
[النحو] عرف أنه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه^(٣) .

٨٢

وهذا القدر الذي يصح فيه التوارد ، ليس يعدّه أهل الصناعة سرقة ، إذا لم
تعلم فيه حقيقة الأخذ . كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صبحي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل^(٤)

(١) س : « يختلف روهم وقافيتهما » (٢) س : « يقارنه »

(٣) قال الجاحظ في البيان والتبيين ١ - ٢٨٨ :

« ويدخل على من طعن في قوله : (ثبت يدا أبي لب) وزعم أنه شعر لأنه في تقدير مستغفلين مغاعلين ...
فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت الناس وخطبتهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستغفلين مستغفلين كثيراً ، ومستغفلين
مغاعلين . وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً . ولو أن رجلاً من الباعة صاح : من يشتري
باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستغفلين مفعولات ! وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى
الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتبهاً في جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج
الشعر والمعرفة بالأوزان والقصود إليها ، كان ذلك شعراً . وصمت غلاماً لصديق لي ، وكان قد سبق بطنه ،
وهو يقول لغلمان مولاة : اذهبوا إلى الطبيب وقولوا : قد اكتوى . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج
فاعلاتن مغاعلين . فاعلاتن مغاعلين . مرتين . وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت
شعر أبداً . ومثل هذا كثير ، ولو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته » .

(٤) ديوانه ص ١٢٥ .

وكقول طَرْفَة :

وقوفاً بها صبحي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجلد^(١)
ومثل هذا كثير .

فإذا صح مثل ذلك في بعض البيت ولم يمتنع التوارد فيه ، فكذلك لا يمتنع وقوعه في الكلام المنشوراتفاقاً غير مقصود إليه ، فإذا اتفق لم يكن ذلك شعراً . وكذلك يمتنع التوارد على بيتين ، وكذلك يمتنع في الكلام المنشور وقوع البيتين ونحوهما .

فثبت بهذا أن ما وقع هذا الموقع لم يُعَدَّ شعراً ، وإنما يُعَدُّ شعراً ما إذا قصده صاحبه : تنأتى له ، ولم يمتنع عليه .

٨٣ / فإذا كان هو مع قصده لا يتأتى له ، وإنما يعرض في كلامه عن غير قصد إليه — لم يصح أن يقال : إنه شعر ، ولا إن صاحبه شاعر ، ولا يصح أن يقال : إن هذا يوجب أن مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب أن يكون شعراً ؛ لأنه لو قصده لكان يتأتى له^(٢) .

وإنما لم يصح ذلك ، لأن ما ليس بشعر فلا يجوز أن يكون شعراً من أحد ، وما كان شعراً من أحد من الناس كان شعراً من كل أحد^(٣) . ألا ترى أن السوق^(٤) قد يقول : « استقنى الماء يا غلامٌ سريعاً » ، وقد يتفق ذلك من الساهى ومن لا يقصد النظم .

فأما الشعر^(٥) إذا بلغ الحد الذي يبيناً ، فلا يصح أن يقع إلا من قاصد إليه .

وأما الرجز فإنه يعرض في كلام العوام كثيراً ، فإذا كان بيتاً واحداً فليس ذلك بشعر .

وقد قيل : إن أقل ما يكون منه شعراً أربعة أبيات ، بعد أن تتفق قوافيها ، ولم يتفق ذلك في القرآن بحال . فأما دون أربعة أبيات منه أو ما يجري مجراه في قلة الكلمات ، فليس بشعر .

(١) ديوانه ص ٢١

(٢) س : « منه »

(٣) م : « من واحد . . . كل أحد من الناس »

(٤) م : « أن المفعم إن أخذ السوق »

(٥) م : « فأما النظم »

وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروي، ويقولون : إنه/ متى اختلف الروي خرج عن أن يكون شعراً :

وهذه الطرق التي سلكوها في الجواب ، معتمدة أو أكثرها .
ولو كان ذلك شعراً لكانت النفوس تشوّف إلى معارضته ؛ لأن طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد ، وأهله يتقاربون فيه ، أو يضربون فيه بسهم .

* * *

فإن قيل : في القرآن كلام موزون كوزن الشعر ، وإن كان غير مقفى ، بل هو مُزَاجٌ متساوي الضروب ، وذلك أحد^(١) أقسام كلام العرب .
قيل : من سبيل الموزون من الكلام أن تتساوى أجزاؤه في الطول والقصر ، والسواكن والحركات . فإن خرج عن ذلك لم يكن موزوناً ، كقوله :

رَبِّ أَخٍ كُنْتُ بِهِ مَغْتَبِطًا أَشَدُّ كَفًى بِعُزٍّ صَحْبِيهِ
تَمَسَّكًا مِنِّي بِالوَدِّ وَلَا أَحْسِبُهُ يَزْهَدُ فِي ذِي أَمَلٍ^(٢)
تَمَسَّكًا مِنِّي بِالوَدِّ وَلَا أَحْسِبُهُ يَغْيِرُ الْعَهْدَ وَلَا
يَحُولُ عَنْهُ أَبَدًا فَخَابَ فِيهِ أَمَلِي

وقد علمنا أن القرآن ليس من هذا القبيل ، بل هذا قبيل غير ممدوح ، / ولا مقصود من جملة الفصيح ، وربما كان عندهم مستكراً ، بل أكثره على ذلك .
وكذلك^(٣) ليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولاً وهو الذي شرطنا فيه التبادل والتساوي في الأجزاء ، غير الاختلاف الواقع في التقفية . ويبيّن^(٤) ذلك أن القرآن خارج عن الوزن الذي بينّا ، ويتم فائدته بالخروج منه . وأما الكلام الموزون فإن فائدته تتم بوزنه .

(٢) م ، ا : « أحسبني أزهد » .

(٤) م : « وبين » .

(١) س : « وذلك آخر » .

(٣) م : « وليس » .

فصل

٨٦

في نفى السجع من القرآن

ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن ، وذكره [الشيخ] أبو الحسن الأشعري [رضى الله عنه] في غير موضع من كتبه .

وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن . وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ، وما أشبه ذلك من الوجوه التي تُعرف بها الفصاحة .

وأقوى ما يستدلون به عليه : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهما السلام ، ولما كان ^(١) السجع قيل في موضع ﴿ هرون وموسى ﴾ ^(٢) . ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون ، قيل : ﴿ موسى وهرون ﴾ ^(٣) .

قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر ؛ لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه ^(٤) شعراً ، وذلك القدر ما يتفق وجوده من المُفْحَم ، كما يتفق وجوده من الشاعر . وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير ، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه .

وينون الأمر في ذلك على تحديد معنى « السجع » . قال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على وزن واحد . وقال ابن دريد : « سجعت الحمامة » معناه : رددت صوتها . وأنشد :

طربت فأيكنتك الحمامُ السواجعُ تَمِيلُ بها ضَحْوَ غصونٍ نوائعُ
النواع : الموائل ، من قولهم : جائع نائع ، أى ممايل ضعفاً ^(٥) .

وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إعجاز .

(٢) سورة طه : ٧٠

(١) م : « ولكن »

(٤) س : « يسمى »

(٣) سورة الاعراف : ١٢٢

والبيت غير منسوب في اللسان ٢٠٩/١٩ وفيه : « طربت وهاجتك ... يوانع »

(٥) نقل المؤلف هذا النص من كتاب الجوهرة لابن دريد ٢ - ٩٣ .

ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لحاز لهم أن يقولوا : شعر معجز .
وكيف والسجع مما كان يألفه الكهَّان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدرُ
بأن يكون حجةً من نفي الشعر ؛ لأن الكهانة تنافي النبوات ، وليس كذلك الشعر .
وقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاءوه وكلَّموه في شأن الجنين :
كيف نَدِي من لا شَرِبَ ولا أَكَل^(١) ، ولا صاح فاستهلّ ، أليس دَمُهُ قد
يُظَلّ ؟ فقال : « أسجاعةٌ كسجاعة الجاهلية ؟ » ، وفي بعضها : « أسَجَعُا
كسجع الكهَّان » ؟ فرأى^(٢) ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته .

٨٨

والذي يقدِّرونه^(٣) أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال
السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه
دون بعض ؛ لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع .
وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً
للمعنى . وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود
فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع ، كانت
إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى انتظم^(٤) المعنى بنفسه دون السجع ، كان
مستجلباً لتحسين^(٥) الكلام دون تصحيح المعنى .

فإن قيل : فقد يتفق في القرآن ما يكون من القيلين جميعاً ، فيجب أن
تُسَمَّوا أحدهما سجعاً .

قيل : الكلام في تفصيل هذا خارجٌ عن غرض كتابنا ، وإلا كنَّا نأتى
على فصلٍ فصلٍ من أوّل القرآن إلى آخره ، ونبين في الموضع الذي يدَّعون
الاستغناء عن السجع من الفوائد ما لا يخفى ، ولكنه/خارج عن غرض كتابنا .
وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضعين .

٨٩

ثم إن سلّم لهم مُسلّمٌ موضعاً أو مواضعٌ معبودة ، وزعم أن وقوع ذلك
موقع^(٦) الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة

(١) في الأصول : « من لا أكل ولا شرب » راجع البيان والتبيين ١/٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) م : « فرأى أن ذلك » (٣) م : « تقررونه »

(٤) س : « متى ارتبط » (٥) س : « مستجلباً لتحسين »

(٦) م : « وقوع »

التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، وزعم أن الوجه في ذلك أنه من الفواصل ، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود إليه — فإن^(١) ذلك إذا اعترض في الخطاب لم يُعَدَّ سجعاً ، على ما قد بينا في القليل من الشعر ، كالبيت الواحد ، والمصراع ، والبيتين من الرجز ، ونحو ذلك يعرض فيه ، فلا يقال إنه شعر ؛ لأنه لا يقع مقصوداً إليه ، وإنما يقع مغموراً في الخطاب ، وكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه .

ويقال لهم : لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعاً : لكان مذموماً مردولاً ؛ لأنَّ السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه ، كان قبيحاً من الكلام . وللسجع منهج مرتَّب محفوظ ، وطريق مضبوط^(٢) ، متى أخلَّ به المتكلم وقع^(٣) الخلل في كلامه ، ونُسب إلى الخروج عن الفصاحة . كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً ، وكان شعره مردولاً ، وربما أخرجه عن كونه شعراً .

- ٩٠ / وقد علمنا أن بعض ما يدَّعونه سجعاً متقارب^(٤) الفواصل ، متداني المقاطع ، وبعضها مما يمتدَّ حتى يتضاعف طوله عليه ، وتتردِّد الفاصلة على ذلك الوزن الأوَّل بعد كلام كثير ، وهذا في السجع غير مرضى ولا محمود .
- فإن قيل : متى خرج السجع [من] المعتدل إلى نحو ما ذكرتموه ، خرج من أن يكون سجعاً ، وليس على المتكلم أن يلتزم أن يكون كلامه كله سجعاً ، بل يأتي به طوراً ثم يعدل عنه إلى غيره ، ثم قد يرجع إليه .
- قيل : متى وقع أحد مصراعي البيت^(٥) مخالفاً للآخر ، كان تخلیطاً وخسباً ، وكذلك متى اضطرب أحد مصراعي الكلام المسجّع وتفاوت كان خبطاً .

[وقد] عُلِمَ أن فصاحة القرآن غير مذمومة في الأصل ، فلا يجوز أن يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب^(٦) .

(١) س : « وأن » (٢) م : « والسجع منهج قريب . . . وطريقة مضبوطة »
 (٣) س : « أوقع » (٤) م : « متفاوت »
 (٥) م : « الشعر » (٦) م : « من الاختلال »

ولو كان الكلام الذى هو فى صورة السجع منه لما تحيروا فيه ، ولكانت
الطباع تدعو إلى المعارضة ؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم ، بل هو عادتهم ،
فكيف تُنْقَضُ العادة بما هو نَفْسُ العادة ، وهو غير خارج عنها ولا مُتَمَيِّز^(١)
منها ؟ وقد يتفق فى الشعر كلام [متزن] على منهاج السجع / وليس بسجع عندهم . ٩١
وذلك نحو قول البحرى :

تَشَكَّى الوجى ؛ واللَّيلُ ملتبسُ الدُّجَا غُرَيْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَرَّتْ بِقِيعِهَا^(٢)
وقوله^(٣) :

قريب المَدَى ، حتى يكون إلى النَّدى عدوُّ البُنَى ، حتى تكون مَعَالِي^(٤)
ورأيتُ بعضهم يرتكب هذا ، فيزعم^(٥) أنه سجع مداخل !

ونظيره من القرآن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ، ويقولُ آيُنْ
شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾^(٦) . وقوله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا

فيها ﴾^(٧) . وقوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾^(٨) .
٩٢ وقوله : ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٩) . وقوله : ﴿ إِنِّي
وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾^(١٠) .

ولو كان ذلك عندهم سجعاً لم يتحيروا فيه ذلك التحير ، حتى سماه بعضهم
سِحْرًا ، وتصرفوا فيما كانوا يُسَمِّونَه به ويصرفونه إليه ويتوهمونه فيه . وهم فى الجملة
عارفون بعجزهم عن طريقه ، وليس القوم بعاجزين عن تلك الأساليب المعتادة
عندهم ، المألوفة لديهم .

والذى تكلمنا به فى هذا^(١١) الفصل كلام على جملة دون التفصيل .

(١) س : « ميز »

(٢) ديوانه ١ - ٥ والوجى : أن يشتكى البعير باطن خفه . الغرير : فعل من الإبل ، والإبل
الغريرية : منسوبة إليه . وكان مرت : قفلا نبات فيه . والبيقع من الأرض : المكان المتسع فيه أروم
شجر من ضروب شتى . وفى س : « نقيعها » (٣) ديوانه ٢ / ٧٨٥ يمدح به محمد بن عمر .

(٤) س ، م : « يكون » وفى م بعد البيت : « وقوله غريرية الأنساب مرت بقيعها ، ورأيت » إلخ

(٦) سورة النحل : ٢٧

(٥) م : « حتى يزعم »

(٨) سورة التوبة : ٢٤

(٧) سورة الإسراء : ١٦

(١) سورة مريم : ٤

(٩) سورة آل عمران : ٤٨ - ٤٩

ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ، ما يكشف عن مَبَايِنَة ذلك وجوه السجع .
ومن جنس السجع المعتاد عندهم ، قولُ أبي طالب ^(١) لسيف بن ذي يَزَن :
« أَنبَتَكَ مَتَبِيئًا ^(٢) طابت أرومته ، وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسّق
فرعه ، ونبت زرعه ، في أكرم موطن ، وأطيب معدن » . وما يجري هذا
الجرى من الكلام .

والقرآن مخالف لهذه ^(٣) الطريقة مخالفتَه للشعر وسائر أصناف كلامهم
الدائر بينهم .

٩٣ / ولا معنى لقولهم : إن ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها على نسق واحد
ورويّ غير مختلف ؛ لأن ما جرى هذا الجرى لا يُبْنَى على الاشتقاق وحده ؛
ولو بُنِيَ عليه لكان الشعر سجعاً ؛ لأن رويّه يتفق ولا يختلف ، وتردّد القوافي
على طريقة واحدة .

وأما الأمور التي يستريح إليها الكلام ، فإنها تختلف : فربما كان ذلك
يسمى ^(٤) قافية ، وذلك إنما يكون في الشعر ، وربما كان ما ينفصل عنده ^(٥) الكلامان ^(٦)
مقاطع السجع ، وربما سُمي ^(٧) ذلك فواصل . وفواصل القرآن — مما هو مختص
بها ^(٨) — لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب .

وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع ، وتأخير هارون
في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام — فليس بصحيح ؛ لأن الفائدة
عندنا غير ما ذكروه . وهي ^(٩) : أن إعادة ذكر القصة الواحدة بالفاظ مختلفة ،
تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب ، الذي تظهر به الفصاحة ، وتبين به ^(١٠)
إبلاغه . وأعيد كثير من القصص في مواضع [كثيرة] مختلفة ، على ترتيبات
/ متفاوتة ، ونُسبَها بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً .

ولو كان فيهم تَمَكُّنٌ من المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بالفاظ

(١) في دلائل النبوة ٢٤/١ : « قول عبد المطلب » مع اختلاف في الرواية قليل

(٥) م : « منبتك منبت » (٣) س : « لنحو هذه »

(٤) ا ، ب : « مسمى » (٥) س : « عنده »

(٦) هكذا في ا ، ب ، م (٧) م : « يسمى »

(٨) م : « مما يختص بها » (٩) م : « وهو »

لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها^(١)، وجعلوها بإزاء ما جاء به ، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه ، وإلى مساواته فيما [حكى و] جاء به . وكيف وقد قال لهم : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾^(٢) . فعلى هذا يكون المقصدُ - بتقديم بعض الكلمات^(٣) وتأخيرها - إظهار الإعجاز^(٤) على الطريقتين جميعاً ، دون السجع^(٥) الذي توهموه .

فإن قال قائل : القرآن مختلط من أوزان كلام العرب ، ففيه من جنس خطبهم ، ورسائلهم [وشعرهم] وسجعهم ، وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى ، ولكنه أبدع فيه ضرباً من الإبداع ، لبراعته وفصاحته .

قيل : قد علمنا أن كلامهم ينقسم إلى نظم ونثر ، وكلام مقفى غير موزون [وكلام موزون غير مقفى]^(٦) ، ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع ، ونظم مقفى موزون له روى .

/ ومن هذه الأقسام ما هو سجيّة الأغلب من الناس ، فتناولوه أقرب ، وسلوكه لا يتعذر . ومنه ما هو أصعب تناولاً ، كالموزون عند بعضهم ، والشعر عند الآخرين^(٧) .

وكل هذه الوجوه لا تخرج عن أن تقع لهم بأحد أمرين : إما بتعمّل وتكلف وتعلم^(٨) وتصنع ، أو باتفاق من الطبع وقذف من النفس على اللسان للحاجة إليه .

ولو كان ذلك مما يجوز اتفاهه من الطبائع ، لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم ، ويعرض^(٩) على ألسنتهم ، وتجيش به خواطرهم ، ولا ينصرف^(١٠) عنه الكل ، مع شدة الدواعي إليه .

ولو كان طريقته التعلم لتصنعه وتعلموه^(١١) ، والمهتلة لهم فسيحة ، والأمد واسع .

(١) س : « ونحوها »

(٢) سورة الطور : ٣٤

(٣) م : « الكلام »

(٥) س : « التسجيع »

(٤) م : « إظهاراً للإعجاز »

(٧) س : « أو الشعر عند الآخرين »

(٦) ما بين المقوفين ساقط من م

(٩) ا : « ويعترض » س « ويتعرض »

(٨) سقطت هذه الكلمة من م

(١١) م : « طريقته التعمّل لتصنعوا فيه وتعلموه »

(١٠) م : « ولا يتصرف »

* * *

وقد اختلفوا في الشعر كيف اتَّفَقَ لهم ؟ فقد قيل : إنه اتَّفَقَ في الأصل غير مقصود إليه ، على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ، ثم لما استحسَنوه واستطابوه ورأوا أنه قد تألَّفَه / الأسماع وتقبَّلَه النفوس — تَتَّبَعُوهُ ^(١) من ٩٦ بعد وتَعَمَّلُوهُ . وحكى لي بعضهم عن أبي عمر: غُلامٌ ثعلب عن ثعلب : أن العرب تعلم أولادها قولَ الشعر بوضع غير معقول ، يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزن :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ويسمُّون ذلك الوضع « المتير » ^(٢) واشتقاقه من المتر ، وهو الجذب أو القطع ، يقال : مترت الحبل ، أي ^(٣) قطعت أو جذبت . ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره ، فيحتمل ما قاله ^(٤) .

وأما ما وقع السَّبَقُ إليه فيُشَبَّه أن يكون على ما قدَّمنا ذكره أولاً .

وقد يحتمل — على قول مَنْ قال : إن اللغة اصطلاح — أنهم تواضعوا على هذا الوجه من النظم .

وقد يمكن أن يقال مثله على المذهب الآخر ، وأنهم وقفوا على ما يتصرف إليه القول من وجوه التفاصيل ، وتَوَاقَفُوا ^(٥) بينهم على ذلك .

٩٧ / ويمكن أن يقال : إن التواضع وقع على أصل الباب ، وكذلك التوقيف ، ولم يقع على فنون تصرف الخطاب ، وإن الله تعالى أجْرَى على لسان بعضهم من النظم ما أجرى ، وفطنوا لحسنه فتتبعوه من بعد ، وبنوا عليه وطلبوه ، وترتَّبوا فيه المحاسن التي يقع الإطْرَابُ ^(٦) بوزنها ، وتهشُّ النفوس إليها ، وجمَعَ دواعيهم وخواطرهم على استحسان وجوه من ترتيبها ، واختبار طرق من تنزيلها ، وعرفَهم محاسن الكلام ، ودلَّهم على كل طريقة عجيبة ، ثم أعلمهم عجزهم عن الإتيان [بمثل] ^(٧) القرآن ، [وأن] القدر الذي تنهاى إليه قدرُهم هو ما لم يخرج عن لغتهم ^(٨) ، ولم يشذَّ من جميع كلامهم ، بل قد عرض في خطابهم ، ووجدوا أن

(٢) م : « المُتَر »

(١) م : « فتتبعوه . . . وتعلموه »

(٤) م : « فعمل ما قالوه »

(٣) س : « بمعنى »

(٦) س : « الاضطراب بوزنها ! »

(٥) س : « أو توافقهم »

(٨) م ، أ : « هو ما لم يفهم »

(٧) م : « الإتيان بالقرآن »

هذا لمّا تغذّر^(١) عليهم مع التحدّى والتقريع الشديد والحاجة الماسّة إليه ، مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر ، وتكامل أحوالهم فيه — دل على أنّه اختصّ به ليكون دلالةً على النبوة ومعجزةً على الرسالة . ولولا ذلك لكان القوم إذا اهتدوا في الابتداء إلى وضع هذه الوجوه التي يتصرف إليها الخطاب على براعته وحسن انتظامه ، فلأنّ يقدروا بعد التنبية على وجهه والتحدّى إليه ، أولى أن يبادروا إليه ، لو كان لهم إليه سبيل .

/ولو كان الأمر على ما ذكره السائل : لوجب أن لا يتحيّروا في أمرهم ، إولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم^(٢) ، ولكانوا يسرعون إلى الجواب ويبادون إلى المعارضة .

ومعلوم من حالهم أن الواحد منهم يقصد إلى الأمور البعيدة عن الوهم ، والأسباب التي لا يحتاج إليها ، فيكثر فيها من شعر ورجز ؛ ونجد من يعينه على نقله عنه ، على ما قدمنا ذكره من وصف الإبل ونتاجها ؛ وكثير من أمرها لا فائدة في الاشتغال به في دين ولا دنيا .

ثم كانوا يتفاخرون باللّسن والدّلاقة والفصاحة والذرايّة^(٣) ، ويتنافرون فيه وتجري بينهم فيه الأسباب المنقولة في الآثار ، على ما لا يخفى على أهله . فاستدللنا بتحيرهم في أمر^(٤) القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ، ووقوعه موقعاً يخرق العادات . وهذه سبيل المعجزات .

فبان بما قلنا أن الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبة موقع النّظائر التي تقع في الأسجاع ، لا يخرجها عن حدّها ، ولا يدخلها في باب السجع .

وقد بينّا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ، فكان/بعض مصّاريعه^(٥) كلمتين ، وبعضها أربع^(٦) كلمات ، ولا يرون في ذلك فصاحةً ، بل يرونه عجزاً .

فلورأوا أن ما تلى عليهم من القرآن سجعٌ لقالوا : نحن نعارضه بسجع

(٢) م : « عليهم فيه شبهة فيما يأتيهم » .

(٤) م : « في القرآن » .

(٥) م : « مصّاريعه » .

(١) س : « إنما تغذّر » .

(٣) س : « والدارية » .

(٦) م : « أربع » .

معتدل ، فتزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ، وتجاوز حده في البراعة والحسن .

ولا معنى لقول من قدر أنه ترك السجع تارة إلى غيره ثم رجع إليه ؛ لأن ما تخلل بين الأمرين يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدره من التسجيع^(١) ؛ لأنه لو كان من باب السجع لكان أرفع نهاياته ، وأبعد غاياته^(٢) .

ولا بد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكه من أن يسلم ما ذهب إليه^(٣) النظام ، وعباد بن سليمان ، وهشام القوطي ، ويذهب مذهبه ، في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صرّفوا عنه ضرباً من الصرّف^(٤) .

١٠٠ / ويتضمن كلامه تسليم الخبط في طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ، ويستعين ببدع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه . وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه ، وقد علمنا عاداتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة ، فإذا ادّعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين .

(١) م : « من السجع »

(٢) م : « أرفع نهاية وأبعد غاية »

(٣) م : « مذهب النظام »

(٤) قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « مقالات الإسلاميين » ص ٢٢٥ : « واختلفوا في نظم القرآن ، هل هو معجز أم لا ؟ على ثلاثة أقاويل : فقالت المعتزلة - إلا النظام وهشام القوطي وعباد بن سليمان - : تأليف القرآن ونظمه معجز ، محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم ، وأنه علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال النظام : الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أن الله منعمهم بمنع وعجز أحدهما فيهم .

وقال هشام وعباد : لا نقول : إن شيئاً من الأعراض يدل على الله سبحانه ، ولا نقول أيضاً : إن عرضاً يدل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجعل القرآن علماً للنبي صلى الله عليه وسلم . وزعم أن القرآن أعراض .

فصل

/ في ذكر البديع من الكلام

١٠١

إن سأل سائل فقال : هل يمكن أن يُعرف إعجاز القرآن من جهة ما تضمنه (١) من البديع ؟

قيل : ذكر أهلُ الصنعة ومن صنّف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها ، ثم نبين ما سألوا عنه ، ليكون الكلام وادّياً على أمر مبين ، وباب مقرر مصور (٢).

ذكروا : أن من البديع في القرآن قوله عز ذكره : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (٣).

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ (٤).

وقوله : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ

النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ (٦) . وقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (٧).

وقوله : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ (٨) .

١٠٢ / وقد يكون البديع في الكلمات الجامعة الحكيمة . كقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٩) .

وفي الألفاظ الفصيحة ، كقوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْتَبَسَّامُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (١٠) .

وفي الألفاظ الإلهية ، كقوله : ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ (١١) . وقوله : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ

نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (١٢) . وقوله : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (١٣) .

* * *

(٢) س : « مبين مقرر وباب مصور »

(٤) سورة الزخرف : ٤

(٦) سورة يس : ٣٧

(٨) سورة النور : ٣٥

(١٠) سورة يوسف : ٨٠

(١٢) سورة النحل : ٥٣

(١) س : « ما تضمنه »

(٣) سورة الإسراء : ٢٤

(٥) سورة مريم : ٤

(٧) سورة الحج : ٥٥

(٩) سورة البقرة : ١٧٩

(١١) سورة النمل : ٩١

(١٣) سورة غافر : ١٦

ويذكرون من البديع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناسِ رَجُلٌ مَسْنُوكٌ بِعَيْنَانِ فَرَسِهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيَّعَةً طَارَ إِلَيْهَا » (١) .
وقوله : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي » (٢) .

١٠٣ / وقوله : « غَلَبَ عَلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الحسد والبغضاء ، وهى حالقة الدين ، لا حالقة الشَّعر » (٣) .

وقوله : « الناس كإبل مائة ، لا تجد فيها راحلة » (٤) .
وقوله : « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » (٥) .

وقوله : « إِنَّ مِمَّا يُنَبِّتُ الرَّبِيعُ مَا يَمْتَلُ حَبَطًا أَوْ يُلِيمُ » (٦) .
وكقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فى كلام له قد نقلناه / بعد هذا على ١٠٤

(١) فى الفائق للزخشرى ٢٢٣/٣ « الهيمة : الصيحة التى يفزع منها وأصلها من هاع يهيع إذا جبن »
(٢) الفائق ٣٠٦/١ وقال الشريف الرضى فى المحازات النبوية ص ٢٠٢ : « وهذه استعارة ، والحوبة والحبوب : المأثم ، والمراد احطط عني وزري وتعتمد ذنبي وخطيئتي ، ولكن المصيبة لما كانت كالدرن الذى يصيب الإنسان فيفحش أثره ، ويقبح منظره ؛ أقام عليه الصلاة والسلام إمطة وزرها ، وإسقاط إثمها مقام غسل الأدران وإمطة الأذناس ؛ لأن الإنسان بعدها يعود نقى الأثواب طاهراً من العاب . وهذا الدعاء من الذى على وجه التبعيد والخضوع والتطامن والخشوع ، لا أن له حوبة يستحط وزرها ويستغسل درنها ، أو يكون ذلك على طريق التعليم لامته . . . »
(٣) فى الفائق ٢٩٠/١ « هى قطعة الرحم والنظام لأنها تجتاح الناس وتهلكهم ، كما يخلق الشعر ، يقال : وقعت فيه حائلة لا تدع شيئاً إلا أهلكته » .

(٤) البيان والتبيين ٢٠/٢ وفى اللسان ٢٩٤/١٣ ، ٢٩٥ « الراحلة كل بعير نجيب قوى على الأسفار والأحوال تام الخلق حسن المنظر . . . أراد صلى الله عليه وسلم أن الكامل فى الخير والزهدي فى الدنيا مع رغبته فى الآخرة والعمل لها قليل ، كما أن الراحلة النجبية نادرة فى الإبل الكثيرة » .

(٥) الفائق ٢٦١/١ والمحازات النبوية ١٢١ - ١٢٢ وفى اللسان ١٣٠/٤ عن الأزهري : « أى ما قالته الألسنة وهو ما يقتطعون من الكلام الذى لا خير فيه ، واحداثها حصيدة ، تشبيهاً بما يحصد من الزرع إذا جذ ، وتشبيهاً للسان وما يقتطعه من القول بحمد المنجل الذى يحصد به » .

(٦) فى اللسان ١٤٠/٩ « الحبط : أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها » . وفيه ٢٣/١٦ « أو يلزم ، قال أبو عبيد : معناه أن يقرب من القتل » وفيه ١٣٩/٩ « قال الأزهري : فأما قوله صلى الله عليه وسلم : وإن ما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً ، فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع ، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التى تحلولها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، كذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشع على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب » .

وجهه ، وقوله لخالد بن الوليد رضى الله عنه : « احرص على الموت تُوهَبَ لك الحياة » . وقوله : « فِرَّ من الشَّرَفِ يَتَّبِعَكَ الشَّرَفُ » .

وكقول عليّ بن أبي طالب في كتابه إلى ابن عباس ، وهو عامله على البصرة : « أَرْغِبْ رَاغِبَهُمْ ، وَاحْلُلْ عَقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْهُمْ » . وقوله رضى الله عنه ، حين سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « [غيروا الشيب ولا تشبّهوا باليهود - : إن النبي صلى الله عليه وسلم] إنما قال ذلك والدّينُ في قُلٍّ ، فأما وقد اتَّسَعَ نِطاقُ الإسلام ، فكل امرئ ومّا اختار » ^(١) .

وسأل عليّ ، رضى الله عنه ، بعض كباراء فارس ، عن أحد ملوكهم عندهم ؟ فقال : لأردشِيرَ فضيلةُ السَّبْقِ ، غير أن أحمدَهم أنوشِروان . قال : فأى أخلاقه كان أغلبَ عليه ؟ قال : الحلم والأناة . فقال علي رضى الله عنه : « هما تَوْأمان يُنْتَجِهُمَا علوُ الهمة » ^(٢) .

وقال : « قِيَمَةُ كُلِّ امرئ ما يحسِن » .

وقال : « العلم قُفْلٌ . ومِفْتَاحُه المسئلة » ^(٣) .

وكتب خالد بن الوليد إلى مَرَّازِبَةِ فارس : « أما بعد ، فالحمد لله / الذى فَضَّ خَدَمَتَكُمْ ، وَفَرَّقَ كَلِمَتَكُمْ » . والخَدَمَةُ : الحَلَقَةُ المستديرة ، ولذلك قيل للخلائيل : خِدَامٌ ^(٤) .

وقال الحمّاج : « دلونى على رجل سَمِينِ الأمانة » ^(٥) .

ولما عَقَدَتِ الرِّئَاسَةَ لعبد الله بن وهَبِ الرَّاسِبِيِّ ^(٦) على الخوارج ، أرادوه

(١) البديع لابن المعتز ص ٢٠

(٢) البديع ٢١

(٣) البديع ٢١ والصناعتين ٢١٣

(٤) نقل المؤلف هذا النص بشرحه من كتاب البديع ص ٢١ وفي اللسان ٥٨/١٥ « فض الله خدمتهم : أى فرق جماعتهم ، والخدمة بالتحريك : سير غليظ مضافور مثل الحلقة ، يشد في رِغِغ البعير ، ثم يشد إليها سرائح نعله ، فإذا انفضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النعل ، فضرِبَ ذلك مثلاً لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه ، وشبه اجتماع أمر العجم واتساقه بالحلقة المستديرة ، فلهاذا قال : فض الله خدمتهم : أى فرقها بعد اجتماعها . . . » .

(٥) البديع ٢٢ وفي الصناعتين ٢١٤ بعد ذلك : « أعجف الخيانة » .

(٦) خرج عبد الله بن وهب هذا على على في أربعة آلاف ، فبايعه الخوارج لعشر خلون من

شوال سنة ٣٧ . راجع الطبرى ٤٢/٦ .

على الكلام ، فقال : « لا خيرَ في الرأى الفَطِير »^(١) ، وقال : « دَعُوا الرأى يُغِيبُ »^(٢) .

وقال أعرابي في شكر نعمة^(٣) : « ذاك عُسْوان نِعْمة الله عز وجل » .

/ ووصف أعرابيُّ قومًا فقال : « إذا اصْطَفَقُوا سَفَرَتْ بينهم السهام ، وإذا تصافحوا بالسيوف قَعَدَ الحِمَام »^(٤) .

وسئل أعرابي عن رجل ؟ فقال : « صَفَرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ بيني وبينه بعد امتلائِها ، واكْفَهَرَتْ وجوهُ كانت بمائِها »^(٥) .

وقال آخر : « من ركب ظَهَرَ الباطل نَزَلَ دارَ السَّدامة »^(٦) .

وقيل لِرُؤُوبَةٍ^(٧) : كيف خَلَفْتَ ما وراءك ؟ فقال : « الترابُ يابِس ، والمالُ عابِس »^(٨) .

* * *

ومن البديع في الشعر طرق كثيرة . قد نقانا منها جملةً ، لتستدل بها على ما بعدها :

فمن ذلك قول امرئ القيس :

وقد أَغْتَدَى والطيرُ في وُكُناتِها بمنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ^(٩)

(١) الفطير : ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه ، وفي البديع بعد ذلك : « والكلام القضيبي ، فلما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى » إلخ وكذلك في البيان والتبيين ٢٠٥/١ والصناعتين ٢١٤
(٢) في البيان والتبيين والصناعتين بعد ذلك : « فإن غيوبه يكشف لكم عن محضه » . وفي البديع : « عن فسه » .

(٣) في البديع ٢٣ والصناعتين ٢١٤ « وقيل لأعرابي : إنك لحسن الكدنة فقال : ذاك عنوان » إلخ . والكدنة : كثرة الشحم واللحم ، كما في اللسان ٢٣٦/١٧ .

(٤) كذا في سائر الأصول ، والصواب : « وإذا تصافحوا بالسيوف ففر فه الحمام » .
كما في زهر الآداب ١١٩/٢ وفي البديع « ففر الحمام » . وفي أمالي القائل ١٣٩/١ والصناعتين ٢١٦ « كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام ، خطرت بينهم السهام بوفود الحمام ؛ وإذا تصافحوا ففرت المنايا أفواها . . . » . وكذلك العقد الفريد ٤٤٦/٣ ومعنى ففرت : فتحت .

(٥) البديع ٢٤ وزهر الآداب ١٢٠/٢ ، وصفرت : خلت ، والعياب : جمع عيبة وهي ما تحفظ فيه الثياب ، والمراد بها هنا الصدور .
(٦) البديع ٢٤

(٧) القائل هو عتبة بن هارون كما في البيان والتبيين ٩٧/٢

(٨) الصناعتين ٢١٤ والبديع ٢٤ وفي البيان « والمرعى عابِس »

(٩) ديوانه ص ١٠٦ الوكنات : الأوكار ، المنجرد الغرس القصير الشعر . والأوابد : جمع آبدة وهي التي قد توحشت وفترت من الإنس . والميكل : العظيم الخلق .

١٠٧ / قوله : « قِيدُ الْأَوَابِدِ » عندهم من البديع ومن الاستعارة ، ويروونه من الألفاظ الشريفة^(١) ، وَعَسَىٰ بِذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أُرْسِلَ هَذَا الْفَرَسُ عَلَى الصَّيْدِ صَارَ قَيْدًا لَهَا ، وَكَانَتْ بِحَالَةِ الْمَقْيَدِ مِنْ جِهَةِ سُرْعَةِ إِحْضَارِهِ .

واقْتَدَىٰ بِهِ النَّاسُ ، وَاتَّبَعَهُ الشُّعْرَاءُ ، فَقِيلَ : « قَيْدُ النَّوَظِرِ » و « قَيْدُ الْأَلْحَاطِ » و « قَيْدُ الْكَلَامِ » و « قَيْدُ الْحَدِيثِ » و « قَيْدُ الرَّهَانِ » .
وقال الأسود بن يَعْفَرُ :

بِمُقْلَصٍ عَتَدَ جَهِيْزٌ شِدَّةُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانِ جَوَادٍ^(٢)
وقال أبو تمام :

لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ الْأَوَابِدِ لَمْ يَزَلْ يَرُوحُ وَيَعْدُو فِي خَفَارَتِهِ الْحُبُّ^(٣)
١٠٨ / وقال آخر :

أَلْحَاطُهُ قَيْدُ عَيْنِ الْوَرَى فَلَيْسَ طَرْفٌ يَتَعَدَّاهُ^(٤)
وقال آخر :

* قَيْدُ الْحُسْنِ عَلَيْهِ الْحَدَقَا^(٥) *

وذكر الأصمعي وأبو عبيد وحماد ، وقبلهم أبو عمرو : أَنَّهُ أَحْسَنُ فِي هَذِهِ

(١) في الصناعتين ٢٠٧ : « و الحقيقة : مانع الأوابد من الذهاب والإفلات . والاستعارة أبلغ ؛ لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف ، لأنك تشاهد ما في القيد من المنع فلتست تشك فيه » .
وقال قدامة في نقد الشعر ص ٥٨ : « فإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَصِفَ هَذَا الْفَرَسَ بِالسُّرْعَةِ وَأَنَّهُ جَوَادٌ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِالْفَرْسِ بَعِيْنَهُ ، وَلَكِنْ بِأَرْدَافِهِ وَلِوَاحِقِهِ التَّائِبَةِ لَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ سُرْعَةَ إِحْضَارِ الْفَرَسِ يَتْبَعُهَا أَنْ تَكُونَ الْأَوَابِدُ - وَهِيَ الْوَحْشُ - كَالْمَقْيَدِ لَهُ إِذَا نَجَا فِي طَلْبِهَا . وَالنَّاسُ يَسْتَجِيدُونَ لِأَمْرِ الْقَيْسِ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَيَقُولُونَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَيْدَ الْأَوَابِدِ ، وَإِنَّمَا عَنَى بِهَا الدَّلَالَةَ عَلَى جُودَةِ الْفَرَسِ وَسُرْعَةِ إِحْضَارِهِ ، فَلَوْ قَالَ ذَلِكَ بِلَفْظِهِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ اسْتِجَادَةِ مَا جَاءَ مِنْ إِتْيَانِهِ بِالرَّدْفِ لَهُ . وَفِي هَذَا بَرَهَانٌ عَلَى أَنَّ وَضْعَنَا الْإِرْدَافَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّعْرِ وَنَعْوَتِهِ وَاقِعٌ بِالصَّوَابِ » .

(٢) فرس مقلص : طويل القوائم ، وفي المفضليات ١٩/٢ « بمشمر » وهي بمعناها . وعتد : قوى سريع الوثبة معد للجرى . جهيز شدة : سريع عدوه . الرهان : المراهنة ، يعني إنه إذا دخل السباق حبس الرهن فلا يناله غيره . الجواد : القوى السابق البعيد الجرى والبيت في الخزائنة ٥٠٨/١ .

(٣) ديوانه ١٧/١ « قِيدُ النَّوَظِرِ » والخزائنة ٥٠٨/١ .

(٤) غير منسوب في الخزائنة ٥٠٨/١ (٥) غير منسوب في الخزائنة ٥٠٨/١ وديوان المعاني ٢٦٢/١

اللفظة ، وأنه اتبع فلم يُلحق ، وذكره في باب الاستعارة البليغة .
وسماها بعض أهل الصنعة^(١) باسم آخر ، وجعلوها من باب «الإرداف» ، وهو :
أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ
هو تابع له وردف^(٢) .
قالوا : ومثله قوله^(٣) :

* نَوُوم الضُّحَى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ *

وإنما أراد ترفهها بقوله : « نَوُوم الضُّحَى »^(٤) .

١٠٩

/ ومن هذا الباب قول الشاعر^(٥) :

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقَرْطِ إِمَّا لِنَسْوَفِ أَبْوْهَا ، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ
وإنما أراد أن يصف طول جيدها ، فأتى بـ «عبد» بـ «شمس»^(٦) .
ومن ذلك قول امرئ القيس :

* وَلَيْلِ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى مُدْوَلَهُ^(٧) *

وذلك من الاستعارة المليحة .

ويجعلون من هذا القبيل ما قدمنا ذكره^(٨) من القرآن : ﴿ وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ ﴾

(١) يقصد المؤلف قدامة بن جعفر ، فإنه هو الذي وضع الإرداف من أوصاف الشعر ونوعته ،
راجع نقد الشعر ٥٧ - ٥٨

(٢) في نقد الشعر ٥٧ بعد ذلك : « فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع » .

(٣) يريد امرأ القيس ، وصدر البيت :

* وَيَضْحَى فَتَيْتَ الْمَسْكَ فَوْقَ فَرَاشِهَا *

(٤) قال قدامة في نقد الشعر ص ٥٧ : « وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها
من يكفها فقال : نَوُوم الضُّحَى ، وإن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها ، وكذلك سائر البيت ،
أى هى لا تنتطق لتخدم ، ولكنها في بيتها متفضلة . ومعنى عن في هذا البيت معنى بعد » . راجع الصناعتين
٢٧٦ والعمدة ٢٨٢/٢ (٥) هو عمر بن أبى ربيعة كما في ديوانه ص ٢٠٠

(٦) قال قدامة : « وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد ، فلم يذكره بلفظه الخاص به ،
بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بعد مهوى القُرط » . راجع العمدة ٢٨٢/٢ ، والصناعتين ٢٧٦ .
(٧) وعجزه كما في ديوانه ص ١٠٠ :

* عَلَى بَأْنَوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِ *

راجع البديع ص ٢٤

(٩) راجع ص ١٠١

شَيْباً ، ، « وَأَخْفِضْ لهما جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ » .
 وما يَعْدُوْهُ مِنَ الْبَدِيعِ « التَّشْبِيْهِ الْحَسَنُ » كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :
 كَأَنَّ عَيْوْنَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَانِنَا وَأَرْحَلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ^(١) / وقوله : ١١٠

كَأَنَّ قَاوِبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً
 لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(٢)
 واستبدعوا تشبيه شيتين بشيتين على حسن تقسيم ، ويزعمون أن أحسن ما وُجِدَ
 فِي هَذَا لِلْمُحَدِّثِينَ^(٣) قَوْلُ بَشَّارٍ :
 كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ^(٤)
 وقد سبق امرؤ القيس إلى صحة التقسيم في التشبيه ، ولم يتمكن بشار إلا من
 تشبيه لإحدى الحملتين بالأخرى ، دون صحة التقسيم والتفصيل .
 وكذلك عَدُوًّا^(٥) مِنَ الْبَدِيعِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ فِي أَذْنَى الْفَرَسِ :
 / وَسَامِعَتَانِ يُعْرِفُ الْعِتَقُ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي مَذْعُورَةٌ وَسَطَرٌ رَبْرَبٍ^(٦) ١١١

- (١) الصناعتين ص ١٨٥ والكامل ٧٤١ وفي اللسان ٣٩٨/٩ : « والجزع : الخرز اليهاني ، وهو الذي فيه بياض وسواد . واحدته جزعة ، قال ابن بري : سمي جزعا ؛ لأنه مجزع ، أي مقطع بألوان مختلفة ، أي قطع سواده بياضه »
- (٢) البديع ص ١٢٢ وسر الفصاحة ٢٣٧ وأخبار أبي تمام ١٧ والصناعتين ص ١٨٥ ، ١٨٩ وأسرار البلاغة ص ١٦٨ والمعمدة ١/٢٦٠ وقال المبرد في الكامل ص ٧٤٠ : « فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال : كأنه رطب العناب ، وكأنه يابس الحشف ؟ قيل له : العربي الفصيح الفطن اللحن يرى بالقول مفهوماً ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا »
- (٣) م : « ما وجد للمحدثين في نحو هذا »
- (٤) س : « رؤوسنا » م : « ليل تهاوت » والبيت في ديوانه ٣١٨/١ والصناعتين ص ١٨٩ والمعمدة ١/٢٦٠ وأسرار البلاغة ص ١٥١
- (٥) م : « وكذلك عدوا من البديع قول طرفة بن العبد في أذنى ناقته :
 مؤللتان يعرف العتق فهما كسامتي شاة بمحول مفرد
 مذكورة أم فرقد ، ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :
 وعينان كالماويتين ومجدر إلى سنبك مثل الصفيح المنصب »
- (٦) لم يرد هذا البيت في ديوان امرئ القيس ، وورد في ديوان علقمة ص ٢٤ والسامعتان : الأذنان . المذعورة : المفزعة ، يعني بقرة الوحش ذعرت فنصب أذنيها وحددتها
 الربرب : جماعة بقر الوحش

اتَّبَعَهُ طَرَفَةٌ ، فَقَالَ فِيهِ :

وَسَامِعَتَانِ يُعْرِفُ الْعِتْقُ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ^(١)

ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ وَمَخْجَرٍ إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الصَّفِيحِ الْمُنْصَبِ^(٢)
وقال طَرْفَةٌ فِي وَصْفِ عَيْنِي نَاقَتِهِ :

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ اسْتَكْنَتَا

بِكَهْفِي حِجَاغِي صَخْرَةٍ قُلْتُ مَوْرِدٍ^(٣)

ومن البديع في التشبيه قول امرئ القيس :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقًا نَعَامَةً

وإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفَلٍ^(٤)

/ وذلك في تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء ، أحسن فيها .

١١٢

ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ

كَالْأَعْلَامِ ۝^(٥) . وقوله تعالى : ﴿ كَانَهُنَّ بَيْنُفُزٍ مَكْنُونٌ ۝^(٦) .

ومواضع نذكرها بعد هذا .

(١) البيت في اللسان ١٠ / ٢٦ وروايته الأولى : « ومؤلتان » وفي ١٣ / ٢٤ : « ألت الشيء

تأليلا : أي حددت طرفه ، ومنه قول طرفة بن العبد يصف أذن ناقته بالحدة والانصباب : « مؤلتان » إلخ

(٢) م : « إلى سنبك » والسند : الحدة . وفي اللسان ٢٠ / ١٦٨ : « الماوية : المرأة كأنها

نسبت إلى الماء لصفائها وأن الصورة ترى فيها كما ترى في الماء الصافي ، والميم أصلية فيها ، وقيل الماوية :

حجر البلور » وعجبر العين : ما دار بها من العظم الذي في أسفل الحفن

(٣) في اللسان ٣ / ٥٢ : « الحجاج : العظم النابت عليه الحاجب » والقلت : والنقرة في الجبل .

تمسك الماء . وقلت العين : فقرتها

(٤) ديوانه ص ١٠٢ ونقد الشعر ص ٣٨ والصناعتين ص ١٨٩ والعمدة ٢٥٩/١ والأمالى

٢٥٠/٢ . والأبطل : الحاصرة . والإرخاء : شدة العدو . شبه خاصرتيه بخاصرتي الظبي في دقهما ،

وشبه ساقيه بساق النعامة في قصرهما . ويستحب ذلك مع طول الوظيف ، وفي شدتها ، لأن ساق النعامة ظمية

ليست برهلة ، كما قال البكري في شرح الأمالى ٨٧٨/٢ . والسرْحَانُ الذئب . والتقريب : رفع اليدين معاً

ووضعهما معاً في العدو ، ويقال : إن الذئب أحسن الدواب تقريباً . والتنفل : ولد الثعلب

(٦) سورة الصافات : ٤٩

(٥) سورة الرحمن : ٢٤

ومن البديع في « الاستعارة » قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سُدُولَهُ على بأنواعِ الهُموم لبيتلى^(١)
فقلت له لما تَمَطَّى بصلبه وأردف أعجازاً وناءً بكلّكلٍ
/ وهذه كلها استعارات أتت بها في ذكر طول الليل . ١١٣

ومن ذلك قول النابغة :

وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ هَمِّهِ تضاعَفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبٍ^(٢)
فاستعاره من إراحة الراعي إبله إلى مواضعها التي تأوى إليها بالليل .
وأخذ منه ابنُ الدُّمَيْنَةِ فقال :

أقضى نَهاري بالحديث وبالمُنَى ويجمعني والهمُّ بالليلِ جامعُ^(٣)
ومن ذلك قول زهير :

صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطلُهُ وعُرِّيَ أفراسُ الصُّبَا ورواحِلُهُ^(٤)
ومن ذلك قول امرئ القيس :

سَمَوْتُ إليها بعدَ ما نامَ أهلُها سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالٍ^(٥)

(١) ديوانه ص ١٠٠ والبديع ص ٢٤ ، ٢٥ والصناعتين ص ٢١٧ والموازنة ص ١١ والموشح ص ٣١ ودلائل الإعجاز ٦٢ وطبقات الشعراء ٧١ السدول : السطور . بيتلى : ينظر ما عندى من صبر أو جزع . تمطى : امتد . صلبه : وسطه . أردف : أتبع . أعجازه : مآخيره . ناء : نهض . الكلّكل : الصدر .

(٢) ديوانه ص ٩ والبديع ص ٢٦ : والصناعتين ص ٢١٧ وفي الموشح ص ٣١ « قال الصول . . . جعل صدره مألفاً للهموم ، وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه ، الرائحة مع الليل إليه ، كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها . وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل . . . »

(٣) البيت لابن الدمينية في ديوانه ص ١٧ والأغاني ١٥٤/١٥ والموشح ص ٣٢ وصدره هناك :

« أظل نهارى فيكم متعللاً »

وقد ورد منسوباً لقيس بن ذريح في الأمالي ٣١٦/٢ والأغاني ٢١٨/٩ وإلى مجنون ليل في مصارع العشاق ص ٢٤٨ والأغاني ٤٥/٢ وقد صحح أبو الفرج نسبته إلى ابن الدمينية راجع الأغاني ٢١٨/٩ .

(٤) البديع ص ٢٦ والموازنة ص ١١ والصناعتين ٢١٧ ومعاهد التنقيص ٢٦٠ وديوانه ص ٤٢ وفي س : « عن ليل » .

(٥) ديوانه ص ١٠٨ .

/ وأخذه أبو تمام فقال :

* سُبُوءٌ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ^(١) *

وإنما أراد امرؤ القيس إخفاء شخصه .

ومن ذلك قوله :

* كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا ^(٢) *

يريد أنهم غير مطمئنين .

ومن ذلك ما كَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا عَسَلُ بْنُ ذَكْوَانَ ، أَخْبَرَنَا ^(٣) أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ
الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ : أَجْمَعَ أَصْحَابُنَا أَنَّهُ لَمْ يُقَلِّ أَحْسَنُ وَلَا أَجْمَعُ مِنْ قَوْلِ
النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ ^(٤)

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^{١١٥}
الْكِنْدِيُّ ، أَخْبَرَنَا قَعْنَبُ بْنُ مُحَرَّرٍ ، قَالَ ^(٥) : سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ :
سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو يَقُولُ : كَانَ زَهِيرٌ يَمْدَحُ السَّوْقَ ، وَلَوْ ضَرَبَ عَلَى أَسْفَلِ قَدَمَيْهِ
مِثْنًا دَقَلَ صِنِي ^(٦) عَلَى أَنْ يَقُولَ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

(١) وصدره كما في ديوانه ص ٤٥ :

* سَمَا لِلْعَلَى مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا *

وهو في مدح أبي دلف العجل

(٢) وصدره كما في ديوان امرئ القيس ص ٥١ :

* وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَدَارَانِ ظَلَّتْهُ *

وقداران : اسم موضع . والأعفر : الظبي الذي تملو بياضه حمرة . جاء في اللسان ٢٦١/٦ :
« ويقال : رمان عن قرن أعفر ، أي رمانى بداهية . . . وذلك أنهم كانوا يتخذون القرون مكان الأسته ،
فصار مثلاً عندهم في الشدة تنزل بهم . ويقال للرجل إذا بات ليلته في شدة تقلقه : كنت على قرن أعفر
ومنه قول امرئ القيس . . . »

(٣) م : « قال لنا » (٤) ديوانه ص ٤١ (٥) سقط هذا الخبر من م

(٦) في اللسان ٢٦٢/١٣ : « الدقل : ضرب من النخل ، وخشبة طويلة تشد في وسط السفينة
يعد عليها الشراع ، وتسميه البحرية الصارى »

— لما قال . يريد أن سلطانه كالليل إلى كل مكان .

واتَّبَعَهُ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ :

ولو حَمَلْتَنِي الرِّيحَ ثُمَّ طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كَشْيٍّ أَذْرَكْتَنِي مَقَادِرُهُ^(١)
فلم يأت بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق إليه النابغة .
ثم أَخَذَهُ الْأَخْطَلُ فَقَالَ :

وإن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لَكَ الدَّهْرُ لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ^(٢)
وقد روى نحو هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « نصرت بالرُّعب ، وجعل
رزقي تحت ظل رحى ، وليدخلن هذا الدينُ على ما دخل عليه الليل » .

١١٦ / وَأَخَذَهُ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ^(٣) فَقَالَ :

وما لأمري حَاولَتَهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ ولو رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِعُ^(٤)
بلى ، هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعُ^(٥)
ومثله قول سَلَمَةَ الْخَاسِرِ :

فَأَنْتَ كَالدَّهْرِ مَبْثُوثًا حَبَائِلُهُ • وَالِدَّهْرِ لَا مَلْجَأَ سِوَهُ وَلَا هَرْبُ^(٦)
ولو مَلَكْتُ عِنَانَ الرِّيحِ أَصْرَفُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الطَّلَبُ^(٧)
فَأَخَذَهُ الْبَحْثَرِيُّ فَقَالَ :

ولو أَنَّهُمْ رَكِبُوا الْكَوَاكِبَ لَمْ يَكُنْ يَنْجِيهِمْ عَنْ خَوْفِ بَأْسِكَ مَهْرَبُ^(٨)
ومن بَدِيعِ الْإِسْتِعَارَةِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصْيَى الْحَاضِرِ الْمَتَخِمِ^(٩)

(١) م : « كسيل » والبيت في ديوان الفرزدق ص ٣١٣ وروايته : « وأن لو ركب
الريح . . . كشيء أدركته » وقبلة :

فَأَيَّقَنْتُ أَنْ إِنْ نَأَيْتَكَ لَمْ يَرِدْ بِي النَّأْيُ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ أَحَاذِرُهُ
وفي زهر الآداب ١٧٩/٤ « لكنت كود »

(٢) لا يوجد في ديوانه وهو لشعلة التغلبي كما في المكاترة ص ٧ والمؤتلف والمختلف ١٤١

(٣) ك : « علي بن أبي طالب »

(٤) معاهد التنصيص ١٤٩ وزهر الآداب ١٨٠/٤ وفي س ، ك :

« عنك مهرب ولو كان في جوف السماء »

(٥) م ، ك : « طالع » (٦) معاهد التنصيص ص ١٤٩

(٧) ديوانه ١٨٩/٢ وزهر الآداب ١٨٠/٤ (٨) ديوانه ص ١٣

وقول الأعشى :

وإن عَتَاكَ العِيسُ سوف يَزُورُكُمْ / ومنه أخذ نُصَيْبُ فقال :

فعاَجُوا فَاذْنُوا بِالذِي أَثْنَتْ أَهْلُهُ / ومن ذلك قول تَابِطٌ شَرًّا :

فخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْذَحِ الصِّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتَ خَزِيَانُ يَنْظُرُ (٣)
ومن الاستعارة في القرآن كثير ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ (٤)
يريد ما يكون الذِّكْرُ عنه شرفًا .

وقوله : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (٥) . قيل : دين الله أراد .

وقوله : ﴿ أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى ، فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ (٦) .

* * *

ومن البديع عندهم [الغُلُوُّ والإفراط في الصفة] ، كقول النمر بن تَوَلِّب :

/ أَبْقَى الْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ مِنْ نَعْرِ / أَسْبَادَ سَيْفٍ قَدِيمٍ بِأَثَرِهِ بَادَى (٧) ١١٨

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ / بَعْدَ الذَّرَاعِينَ وَالْقَيْدِينَ وَالْهَادِي (٨)
وكقول النابغة :

تَقْدُّ السَّلَوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ / وَيُوقِدُنَ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْحُبَابِ (٩)
وكقول عنترة :

فَاذْوَراً مِنْ وَقْعِ الْقَنَّا بِلَبَانِهِ / وَشَكَا إِلَى بَعْبِرَةِ وَتَحَمُّمِ (١٠)

(١) ديوانه ص ١٤٩ (٢) نقد الشعر ٢٧ والشعر والشعراء ٣٧٢/١ والأغاني ٣٣٧/١

(٣) الأغاني ٢١٥/١٨ وشرح الحامدة للتبريزي ٨٠/١ وقال المرزوقي في شرحه ٨٢/١ :

« ويقول : أسهلت ولم يؤثر الصفا في صدرى أثراً ، لا خدشاً ولا خشاً ، والموت كان طمع في ، فلما رأتني وقد تخلصت بقي مستحيياً ينظر ويتحير . والواو من قوله : « والموت » واو الحال . وهذا من فصيح الكلام ، ومن الاستعارات المليحة »

(٤) سورة الزخرف : ٤٤

(٥) سورة البقرة : ١٦

(٥) سورة البقرة : ١٣٨

(٧) نقد الشعر ١٧ والموشح ٧٨ والعمدة ٥٨/٢ والوساطة ٤٣٥ والصناعتين ٢٨٣ والأغاني

(٨) يريد بعد قطع الهادي والذراعين والساقين. ١٦٢/١٩ والشعر والشعراء ٢٧٠/١

(٩) ديوانه ص ٤٤ وفيه : « وتوقد » والعمدة ٥٩/٢ ، ٢٨٥ ، وتأويل مشكل القرآن ١٣١ .

(١٠) شرح القصائد العشر ص ٢٠٤

وكقول أبي تمام :

لو يعلم الركنُ من قد جاءَ يَدُومُهُ لخرَّ يِلثمَ منه موطئُ القدم^(١)
وكقول البحري :

ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه . لشيء إليك المنبر^(٢)

ومن هذا الجنس في القرآن : ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾^(٣) .

١١٩ / وقوله : ﴿ إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾^(٤) .
وقوله : ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾^(٥) .

* * *

وما يعدونه من البديع « المماثلة » وهو ضرب من الاستعارة [سماه قُدَّامةُ التمثيل ، وهو على العكس من الإرداف ؛ لأن الإرداف مبنى على الإسهاب والبسط ، وهو مبنى على الإيجاز والجمع]^(٦) .

وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى . فيضع ألفاظاً تدل عليه ؛ وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة إليه .

نظيره من المنشور : أن يزيد بن الوليد بلغه أن مروان بن محمد يتلکأ عن بيعته ، فكتب إليه : « أما بعد ، فإن أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيتهما شئت »^(٧) .

وكنحو ما كتب به الحجاج إلى المهلب^(٨) : « فإن أنت فعلت ذلك ؛ وإلا أشرعتُ إليك الرمح » . فأجابه المهلب : « فإن أشرع الأمر الرمح ، فلبتُ إليه ظَهَرَ المِجَنِّ » .

(٢) ديوانه ١٨/١ والصناعتين ٢٨٦ والموازنة ٢٩٦/١

(٤) سورة الفرقان : ١٢

(٦) الزيادة من م

(١) غير موجود في ديوانه

(٣) سورة ق : ٣٠

(٥) سورة الملك : ٨

(٧) سر الفصاحة ص ٢٢٢

(٨) في سر الفصاحة بعد ذلك : « حين حضه على قتال الأزارقة وتوعده له . . . »

/ وكقول زهير :

ومن يَعْصِ أطرافَ الزَّجاجِ فإنه يُطِيعُ العَوَالِي رُكَّبتُ كُلِّ لَهْدَمٍ^(١)

وكقول امرئ القيس :

وما ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ^(٢)

وكقول عمرو بن مَعْدِي كَرَب :

فلو أَنَّ قَوِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتْ^(٣)

/ وكقول القائل^(٤) :

بَنَى عَمْنَا لَا تَذْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغَمِيرِ الْقَوَافِيَا^(٥)

(١) ديوانه ص ٣١ الزجاج : جمع زج وهو الحديدية التي تركب في أسفل الرمح ، والسنان يركب عاليته ، والزج تركزه به الرمح في الأرض ، والسنان يطعن به . قال أبو عبيدة : هذا مثل ، يقول : إن الزج ليس يطعن به ، إنما الطعن بالسنان ، فن أبي الصلح وهو الزج الذي لا طعن به أعطى العوالى وهي التي بها الطعن . راجع اللسان ١١٠/٣ والصناعات ص ٢٧٩ وسر الفصاحة ص ٢٢١ .

(٢) ديوانه ص ٩٧ والصناعتين ص ٢٧٩ والعمدة ٢٤٧/١ والميسر والقديح ص ١٢٢ وفي اللسان ٢٤٩/٦ : « أراد بقوله : بسهميك ههنا : سهمي قداح الميسر ، وهما المعل والرقيب ، فللمعل سبعة أنصباء وللقريب ثلاثة ، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطمع غيره في شيء منها ، وى تقسم على عشرة أجزاء . فالملعى : أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان ، فغلبته على قلبه كله وفنته فلكته . . . وهذا التفسير في هذا البيت هو الصحيح . ومقتل : مذل » .

(٣) شرح الحماسة للتبريزي ١٦٠/١ والبيان والتبيين ٢١٤/١ واللسان ١٩٦/٥ وقال المرزوقي في شرح الحماسة ١٦٢/١ : « يقول لو أن قوياً أبلوا في الحرب واجتهدوا لا فتخرت بهم وذكرت بلاءهم ، ولكن رماحهم أجرت لسانى ، كما يجز لسان الفصيل . وجعل القملين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم لا منها . والإجراز : أن يشق لسان الفصيل للرماح فيجعل فيه عويد لثلا يرضع أمه » .
(٤) هو الشميزد الحارثي ، أو سويد بن صميع المزدني ، وكان قتل أخوه غيلة ، فقتل قاتل أخيه نهراً في بعض الأسواق من الحضر . كما في شرح الحماسة للمرزوقي ١٢٤/١ والتبريزي ١١٩/١ .

(٥) قال المرزوقي : « يقول : دعوا التفاخر في الشعر بالشعر ، فإنكم قصرتم بصحراء الغمير ولم تبلوا فيها ، فتنتطق ألسنتكم لدى المساجلة ، وتستجيب قوافي الشعر لكم ، إذا أردتم نظمها وإنشادها عند المناقرة والمحاكمة ، لأنكم أتمم قوافي الشعر ودفنتموها ، فكما أن الميت لا يجيب إذا دعى ، كذلك لا يجيبكم الشعر إذا أردتموه ، مع سوء بلائكم وقبح آثاركم » .

وكقول الآخر^(١) :

أقول وقد شدوا لساني بِنِسْعَةٍ : أم عشرَ تيم أطلقوا عن لساني

ومن هذا الباب ،^(٢) في القرآن قوله : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٣)

وكقوله : ﴿وَيَبَايَكَ فَطَهْرٌ﴾^(٤) . قال الأصمعي : أراد البدن ، قال :

/ ونقول العرب : « فِدَى لك ثوباي » . يريد^(٥) نفسه . وأنشد :

١٢٢

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا فِدَى لك من أَخِي ثقة إزاري^(٦)

* * *

ويرون من البديع أيضاً ما يسمونه « المطابقة » ، وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضده ، كالليل والنهار ، والسواد والبياض . وإليه ذهب الخليل ابن أحمد والأصمعي ، ومن المتأخرين عبد الله بن المعتز .

وذكر ابن المعتز من نظائره من المنشور ما قاله بعضهم^(٧) : « أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع ، فأدخلتنا في ضيق الضمان » .

ونظيره من القرآن : ﴿ولكم في القصاص حياة﴾^(٨) .

وقوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(١٠) . ومثله كثير جداً .

(١) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، كما في المفضليات ١٥٥/١ وشرح الحماسة للمرزوقي ١٦٣/١ وذيل الأمالى ١٣٢ والأغاني ٧٣/١٥ ، ٧٦ والبيان والتبيين ٢٦٨/٢ وفي ذيل الأمالى : قوله : وقد شدوا لساني بنسعة : هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد بنسعة . وإنما أراد : افعلوا بي خيراً ينطلق لساني بشركم ، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم ويروى : معاشر تيم أطلقوا لي لساني .

(٢) م : « هذا المعنى » (٣) سورة البقرة : ١٧٥

(٤) سورة المدثر : ٤ (٥) م « يريدون » .

(٦) البيت من قصيدة كتب بها إلى عمر بن الخطاب ، أبو المنهال : بقيلة الأكبر الأشجعي ، في شأن واليهم الغزل جمعة بن عبد الله السلمي ، الذي كان يخرج الجوارى إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو فيمقلهن ويقول : لا يمشی في المقال إلا الحصان . فربما وقعت فتكشفت . . . راجع اللسان ٧٥/٥ والمؤتلف والمختلف للأصمعي ص ٦٣ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٠٥ .

(٧) كتاب البديع ص ٧٤ (٨) سورة البقرة : ١٧٩

(٩) سورة الروم : ١٩ (١٠) سورة الحج : ٦١

/ وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار : « إنكم تكثرُونَ عند الفَرْع ، ١٢٣
وتَقِيلُونَ عند الطمع »^(١) .

وقال آخرون : بل المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة ، وإليه ذهب قدامة
ابن جعفر الكاتب^(٢) .

فإن ذلك قول الأفوه الأودى :

وَأَقْطَعُ الْهُوْجَلَ مُسْتَأْنَسًا بِهُوْجَلٍ مُسْتَأْنَسٍ عَنْتَرِيْسٍ^(٣)
عَنَتِي بِالْهُوْجَلِ الْأَوَّلِ : الْأَرْضُ ، وَبِالثَّانِي : النَّاقَةُ^(٤) .
ومثله قول زياد الأعجم :

وُنَبِّئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلِلُّومِ فِيهِمْ كَادِلٌ وَسَنَامٌ^(٥)
/ ومثله قول أبي دُوَاد : ١٢٤

عَهْدْتُ لَهَا مَنْزِلًا دَائِرًا وَلَا عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلُنَ آلًا^(٦)
فَالْآلُ الْأَوَّلُ : أَعْمَدَةُ الْخِيَامِ تُنْصَبُ عَلَى الْبَرِّ لِلْسَّقَى ، وَالْآلُ الثَّانِي :
السَّرَابُ^(٧) .

وليس عنده قول من قال : المطابقة إنما تكون باجتماع الشيء وضده —
بشيء .

(١) البديع ص ٧٤

(٢) راجع نقد الشعر ص ٦٠

(٣) ديوانه ص ١٦ « بهوجل عيرانة » وسر الفصاحة ص ١٨٥ ونقد الشعر ٦٠ والعمدة
٢٩٠/١ . والعيرانة كما في اللسان ٣٠١/٦ « الناقة الصلبة ، تشبيهاً بعير الوحش ، والألف والنون
زائدتان » . والعنتريس كما في اللسان ٤/٨ « الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجلود الجريئة »
(٤) في اللسان ٢١٤/١٤ « الهوجل : المفازة البعيدة التي ليست بها أعلام ، والأرض التي لا معالم
بها . والهوجل : الناقة السريعة الذاهية في سيرها ، وقيل : هي الناقة التي كان بها هوجاً من سرعتها » .

(٥) البديع ص ٥٨ ونقد الشعر ٦٠ وسر الفصاحة ص ١٨٤ وفي م و ك : « يستنظرون » وفي
الأغاني ١٧١/١٨ « أنت بنو يشكر سويد بن أبي كاهل ليهجو زياداً الأعجم فأبى عليهم ، فقال :
زياد :

• وَأَنْبِئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ ابْنَ كَاهِلٍ •

(٦) نقد الشعر ص ٦٠ واللسان ٣٩/١٣

(٧) في العمدة ٢٨٨/١ « . . . هكذا فسروه منهم قدامة ، والذي قال الخازن : يعني أعمدة تحمل
أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة . وقوله على الماء : يعني الماء العذ الذي هو المحضر يرجعون إليه بعد تبيدهم
وانقطاع ماء السماء . وقد أخبرك الشاعر على القول الأول أنهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت »

ومن المعنى الأول قول الشاعر :

أهين لهم نَفْسِي لأَكْرِمَهَا بِهِمْ ولن تُكْرِمَ النَّفْسَ الَّتِي لَا تُهِنُهَا^(١)

ومثله قول امرئ القيس :

وتَرَدَّى عَلَى صُمِّ صِلَابٍ مَلَاطِيسٍ شَدِيدَاتٍ عَقْدٍ لِينَاتٍ مِتَانٍ^(٢)

/ وكقول النابغة : ١٢٥

ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربة لازِبٍ^(٣)

وكقول زهير ، وقد جمع فيه طِبَاقَيْنِ :

بِعَزْمَةِ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرِ مَطَاعٍ ، فلا يُلْفَى لِحَزْمِهِمْ مِثْلُ^(٤)

وكقول الفرزدق :

والشَيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ^(٥)

ومما قيل فيه ثلاث نطبيقات قول جرير :

وباسِطٍ خَيْرٍ فَيَكُمُّ بِيَمِينِهِ وَقَابِضٍ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمَالِيَا^(٦)

وكقول رجل من بَلْعَنَبَرٍ^(٧) :

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلَمِ مَغْفَرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا^(٨)

(١) البيت لأعرابي حجب عن باب السلطان ، كما في البيان والتبيين ١٨٩/٢ وأمالى المرتضى

٢٠٥/١ والصناعتين ص ٢٤٠

(٢) ديوانه ص ١٤٥ وفي اللسان ٣٣/١٩ : « ردت الخيل ردياً وردياناً : رجعت الأرض

بحوافها في سيرها وعدوها » .

والملاطس : جمع ملطس ، وهو المعول الذي يكسر به الصخر .

وفي م : « مثاني » .

(٣) ديوانه ص ٤٥ والصناعتين ٢٤٣ وفي اللسان ٢٣٤/٢ : « واللازب : الثابت ، وصار الشيء

ضربة لازب ، أي لازماً . هذه اللغة الجيدة » وقد قالوها بالميم ، والأول أفصح » .

(٤) ديوانه ص ١٠٨ م « لعزمة » . وك وس « فلا يلقى » .

(٥) ديوانه ص ٤٦٧ والكمال ١٨/١ والصناعتين ص ٢٣٤ وفي ١ « في السواد » والأغاني ١٩/١٦

والموشح ١٠٣ (٦) ديوانه ص ٦٠٥ والصناعتين ٢٤٤ والوساطة ص ٢٩ وسر الفصاحة ص ١٩١

(٧) هو قريظ بين أنيف ، كما في شرح الحماسة للتبريزي ص ٨ : « والعرب تقول : بلعنبر ،

وبنو العنبر ، وكذلك يفعلون فيما فيه ألف ولام إذا لم يكن ثم إدغام »

(٨) شرح المرزوق ٣١/١

/ وروى عن الحسن^(١) بن عليّ، رضى الله عنهما، أنه تمثل بقول القائل : ١٢٦
فلا الجود يُفنى المال والجَدُّ مقبَلٌ ولا البخلُ يُبقي المال والجَدُّ مدبرٌ^(٢)
وكقول الآخر :

فَسِرِّي كإعلاني وتلك سَجِيَّتِي وظُلْمَةٌ ليلي مثلُ ضوءِ نهاريا
وكقول قيس بن الخطيم :

إذا أنت لم تنفع فُضِرَ : فإنما يُرَجَّى الفتى كما يضرّ وينقعا^(٣)
وكقول السموأل :

وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل^(٤)
فهذا باب يروونه من البديع .

* * *

وباب آخر وهو « التَّجْنِيسِ » . ومعنى ذلك : أن تأتى بكلمتين
متجانستين :

فنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها [ومعناها]^(٥) . وإليه
ذهب الخليل^(٦) .

/ ومنهم من زعم أن المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق^(٧) . ١٢٧

كقوله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾^(٨) .

وكقوله : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾^(٩) .

وكقوله : ﴿ يَا أَسْفَا عَلَى يُوسُفَ ﴾^(١٠) .

(١) م « أن الحسين » (٢) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢٤٤ .

(٣) ديوانه ص ٤٤ والصناعتين ص ٢٤٥ وقد نسب الصولي في أخبار أبي تمام ص ٢٨ لعبد الأعلى

ابن عبد الله بن عامر .

وقد سقط هذا البيت من م

(٤) شرح الحماسة للتبريزي ١١٠/١ والمرزوقي ١١٢/١ . (٥) الزيادة من م .

(٦) البديع ص ٥٥ (٧) فقد الشعر ص ٦١ و م « على وجه »

(٨) سورة الروم : ٤٢ (٩) سورة النمل : ٤٤ .

(١٠) سورة يوسف : ٨٤

وكقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ^(١) .

وكقوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ ^(٢) .

وكقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أَسْلِمُ سَالِمَهَا اللَّهُ ، وَغَفَارُ غَفْرِ اللَّهِ لَهَا ، وَعُصْبَةُ عَصَبِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، [وَتُجِيبُ أَجَابَتِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ] » ^(٣) .
وكقوله : « الظلم ظلماتٌ يوم القيامة » ^(٤) .

وقوله : « لا يكون ذو الوجهين وجهًا عند الله » ^(٥) .

١٢٨ / وكتب بعض الكتّاب : « العذر مع التّعذر واجب ، فأريك فيه » ^(٦) .
وقال معاوية لابن عباس : مالكم يا بني هاشم تُصابون في أبصاركم ؟ فقال :
كما تصابون في بصائرکم ^(٧) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « هاجروا ولا تهَجَرُوا » ^(٨) .
ومن ذلك قول قيس بن عاصم :

ونحن حفزنا الحَوْفزانَ بطعنةٍ
كسّته نجيعاً من دم الجوف أشكلاً ^(٩)

(١) سورة الأنعام : ٨٢

(٢) سورة الأنعام : ٢٦

(٣) الزيادة من م والحديث في البديع ص ٥٦ والصناعتين ٢٥١

(٤) الصناعتين ص ٢٥١ والبديع ص ٥٦

(٥) الصناعتين ٢٥٢

(٦) الصناعتين ٢٥٢

(٧) البديع ص ٥٦ والصناعتين ٢٥٢

(٨) الصناعتين ٢٥٢ : والبديع ص ٥٦ وفي اللسان ١١١/٧ « وقال أبو عبيد : يقول :
أخلصوا الهجرة لله ، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم فهذا هو التهجّر » .

(٩) حفزته بالرمح : طعنته . والبيت لسوار بن حبان المنقرى ، يفتخر بطعن « الحوفزان » واسمه الحارث بن شريك الشيباني ، ولم يكن سوار الحافز له ، وإنما الحافز له قيس بن عاصم المنقرى في يوم جدود ، كما قال ابن السيد البطليوسى في الاقتضاب ص ٣١٦ ، ١٢٣ . والنجيع : الدم الطرى ، وقيل : النجيع دم الجوف خاصة . والأشكل : الذى يخالطه بياض من الزبد . راجع الأغاني ١٥٣/١٢ واللسان ٢٠٣/٧ وأمالى المرتضى ٧٧/١ والنقائض ص ١٤٦ وفيها « تمج نجيعاً » و ص ٣٢٨ : « سقته » وكذلك في اللسان ٣٨١/١٣ والبيت منسوب في الصناعتين ص ٢٥٤ كما هنا لقيس بن عاصم .

وقال آخر (١):

* أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبَيْلَى الْمَلَوَانِ (٢) *

١٢٩

/ وقال الآخر (٣):

وَذَاكُمْ أَنْ ذَلَّ الْجَارِ حَالْفَكُمْ وَأَنْ أَنْفَكُمْ لَا تَعْرِفُ الْأَنْفَا (٤)
وكتب إلى بعض مشايخنا ، قال : أنشدنا الأخفش ، عن المبرّد ، عن
التوّزى (٥):

وقالوا (٦) : حماماتُ فحُمّ لقاؤها وطلحُ : فزيرتَ والمطى طُلُوحُ (٧)
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ النَّأْيِ بَعْدَمَا جَرَتْ نِيَّةُ تَنْسَى الْمَحَبَّ طُرُوحُ (٨)
وقال صحابي : هدهدٌ فوق بانه هُدَى وبيانٌ بالنجاح يَلُوحُ (٩)
وقالوا : دَمٌ ، دامت موثيقُ عهده ودام لنا حسن الصفاء صريح (١٠)

(١) هو تميم بن أبي بن مقبل ، كما في الاقتصاب ص ٤٧٢ والجواليقي ص ٤٠٣ والأمال ٢٣٣/١
واللسان ١٦٠/٢٠ وديوانه ٣٣٥ .

(٢) وصدّره :

* أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّيْعَانِ *

والمَلَوَانِ : الليل والنهار . وجعلهما ابن مقبل الغداة والعشي .

(٣) م : « الآخر أظنه التّوزي »

(٤) البيت لرجل من بني عبس في البديع ص ٥٨ والموازنة ٢٤٩/١ والصناعتين ٢٥٥ ونقد
الشعر ٦١ وصدّره فيه تحريف . وسر الفصاحة ص ١٨٤ والعمدة ٢٩٢/١ وفيه : « وذلكم » كما في م .

(٥) م « عن التّنوخي » ا « التّوجي » ك « الثّوري » .

(٦) الشعر لأبي حية النيمري كما في أمالي القالي ٧٠/١ وزهر الآداب ١٦٧/٢ ونسب للراعي

في الزهرة ص ٢٤٧

(٧) م : « وطلح قريب » وهو تحريف ، وفي زهر الآداب : « وطلح فنيلت » ، وطليح :
أجهدا السير وهزها .

(٨) قال البكري في شرح الأمالي ٢٤٤/١ : « بإعقاب بالكسر بخط أبي علي » . وفي ك ،
س : « من النَّأْيِ » وفي الأمالي « تسلي المحب » وفي زهر الآداب « بعد ما نأت ناية بالطاعتين طريق »

(٩) في الزهرة « وقالوا : فراه هدهدًا . . . وبيان والطريق تلوح »

(١٠) في الزهرة : « دامت مودة بيننا . . . صفو صفاء صريح » وفي الأمالي وفي زهر الآداب
« موثيق بيننا . حلّو الصفاء » وقال البكري : « وقوله حلّو الصفاء : هو نعت لشيء محذوف ، ولولا ذلك
ما نعت بعد بصريح كأنه عهد حلّو الصفاء أوود »

/ وقال آخر (١) :

* أَقْبَلْنَ مِنْ مِصْرَ يُبَارِينَ الْبَرَى (٢) *

وقال القطامي :

ولما ردها في الشَّوْل شالتْ بِذَيَّالِ يَكُونُ لها لِفَاعاً (٣)
وقد (٤) يكون التجنيس بزيادة حرف [أو بنقصان حرف] (٥) أو ما يقارب
ذلك ، كقول البحري :

هل لما فات من تلاقٍ تلافٍ أَمْ لشاكٍ من الصَّبَابَةِ شافٍ (٦) ؟
/ وقال ابن مُقْبِل : ١٣١

يَمْشِينَ هَيْلَ النِّقَا مالت جوانبهُ يَنْهَالُ حِيناً وينهأُ الثَّرَى حِيناً (٧)
وقال زهير :

هم يَضْرِبُونَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحِقُوا لَا يَنْكَلُونَ إِذَا مَا اسْتَلْحِمُوا وَحِمُوا (٨)

(١) هو جليح بن شميز كما في ديوان الشماخ ص ١٠٥ وكان من حديثه أنه أقبل من مصر مع جماعة من الشعراء منهم الشماخ ، فكان الرجل منهم ينزل فيسوق بأصحابه ويرتجز . وقد ارتجز الجليح بالقوم فقال قصيدة مطلعها :

« طاف الخيال من سليمي فاعتري » وهي مثبتة في ديوان الشماخ ص ١٠٥ - ١٠٨

(٢) وقبلة : « له علامات على حد الصوى » وبعده : « يشكون قرحاً بالدفوف والكللى » الصوى : حجارة تجعل علامة في الطريق . والضمير في « أقبلن » للمطايا . يبارين : من المباراة ، وهي المعارضة في السير . والبرى : جمع برة بالضم ، وهي حلقة تجعل في أنف البعير . والدفوف : جمع دف ، وهو الجنب . وقد ورد منسوباً في الصناعتين ص ٢٥٥ لجليح بن سويد ، وفيه « من مضر » وهو تحريف .

(٣) ديوانه ص ٤٣ والصناعتين ص ٢٥٦ والبدیع ص ٥٦ والموازنة ١١/١ ، ٢٤٩ والشول : طروقة الفحل . ردها لأنه ظن أنها لم تحمل فشالت بذنبها لأنها لا تقع ، وذبال : ذنب طويل . ولفاع : ثوب تلتفع به .

(٤) م : « قال القاضي الجليل رحمه الله : وقد يكون إلخ »

(٥) الزيادة من ا ، ب ، م

(٦) ديوانه ٣٦٦/١ « ألمات من تلاق » و س ، ك : « من تلاف »

(٧) ديوانه ٣٢٦ وحاسة ابن الشجرى ١٨٨ وجمهرة أشعار العرب ص ١٦٢ ، والهيل من الرمل : الذي لا يثبت مكانه حتى ينهال فيسقط ، كما في اللسان ١٣٩/١٤ ، والنقا : كما في اللسان ٢٠ / ٢٣١ : « الكشيپ من الرمل » وفي م : « مثل النقا » .

(٨) ديوانه ص ١٥٩ والصناعتين ٢١٠ ، استلحموا : أدركوا ، وحموا : غضبوا

ومن ذلك قول أبي تمام :

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ^(١)
وأبو نواس يقصد في مصرعَيْه مَقْدَمَاتَ شَعْرِهِ هَذَا الْبَابِ^(٢) ، كَقَوْلِهِ :

أَلَا دَارَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى تُلَيْنَهَا فَانْ تَكْرَمِ الصَّهْبَاءُ حَتَّى تُهَيِّنَهَا
وكذلك قوله :

دِيَارُ نَوَارٍ مَا دِيَارُ نَوَارٍ كَسَوْنَكَ شَجْوًا هُنَّ مِنْهُ عَوَارٍ^(٣)
وكقول ابن المعتز :

سَأَتُنِي عَلَى عَهْدِ الْمَطِيرَةِ وَالْقَصْرِ وَأَدْعُو لَهَا بِالسَّاكِنِينَ وَبِالْقَطْرِ^(٤)
/ وكقوله أيضاً :

١٣٢

هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْهُمْ قَفْرٌ وَأَنْتَى بِهَا ثَاوٍ وَأَنْهُمْ سَفْرٌ^(٥)
/ وكقوله :

لَلْأَمَانِيِّ حَدِيثٌ [قَدْ] يَقْرَ وَيَسُوءُ الدَّهْرُ مِنْ قَدْ يَسِرُ^(٦)
وكقول المتنبي :

وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي الْمَشِيبُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي^(٧)
وقد قيل : إِنَّ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ
سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(٨) ، وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي
فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾^(٩) .

* * *

وَيَعْدُونُ مِنَ الْبَدِيعِ « الْمَقَابِلَةِ » ، وَهِيَ أَنْ يُوَفَّقَ بَيْنَ مَعَانٍ وَنَظَائِرِهَا وَالْمُضَادِّ
بِضَدِّهِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ :

(١) ديوانه ص ٤٢ والصناعتين ٢٦١ (٢) م : « هذا الباب كله »

(٣) ديوانه ٧٢ (٤) ديوانه ٣٥

(٥) ديوانه ص ٤٢ (٦) م « حديث يعز » ديوانه ٤٤ « قد يغر ويسر الدهر »

(٧) ديوانه ٦٦/٢ يقول : إنه إنما كان حياً حين كان شاباً ، فلما شاب صار كأنه قد مات
وانتقل روحه إلى غيره . والبدل في هذا البيت : الولد .

(٨) سورة الأنبياء : ٣٧ (٩) سورة الزمر : ١٤ ، ١٥

فَتَى تَم فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا^(١) / وَقَالَ تَأْبِطُ شَرًّا : ١٣٣

أَهْزُ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفُهُ كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهَيْجَانِ الْأَوَارِكِ^(٢) وكقول الآخر :

وَإِذَا حَدِيثُ سَاعَتِي لَمْ أَكْتَسِبْ وَإِذَا حَدِيثُ سَرَفِي لَمْ أَشْرَزْ^(٣) وكقول الآخر :

وَذَى إِخْوَةٌ قَطَعْتُ أَرْحَامَ بَيْنَهُمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا^(٤) ونظيره من القرآن : ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوُونَ ، ثُمَّ إِذَا

كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٥) .

[ومن هذا الجنس قول هند بنت النعمان للمغيرة بن شعبة ، وقد أحسن إليها : بَرَرْتُكَ يَدٌ نَالَتْهَا خَصَاصَةٌ بَعْدَ ثَرَةٍ ، وَأَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ يَدٍ نَالَتْ ثَرَةً بعد فاقة^(٦) .

* * *

/ ويعلمون من البديع « الموازنة » ، وذلك كقول بعضهم : اصبر على حَرِّ اللقاء ، ومضض النزال ، وشدة المِصَاعِ^(٧) . ١٣٤

(١) الصناعتين ٢٦٥ والأمال ٢/٢ وأمال المرتضى ١٩٤/١ والعمدة ٥٢/١ ، ٤٦ والشعر والشعراء ٢٥٢/١ وشرح الحماسة للتبريزي ٨٣/٣ وقد عاد أبو هلال العسكري فنسبه إلى جندل بن جابر الفزاري في ص ٣٢٤ وهو وهم لا شك فيه .

(٢) الصناعتين ٢٦٤ وشرح الحماسة للتبريزي ٩١/١ والمرزوقي ٩٤/١ عطفه : جانبه . والهجنان : الإبل البيض الكرام ، والأوراك : التي ترعى الأراك . يقول : أحرك بالثناء جانبه كما حرك جانبيه بعطيته ، أى أسرك بذلك حتى يرتاح ويطرب كما سرفى حتى اهتزت .

(٣) الصناعتين ٢٦٦ ونقد الشعر ٤٧ وفي حماسة البحترى ص ١١٩ « قال عبد الله بن سليم الأزدي : وإذا حديث . . . لم أبشر ، وبعده :

أخشى الفواحش منهما كلتيهما ورعيت نفسي ناشئاً للمكبر»

وفي س ، م « لم أسرر » والأشعر : المرح .

(٤) س ، ك والصناعتين ٢٦٦ : « أقران بينهم » (٥) سورة النحل : ٥٣ ، ٥٤

(٦) الزيادة من م ، وكلام هند مع بعض التغيير في سر الفصاحة ص ٢٥٢

(٧) كذا في أ ، ب ، م ، ك وفي س : « المصارع » وهو تحريف . والمصاع كما في

اللسان ٢١٤/١٠ « المقاتلة والمجالة بالسيوف » .

وكقول امرئ القيس :

سليمُ الشَّظَا عَبلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا

[له حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ] (١)

ونظيره من القرآن : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ (٢) .

* * *

ويعدون من البديع « المساواة » ، وهى أن يكون اللفظ مساوياً/ للمعنى ، لا يزيد ١٣٥ عليه ولا ينقص عنه . وذلك يُعدُّ من البلاغة ، وذلك كقول زهير :

ومَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ (٣)
وكقول جرير :

فلو شاءَ قَوِيٌّ كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالٍ أَعْدَاءَهُمْ جَهْلِي (٤)
وكقول الآخر (٥) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ
وكقول الهذلي (٦) :

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرَّتَهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مِنْ يَسِيرُهَا (٧)

(١) الزيادة من م والبيت في ديوانه ص ١١١ والصناعتين ٢٩٦ والشطى كما في اللسان ١٦٢/١٩ : عظم ملزق بالذراع فإذا تحرك من موضعه قيل : قد شطى الفرس بالكسر . والشطى : انشقاق العصب . « وفي اللسان ٤٤٦/١٣ » « وفرس عبل الشوى : أى غليظ القوائم » والصا : من الورك إلى الكعب كما في ١٩٣/٢٠ وفي ١٣٤/٣ : « وفرس شنج النساء : متقبضة ، وهو مدح له ؛ لأنه إذا تقبض نساء وشنج لم تسترخ رجلاه . وفي ٢٩٠/١ : « الحجة : بالتحريك : رأس عظم الورك » وفي ٥٢/١٤ : « على الفال : أراد على الفائل فقلب ، وهو عرق في الفخذين يكون في خربة الورك ينحدر في الرجل » (٢) سورة البروج : ١ - ٣

(٣) ديوانه ٣٢ ونقد الشعر ص ٥٥ وسر الفصاحة ص ٢٠٦

(٤) ديوانه ص ٤٦٢ وفي ١ ، ك : « على أعداء جهالم » وصوابه من ب ، م

(٥) هو زهير كما في ديوانه ص ٣٠٠ وسر الفصاحة ص ٢٠٦ ونقد الشعر ص ٥٥ وفيه

« لم ترحل عن »

(٦) هو خالد بن محرت بن أخت أبي ذؤيب ، كما في ديوان أبي ذؤيب ص ١٥٦ ، ١٥٧

وفي نقد الشعر ص ٥٥ هو خالد بن زهير بن أخي أبي ذؤيب الهذلي .

وكقول الآخر^(١):

فإن هم طأَوْعَوْك فطأَوْعِيهِمْ وإن عاصوك فاعصى مَنْ عَصَاكَ
/ ونظير ذلك في القرآن كثير .

١٣٦

* * *

وما يعدونه من البديع « الإشارة » ، وهو اشتغال اللفظ القليل على المعاني
الكثيرة . وقال بعضهم^(٢) في وصف البلاغة : [البلاغة] لحة دالة .
ومن ذلك قول طرفة :

فظلّ لنا يومٌ لذيذٌ بنعمةٍ فقلّ في مقيلٍ نحسُّ مُتغيّبٍ^(٣)
وكقول زيد الخليل :

فخَيْبَةُ مَنْ يَخِيبُ على غنيٍّ وباهلة بن أعصرَ والرّباب^(٤)

(١) البيت لخليفة مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، كما في شرح الحماسة للتبريزي
٣/٣١٥ وغير منسوب في النّحان ١٩/١٣٩ والأغاني ١٥/١٥٧ ونسب في الزهرة ص ١٢٢ لبعض
الأعراب ، وفي معجم البلدان ٨/٣٠٠ لأبي العيثل .

(٢) هو خلف الأحمر ، كما في العمدة ١/٢١٣

(٣) لا يوجد هذا البيت في ديوان طرفة . وهو لامرئ القيس كما في ديوانه ص ٢٠ ونقد الشعر
ص ٥٧ وأما البيت الذي يصلح أن يكون شاهداً للإشارة من شعر طرفة فهو قوله :

مرفوعها زول وموضوعها كمر غيث لجب نوسط ريح

فقوله « زول » مشار به إلى معان كثيرة ، وهو شبيه بما يقول الناس في إجمال نعت الشيء ، واختصاره
عجب ، راجع نقد الشعر ص ٥٦ والبيت محرف فيه وهو على الصواب في اللسان ٩/٨٩ ، ١٠/٢٧٩

(٤) البيت له في الأغاني ١٦/٥٢ وفيه : « وخيبة من تجيب . . . بن أعصر والكلاب »
والشعر والشعراء ١/٢٤٦ وفيه « فخيبة من يغير . . . والركاب » وهو غير منسوب في أمالي المرتضى

١/٢٠٨ وفيه : « وباهلة بن يعصر » وفي الإصابة ١/٥٥٥ والشعر والشعراء ١/٣٤٦ والمعاني الكبير
٥٧٦ وقد شرحه ابن قتيبة بقوله : « يقول من غزا فخاب فإنه يكر على غنى وباهلة فينغم ؛ لأنهم
لا يمتنعون من أرادهم ، كالركاب ، وهي الإبل ؛ لأنها لا تمتنع على من أرادها . ابن الأعرابي يقول :
من صار في يده أسير من غنى وباهلة فقد خاب لقلة فدائه ، والدليل على ذلك قوله :

وأدى الغنم من أدى قشيرا ومن كانت له أسرى كلاب

والدليل على التفسير الأول قول الفرزدق يهجو أصم باهلة :

أجعل دارماً كابني دخان وكانا في الغنيمة كالركاب

ابنا دخان : غنى وباهلة ، وكانوا يسبون بذلك في الجاهلية ، كالركاب ، أى لا امتناع بهم كما
لا تمتنع الركاب ، وكان الرجل منهم في الجاهلية إذا قتل رجلاً من أفناء العرب لم يكن في دمه وفاء منه حتى
يزاد عشرًا من الإبل أو نحوها ، وهذا قول أبي عبيدة ، وذكر أن الأشعث الكندي قال للبي صلّى الله
عليه وسلم : أتكافأ دماؤنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك «

١٣٧ / ونظيره من القرآن : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ ^(١) . ومواضع كثيرة .

* * *

ويعدّون من البديع « المبالغة » ، و « الغلو » .
والمبالغة : تأكيد معاني القول ، وذلك كقول ^(٢) الشاعر :

ونكرمُ جارنا ١٠ كان فينا ونُتبِّعه الكرامة حيث مالا ^(٣)
ومن ذلك قول الآخر ^(٤) :

وهم تركوك أسلَحَ من حُبَارَى رأتُ صقراً وأشردَ من نَعَامِ
/ فقولهُ : « رأتُ صقراً » مبالغة .
ومن الغلو قول أبي نُؤَاس :

توهَّمْتُهَا في كاسها فكأنما توهَّمْتُ شيئاً ليس يُدرُّكه العقلُ
فما يرتقي التكيفُ فيها إلى مدى يحدُّ به إلا ومن قبله قبلُ ^(٥)
وقول زهير :

لو كان يَفْعَدُ فوقَ الشمسِ من كرم قومٌ بأولهم أو مجدهم - قَعَدُوا ^(٦)
وكقول النابغة :

بلغنا السماءَ مجدنا وسناؤنا وإننا لنرجو فوق ذلك مظهرًا ^(٧)

(١) سورة الرعد : ٣١ (٢) م : « القول كقول »

(٣) البيت لعمر بن الأيهم كما في نقد الشعر ص ٥٠ وفيه « حيث سارا » ولعمرو بن الأيهم التغلبي في العمدة ٥٢/٢ وفيه « حيث كانا » ولعميرة بن الأهم التغلبي في الصناعتين ٢٨٨ ولأعشى تغلب ص ٢٧١

(٤) هو أوس بن غلفاء يخاطب يزيد بن عمرو بن الصمق ، كما في الكامل ٤٢٢/٢ والنقائض ص ٩٣٣ والخزانة ١٣٩/٣ واللسان ٢٣١/١١ ونقد الشعر ص ٥١ والصناعتين ص ٢٨٩ .
(٥) م : « فما يرجع » .

(٦) ديوانه ص ٢٨٢ وقد نسب أبو تمام في الوحشيات لأبي الجويرية : عيسى بن أوس ، وترجمته في المؤتلف ص ٧٩ ومعجم الشعراء ص ٢٥٨ وفي ١ : « فوق النجم » .

(٧) في الأغاني ١٣٠/٤ قال النابغة الجعدي : « أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجب به :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإذا لنبنى فوق ذلك مظهرًا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين المظهر يا أبا ليل ؟ فقلت : الجنة . فقال : « قل إن شاء الله . فقلت : إن شاء الله » والبيت في الشعر والشعراء ٢٤٧/١ وفي اللسان ٢٠٢/٦ . والمظهر : المصعد .

وكقول الحسناء :

وما بلغت كف امرئ متناول بها المجد إلا حيثما نلت أطول^(١)
وما بلغ المهدون في القول مدحة وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل^(٢)
/ وقول الآخر (٣) :

١٣٩

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر صار البر أندى من البحر

* * *

ويرون من البديع « الإيغال » في الشعر خاصة ، فلا يطلب مثله في القرآن
إلا في الفواصل ، كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ عَيْنَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُشَقِّبْ^(١)
فقد أوغل بالقافية في الوصف وأكد التشبيه بها ، والمعنى قد يستقل دونها .

* * *

ومن البديع عندهم « التوشيح » . وهو أن يشهد^(٥) أول البيت بقافيته وأول
الكلام بآخره ، كقول البحترى :

١٤٠ / فليْسَ الَّذِي حَلَلْتَهُ بِمَحَلِّ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتَهُ بِحَرَامِ^(٦)
ومثله في القرآن : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٧) .

* * *

-
- (١) ديوانها ص ١٨٤ من قصيدة في أخيها صخر . وفي م : « كف امرئ متناول من المجد » .
(٢) م : « مدحة وإن ظنوا إلا الذي » وفي الديوان « مدحة ولا صفة إلا الذي »
(٣) زعم صاحب معاهد التنصيص ٢٠٨/١ أنه لحسان بن ثابت ، وذكر بعضهم أنه لبكر
ابن النطاح في أبي دلف .
(٤) البيت منسوب للعلمة الفحل في ديوانه ص ٢٨ وديوان امرئ القيس ص ٢٧ ولامرئ القيس
في الصناعتين ص ٣٠١ . والعمدة ٥٥/٢ وسر الفصاحة ١٤٨ وفي نقد الشعر ص ٦٣ : « فقد أتى
امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية ، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ، ثم لما جاء بالقافية أوغل
بها في الوصف وكده وهو قوله : الذي لم يشقب ، فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يشقب
أدخل في التشبيه » .
(٥) س : « أن يشيد » .
(٦) ديوانه ص ١٠ وفي الصناعتين ص ٣٠٣ « وذلك أن من سمع النصف الأول عرف الأخير

ومن ذلك «رَدُّ عَجَزِ الكلام على صدره» . كقول الله عز وجل : ﴿ أَنْظِرْ
كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾^(١)
وكقوله : ﴿ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ
مَنْ أَفْتَرَى ﴾^(٢) .

ومن هذا الباب قول القائل^(٣) :

وإن لم يكن إلا تعلُّل ساعةٍ قليلاً فإن نافعٌ لي قليلها
وكقول جرير :

/سقى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ غَمَامُهُ وما ذاك إلا حُبٌّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ^(٤) ١٤١
وكقول الآخر^(٥) :

يَوْدُ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْغَنَى فكيف يرى طُولَ السَّلَامَةِ يفعلُ
وكقول أبي صخر الهذلي :

عجبتُ لسعي الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فلما انقضى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ^(٦)
وكقول الآخر :

أَصْدُ بَأْيَدِي الْعِيسِ عَنْ قَصْدٍ أَرْضَهَا وقابى إليها بالموْدَةِ قاصِدُ^(٧)

(١) سورة الإسراء : ٢١

(٢) سورة طه : ٦١ وفي مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٢٤ : « السحت : القشر الذي يستأصل »

(٣) هو ذو الرمة ، كما في ديوانه ص ٥٥٠ وفي نوادر القائل ص ٢١٦ : « إلا معرس ساعة قليل »

(٤) ديوانه ص ٤٦٠ : « مستهل ربابه » وكذلك في البديع ص ٩٥ والصناعتين ص ٣٠٦ والعمدة ٤/٢ .

(٥) هو النمر بن تولب كما في الأغاني ١٥٩/١٩ والصناعتين ١٢٧ ، ٣٠٧ وجمهرة أشعار العرب ١١٠ وشرح شواهد المغنى ٢١٥

(٦) شرح الحماسة للتبريزي ٢٠٨/٣ والأغاني ١٤٩/٢١ والشعر والشعراء ٥٤٦/٢

(٧) الصناعتين ٣٠٦ « قصد دارها »

وكقول عمرو بن معدى كرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعْه وجاوزْه إلى ما تستطيع^(١)

* * *

ومن البديع « صحة التقسيم » ومن ذلك قول نُصَيْب :

١٤٢ / فقال فريقُ القوم : لا ، وفريقُهُمْ : نعم ، وفريقُ قال : ويحك ما ندرى^(٢)
وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا .
وكقول الآخر^(٣) :

فكأنَّها فيه نهارٌ ساطع وكأنَّه ليلٌ عليها مظلم^(٤)
وقول المقنَّع الكِنْدِي :

وإن يأكُلوا لحمي وفرتُ لحومَهُم وإن يهدموا مجدى بنيتُ لهم مجدًا^(٥)
وإن ضيَّعوا غيبي حفظتُ غيوبَهُم وإن هم هَوَّوا غيبي هَوَّيتُ لهم رُشدًا
وإن زجروا طيرًا بنحس تمرُّ بي زجرتُ لهم طيرًا تمرُّ بهم سعدًا
وكقول عروة بن حزام :

بمن لو أراه غائبًا لفديته ومن لو رآني غائبًا لفداني^(٦)
١٤٣ ونحوه قول الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ، يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ

(١) الشعر والشعراء ٣٣٥/١ والأصمعيات ص ٤٥ والصناعتين ص ٣٠٦ والأغاني ٣٣/١٤
ومعاهد التنصيص ٢٣٦/٢ وحاشية البحرى ٢٣٦

(٢) العمدة ٢٠/٢ وسر الفصاحة ٢٢٤ وس ، ك « ما يدرى » ونقد الشعر ص ٤٦ « لا أدرى »
وفى الصناعتين : « وفريق لا يمين الله ما ندرى » وفى اللسان ٣٥٤/١٧ :

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم وفريق كمين الله ما ندرى
(٣) هو بكر بن النطاح ، كما فى الأمالي ٢٢٧/١ وقبيله :

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو وحف أسحم
(٤) س ، ك « فكأنما »

(٥) الأمالي ٢٨١/١ وفى الأغاني ١٥٧/١٥ والشعر والشعراء ٧١٦/٢ « إذا أكلوا لحمي
وفرت لحومهم » وحاشية البحرى ٢٤٠

(٦) الأغاني ١٥٥/٢ وفى س ، ك : « لو أراه غائبًا . . . رآني غائبًا »

إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ ، يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ^(١) .

ونحوه : « صحة التفسير » . [وهو أن توضع معان تحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شرحت أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة ولا نقصان] ^(٢) .
كقول القائل ^(٣) :

وَلِي فَرَسٌ لِلْحَلَمِ بِالْحَلَمِ مُلَجِّمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ

ومن البديع : « التكميل والتتيم » .
[وهو أن يأتي بالمعنى الذى بدأ به بجميع المعانى المصححة المتممة لصحته ، المكملة لجودته ، من غير أن يخل ببعضها ، ولا أن يغادر شيئاً منها . كقول القائل : وما عسيت أن أشكرك عليه من مواعيد لم تُشَنِّ بمطل ، ومترافد لم تُشَبِّبَ بِمَنْ ، وبشر لم يمازجه ملق ، ولم يخالطه مذاق] ^(٤) .
/ وكقول نافع بن خليفة :

١٤٤

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يَقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوْهُ عَادُوا بِالسَّيْفِ الْقَوَاطِعِ ^(٥)
وإنما تم جودة المعنى بقوله : « وَيُعْطَوْهُ » .
وذلك كقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ إلى آخر الآية :
ثم قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ^(٦) .

ومن البديع : « التَّرْصِيعُ » . وذلك على ألوان ^(٧) .

-
- (١) سورة البقرة : ٢٥٧ (٢) الزيادة من م
(٣) هو محمد بن وهيب كما في عيون الأخبار ٢٨٩/١ أو محمد بن حازم الباهل كما في معجم الشعراء ص ٢٩٤ أو صالح بن جناح اللخمي كما في نقد الشعر ص ٤٩ والصناعتين ص ٢٧٢
(٤) الزيادة من م
(٥) نقد الشعر ص ٤٩ وفي العمدة ٤٩/٢ والصناعتين ص ٣٠٩ ورسر الفصاحة ٢٥٥ « بالسيف القواضب » .
(٦) سورة لقمان : ٣٤ . (٧) س ، ك : « من ألوان » .

منها قول امرئ القيس :

مِخْشٌ مِجْشٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعاً كَثِيرٌ ظَبَاءُ الْحَلَبِ الْعَدَوَانُ^(١)
ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس :

يَا مِنَّةً اَمْتَنَّا السُّكْرُ ما ينقضى مِنِّي لها الشُّكْرُ^(٢)
وكقوله ، وقد ذكرناه قبل هذا^(٣) :

/ ديارٌ نوارٍ ما ديارٌ نوار كسوتك شجواً هُنَّ منه عَوَار ١٤٥

* * *

ومن ذلك : « الترصيع مع التجنيس » ، كقول ابن المعتز :

ألم تجزع على الربع المُحِيل وأطلالٍ وآثارٍ مُحُولٍ^(٤)
ونظيره من القرآن كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وإخوانهم يمدُّونهم في الغيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾^(٥).

وقوله : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾^(٦).

وكقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾^(٧).

وكقوله : ﴿ وَالطُّورُ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾^(٨).

وقوله : ﴿ وَالسَّابِقَاتِ سَبْحاً . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً ﴾^(٩).

وقد أُولع الشعراء بنحو هذا ، فأكثرُوا فيه . ومنهم من اقتنع / بالترصيع في بعض أطراف الكلام . ومنهم من بنى كلامه [كله]^(١٠) عليه ، كقول ابن الرومي :

أَبْدَانُهُنَّ وما لبسَهُ نَ من الحرير معاً حريرٌ^(١١)

(١) ديوانه ص ١٤٥ ونقد الشعر ١١ والصناعتين ٢٩٦ وانظر اللسان ٣٢٣/١

(٢) ديوانه ص ١٠١ (٣) راجع ص ١٣١

(٤) ديوانه ٥٩ (٥) سورة الأعراف : ٢٠١ - ٢٠٢

(٦) سورة القلم : ٢ - ٣ (٧) سورة العاديات : ٧ - ٨

(٨) سورة الطور : ١ - ٢ (٩) سورة النازعات : ٣ - ٤

(١٠) (١١) ...

أَرْدَانُهُنَّ وَمَا مَسَسَهُ نَ مِنَ الْعَبِيرِ مَعاً عَبِيرٌ^(١)
وكقوله :

فَلِرَاهِبٍ أَنْ لَا يَرِيثَ مَكَانَهُ وَلِرَاغِبٍ أَنْ لَا يَرِيثَ نَجَاحَهُ^(٢)
ومما يقارب التصريح ضرب يسمى : « الْمُضَارَعَةُ » وذلك كقول الخنساء :
حَامِيَ الْحَقِيقَةِ مَحْمُودِ الْخَلِيقَةِ مَهْ لَدَى الطَّرِيقَةِ نَفَّاعٍ وَضَرَّارٍ^(٣)
جَوَابُ قَاصِيَةٍ جَزَازُ نَاصِيَةٍ عَقَّادُ أَلْوِيَةِ لِلخَيْلِ جَرَّارٌ^(٤)

ومن البديع باب : « التكافؤ » . وذلك قريب من « المطابقة » / كقول المنصور : ١٤٧
لا تخرجوا من عز الطاعة ، إلى ذل المعصية^(٥) . وقول عمر بن ذر^(٦) : إِنَّا لَمْ نَجِدْ
لَكَ إِذْ عَصَيْتَ اللَّهَ فِينَا خَيْرًا مِنْ أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ فَيْكَ^(٧) .
ومنه قول بشار :

إِذَا أَبَیْقَظْتَكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَتَنَّبَهُ لَهَا عُمْرًا ثُمَّ نَمَّ^(٨)
[ومنه قول أعرابي يذم قومه : أَلْسَنُ عَامِرَةٍ مِنَ الْوَعْدِ ، وَقُلُوبُ خَرِبَةٍ مِنَ الْعَزْمِ .
وقال آخر : وَسَاعَ فِي الْهَوَى ، وَطَرِبَ فِي الْحَاجَةِ]^(٩) .

(١) في الديوان : « ونسيمهن وما »

(٢) ديوانه ٧٨/٢ وفي س ، ك ، ا : « ألا يريث أمانه »

(٣) لا يوجد هذا البيت في ديوانها ، وهو لها في الصناعتين ص ٢٩٨ ، والحقيقة : ما يتحقق عليه
أن يحميه . وفي س : « الحقيقة »

(٤) م « حوال قاصية . . . اللونه » ك : « جزار ناصية » والذي في ديوانها :

حَمَالُ أَلْوِيَةِ هَبَاطُ أَوْدِيَةِ شَهَادِ أُنْدِيَةِ لِلجَيْشِ جَرَّارِ

(٥) الصناعتين ص ٢٤١

(٦) في البيان والتبيين ١/٢٦٠ « مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المتوفى . وقد كان سفه
عليه فأعرض عنه ، فتعلق بثوبه ثم قال له : يا هناء إنا لم نجد إلخ »

(٧) قال الجاحظ : « وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب ، قال عمر ... وإنك
والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه »

(٨) فقد الشعر ص ٥٣ وفي الأغاني ١٩٣/٣ « إذا دهمتك عظام الأمور » والبيت في مدح
الحواد الشجاع عمر بن العلاء

(٩) الزيادة من م وفي الصناعتين ص ١٢٤ « ووصف أعرابي غلاماً فقال : ساع في الحرب
قطوف في الحاجة »

ومن البديع باب : « التعطف » كقول امرئ القيس ^(١) :

* عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ ^(٢) *

/ وقد تقدم مثاله ^(٣) .

١٤٨

* * *

ومن البديع : « السلب والإيجاب » ، كقول القائل :

وننكر إن شئنا عَلَى الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول ^(٤)

* * *

ومن البديع « الكناية والتعريض » . كقول القائل :

وأحمر كالديباج ، أَمَا سَمَاوُهُ فَرِيًّا ، وَأَمَا أَرْضُهُ فَمَحُولُ ^(٥)

ومن هذا الباب « لحن القول » .

* * *

ومن ذلك : « العكس والتبديل » كقول الحسين ^(٦) : « إن من خَوَّفَكَ لَتَأْمَنَ

١٤٩ خَيْرٌ مِنْ أَمْنِكَ لَتَخَافَ » وكقوله : « اللهم أغْنِنِي / بالفقر إليك ، ولا تفقرني

بالاستغناء عنك » ^(٧) . وكقوله : « بع دنياءك بآخرتك تَرْبَحْهُمَا جميعاً ، ولا تبع

آخرتك بدنياءك فتخْسِرْهُمَا جميعاً » ^(٨) .

(١) م « باب العطف كقول روية »

(٢) الصناعتين ص ٣٣٥ وفي اللسان ٣١٧/٤ « العود الأول : رجل مسن ، والعود الثاني :

جمل مسن ، والعود الثالث : طريق قديم » وهو غير موجود في ديوان امرئ القيس .

(٣) راجع ص ١٢٣

(٤) الصناعتين ص ٣٢٢ وشرح الحماسة للتبريزي ١١٦/١ وشرح المرزوقي ١٢٠/١

(٥) قال ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب ص ٣٣٥ « هذا البيت ينسب إلى طفيل الغنوي ، ولم أجده في ديوان شعره . يصف فرساً أحمر وشبهه بالديباج في حسن لونه وملاسه جلده . وأراد بسمائه أعاليه ، وبأرضه : قوائمه ، وشبه قوائمه لقله لحمها بالأرض المحل التي لا نبات فيها » والبيت لطفيل في اللسان ١٢٤/١٩ والجواليقي ٢١١ والمعاني الكبير ١٥٥ وغير منسوب في ديوان المعاني ١٠٦/٢ وأمالى المرتضى ٧٥/٤ وأساس البلاغة ٤٦٠/١ والبديع لأسامة بن منقذ ص ٢١٢

(٦) في البديع ص ٧٦ : « وقال الحسن وقد أنكر عليه الإفراط في تخويف الناس : إن إلح

والصناعتين ص ٢٣٩

(٨) البيان والتبيين ١٣٢/٢

(٧) الصناعتين ص ٢٩٣

وكقول القائل :

وإذا الدرُّ زان حُسْنَ وجوهٍ كان للدرِّ حُسْنُ وجهك زينا^(١)
وقد يدخل في هذا الباب قوله تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(٢) .

* * *

ومن البديع : « الالتفات » فن ذلك ما كتب إلى الحسن بن عبد الله العسكري ،
أخبرنا محمد بن يحيى^(٣) الصُّولي ، [قال] : حدثني يحيى بن علي المنجم ، عن
أبيه ، عن إسحاق بن إبراهيم ، قال : قال لي الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟
قلت : لا ، فها هي ؟ قال :

أَتَنَسَى إِذْ تودعنا سُلَيْمَى
بفرع بَشَامَةٍ ؟ سُقِيَ البَشَامُ^(٤)
/ ومثل ذلك لجرير :

١٥٠

متى كان الخيام بذى طُلُوح - سُقِيَ الغيث - أَيْتَهَا الخيامُ ؟^(٥)
ومعنى الالتفاتات أنه اعترض في الكلام^(٦) قوله : « سُقِيَ الغيث » ، ولو لم
يعترض لم يكن ذلك التفاتاً ، وكان الكلام منتظماً ، وكان يقول : « متى كان
الخيام بذى طلوح أَيْتَهَا الخيام » ؟ فتي خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على
وجه يلطف - كان ذلك التفاتاً .
ومثله قول النابغة الجعدي :

أَلَا زَعَمْتُ بنو سعدٍ بِنَائِي - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السِّنِّ فَانِي^(٧)

(١) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة كما في أمالي المرتضى ٩١/٢ والموشح ص ٢٢٠ وهو غير
منسوب في البيان والتبيين ١٩٥/١

(٢) سورة الحج : ٦١ س ، ك « محمد بن عبد الله الصولي »

(٤) ديوانه ص ٥١٢ والبديع ص ١٠٧ والصناعتين ص ٣١١ واللسان ٣١٧/١٤ والعمدة
٤٤/٢ والبشام كما في اللسان ٣١٦/١٤ « شجر طيب الريح والطعم يستاك به » .

(٥) ديوانه ص ٥١٢ والبديع ص ١٠٧ واللسان ٦٨/١٩ وذو طلوح : اسم موضع

(٦) قال ابن المعتز في البديع ص ١٠٦ « الالتفات هو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى
الإخبار وعن الإخبار إلى مخاطبة ... » .

(٧) البديع ١٠٨ والصناعتين ٣١٢ والمعرين ص ٦٤ وفيه « بنو كعب » والعمدة ٤٣/٢ وفي م
« ألا كذبت » .

ومنه قول كثير :

لَوْ أَنَّ الْبَاذِلِينَ ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ ، تَعْلَمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ^(١) :
ومثله قول أبي تمام :

١٥١ / وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِنْهَامِ دَارِكُمْ
فِيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْد^(٢)
وكقول جرير :

طَرِبَ الْحَمَامُ بَذَى الْأَرَاكِ فَشَاقَنِي
لَا زَلَّتْ فِي غَلَلٍ وَأَيْكِ نَاضِرِ^(٣)
التفت إلى الحمام فدعا لها .
ومثله قول حسان :

إِنْ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا
قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِهَا لِمَ تُقْتَلِ^(٤)
ومثله قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

وَأَجْمَلُ إِذَا مَا كُنْتَ لَا بُدَّ مَا نَعَا
وَقَدْ يَمْنَعُ الشَّيْءَ الْفَتَى وَهُوَ مُجْمَل^(٥)
وكقول ابن ميادة :

فَلَا صُرْمُهُ يَبْدُو فِي الْيَأْسِ رَاحَةً
وَنَظِيرُ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ مِنْ قَوْلِهِ :
١٥٢ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا / تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٦) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾^(٧) .

(١) ديوانه ص ١٥٠ ويروى « الباخلين » . . . « العطايا » وفي الصناعتين ٥ ، ٣٦ ، ٣١٢
والبدیع ١٠٨ « ولو أن الباخلين . . . المطالا » وفي م « ولو أن الماطلين » .

(٢) ديوانه ص ٦٣ والبدیع ١٠٧

(٣) ديوانه ٣٠٤ وفيه « الأراك فهاجني » والبدیع ص ١٠٧ والعمدة ٤٢/٢ والصناعتين ٣١١ .

(٤) ديوانه ٣١١ والصناعتين ص ٣١١ وفي اللسان ٦٨/١٤ « وقتل الخمر قتلا : مزجها
فأزال بذلك حديثها ، قال حسان : إن التي عاطيتني ... قوله : قتلت دعاء عليه ، أي قتلتك الله لم مزجتها ؟ »

(٥) نقد الشعر ٥٣ والصناعتين ص ٣١١

(٦) نقد الشعر ٥٣ وفي الصناعتين ص ٣١٢ : « ولأودد يصفو . . . كأنه يقول : وفي اليأس
راحة ، والتفت إلى المعنى لتقديره أن معارضا يقول له : وما تصنع بصرمه ؟ فيقول : لأنه يؤدي إلى
اليأس ، وفي اليأس راحة »

(٨) آية ٢٤

(٧) سورة العنكبوت : ١٦ - ١٧

وقوله عز وجل : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١).

ومثله قوله : ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمِّ بَرِيحٍ طَبِيبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ، دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

ومثله قوله : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ (٣).

ومثله قوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ (٤).

/ومنهم من لا يعتد الاعتراض والرجوع^(٥) من هذا الباب. ومنهم من يفرده ١٥٣ عنه ، كقول زهير :

قِفْ بالديار التي لم يعفها القدمُ نعم ، وغيرها الأرواح والديم^(٦)
وكقول الأعرابي :

أليس قليلاً نظرةً إنْ نظرتُها إليك ، وكلاً ليس منكٍ قليل^(٧)
وكقول ابن هرمة :

ليت حظي كلحظة العين منها وكثير منها القليل المهنا^(٨)

(٢) سورة يونس : ٢٢

(١) سورة إبراهيم : ١٩ - ٢١

(٤) سورة المائدة : ٣٨ - ٣٩

(٣) سورة الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦

(٥) في البديع ص ١٠٨ « ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد . . . ومنها الرجوع وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه . . . »

(٦) المدة ٤٤/٢ ديوانه ص ١٤٥

(٧) البيت ليزيد بن الطثرية كما في شرح حسانة أبي تمام ٢٨٩/٣ والأمال ١٩٦/١ وغير

(٨) الصناعتين ص ٣١٣ .

منسوب في البديع ص ١٠٩ والصناعتين ٣١٣ .

ومن الرجوع قول القائل :

بكلُّ تداوينا فلم يُشَفَّ ما بنا
على أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خيرٌ من البُعْدِ^(١)
وقال الأعشى :

أَصْرَمْتُ ولم أَصْرِمْكُمْ وكَصَارِمِ
أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحاً وَأَبٌّ لِيَذْهَبَا^(٢)
وكقول بشَّار :

لِي حيلة فيمن ينمُ
مُ وليس في الكذاب حيلة^(٣)
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو
لُ فحيلتي فيه قليلة^(٤)
وقال آخر :

وما بي انتصار إن عدا الدهر ظالماً
على ، بلى إن كان من عندك النصر^(٥)

١٥٥ / وباب آخر من البديع يسمى : « التذليل » وهو ضرب من التأكيد ، وهو
ضد ما قدمنا ذكره من الإشارة^(٦) ، كقول أبي دُوَاد :

(١) البيت لابن الدنية كما في ديوانه ص ٢٨ وحماسة أبي تمام ٢٥٧/٣

(٢) ديوانه ص ٨٩ وفي اللسان ١٩٩/١ « أب للسير : تهباً للذهاب وتجهيز ، قال الأعشى . . .
أى صرمتكم فى تهيبى لمفارتكم ، ومن تهيباً للمفارقة فهو كن صرم » وفى ٤٠٧/٣ « ويقال طوى فلان كشحه :
إذا قطعك وعادك ، ومنه قول الأعشى : وكان طوى كشحاً وأب ليذهبا »

(٣) فى الكامل ١٧/٢ لبعض المحدثين ، وطبقات الشافعية ٢/٣٢٠ لأبى الحسن التميمى ، منصور
ابن اسماعيل ، وقد أنشدهما القاضى ابن فريمة كما فى المنتظم ٩٢/٧ ونسجها المرزبانى فى معجم الشعراء
ص ٥٠٢ لأبى مروان يحيى بن مروان . وفى الموشح ص ٣٥٠ عن الصولى قال : « أنشدهما أبو العباس
المبرد لمحمود بن مروان بن أبى حفصة : لى حيلة . . . قال المبرد : وقد ناقض هذا الشاعر ؛ لأنه قال :
« وليس فى الكذاب حيلة » ثم قال : « فحيلتى فيه قليلة » ثم أنشدنا لنفسه :

إن النجوم أعطى دونه خبرى وليس لى حيلة فى مفترى الكذب »

وهما من غير نسبة فى غرر الخصاص ٤٩ والذخائر والأعلاق ١٠٦ .

(٤) م « يكذب » وفى الموشح ومعجم الشعراء : « يكذب ما يريد » .

(٥) البيت لأبى اليبداء الرياحى كما فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ٤٤٩ وفى س ، ك
والصناعتين ص ٣١٤ « إن غدا الدهر ظالمى »

(٦) فى التصانيع ص ٢٩٤ « فأما التذليل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى
يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه ، وهو ضد الإشارة والتعريض . . . » .

إِذَا مَا عَقَدْنَا لَهُ ذِمَّةً شَدَدْنَا الْعِجَاجَ وَعَقَدَ الْكَرْبَ^(١)
وَأَخَذَهُ الْحَطِيطَةَ فَقَالَ :

[قَوْمُ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِحَارِهِمْ شَدُّوا الْعِجَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا^(٢) /
وَقَقُولِ الْآخِرِ]^(٣) :

١٥٦

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكَنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلْ؟^(٤)
وَقَقُولِ جَرِيرَ :

لَقَدْ كُنْتُ فِيهَا يَا فَرَزْدَقُ تَابِعًا وَرِيْشُ الذَّنَابِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ^(٥)
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا .
يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ . إِنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ . وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾^(٦) .

* * *

وباب من البديع يسمى « الاستطراد »^(٧) . فمن ذلك ما كتب إلى الحسن بن

(١) في اللسان ١٥٤/٣ « العجاج : خيط أو سير يشد في أسفل الدلو ، ثم يشد في عرونها أو عرقوبها ، وربما شد في إحدى آذانها » والكرب كما في اللسان ٢٠٨/٢ « الحبل الذي يشد على الدلو بعد المنين - وهو الحبل الأول - فإذا انقطع المنين بقى الكرب » .

(٢) البيت في اللسان ٢٠٩/٢ ، ١٥٤/٣ وفي ديوان الحطيطه ص ٧ ونظام الغريب ص ١٩٩ ومبادئ اللغة ص ٢١ وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٤٠ وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ١٩٢ : « والخشبستان اللتان تعترضان على الدلو كالصليب هما : « الفرقوتان » والسيور التي بين آذان الدلو والعراق هي « اللؤم » ، « العجاج » في الدلو الثقيلة : حبل أو بطن يشد تحتها ، ثم يشد إلى العراق ، فيكون عوناً للؤم ؛ فإن كانت الدلو خفيفة شد الخيط في إحدى آذانها إلى العرقوة ، و « الكرب » أن يشد الحبل إلى العراق ، قال الحطيطه : قوم إلخ وقال ابن السيد في الاقتضاب ص ٣٥١ « وأراد الحطيطه : أنهم إذا عقدوا عقداً أحكموه وأوثقوه كإحكام عقد الدلو إذا شد عليها العجاج والكرب ، وليس هناك عجاج ولا كرب في الحقيقة وإنما هو مثل »

(٣) الزيادة من م

(٤) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢٩٥ واللسان ١٨١/١٤ وهو لربيعة بن مقروم الضبي كما في الأغاني ٩٣/١٩ وفي اللسان « وصف فرسه بحسن الطراد فقال : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ » (٥) ديوانه ص ٥٦١ (٦) سورة القصص : ٤ - ٨

(٧) في الصناعتين ص ٣١٦ « وهو أن يأخذ المتكلم في معنى ، فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سبباً إليه »

عبد الله قال : أنشدني أبو بكر بن دُرَيْد ، قال : أنشدنا أبو حاتم ، عن
أبي عبيدة ، لحسان بن ثابت ، رضى الله تعالى عنه :

١٥٧ / إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الذِّى حَدَّثَنِى فَنَجُوتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ^(١)
تَرْكُ الْأَحْبَةِ أَنْ يِقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ^(٢)
وكقول السماأل :

وإنما لقوم لا نرى القتل سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٍ^(٣)
وكقول الآخر :

خَلِيلِي مِنْ كَعْبٍ أَعَيْنَا أَخَا كَمَا عَلَى دَهْرِهِ ، إِنْ الْكَرِيمُ مُعِينٌ^(٤)
وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَرْعَةَ ، إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينٌ
وكقول الآخر :

فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَانَنَا مِنْ الْعِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ^(٥)
/ وكقول زهير : ١٥٨

إِنْ الْبَخِيلُ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَوْ كُنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَالَتِهِ هَرِمٌ^(٦)
وفيا^(٧) كتب إلى الحسن بن عبد الله ، قال : أخبرني محمد بن يحيى [قال] :

(١) ديوانه ص ٣٦٣ والصناعتين ص ٣١٦ وفى س ، ك : « كاذبة التي » ويشير حسان إلى
فرار الحارث بن هشام عن أخيه أبي جهل يوم بدر .

(٢) س ، ك « لم يقاتل دونهم ورى برأس » وفى اللسان ١٧٤/٦ « الطمر : الفرس الجواد ،
وقيل : المستعد للعدو والأُنثى ، طمرة » .

(٣) الصناعتين ص ٣١٧ والبدیع ص ١١٠ والعمدة ٣٧/٢ وشرح الحماسة للتبريزي ١١١/١
والمرزوقي ١١٤/١ وزهر الآداب ١٦٣/٤ .

(٤) الشعر لبشار كما فى البديع لابن المعتز ص ١٠٩ والصناعتين ص ٣١٨ والعمدة ٣٨/٢
وفى الكامل ٢٣٣/١ « وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قَرْعَةَ » وفى ص ، ك « نراه حزين » .

(٥) البيت لإسحق بن إبراهيم الموصلى يصف السكر ، كما فى البديع لابن المعتز ص ١١١ وحماسة
ابن الشجرى ص ٢٥٩ وغير منسوب فى الصناعتين ص ٣١٨ والبيان والتبيين ٤٠٢/١ وجاء فى خاص
الخاص ص ٦٠ : « ولما بلغ أحمد بن هشام قول إسحق الموصلى - قال : يا أبا محمد لم هجوتنى ؟ قال :
لأنك قدمت على طريق القافية ! »

(٦) البديع ص ١١٠ والصناعتين ٣١٧ والعمدة ٣٨/٢ وديوانه ص ١٥٢ . على علاقته :
على عسره ويسره . (٧) م : « وما » .

حدثني محمد بن عليّ الأنباري^(١)، قال : سمعت البحري يقول : أنشدني أبو تمام لنفسه :

وسابح هَظِلِ التَّعْدَاءِ هَتَّانِ على الجِراءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَّانِ^(٢)
أَظْمَى الفصوص ولم نظمًا قوائمه فخلَّ عينيك في ريان ظمَّانِ^(٣)
ولو تراه مُشِيحاً والحصى فِلَقُ بين السنايك من مَثْنَى ووَحْدَانِ^(٤)
أَيَقَنْتَ - إن لم تثبَّتْ - أنَّ حافره من صخر تدُمَّرُ أومن وجه عثمان^(٥)
وقال لي : ما هذا من الشعر ؟ قلت لا أدري . قال : هذا المستطرد ، أو قال :
الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُرَى أنه يصف الفرس ، ويريد
هجاء عثمان^(٦) .

/وقال البحري :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته يوماً خلائق حمْدَوِيهِ الأخولِ^(٧)
قال : فقيل للبحري : إنك أخذت هذا من أبي تمام ، فقال : ما يعاب
عليّ أن آخذ منه وأتبعه فيما يقول .
ومن هذا الباب قول أبي تمام :

صُبَّ الفراق علينا صُبَّ من كُثِبَ عليه إسحاق يوم الروع منتقما^(٨)

(١) في أخبار أبي تمام ص ٦٨ « حدثني أبو الحسن علي بن محمد الأنباري »

(٢) في الصناعتين ٣١٧ وأخبار أبي تمام ص ٦٨ والعمدة ٣٨/٢ وديوانه ص ٢٠١ وفيه « أمون »

وزهر الآداب ١٦٢/٤ وديوان المعاني ١٩٨/١ ومعجم الأدباء ٢٥٠/١٩

(٣) س ، ك « فجعل عينك »

(٤) في الديوان والصناعتين « تحت السنايك »

(٥) في الديوان « حلفت إن لم » . ويريد بعثمان : عثمان بن إدريس السامي

(٦) س ، ك : « فقال وقال » .

(٧) ديوانه ٢١٨/٢ والصناعتين ٣١٨ وزهر الآداب ١٦٢/٤ ومعجم الأدباء ٢٥٠/١٩

(٨) ديوانه ص ٣٠٢ والصناعتين ٣٦٤ وفي ص « صب من كتب » ب « صبا من كتب »

ويعني بإسحاق : إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وإلى بغداد الذي كان يطلب العلماء ويمتنحهم بأمر المأمون
في فتنة خلق القرآن ، ويقال : إنه ما كان أحد أشغف بشعر أبي تمام منه ، وكان يمطيه عطاء كثيراً .

وكانت وفاة إسحاق في سنة ٢٣٥

ومنه قول السرى الرفاء :

نزع الوشاة لنا بسهم قطيعة يُرمى بسهم الحين من يرمى به ^(١)
ليت الزمان أصاب حبّ قلوبهم بقنا ابن عبد الله أو بحرايه
ونظيره من القرآن : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ
ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ، وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ^(٢) . .
١٦٠ / كأنه كان المراد أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله
عز وجل ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص .

ومن البديع عندهم : « التكرار » كقول الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتُ جُمُوعَ كِنْدٍ مَدَّةَ يَوْمٍ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا ؟ ^(٣)
وكقول الآخر :

وكانت فزارة تصلى بنا فأولَى فزارة أولَى فزاراً ^(٤)
ونظيره من القرآن [كثير ، كقوله تعالى] ^(٥) : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ^(٦) .
وكالتكرار في قوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٧) . وهذا فيه معنى زائد على
التكرار ؛ لأنه يفيد الإخبار عن الغيب .

ومن البديع عندهم ضرب من « الاستثناء » كقول النابغة :

-
- (١) ديوانه ص ٢١ وفيه : « ترى بسهم قطيعة ترى به »
(٢) سورة النحل : ٤٨ - ٤٩
(٣) البيت لعبيد بن الأبرص كما في ديوانه ص ٢٨ ومختارات ابن الشجرى ٣٩/٢ والصناعتين
١٤٤ وتأويل مشكل القرآن ص ١٤٣ ، ١٨٣
(٤) البيت لعوف بن عطية بن الخرع الربابي كما في المفضليات ٢١٦/٢ وفيها « فكادت فزارة »
وفي س ، ك « أولى لها » وهو في الصاحبى ص ١٩٤ وسيبويه ٣٣١/١ وتأويل مشكل القرآن ص ١٨٣
(٥) الزيادة من أوفى م « ون التكرار في القرآن كثير كقوله تعالى »
(٦) سورة الانشراح : ٥ - ٦
(٧) سورة الكافرون : ١

ولا عيب فيهم غيرَ أنْ سُيُوفُهُمْ مِنْ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ^(١) ١٦١
وكقول النابغة الجعدي :

فَتَنَى كَمَلْتَ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيًا^(٢)
فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
وكقول الآخر :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْعَلَمَ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْعَلَمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيْبٌ^(٣)
وكقول أبي تمام^(٤) :

تَنْصَلُ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالْوِدَادِ^(٥)

ووجوه البديع كثيرة جداً ، فاقصرنا على ذكر بعضها ، ونبها بذلك على مالم نذكر ، كراهة التطويل ، فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع .

/وقد قدر مقدرون أنه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي ١٦٢
نقلناها ، وأن ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه .

وليس كذلك عندنا ؛ لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها ، وذلك كالشعر الذي إذا عرف الإنسان طريقته صح منه العمل له وأمكنه نظمها .

والوجوه التي تقول : إن إعجاز القرآن يمكن أن يُعلم منها ؛ فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل إليه بحال . ويبين ما قلنا : أن كثيراً من المُحَدِّثِينَ^(٦)

-
- (١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٤ والصناعتين ص ٣٢٤ والبديع ص ١١١ والعمدة ٥٠/٢
(٢) الأمالى ٢/٢ وفيه : « كَلَمَاتُ خَيْرَتِهِ » والشعر والشعراء ٢٥٢/١ وأمالى المرتضى ١٩٤/١
وشرح الحماسة للتبريزي ١٩/٣ والبديع ص ١١١ والصناعتين ص ٣٢٤ والعمدة ٤٦/٢
(٣) البيت لعريقة بن مسافع العبسي ، كما في الأصمعيات ص ١٥ والأمالى ١٤٩/٢
(٤) م « كقول أبي تمام » .
(٥) ديوانه ص ٨١ يعتذر إلى أحمد بن أبي دؤاد والموازنة ص ٣١٥ .
(٦) م « قد تصنعوا لأبواب الصنعة حتى حشى بعضهم شعره جميعاً منها ، واجتهد ألا يعن له بيت إلا وهو مملوء من الصنعة . . . في كلمته » .

قد تصنع لأبواب الصنعة ، حتى حشّى جميع شعره منها ، واجتهد أن لا يفوته بيت إلا وهو يملؤه من الصنعة ، كما صنع أبو تمام فى لاميته :

متى أنت عن ذُهليّة الحىّ ذاهلٌ وصدرك منها مدة الدهر آهلٌ^(١)
تُطلُّ الطلولُ الدَّمعَ فى كلِّ موقفٍ وتمثّلُ بالصبرِ الديارَ المَواثِلُ^(٢)
دوارِسُ لم يَجفُ الربيعُ ربوعَها ولا مرّ فى أغفاليها وهو غافلٌ^(٣)
١٦٣ / فقد سحبتُ فيها السحابُ ذيلَها وقد أخملتُ بالنور تلك الخمائلُ^(٤)
تَعفّينَ من زادِ العُفاةِ إذا انتحى على الحىّ صَرفُ الأزمةِ المتاحلِ^(٥)
لهم سَلَفٌ سُمِرُ العوالى وسامرٌ وفيهم جمالٌ لا يَغِيضُ وجامِلُ^(٦)
ليالى أضللتَ العزاءَ وخزلتَ بعقلك آرامُ الخُدورِ العقائلِ^(٧)
مِنَ الهيفِ لو أَنَّ الخلاخيلَ صُيرتَ لها وشحاً جالتُ عليه الخلاخِلُ^(٨)
مَهَا الوحشِ إلا أَنَّ هاتا أوانسُ قنّا الخطّ. إلا أَنَّ تلك ذوابِلُ^(٩)
هوى كان خلساً إنَّ من أطيب الهوى هوى جُلّت فى أفيائه وهو خامِلُ^(١٠)

ومن الأدباء من عاب عليه هذه الأبيات ونحوها على ما قد تكلف^(١١) فيها من البديع ، وتعمّل من الصنعة ، فقال : قد أذهب ماء هذا الشعر / ورونقه وفائدته ، ١٦٤

(١) ديوانه ص ٢٥٥ فيه « وقلبك منها » . وذهلية : منسوبة إلى قبيلة ذهل

(٢) س « تطل طلول » ب « ويمثل »

(٣) فى اللسان ١١/١٤ « وكل ما لا علامة فيه ولا أثر عمارة من الأرضين والطرق ونحوها :

غفل ، والجمع أغفال »

(٤) فى الديوان « فيها السحاب ذيلها . . . منها الخمائل » وم « فيها الخمائل »

(٥) م « من دار العفاة » والديوان : « المتحامل »

(٦) سمر العوالى : الرياح . وفى اللسان ١٣/١٣ « الجامل : قطع من الإبل معها رعيانها

وأربابها ، قال الخطيئة :

فإن تك ذا مال كثير فإنهم لهم جامل ما يهدأ الليل سامره »

(٧) س ، ك « وخذلت » م « وحولت » ا « وجولت » .

(٨) راجع الموازنة ١/١٤٠

(٩) راجع الموازنة ١/٣٠

(١٠) م « فى أثنائه » والديوان « إن من أحسن الهوى » . (١١) م « على ما تكلف »

اشتغالا بطلب التطبيق وسائر ما جمع فيه^(١) .

وقد تعصب « عليه أحمد بن عبَّيد الله بن عمَّار » وأسرف حتى تجاوز إلى الغض من محاسنه .

ولمَّا قد أُلِع به من الصنعة ربَّما غُطِّي على بصره حتى يُبدع في القبيح ، وهو يريد أن يبدع في الحسن . كقوله في قصيدة له أولها :

سِرْتُ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ^(٣)
فقال فيها :

لعمري لقد حرَّرتَ يومَ لَقِيَّتَهُ لو أن القضاء وحده لم يُبرِّدِ^(٤)
وكقوله :

لو لم تدارك مُسنَّ المجد مذ زمن بالجود والبأس كان المجد قد خرَّفاً^(٥)
فهذا من الاستعارات القبيحة ، والبديع المقيت^(٦) !!

/وكقوله :

تسعون ألفاً كآساد الشَّرى نَضِجَتْ أعمارهم قَبْلَ نُضْجِ التَّيْنِ وَالْعَنْبِ^(٧)
وكقوله :

لو لم يَمُتْ بين أطراف الرِّماح إذا لمات ، إذ لم يمت . مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ^(٨)

(١) في الموازنة ص ١٣ « روى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : تمت أي يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم أتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلك طريقاً وعراً ، واستكره الألفاظ والمعاني ، ففسد شعره ، وذهبت طلاوته ، ونشف ماؤه »

(٢) م « ابن عبد الله » وهو خطأ . (٣) ديوانه ص ١٠١ وفيه « غدت تسجير » .

(٤) م « لقد حررت . . . لم يجرد » والموازنة ٢٥٩ والوساطة ٦٨ والموشح ٣٠٨

(٥) ديوانه ص ٢٠٤ وفيه : « لو لم تفت . . . كان الجود » والوساطة ٦٩ والموشح ٣٠٨

والصناعتين ٢٣٦ والموازنة ٢٣١ . (٦) م « المعيب »

(٧) ديوانه ص ١١ والموشح ٣٠٨ ، ٣٢٢ وأخبار أبي تمام ص ٣٠

(٨) ديوانه ص ٣٨٨ والوساطة ص ٦٩ وفي الموشح ص ٣٠٩ « فكأنه لو نصر أيضاً ونظر

كان يموت من الغم حيث لم ينصر ويقتل ، فهذا معنى لم يسبقه أحد إلى الخطأ في مثله » !!

وكقوله :

* خَشْنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خَشِين^(١) *

وكقوله :

أَلَا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفْأً بِسَيِّئٍ ۖ إِلَى مَجْتَدَى نَصْرٍ فَتَقْطَعُ مِنَ الزَّيْدِ^(٢)
وقال في وصف المطايا :

١٦٦ / لو كان كلّفها عبيد حاجةً يوماً لَزَنَى شَدَقْماً وَجَدِيلاً^(٣)
وكقوله :

فَضْرِبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا^(٤)
فهذا وما أشبهه إنما يحدث من غلوّه في محبة الصنعة ، حتى يعميه عن وجه الصواب ، وربما أسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها ، حتى استثقل نظمهُ ، واستوخِمَ رصفهُ ، وكان التكلف^(٥) بارداً ، والتصرف جامداً . وربما اتفق مع ذلك في كلامه النادر المليح ، كما يتفق البارد القبيح .

وأما البحترى فإنه لا يرى في التجنيس ما يراه أبو تمام ، ويقلّ التصنع له . فإذا وقع في كلامه كان في الأكثر حسناً رشيقاً ، وظريفاً جميلاً . وتصنعه

(١) هذا الشطر مطلع قصيدة له ، وعجزه كما في ديوانه ص ٣٢١ * وأنجح فيك قول العاذلين * وقد ورد في الصناعتين ص ٢٦٢ والموشح ص ٣٢٤ وفي ص ٣١٠ « وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في منازلتهن ، وإنما أوقعه في ذلك محبته ها هنا للتجنيس ، وهو بهجاء النساء أولى » ! وفي الموازنة ص ٤٣٧ « فأما قوله : خَشْنَتْ عَلَيْهِ ، فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة ، وعهدت مجان البغداديين يقولون فيه : قليل نورة يذهب بالحشونة » .

(٢) ديوانه ص ١١٥ من قصيدة يمدح بها أبا العباس : نصر بن منصور بن بسام ، وفيه « فتقطع للزبد » والبيت في الصناعتين ٢٣٦ والوساطة ٦٨ والموازنة ص ٢٢٩ والموشح ص ٣١١ .

(٣) ديوانه ص ٢٤٣ وفيه « لأنسى شدقما » والوساطة ص ٦٥ وفي الموشح ص ٣١١ ما أحسن قوله : « لزنى شدقما وجدبلا ، وما معنى تزنيته ناقة أو بهيمة » ؟ وفي اللسان ١١٢/١٣ « وجدبل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر » . ويشير أبو تمام إلى قول عبيد الراعي البهيري :
شم الحوارك جنحاً أغضادها صهباً تناسب شدقما وجدبلا

(٤) ديوانه ص ٢٧ وفيه « غادرته قودا » والوساطة ص ٦٨ والصناعتين ص ٢٣٦ والموشح ص ٣١٣ . والقود ، والموود : البعير المسن . (٥) س : « واستوخم رصفه وكان التكليف » .

للمطابق كثير حسن ، وتعمقه في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة ، والرغبة في السلاسة ، فلذلك يخرج سليماً من العيب في الأكثر .

/ وأما وقوف الألفاظ به عن تمام الحُسْنَى ، وقعود العبارات عن الغاية القصوى ١٦٧ فشيء لا بد منه ، وأمر لا محيص عنه . كيف وقد وقف على من هو أجل منه وأعظم قدراً في هذه الصنعة . وأكبر في الطبقة ، كامرئ القيس ، وزهير ، والنابعة ، وابن هرمة^(١) . ونحن نبين تَمَيُّز كلامهم ، وانحطاط درجة قولهم ، ونزول طبقة نظمهم عن بديع نظم القرآن ، في باب مفرد ، يتصور به ذو الصنعة ما يجب تصوره ، ويتحقق^(٢) وجه الإعجاز فيه . بمشيئة الله وعونه .

* * *

/ ثم رجع الكلام بنا إلى ما قدمناه . من أنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن ١٦٨ من البديع الذي ادَّعَوْهُ في الشعر ووصفوه فيه .

وذلك : أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ، ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له ، كقول الشعر ، ورصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحدق في البلاغة . وله طريق يُسَلِّك ، ووجه يُقَصِّد ، وسُلَّم يُرْتَقِي فيه إليه ، ومثال قد يقع طالبه عليه . فربَّ إنسان يتعود أن ينظم جميع كلامه شعراً ، وآخر يتعود^(٣) أن يكون جميع خطابه سجعاً ، أو صنعة متصلة ، لا يُسْقَط من كلامه حرفاً^(٤) ، وقد يتأتَّى له لما قد تعوَّده^(٥) . وأنت ترى أدباء زماننا يضعون^(٦) المحاسن في جزء . وكذلك يؤلفون أنواع البارع ، ثم ينظرون فيه إذا أرادوا إنشاء قصيدة أو خطبة فيحسنون^(٧) به كلامهم . ومن كان قد تدرَّب وتقدَّم في حفظ ذلك — استغنى عن هذا التصنيف . ولم يَحْتَجْ إلى تكلف هذا التأليف ، وكان ما أشرف عليه من هذا الشأن باسطاً من باع كلامه ، وموشحاً بأنواع البديع ما يحاوله من قوله .

(١) في جميع الطبقات السابقة « والنابعة » إلى يومنا ونحن نبين ! ! !

(٢) م « ويتيقن » (٣) س ، ك « شعراً أو يتعود »

(٤) س ، ك « حرف وقد يباذه به ما قد » (٥) س ، ك « يضيفون »

(٦) س ، ك « فيحشون » (٧) س ، ك « اشتغل »

١٦٩ / وهذا طريق لا يتعذر ، وباب لا يمتنع ، وكل يأخذ فيه مأخذاً ويقف منه موقفاً^(١) ، على قدر ما معه من المعرفة ، وبحسب ما يمدّه من الطبع .
 فأما شأؤُ نظم القرآن ، فليس له مثال يُحتذى عليه^(٢) ، ولا إمام يُقتدى به ، ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً ، كما يتفق للشاعر البيت النادر ، والكلمة الشارِدة ، والمعنى الفذّ الغريب ، والشئ القليل العجيب ، وكما يلحق من كلامه^(٣) ، بالوحشيات ، ويضاف من قوله إلى الأوَّيدِ ؛ لأن ما جرى هذا المجرى ووقع هذا الموقع ، فإنما يتفق للشاعر في لمع من شعره ، وللكاتب في قليل من رسائله ، وللخطيب في يسير من خطبه . ولو كان كل شعره نادراً ، ومثلاً سائراً ، ومعنىً بديعاً ، ولفظاً رشيقيّاً ، وكلّ كلامه مملوءاً من رَوْنقه ومائه ، ومحلّي^(٤) ببهجته وحسن رُوائه ، ولم يقع فيه المتوسط بين الكلاميّين ، والمتردّد بين الطرفين ، ولا البارد^(٥) المستقل ، والغثُ المستنكر — لم يَبسِ الإعجازُ في الكلام ، ولم يظهر^(٦) التفاوت العجيب بين النظام والنظام .

١٧٠ / وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل^(٧) ، ومُبْهَمٌ قد يحتاج في بعضه إلى تفسير^(٨) .
 وسند كر ذلك بمشيئة الله وعونه .

ولكن قد يمكن أن يقال في البديع الذي حكيناه وأضفناه إليهم : إن ذلك باب من أبواب البراعة ، وجنسٌ من أجناس البلاغة ، وإنه لا ينفك القرآن عن فنّ من فنون بلاغاتهم ، ولا وجه من وجوه فصاحتهم ، وإذا^(٨) أورد هذا المورد ، ووضع هذا الموضع — كان جديراً .

وإنما لم نطلق القول إطلاقاً ؛ لأننا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصّة ، ووقفاً عليها ، ومضافاً إليها ، وإن صح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة ، آخذة بحظها من الحسن والبهجة ، متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المُستَبشّع ، والتعمل المُستَشْنَع .

(١) س ، ك « ويقف فيه » (٢) س ، ك « يحتذى إليه »

(٣) س « بكلامه بالوحشيات » (٤) س ، ك « وملا »

(٥) م « ولا يشاركه البارد » (٦) س ، ك « ولم يبل »

(٧) م « إلى التفصيل ومنهم من يضطر في بعضه إلى التفسير » .

(٨) م « فإذا ورد . . . جديراً به »

في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن

قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية ، من العجم والترك وغيرهم ، أن يعرفوا إعجاز القرآن إلا بأن^(١) يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك . فإذا عرفوا هذا — بأن علموا أنهم قد تُحَدُّوا إلى^(٢) أن يأتوا بمثله ، وقَرَّعوا على ترك الإتيان بمثله ، ولم يأتوا به — تبينوا أنهم عاجزون عنه . وإذا عجز هل ذلك اللسان ، فهم عنه أعجز .

وكذلك نقول : إن من كان من أهل اللسان العربي — إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره — فهو كالأعجمي : في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن ، إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره ، وهو ومن ليس من أهل اللسان ، سواء .

فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها — فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرج عن الوسع ، ويتجاوز حدود القدرة — / فليس يخفى عليه إعجاز القرآن ، كما ١٧٢ يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر ، وكما يميز بين الشعر الجيد والردىء ، والفصيح والبديع ، والنادر والبارع والغريب .

وهذا كما يميز أهل كل صناعة صنعتهم ، فيعرف الصيرق من النقد ما يخفى على غيره ، ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته ورداءته ما يخفى على غيره ، وإن كان يَبْقَى مع معرفة هذا الشأن أمر آخر ، وربما^(٣) اختلفوا فيه : لأن من أهل الصناعة من يختار الكلام المتين ، والقول الرصين . ومنهم من يختار الكلام الذي يَرُوق ماؤه ، وترُوع بهجته ورؤاؤه ،

(٢) س ، ك « تحملوا عل »

(١) س ، ك « إلا أن »

(٣) م ، أ « آخر ربما »

وَيَسْلُسُ مَأْخَذَهُ ، وَيَسْلَمُ وَجْهَهُ وَمَنْفَذَهُ ، وَيَكُونُ قَرِيبَ الْمُتَنَاوَلِ ،
غَيْرَ عَوِيضِ اللَّفْظِ ، وَلَا غَامِضِ الْمَعْنَى .

كما [قد] ^(١) يختار ^(٢) قوم ما يغمض معناه ، وَيَغْرُبُ لَفْظُهُ ، وَلَا يَخْتَارُ
مَا سَهَّلَ عَلَى اللِّسَانِ ، وَسَبَقَ إِلَى الْبَيَانِ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَفَ زُهَيْرًا ، فَقَالَ : كَانَ لَا يَمْدَحُ
الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا فِيهِ ^(٣) . وَقَالَ لِعَبْدِ بْنِ الْحَسَنِ حِينَ أَنْشَدَهُ :

/ * كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا ^(٤) * :

أَمَا إِنَّهُ لَوْ قُلْتَ مِثْلَ هَذَا لَأَجَزْتُكَ عَلَيْهِ ^(٥) .

وَرَوَى أَنَّ جَرِيرًا سُنِّلَ عَنْ أَحْسَنِ الشُّعْرِ ؟ فَقَالَ : قَوْلُهُ :

أَنَّ الشَّقَى الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ

وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْحُو مِنَ النَّارِ ^(٦)

كَأَنَّهُ فَضَّلَهُ لَصَدَقَ مَعْنَاهُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْتَارُ الْغُلُوَّ فِي قَوْلِ الشُّعْرِ وَالْإِفْرَاطَ فِيهِ ^(٧) ، حَتَّى رُبَّمَا قَالُوا :

أَحْسَنُ الشُّعْرِ أَكْذَبُهُ ؛ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

يَقْدُ السَّلُوقُ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ

وَيُوقِدُنَ بِالْصُّفَاحِ نَارَ الْحُبَّاحِبِ ^(٨)

وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى مَدْحِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ : فِي الْغُلُوِّ ^(٩) وَالْاِقْتِصَادِ ، وَفِي الْمَتَانَةِ

وَالسَّلَاسَةِ .

(٢) س « ويختار »

(١) الزيادة من م

(٣) راجع الأغاني ١٤٧/٩ والشعر والشعراء ٨٧/١

(٤) صدره في ديوان سميم ص ١٦ * عميرة ودع إن تجهزت غاديا *

(٥) في الأغاني ٣/٢٠ « لو قلت شعرك كله . . . » وفي البيان والتبيين ٧٢/١ « لو قدمت

الإسلام على الشيب لأجزتك »

(٦) من أبيات جميلة أنشدها ابن الأعرابي . كما في أمالي المرتضى ٤٥/١ - ٤٦ وقبله :

ما شقوة المرء بالإقتار يقتره ولا سعادته يوماً بإكثار

(٨) ديوانه ص ٤٤ والعمدة ٥٩/٢ ، ٢٨٥

(٧) سقطت كلمة « فيه » من م

(٩) س « في اللغو »

ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعةً ، وألطف/تعملاً ؛ وأن ١٧٤
يتخير الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعية والقوافى الواقعة ، كذهب البحرى ، وعلى
ما وصفه عن بعض الكتّاب^(١) [فى قوله]^(٢) :

فِي نِظَامٍ مِّنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ
لَكَ أَمْرُؤُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ^(٣)
وبديع كأنه الزهر الضأ
حكَّ فى رَوْنَقِ الربيع الجديد
حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا
وتجنَّبَ ظِلْمَةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَذْرَكُ
نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ^(٤)
[كَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْحُلَالِ]

بيض إذا رُحْنَ فى الخطوط السوداء^(٥)
ويرون أن من تعدَّى هذا كان سالكاً مسلكاً عامياً ، ولم يروه شاعراً
ولا مصيباً .

وفى كتب [إلى] الحسن بن عبد الله : أبو^(٦) أحمد العسكرى ؛ قال : ١٧٥
أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : أخبرنى عبد الله بن الحسين^(٧) قال : قال لى
البحرى :

دعاني « على بن الجهم » فضيت إليه ، فأفضنا فى أشعار المحدثين ، إلى
أن ذكرنا شعر أشجع [السلمي] ؛ فقال لى : إنه يُخلِّى ، وأعادها مرّات ،
ولم أفهمها ؛ وأنفست أن أسأله عن معناها ، فلما انصرفت أفكرت فى الكلمة ،
ونظرت فى شعره ، فإذا هو ربما مرت له الآيات معسولة ليس فيها بيت رائع ؛

(١) هو محمد بن عبد الملك الزيات

(٢) الزيادة من م

(٣) ديوانه ٦٩٣/٢

(٤) فى ١ « ورمين اللفظ » .

(٥) الزيادة من م . وفيها « فالعذارى » والتصويب من الديوان

(٦) م « ابن أحمد » وهو خطأ

(٧) س « ابن الحسن » وهو خطأ

وإذا هو يريد هذا بعينه: أن يعمل الأبيات فلا يصيب فيها بيت نادر^(١)؛ كما أن الرامي إذا رمى برشقة فلم يصب بشيء^(٢)، قيل: قد أخلتني^(٣). قال: وكان «على بن الجهم» أحسن الناس علماً بالشعر^(٤).

وقوم من أهل اللغة يميلون إلى الرّصين من الكلام، الذي يجمع الغريب والمعاني، مثل أبي عمرو بن العلاء، وختلف الأحمر، والأصمعي.

١٧٦ / ومنهم من يختار الوحشي من الشعر؛ كما اختار المفضل^(٥) للمنصور من «المفضليات» وقيل: إنه اختار ذلك لميله إلى ذلك الفن.

وذكر الحسن بن عبد الله: أنه أخبره بعض الكتاب عن علي بن العباس؛ قال: حضرت مع البحري مجلس عبّيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٦)، وقد سأل البحري عن أبي نواس ومسلم بن الوليد: أيهما أشعر؟ فقال البحري: أبو نواس أشعر. فقال عبّيد الله: إن أبا العباس ثعلباً لا يطابقك على قولك، ويفضل مسلماً.

فقال البحري: ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله، إنما يعلم ذلك من دفع في مسلك^(٧) الشعر إلى مضايقه، وانتهى إلى ضروراته^(٨).

فقال له عبّيد الله^(٩): ورّيت بك زنادي يا أبا عبادة، وقد وافق حكمك حكم أخيك بشار بن بُرد في جرير والفرزدق، [فإن دُعِبَلاً حدثني عن أبي نواس: أنه حضر بشاراً، وقد سئل عن جرير والفرزدق، و] ^(١٠)أيهما أشعر؟ فقال: جرير أشعرهما. فقليل له: / بماذا؟ فقال: لأن جريراً يشتد، إذا شاء، وليس كذلك الفرزدق، لأنه يشتد أبداً.

فقليل له: فإن يونس وأبا عبّيدة يفضلان الفرزدق على جرير.

(١) م «فيها بيتاً نادراً»

(٢) سقطت كلمة «قال» من م (٤) راجع أخبار أبي تمام ص ٦٣

(٥) م «اختار ذلك المفضل»

(٦) كان والياً على شرطة بغداد. ولد سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٣٠٠ راجع ترجمته في وفيات الأعيان

(٧) س «وقع في سلك» م، أ «دفع في مسلك» ٣٠٤/٢ - ٣٠٦

(٨) دلائل الإعجاز ص ١٩٥

(٩) س «عبد»

(١٠) الزيادة من م، أ

فقال : ليس هذا من عمل أولئك القوم ، إنما يعرف الشعر من يضطر إلى أن يقول مثله ؛ وفي الشعر ضروب لم يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوارُ امرأته ، فناح عليها بقول جرير :

لولا الحياءُ لعادني آستِبارُ ولزرت قبرك والحبيبُ يزَارُ^(١)
وروى عن أبي عبيدة : أنه قال للفرزدق^(٢) : مالك لا تنسب كما ينسبُ
جرير ؟ فغاب حولا ، ثم جاء فأنشد :

يا أختَ ناجيةَ بنِ سامةَ إنني أخشى عليك بنى إن طلبوا دمي^(٣)

والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام^(٤) من الجنس الذي جمعه في كتاب « الحماسة » ، وما اختاره من « الوحشيات » ؛ وذلك أنه تنكَّب^(٥) المستنكر الوحشي ، والمبتذل العامى ، وأتى بالواسطة .

وهذه طريقة من ينصف في الاختيار ، ولا يعدل به غرض^(٦) / يخص ؛ ١٧٨
لأن الذين اختاروا الغريب فإنما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشبهه على غيرهم ، وإظهار^(٧) التقدم في معرفته ، وعجز غيرهم عنه ؛ ولم يكن قصدُهم جيدَ الأشعارِ لشيء يرجع إليها في أنفسها .

ويبين هذا : أن الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس . وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على^(٨) المراد ، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب ، ولم يكن مستنكرة المطلق على الأذن ، و [لا]^(٩) مستنكر المورّد على النفس ، حتى يتأبى بغرابته^(١٠) في اللفظ عن الإفهام ، أو يمتنع بتعويض^(١١) معناه عن الإبانة . ويجب أن يتنكَّب ما كان عامي اللفظ^(١٢) ، مستنكر العبارة ، ركيك المعنى ، سفسافي الوضع ، مجتنب

(١) ديوانه ص ١٩٩ والصناعتين ص ١٧ والشعر والشعراء ١/ ٦٤٤

(٢) م « قال قيل للفرزدق » (٣) ديوانه ص ٧٧٨

(٤) م « أبو تمام » (٥) س ، ك « تنكر »

(٦) م « به إلى غرض » (٧) م « في نفسه لكونه مما يشبهه غيرهم وإظهار »

(٨) ا « عن » (٩) الزيادة من م

(١٠) م « لغريبته » (١١) م « لمعوض »

(١٢) س ، ك « ما كان عليه اللفظ »

التأسيس^(١) على غير أصل مهيّد، ولا طريق مؤطّد .

ولمّا فضّلت العربية على غيرها ، لاعتدالها في الوضع . لذلك وضع أصلها
١٧٩ على أن أكثرها [هو]^(٢) بالحروف المعتدلة ، فقد أهملوا الألفاظ /المُسْتَكْرَهة
في نظمها ، وأسقطوها من كلامهم ، وجعلوا عامّة^(٣) لسانهم على الأعدال .
ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي ؛ لأنهم بدّءوا بحرف وسكتوا على آخر ،
وجعلوا حرفاً وُصلةً بين الحرفين ؛ ليتمّ الابتداء والانهاءُ على ذلك . والثنائي
أقل . وكذلك الرباعي والخماسي أقل ؛ ولو كان كله ثنائياً لتكرّرت الحروف .
ولو كان كله رباعياً أو^(٤) خماسياً لكثرت الكلمات .

وكذلك بنى أمرُ الحروف التي ابتدئ بها السورُ على هذا : فأكثر هذه
السور التي ابتدئت بذكر الحروف ، ذُكرَ فيها ثلاثة أحرف . وما هو أربعة
أحرف سورتان . وما ابتدئ بخمسة أحرف سورتان .

فأما ما بدئ بحرف واحد فقد اختلفوا فيه :

فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً ، وإنما جعله فعلاً واسماً لشيء خاص .
ومن جعل ذلك حرفاً قال : أراد أن يحقق الحروف مفرداً ومنظوماً .
ولضيّق ما سوى كلام العرب ، أو لخروجه عن الاعتدال - يتكرّر^(٥) في بعض
الألسنة الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيراً^(٦) ؛ كنعو تكرر
١٨٠ الطاء والسين في لسان/ يُونَنان ؛ وكنعو الحروف الكثيرة التي هي^(٧) اسم لشيء
واحد في لسان التُّرك ؛ ولذلك لا يمكن أن يُنظَمَ من الشعر في تلك الألسنة على
الأعاريض التي تُمكن في اللغة العربية .
والعربية أشدّها تمكّناً ، وأشرفُها تَصَرُّفاً وأعدلُها ؛ ولذلك^(٨) جعلتْ
حليّةً لنظم القرآن ، وعلّقَ بها الإعجازُ ، وصار دلالّةً في النبوة^(٩) .

* * *

- | | |
|--|--------------------------|
| (١) م «سفسافاً في الوضع مختلف التأسيس» | (٢) الزيادة من م |
| (٣) س : «فجرى لسانهم» | (٤) م «رباعياً وخماسياً» |
| (٥) س ، ك «يتكرر» | (٦) سقطت هذه الكلمة من م |
| (٧) م «الكثيرة هي» | (٨) م «وكذلك» |
| (٩) س ، ك «وصارت دلالة في النبوة» | |

وإذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس ، التي لا يمكن التوصل إليها بأنفسها وهي محتاجة إلى ما يعبر عنها ؛ فما كان أقرب في تصويرها ، وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها ، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد ، وأشدّ تحقيقاً في الإيضاح عن المَطْلَب^(١) وأعجب في وضعه ، وأرشق في تصرّفه ، وأبرع في نظمه — كان أولى وأحقّ بأن يكون شريفاً .

وقد شبهوا النطق بالخطّ ، والخطّ يحتاج مع بيانه إلى رشاقة/وصحة ، [وملاحة]^(٢) ١٨١ ولطف ، حتى يحوز الفضيلة ويجمع الكمال .

شبهوا الخطّ والنطق بالتصوير ؛ وقد أجمعوا أن من أخذق المصوّرين ، من صور لك الباكي المتضاحك ، والباكي الحزين ، والضاحك المتباكى ، والضاحك المستبشر . وكما أنه يحتاج إلى لطف يد في تصوير هذه الأمثلة ، فكذلك يحتاج إلى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفس للغير .

وفي جملة الكلام ما تَقْصُر^(٣) عبارته وتَفْضُل معانيه . وفيه ما تقصر معانيه^(٤) وتفضل العبارات . وفيه ما يقع كل واحد منهما وفقاً للآخر . ثم ينقسم ما يقع وفقاً إلى أنه قد يفيد على [جملة وقد يفيد على]^(٥) تفصيل .

وكل واحد منهما قد ينقسم إلى ما يفيد على أن يكون كل واحد منهما بديعاً شريفاً ، وغريباً لطيفاً . وقد يكون كل واحد منهما مُسْتَجْلِباً متكلفاً ، ومصنوعاً مُتَعَسِّفاً ؛ وقد يكون [كل]^(٦) واحد منهما حسناً رشيقاً ، وبهيجاً نَضِيراً^(٧) . وقد يتفق أحداً الأمرين دون الآخر . وقدر / يتفق أن يسلم الكلام والمعنى من غير ١٨٢ رشاقة ولا نضارة في واحد منهما . [و]^(٨) إنما يُمَيِّزُ من يُمَيِّزُ ، ويعرفُ من يُعْرِفُ . والحكمُ في ذلك صعب شديد ، والفصل فيه شأو بعيد . وقد قلّ من

(٢) الزيادة من ا ، م . ومكانها بياض في ك

(٤) س ، ك « المعاني »

(٦) الزيادة من ا ، م ، ك

(٨) الزيادة من ك ، م

(١) س « عن الطلب »

(٣) س ، ك « الكلام إلى ما تقصر »

(٥) الزيادة من ا ، م

(٧) ك ، م « نظيراً »

يميز أصناف الكلام ؛ فقد حكى عن طبقة أبي عُبَيْدَةَ وَخَلَفَ الأَحْمَرُ وغيرهما في زمانهما^(١) ، أنهم قالوا : ذهب من يعرف نَقْدَ^(٢) الشعر .

وقد بيناً قبل هذا اختلاف القوم في الاختيار ، وما يجب أن يجمعوا عليه ، ويرجعوا عند التحقيق إليه ؛ فكلامُ الْمُقْتَدِرِ نَمَطٌ ، وكلامُ المتوسِّطِ^(٣) بابٌ ، وكلامُ المطبوع له طريق ، وكلامُ المتكلِّف له منهاج ، والكلامُ المصنوع المطبوع له بابٌ .

ومتى تقدَّم الإنسان في هذه الصنعة ، لم تَخَفَ عليه هذه الوجوه ، ولم تشبهه عنده هذه الطرق ؛ فهو يميز قدر كل متكلم بكلامه^(٤) ، وقَدَّرَ كلَّ كلام في نفسه ، ويَحِلُّه محلّه ، ويعتقد فيه ما هو عليه ، ويحكم فيه^(٥) بما يستحق من الحكم .

/ وإن كان المتكلم يُجَوِّد في شيء دون شيء ، عرف ذلك منه . وإن كان^(٦) يعم إحسانه ، عرف^(٧) .

١٨٣

ألا ترى أن منهم من يجوّد في المدح دون الهجو . ومنهم من يجوّد في الهجو وحده^(٨) ؛ ومنهم من يجوّد في المَزَّحِ^(٩) والسَخَفِ ؛ ومنهم من يجود في الأوصاف .

والعالم لا يَشْدُ عنه [شيء من ذلك ، ولا يخفى عليه]^(١٠) مراتب هؤلاء ، ولا تذهب عليه أقدارهم ؛ حتى إنه إذا عرف طريقة شاعر في قصائد معدودة ، فأشْدَّ غيرها من شعره — لم يَشْكُ أن ذلك من نَسْجِه ، ولم يَرْتَب في في أنها^(١١) من نظمه ؛ كما أنه إذا عرف خطَّ رجل لم يشبهه عليه خطه حيث رآه^(١٢) من بين الخطوط المختلفة ، وحتى يميّز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره ؛ وكذلك أمرُ الخطّاب .

(٢) م « يعرف هذا الشعر »

(٤) سقطت هذه الكلمة من م

(٦) م « ولو كان »

(١) س ، ك « وغيرهم في زمانهم »

(٣) س ، ك « وكلام المتوسع باب »

(٥) م « عليه ما يستحق »

(٧) م « عرفه »

(٨) م « في الهجو دون المدح ، ومنهم من يعكس »

(١٠) الزيادة من م

(١٢) م « يراه »

(٩) س ، ك « في المدح »

(١١) م ، ك « في أنه »

فإن اشتبه عليه البعض ، فهو لاشتباه الطريقتين ، وتماثل الصورتين ، كما قد يشبه شعر أبي تَمَام شعر البُحْتَرِي : في القليل الذي يترك أبو تمام فيه التَّصْنَع ، ويقصد فيه التَّسَهُّل ، ويسلك الطريقة الكتابية ، / ويتوجَّه في تقريب ١٨٤ الألفاظ وترك تعويض المعاني ، ويتفق له مثل بهجة أشعار البُحْتَرِي وألفاظه .

ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سَبَّكُ أبي نواس [من سبك مسلم]^(١) ، ولا نسجُ ابن الرُّومِي من نسج البحري ؛ وينبهه ديباجة^(٢) شعر البحري ، وكثرة مائه ، وبديع رَوْنَقِهِ ، وبهجة كلامه ؛ إلا فيما يسترسل فيه ، فيشبهه بشعر^(٣) ابن الرُّومِي ؛ ويحركه ما لشعر^(٤) أبي نواس من الحلاوة ، والرقّة ، والرّشاقة ، والسّلاسة ، حتى يفرق بينه وبين شعر مُسْلِم .

وكذلك يميز بين شعر الأعشى في التّصَرُّف ، وبين شعر امرئ القيس ، وبين شعر النّابغة وزُهَيْر ، وبين شعر جرير والأخطل ، والبُعَيْث والفرَزْدَق . وكلُّ له منهج معروف ، وطريق مألوف .

ولا يخفى عليه في زماننا الفَصْلُ بين «رسائل عبد الحميد» وطبقته وبين طبقة من بعده^(٥) ؛ حتى إنه لا يشبه عليه ما بين «رسائل ابن العميد» وبين رسائل أهل عصره ومن بعده ممن برع في صنعة الرسائل ، / وتقدّم في شأوها ، حتى جمع ١٨٥ فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين ، [و] حتى خلّص لنفسه طريقة^(٦) ، وأنشأ لنفسه مِنْهَا جاً ؛ فسلك تارة «طريقة الجاحظ» وتارة طريقة السّجع ، وتارة طريقة الأصل ؛ وبرّع في ذلك باقتداره ، وتقدّم بِحِدْقِهِ ؛ ولكنّه لا يخفى مع ذلك على أهل الصنعة طريقه من طريق غيره ؛ وإن كان قد يشبهه البعض ، ويدقُّ القليل ، وتغمّض الأطراف ، وتشذُّ النواحي .

(٢) ١ «وتنبه» م «وشبهه»

(٤) م «في الشعر»

(٦) م «طريقاً»

(١) الزيادة من م

(٣) م «فيشبهه بغفو شعر»

(٥) سقط ما بين الرقمين من م

وقد يتقارب^(١) سَبَّكَ نُفَرَّ من شعراء عصر ، وتثنائي رسائل كَتَّاب دهر ، حتى تشبه اشتباهاً شديداً ، وتماثل تماثلاً قريباً ؛ فيغمض الأصل^(٢) .
وقد يَتَشَاكَلُ الفرع والأصل ، وذلك فيما لا يعتذر دِرَاك^(٣) أَمَدَه ، ولا يَتَصَعَّبُ طِلَابُ شَأَوَه ، ولا يمنع بلوغ غايته ، والوصول إلى نهايته ؛ لأنَّ الذي ينفق من الفصل^(٤) بين أهل الزمان إذا تفاضلوا [في سبق]^(٥) ، وتفاوتوا في مضمار ؛ فصلٌ قريب ، وأمرٌ يسير .

وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الألفاظ و [لا] سارق^(٦) / المعاني ، ولا من يخترعها ، ولا من يُلِمُّ بها ، ولا من يجاهر بالأخذ من يُكَاتِمُ به ، ولا من يخترع الكلام اختراعاً ، وَيَسْتَدْهَهُ ابْتِدَآهًا ، ممن يُرَوِّى^(٧) فيه ، وَيُجِيلُ الفكر في تَنْقِيحِهِ ، ويصبر عليه ، حتى يَتَخَلَّصَ له ما يريد ، وحتى يتكرر نظره فيه .

قال أبو عبيدة : شمت أبا عمرو يقول : زُهَيْرٌ والحُطَيْبَةُ وأشباههما عبيد الشعر ؛ لأنهم تَقَّحَوْه ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين^(٨) .
وكان زُهَيْرٌ يسمَّى كُبْرَ شعره « الحَوَلِيَّاتُ الْمُسْتَقْحَةُ » .
وقال عَدِيُّ ابن الرِّقَاعِ :

وقصيدة قد بَتَّ أَجْمَعُ بينها حتى أَقْوَمَ مِيلَهَا وَسَنَادَهَا^(٩)
نَظَرَ الْمُتَقَفِّ فِي كُؤُوبِ قَنَاتِهِ حتى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا
وكقول سُؤَيْدِ بْنِ كُرَاعٍ :

أَبَيْتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا

أَصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نَزْعًا^(١٠)

(١) ا ، م « وقد يتفاوت » (٢) س « الفصل » ك « الفصل »

(٣) س « إدراك » ا « أمره » (٤) م « الفصل »

(٥) الزيادة من م ومكانها بياض في ك (٦) الزيادة من م

(٧) م « ثم يروى » (٨) الشعر والشعراء ٢٣/١ ، ٩٤ وفي البيان والتبيين ١٢/٢

(٩) الموشح ص ١٣ والأغاني ١٨٤/٨ والشعر والشعراء ٦٠١/٢

(١٠) الأغاني ١٢٩/١١ وفيه « شربا » وهو خطأ ، والبيان والتبيين ١٢/٢ والشعر والشعراء

ومنهم من يُعرف بالبديهة وحدة الخاطر ، ونفاذ الطبع وسرعة النظم ، ١٨٧
يَرْتَجِلُ القول ارتجالاً ، ويطبعه ^(١) عَفْوَاً صَفْوَاً ؛ فلا يَقْعُدُ به عن قوم
قد تعبوا وكدوا أنفسهم ، وجاهدوا خواطرهم .

وكذلك لا [يمكن أن] ^(٢) يخفى عليهم انكلام العلوي ، واللفظ الملوكي ؛
كما لا يخفى عليهم الكلام العامي ، واللفظ السوق ؛ ثم تراهم يُنزلون الكلام تزيلاً ،
ويعطونهُ - كيف تصرف - حَقْوَهُ ، ويعرفون مراتبه ؛ فلا يخفى عليهم
ما يختص به كل فاضل تقدّم في وجه من وجوه النظم ، من الوجه الذي لا يُشاركه
فيه غيره ، ولا يُسَاهِمُهُ سواه .

ألا تراهم وصفوا زهيراً بأنه أمدحهم وأشدّهم أسراً شِعْر ^(٣) ؛ قاله
أبو عُبَيْدَةَ ^(٤) ؟

وروى أن الفرَزْدَقَ انتَحَلَ بيتاً من شعر جرير ، وقال : هذا يشبه
شعري .

فكان هؤلاء لا يخفى عليهم ما قد نسبناه إليهم من المعرفة بهذا الشأن ؛
وهذا كما يعلم البزّاز أن ^(٥) هذا الدّيباج عَمِلَ بِتُسْتَر ^(٦) ، وهذا / لم يعمل ١٨٨
بِتُسْتَر ؛ وأن هذا من صنعة فلان دون فلان ، ومن نسج فلان دون فلان ؛
حتى لا يخفى عليه . وإن كان قد يخفى على غيره .

ثم إنهم يعلمون أيضاً من له سَمَتٌ بنفسه ، ورقّت برأسه ؛ ومن يقتدى
في الألفاظ أو في المعاني أو فيهما بغيره ، ويجعل سواه قدوة له ؛ ومن يُلم في
الأحوال بمذهب غيره ، ويطّور ^(٧) في الأحيان [بِجَسَبَاتِ كلامه] ^(٨) .

وهذه أمور مُسَهِّدَةٌ عند العلماء ، وأسباب معروفة عند الأدباء ؛ وكما
يقولون : إن « البَحْثَرِي » يغير على « أبي تمام » إغارة ، ويأخذ منه صريحاً وإشارة ؛

(١) م « ويطبعه »

(٢) س « أثر »

(٣) س ، ك « البزّازون »

(٤) مدينة من كور الأهواز ، فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر ، وكانت بها مصانع
للشباب والعمائم ، معجم البلدان ٣٧٧/٢ وابن خلكان ١٥٠/٢

(٥) س ، ك « ويأتى »

(٦) الزيادة من أ ، م ومكانها بياض في ك

(٧) الزيادة من م

(٨) الشعر والشعراء ٩٣/١

ويستأنس بالأخذ منه بخلاف^(١) ما يستأنس بالأخذ من غيره، ويألف اتباعه كما لا يألف اتباع سواه؛ وكما كان أبو تمام يُبَلِّمُ بأبي نُؤاس ومُسْلَم؛ وكما يعلم أن بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ولا يتحاشى، ويؤلف ما يقوله من فرق شتّى.

وما الذى نفع «المُتَنَبِّى» جُحُودَه الأخذَ، وإنكارُه معرفة «الطَّائِبِينَ» وأهل الصنعة يدلون على كل حرف أخذه منهما جِهَارًا، أو أَلَمَّ بهما فيه سرارًا؟!

١٨٩ / وأما ما لم يأخذ عن الغير، ولكن سلك النمطَ. وراعى النَّهْجَ؛ فهم يعرفونه؛ ويقولون: هذا أشبه به من التَّمَر بالتمر، وأقرب إليه من الماء إلى الماء؛ وليس بينهما إلا كما بين الليلة والليلة. فإذا تباينا وذهب أحدهما في غير مذهب صاحبه، وسلك في غير جَنَانِيهِ^(٢)؛ قيل: بينهما ما بين السماء والأرض، وما بين النجم والنون^(٣)، وما بين المشرق والمغرب.

* * *

وإنما أطلت عليك، ووضعتُ جميعه بين يديك؛ لتعلم أن أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن وجليته، وغامضه وجليته، وقريبه وبعيده، ومُعْوجَّه ومستقيمة. فكيف يخفى عليهم الجنس الذى هو بين النَّاس مُتداوِل، وهو قريب مُتناوِل؛ من أمر يخرج عن أجناس كلامهم، ويبعد عما هو فى عرفهم، ويفوت مَوَاقِعَ قُدَرِهِمْ؟!

وإذا اشتبه ذلك، فإنما يشته على ناقص فى الصنعة، أو قاصر عن معرفة طرق الكلام الذى يتصرفون فيه ويُدِيرُونَهُ^(٤) بينهم ولا يتجاوززونه؛ فلكلامهم سبيلٌ مضبوطة، وطرقٌ معروفة محصورة.

١٩٠ وهذا كما يشته على من يدعى الشعر — من أهل زماننا — والعلم بهذا الشأن؛ فبدعى أنه أشعر من البُحْتَرى، ويتوهم أنه أدقّ مسلکًا من أبى نُؤاس، وأحسن طريقًا من مُسْلَم! وأنت تعلم أنهما متباعدان، وتحقق أنهما لا يجتمعان

(٢) م «مسلكه»

(١) م «خلاف»

(٣) فى اللسان ٣١٦/١٧ «النون الحوت، والجمع أنون ونينان»

(٤) م «وسد يرونه»

ولعل أحدهما إنما يلحظ غبار^(١) صاحبه ، ويطالع ضياءَ نجمه ، ويراعي خُفوق^(٢) جناحه وهو راكدٌ في موضعه ، ولا يضرُّ البحرى ظنه ، ولا يلحقه بشأوه وهمه^(٣) .

فإن اشتبه على متادب أو متشاعر أو ناشئ أو مُرمِد ، فصاحة القرآن ، وموقعُ بلاغته ، وعجيب براعته — فإياك منه ؛ إنما يخبر عن نقصه^(٤) ، ويدلُّ على عجزه ، ويبين عن جهله ، ويُصرِّح^(٥) بسخافة فهمه ، وركاكة عقله .

وإنما قدّمنا^(٦) ما قدّمناه في هذا الفصل ، لتعرف أن ما ادّعياه من معرفة البليغ نعلو شأن القرآن وعجيب نظمه وبدیع تأليفه ، أمرٌ لا يجوز غيره ، ولا يحتمل سواه ، ولا يشبهه على ذى بصيرة ، ولا يسخيلُ عند^(٧) أخى معرفة ؛ كما يعرف الفصل بين طبائع^(٨) الشعراء/ من أهل الجاهلية ، وبين المخضرمين ، وبين المحدثين ، ويميز بين من يجرى على شاكلة طبعه وغريزة نفسه ، وبين من يشتغل بالتكلف والتصنع ، وبين من يصير التكلف له كالمطبوع ، وبين من كان مطبوعه كالمُتعمِّل^(٩) المصنوع .

هيهات هيهات !! هذا أمر — وإن دق — فله قوم يقتلونه علماً ، وأهل يحيطون به فهماً ؛ ويعرفونه^(١٠) إليك إن شئت ، ويصورونه لديك إن أردت ، ويُجسّدونه على خواطرك إن أحببت ، ويعرفونه لفطنتك إن حاولت ؛ وقد قال القائل :

للحرب والضرب أقوامٌ لها خلِقوا وللدواوين كتابٌ وحسابٌ
ولكل عمل رجال ، ولكل صنعة ناس ، وفي كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط ؛
ولكن قد قلّ من يميز في هذا الفن خاصّة ، وذهب من يحصل في هذا الشأن ،
إلا قليلاً !

فإن كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها — من التناهى في معرفة الفصاحات ،

(١) س : « عبارة » ا « بطريقة »

(٢) س ، ك « خفوق »

(٣) م « وهمته »

(٤) م « نقصانه »

(٥) م « ويبوح »

(٦) م « وإنما قلنا »

(٧) م « ولا يخل على »

(٨) ك ، ا ، م « طباع »

(٩) س ، ك « كالتعمّل »

(١٠) م « ويقدمونه »

والتحقق^(١) بمجاري البلاغات - فلما يكفيك التأمل ، ويعنيك التصور .

١٩٢ وإن كنت في الصنعة مُرْمِداً ، وفي المعرفة بها متوسطاً ؛ فلا بُدَّ / لك من التقليد ، ولا غنى بك عن التسليم . إن الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشاذي فيها كالباثن منها .

فإن أراد أن يقرب عليه أمراً^(٢) ، ونفسح له طريقاً ، ونفتح له باباً - ليعرف به إعجاز القرآن - فلما نضع بين يديه الأمثلة ، ونعرض عليه الأساليب ، ونُصوِّر له صور^(٣) كل قبيل من النظم والنثر ، ونُحْضِرُه^(٤) من كل فن من القول شيئاً يتأمله حق تأمله ، ويراعيه حق رعايته^(٥) ؛ فيستدل استدلال العالم ، ويستدرك استدراك^(٦) الناقد ، ويقع^(٧) له الفرقُ بين الكلام الصادِر عن الربوبية ، الطَّالع عن الإلهية ؛ الجامع بين الحكم والحكم ، والإخبار عن الغيوب والغائبات ؛ والمتضمن لمصالح الدنيا والدين ، والمستوعب لجليّة اليقين ؛ والمعاني المخترعة في تأسيس أصل الشريعة وفروعها بالألفاظ الشريفة ؛ على تفشّئها وتصرّفها . ونعتمدُ إلى شيء من الشعر السُجْمَع عليه ، فنبيّن وجه النقص فيه ، ونبدّل على انحطاط رتبته ، ووقوع أبواب الخلل فيه ؛ حتى إذا تأمل ذلك ، وتأمّل ما نذكره - من تفصيل إعجاز القرآن وفصاحته ، وعجيب براعته - انكشف له واتضح ، وثبت / ما وصفناه لديه ووضح ؛ وليعرف حدود «البلاغة» ، ومواقع البيان «والبراعة» ، ووجهَ التقدم في «الفصاحة» .

١٩٣ وذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين^(٨) : أن الفارسي سئل ، فقيل له : ما «البلاغة» ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل .

وسئل اليوناني عنها ؟ فقال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .
وسئل الرومي عنها ؟ فقال : حسن الاقتضاب عند البداهة^(٩) ، والغزارة يوم الإطالة .

- | | |
|-----------------------|---------------------------------|
| (١) م « والتحقق » | (٢) م « أمداً » |
| (٣) م « صورة » | (٤) س « ونحضر له » |
| (٥) س ، ك « مراعاته » | (٦) م « الاستدلال » |
| (٧) س « ويقطع » | (٨) راجع البيان والتبيين ١ / ٨٨ |
| (٩) م « البديهة » | |

وسئل الهندي عنها ؟ فقال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقال مرة^(١) : التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات^(٢) القول ، وقلة الخرق بما^(٣) التبس من المعاني ، أو غمض وشرذ من اللفظ وتعذر . وزينته^(٤) أن تكون الشئائل موزونة ، والألفاظ معدلة ، واللهجة نقية^(٥) ، وأن^(٦) لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ؛ ويكون في قواه فضل^(٧) التصرف في كل طبقة ولا يدق المعاني كل التدقيق ، ولا يُنقح الألفاظ كل التنقيح ، و [لا] يصفى بها كل التصفية ، و [لا] يهذبها بغاية التهذيب^(٨) .

وأما « البراعة » فهي فيما يذكر^(٩) أهل اللغة : الحذف بطريقة الكلام وتجويده ، وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة .

وأما « الفصاحة » فقد اختلفوا فيها :

فمنهم من عبّر عن معناها بأنه : ما كان جزل اللفظ ، حسن المعنى .
وقد قيل : معناها : الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس ، على عبارات جليّة ، ومعان نقيّة بهية .

• • •

والذي يصوّر عندك ما ضمّنّا تصويره ، ويحصل لديك^(١٠) معرفته - إذا كنت في صناعة الأدب متوسطاً ، وفي علم العربية متبيّناً^(١١) - أن تنظر أولاً في ١٩٥

(١) في البيان والتبيين « قال : وقال مرة : جماع البلاغة التماس . . . »

(٢) س « بساعات » م « بتبرعات » (٣) م « وقلة الحذف فيما »

(٤) في البيان ٨٩/١ « ثم قال : وزين ذلك كله وهماؤه وحلاوته وسناؤه أن تكون الشئائل »

(٥) م « واللهجة نقية » وفي البيان بعد ذلك : « فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول

الصمت ، فقد تم كل التمام ، وكل كل الكمال »

(٦) هذا الكلام من الصحيفة التي زعم الجاحظ أن فيها البلاغة عند الهند . وأولها كما ذكر في

البيان ٩٢/١ « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح

قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوق ، ويكون في

قواه . . . » (٧) م : « فصل »

(٨) راجع بقية الصحيفة المزعومة في البيان ٩٢/١ (٩) س ، ك : « البراعة ففيا »

(١٠) س ، ك : « عندك » (١١) م « مشاركا »

فِي نَظْمِ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَعْرِفُ الْفَصْلَ
بَيْنَ النِّظْمِ ، وَالْفَرْقَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ .

فَإِنْ تَبَيَّنَ لَكَ الْفَصْلُ ، وَوَقَعَتْ عَلَى جَلِيَّةِ الْأَمْرِ وَحَقِيقَةِ الْفَرْقِ — فَقَدْ
أَدْرَكْتَ الْغَرَضَ ، وَصَادَفْتَ الْمَقْصِدَ .

وَلِإِنْ لَمْ تَفْهَمْ الْفَرْقَ ، وَلَمْ تَقْعُ^(١) عَلَى الْفَصْلِ — فَلَا بَدَّ لَكَ مِنَ التَّقْلِيدِ ، وَعَلِمْتَ
أَنَّكَ مِنْ جَمَلَةِ الْعَامَةِ ، وَأَنْ سَبِيلَكَ سَبِيلُ مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ أَهْلِ اللِّسَانِ .

/ خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم

روى طَلْحَةَ بن عُبَيْد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره يقول :

« أَلَا أَيُّهَا^(١) النَّاسُ ؛ تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ؛ وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ - بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ - تَرْزُقُوا وَتُؤَجِّرُوا وَتُنْصَرُوا .
واعلموا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي عَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ؛ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : حَيَاتِي وَمِنْ بَعْدِ^(٢) مَوْتِي ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ - فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ؛ أَلَا وَلَا حُجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ ، أَلَا وَلَا بِرَّ لَهُ .
أَلَا وَلَا يَتُومُّ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا ، أَلَا وَلَا يَتُومُّ فَتَاجِرٌ مُؤْمِنًا ؛ إِلَّا أَنْ يَتَقَهَّرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ . »

/ خطبة له صلى الله عليه وسلم

« أَيُّهَا^(٣) النَّاسُ ؛ إِنْ لَكُمْ مَعَ آلِمٍ ، فَانْتَهُوا^(٤) إِلَى مَعَ آلِمِكُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ نَهَايَةٌ ، فَانْتَهُوا إِلَى نَهَايَتِكُمْ .
إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى ، لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ ؛ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ ، لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ تَعَالَى قَاضٍ عَلَيْهِ فِيهِ .
فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ؛ وَمَنِ الشَّبَابُ لِلْكِبَرِ ، وَمَنِ الْحَيَاةُ قَبْلَ الْمَوْتِ . »

(٢) م : « وبعد »

(١) م : « أَلَا يَا أَيُّهَا »

(٣) في البيان والتبيين ٣٠٢/١ « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات : حمد الله

وأثنى عليه ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ . . . » . وهي في عيون الأخبار ٢٣١/٢

(٥) في البيان « ومن الشَّيْبَةَ قَبْلَ الْكِبَرَةِ » .

(٤) س : « فانتبهوا » .

والذي نَفَسُ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ : مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ ، إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ .

خطبة له صلى الله عليه وسلم

« إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ؛ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ (١) لَهُ .

/ إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ؛ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ؛ إِنَّهُ أَحْسَنُ (٢) الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ .

أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ ، وَأَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ ؛ وَلَا تَمَلِكُوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ . اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَصِدِّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ؛ وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق

قال بعد حمد الله :

« أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَتَدْرُونَ (٣) فِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ ؟ فِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ فِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ ؟

قالوا : فِي يَوْمٍ حَرَامٍ ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ .
قال : أَلَا فَإِنْ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَهُ .
ثم قال : اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا ؛ أَلَا لَا تَتَظَالَمُوا ، أَلَا لَا تَظَالَمُوا ، أَلَا لَا تَظَالَمُوا .

(١) مِنْ أَوَّلِ الْخُطْبَةِ إِلَى هُنَا هُوَ صَدْرُ خُطْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُجَّةِ الْوُدَّاعِ ، كَمَا فِي الْعَقْدِ

الْفَرِيدِ ٧٥/٤ وَالْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ ٣١/٢

(٣) س : « هَلْ تَدْرُونَ »

(٢) س : « إِنَّهُ أَصْدَقُ »

/ ألا إنه لا يحِلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلا بطِيبِ نفسٍ منه .
 ألا إنَّ كُلَّ دَمٍ ومالٍ ومأثُرةٍ كانت في الجاهلية ، تحت قدمي هذه ؛ ألا
 وإن أولَ دَمٍ وُضِعَ دَمُ ربيعةَ بنِ الحارثِ بن عبدالمطلبِ - كان مُستترَضِعًا
 في بني لَيْثٍ ، فقتلته هُذَيْلٌ (١) .

ألا وإنَّ كلَّ ربٍّ كان في الجاهلية موضوعٌ ؛ ألا وإن الله تعالى قضى أن
 أولَ ربٍّ يُوضَعُ : ربُّنا عَمِي العباسِ ؛ لكم ﴿ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ، لا تَظْلِمُونَ
 ولا تُظْلَمُونَ ﴾ .

ألا وإنَّ الزَّمانَ قد استَدَارَ كَهَيْئته يومَ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ
 ﴿ منها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلكَ الَّذينُ أَلْقِمْ ؛ فلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ .

ألا لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ؛ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ (٣) .

/ ألا وإنَّ الشَّيْطَانَ قد يَتَّبِعُ أَنْ يَبْعِدَهُ الْمُصْلِحُونَ ، ولكن في التَّحْرِيشِ ٢٠٠
 بينكم (٤) .

اتَّقُوا الله في النساء ؛ فَإِنَّهِنَّ عِنْدَكُمْ عَوَّانٌ (٥) . لا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسَهُنَّ
 شَيْئًا ، وإنَّ لهنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ : أَنْ لا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ
 أَحَدًا غَيْرَكُمْ ؛ فَإِنْ خِفْتُمْ نَشْوَزَهُنَّ فَعَظُّوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ،
 وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ؛ وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؛ فَإِذَا
 أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللهُ تَعَالَى ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فَرْجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ .

(١) هذه الجملة التفسيرية ثابتة في النسخ كلها . وفي م : « بنو هذيل »

(٢) كذا في كل النسخ وفي البيان والتبيين والعقد « والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثني عشر
 شهرًا في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ، وواحد فرد .
 ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد »
 (٣) في العقد بعد ذلك : « فإني قد تركت ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتاب الله ، ألا هل
 بلغت ؟ اللهم اشهد ؟ » . وكذلك في البيان

(٤) في البيان والعقد : « أيها الناس ، إن الشيطان قد يشن أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه
 قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم »

(٥) في اللسان ١٩/٣٣٦ « عوان : أي أسرى أو كالأسرى ، واحدة العواني غانية ، وهي
 الأسيرة ، يقول : إنما هن عنكم بمنزلة الأسرى . قال ابن سيده : العواني : النساء ، لأنهن يظلمن
 فلا ينتصرن » . وفي النهاية : « العاني : الأسير ، وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا يعنو ، وهو
 عان ، والمرأة غانية ، وجسمها : عوان »

أَلَا وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ ، فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَ عَلَيْهَا .
ثُمَّ بَسَّطَ يَدَهُ ، فَقَالَ : أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؛ لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ
الْغَائِبُ ؛ فَرُبَّ مُبْلَغٍ أُبْلَغُ مِنْ سَامِعٍ » .

/ خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

٢٠١

وَقَفَّ عَلَى بَابِ الْكُعْبَةِ ، ثُمَّ قَالَ :
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ صَدَقَ ^(١) وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ ،
وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ .
أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى — فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ؛ إِلَّا
سِدَانَةَ الْبَيْتِ ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ .
أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطِإِ الْعَمْدَ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا — فِيهِ الدِّينُ مُغْلَظَةٌ ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ
خَيْلَفَةً ^(٢) ، فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا .
يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظَّمَهَا
بِالْآبَاءِ ؛ النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ؛ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ^(٣) .
يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ — أَوْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ — مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا :
خَيْرًا ؛ أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ [كَرِيمٍ . ثُمَّ] قَالَ : فَادْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ » .

خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيف

٢٠٢ وروى زيد بن ثابت : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطِبَ / بِالْخَيْفِ مِنْ
مِنًى ، فَقَالَ ^(٤) :

(١) م ، ك « صدق الله »

(٢) في السات ٤٤٣/١٠ « الخلفة بفتح الخاء وكسر اللام : الحامل من النوق »

(٣) سورة الحجرات : ١٣

(٤) من أول قوله وروى « زيد بن ثابت » ليس في ك ، وهو ثابت في أ ، م

« نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ^(١) ، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ؛ فَتَرُبَّ حَامِلٍ فَقَهٍ لَا فَقَهَ لَهُ ؛ وَرَبَّ حَامِلٍ فَقَهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .
ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ ^(٢) عَلَيْهِنَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَوَّلَى الْأَمْرِ ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ ، إِنْ دَعَوْتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ .
وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةُ : جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ؛ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ .
وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا : فَتَرَّقَّ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ؛ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . »

٢٠٣

/ خطبة له صلى الله عليه وسلم
رواها أبو سعيد الخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ^(٣) : خَطَبَ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقَالَ :
« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ^(٤) ؛ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَتَنَاظِرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ : فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ .
أَلَا لَا يَمْسُغَنَّ رَجُلًا مَخَافَةُ النَّاسِ ، أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ . »

(١) « نضر الله عبداً » يجوز في « نضر » تخفيف الضاد المفتوحة وتشديدها . وقد روى بالوجهين .
فعل التخفيف يكون هذا الفعل الثلاثي متعدياً ، وهو في أصله لازم . ولكن جاز فيه الأمران ، يقال : « نضر وجه فلان » ، و « نضر الله وجهه » ، و « نضر » و « أنضره » أيضاً .
(٢) في اللسان ١٣/٤ « قيل معنى قوله : لا يغفل عليهن قلب مؤمن : أى لا يكون معها في قلبه غش ودغل ونفاق ، ولكن يكون معها الإخلاص في ذات الله عز وجل . وروى لا يغفل ولا يغفل ، فن قال يغفل بالفتح للياء وكسر العين فإنه يجعل ذلك في الضغن والغل وهو الضغن والشحناء ، أى لا يدخله حقد يزيله عن الحق . ومن قال يغفل بضم الياء جعله من الخيانة . . . وقال ابن الأثير : ويروى يغفل بالتخفيف ، من الودغول ، الدخول في الشيء . والمعنى أن هذه الحلال الثلاث تستصلح بها القلوب ، فن تمسك بها طهر قلبه من الدغل والخيانة والشر . وعليهن في موضع الحال ، تقديره لا يغفل كائناً عليهن ...
ابن الأعرابي في النوادر : غل بصر فلان : حاد عن الصواب ، من غل يغفل ، وهو معنى قوله : ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مؤمن ، أى لا يحيد عن الصواب غاشاً .
(٣) هذه الكلمة من م فقط

(٤) في اللسان ٣٣٢/٥ « والدنيا خضرة مضرة : أى ناعمة غضة طرية طيبة ، وقيل : مؤنقة معجبة . وفي الحديث : إن الدنيا حلوة خضرة مضرة ، فن أخذها بحقها بورك له فيها »

قال : ولم يَزَلْ يَخْطُبُ حَتَّى لَمْ تَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا حُمْرَةٌ عَلَى أَطْرَافِ السَّعَفِ ؛ فَقَالَ :

إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى ، إِلَّا كَمَا بَقِيََ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى . »

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك فارس

« من محمد رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ :

سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ وَأَدْعُوكَ / بِدَعَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيُحِقَّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ . فَأَسْلِمَ تَسْلِمًا . »

كتابُ له صلى الله عليه وسلم إلى النَجَاشِيِّ

« من محمد رسول الله إلى النَجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ :

سَلامٌ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ السَّلامَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيَّمِينَ . وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ ^(١) الطَّيِّبَةِ ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى ، فَحَمَلْتَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخِهِ ؛ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ .

وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَالْمُؤَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ ؛ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي . وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَقَدْ ^(٢) بَلَغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبَلُوا نَصِيحِي . وَالسَّلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . »

(١) قَالَ أَبُو حَيَّانٍ التَّوْحِيدِيُّ فِي الْبَصَائِرِ وَالذِّخَائِرِ ١١٤/١ « الْبَتْلُ : الْقَطْعُ ، وَمِنْهُ الْمَنْزَعُ

الْبَتُولُ ، لِأَنَّهَا قَطُعَتْ عَنِ الرِّجَالِ »

(٢) م « قَدْ »

نسخة عهد الصلح مع^(١) قريش عام الحديبية

« هذا^(٢) ما صالح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، سهيل / ابن عمرو : اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين^(٣) ، يأمن فيها ٢٠٥ الناس ، ويكف^(٤) بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش^(٥) بغير إذن^(٦) وليه ، ردّه عليهم . ومن جاء قريشاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يردّوه عليه^(٧) ؛ وأن بيننا عيبه مكفوفة^(٨) وأنه لا إسلال^(٩) ، ولا إغلal ؛ وأنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده / دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد ٢٠٦ قريش وعقدهم دخل فيه ؛ وأنتك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ؛ فإذا كان عاماً قايلاً خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ؛ وأن معك سلاح الرأكب ، والسيوف في القرب^(١٠) ؛ فلا تدخلها بغير هذا »

ولا أطول عليك ، وأقتصر على ما ألقيته إليك^(١١) ؛ فإن كان لك في الصنعة حظ ، أو كان لك في هذا المعنى حس ، أو كنت تضرب في الأدب

- (١) م « عهد الصلح بين قريش » . (٢) في إمتاع الأسباع ٢٩٧ « باسمك اللهم ، هذا ما اصطلاح »
 (٣) س ، ك « عشرين سنة يأمن فيه » !!! (٤) س ، ك « ويكف فيه بعضهم »
 (٥) قوله « من قريش » ساقط من ك ، س (٦) م : « بغير اذيه وانه رده »
 (٧) م : « لم يرد عليه »

(٨) في اللسان ١٢٦/٢ « وروى عن ابن الأعرابي أنه قال : معناه أن بيننا وبينهم في هذا الصلح صدراً معقوداً على الوفاء بما في الكتاب ، نقياً من الغل والغدر والخداع . والمكفوفة : المشرجة المعقودة ، والعرب تكني عن الصدور والقلوب التي تحتوى على الضمائر المخفية بالغياب ، وذلك أن الرجل إنما يضع في عيبه حر متاعه ، وصون ثيابه ، ويكتم في صدره أخص أسرارها التي لا يحب شيوعها ، فسميت الصدور والقلوب عياباً تشبهاً بعياب الثياب . . . وقال بعضهم : أزال به الشر بيننا مكفوف كما تكف العيبة إذا أشرجت . وقيل : أراد أن بينهم مودة ومكافة عن الحرب . يجريان مجرى المودة التي تكون بين المتصافين الذين يثق بعضهم إلى بعض »

(٩) في اللسان ٣٦٤/١٣ « قال أبو عمرو : الإسلال : السرقة الخفية . قال الجوهري : وهذا يحتمل الرشوة والسرقة جميعاً . ويقال : الإسلال الغارة الظاهرة ، وقيل : سل السيوف » وفي ١٣/١٤ « قال أبو عبيد : الإغلal : الخيانة ، والإسلال : السرقة . وقيل : الإغلal : السرقة ، أي لا خيانة ولا سرقة : ويقال : لا رشوة » (١٠) س ، ك : « في الركب » . والقرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف . كما في اللسان ١٦١/٣ (١١) م : « عليك »

بِسَهْمٍ ، أو في العربية بَقِسْطٍ — وإن قَلَّ ذلك السَّهْمُ ، أو نَقَصَ ذلك النَّصِيبُ — فما أَحْسَبُ أَنَّهُ يَشْتَبَهُ عَلَيْكَ الْفَرْقُ بَيْنَ بَرَاةِ الْقُرْآنِ ، وبين ما نسخناه لك من كلام الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في خطبه ورسائله ؛ وما عَسَاكَ تَسْمَعُهُ من كلامه ؛ وَيَتَسَاقَطُ إِلَيْكَ من ألفاظه ؛ وأقْدَرُ أَنَّكَ تَرَى بين الكلامين بَوْنًا بَعِيدًا ، وأَمَدًا مَدِيدًا ، وَمِيدَانًا وَاسِعًا ، ومكانًا شاسعًا .

* * *

فإن قلت : لعله أن يكونَ تَعَمَّلَ للقرآن ، وتَصَنَّعَ لِنِظْمِهِ ؛ وشَبَّهَ عليك الشَّيْطَانُ ذلك من خُبَيْثِهِ — فتَشَبَّهَ في نفسِكَ ، وارجعْ إلى عقلِكَ ، واجمعْ لُبَّكَ ، وتَيَقَّنْ أن الخُطْبَ يُحْتَشَدُ لها في المواقف العظام ، والمَحَافِلِ الكبارِ ، والمواسم الضخام ؛ ولا يُتَجَوَّزُ فيها ، ولا يُسْتَهَانُ بها . والرسائلُ إلى الملوكِ مما يَجْمَعُ لها الكاتبُ جِرامِيْزَهُ^(١) ، ويُشَمِّرُ لها عن جِدِّ واجتهاد ؛ فكيف يَقَعُ بها الإخلالُ ؟ وكيف تعرضُ^(٢) للتفريط ؟ فستعلم ، لا محالة أن نظم القرآن من الأمرِ الإلهي ؛ وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الأمرِ النبوي .

فإذا أردت زيادةً في التَّبَيِّنِ^(٣) ، وتَقَدُّمًا في التَّعَرُّفِ ، وإشْرَافًا على الجَلِيلَةِ وفَوْزًا بِمُحْكَمِ الْقَضِيَّةِ ؛ فتأملْ — هداك الله — ما نَنَسَخُهُ لك من خُطْبِ الصَّحَابَةِ والبلغاء ؛ لتعلمَ أن نَسَجَهَا ونَسَجَ ما نقلنا — من خطب النبي صلى الله عليه وسلم — واحدٌ ، وسَبَكَهَا سَبَكٌ غيرُ مُخْتَلِفٍ ؛ وإنما يَقَعُ بين كلامه وكلام غيره ، ما يَقَعُ من التَّفَاوُتِ بين كلام الفَصِيحَيْنِ ، وبين^(٤) شعرِ الشَّاعِرَيْنِ ؛ وذلك أمرٌ له مقدارٌ معروفٌ ، وحدٌ — يَنْتَهِي إِلَيْهِ — مضبوطٌ .

(١) في اللسان ١٨٣/٧ « ويقال : جمع فلان لفلان جراميزه : إذا استعد له وعزم على قصده .

وجراميز الرجل : جسده وأعضاؤه . » وانظر مجمع الأمثال ١٧٤/١

(٣) س : « في التبيين »

(٢) س ، ا : « وكيف يتعرض »

(٤) م : « وشعر »

فإذا عرفتَ أنَّ جميعَ كلامِ الآدميِّ منهاجٌ ، ولحملته طريقٌ ^(١) / وتبينت ^(٢) ٢٠٨ ما يُمكنُ فيه من ^(٣) التفاوتِ — نظَّرتَ إلى نظم القرآن نظرةً أخرى ، وتأملتَه مرَّةً ثانيةً ؛ فتراعى بُعدَ موقعه ، وعالَى محلّه وموضِعُه ؛ وحكمتَ بواجب من اليقين ، وثَلَجَ ^(٤) الصَّدْرُ بأصلِ الدِّينِ .

٢٠٩ / خطبة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال ^(٥) :
 « أما بعد ؛ فإنى وَلَيْتُ أَمَرَكُم ، وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ؛ ولكنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَسَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَعَلَّمَنَا فَعَلِمْنَا .
 وَاَعْلَمُوا أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التَّقَى ، وَأَنَّ أَحْمَقَ الْحُمَقِ الْفُجُورُ ؛
 وَأَنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ ، حَتَّى آخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ ؛ وَأَنَّ أَضْعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ ، حَتَّى آخَذَ مِنْهُ الْحَقُّ .
 أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّمَا أَنَا مُسْتَبْعٌ ، وَلَسْتُ بِمُسْتَبَدِّعٍ ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ؛ وَإِنْ زُغْتُمْ فَقَوِّمُونِي » ^(٦) .

عهدُ لأبي بكر الصديق إلى عمرَ رضى الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آخرَ / عهدِه ٢١٠ بالدنيا ، وأوَّلَ عهدِه بالآخرة ؛ سَاعَةً يُؤْمِنُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيَسْتَقِي فِيهَا الْفَاجِرُ .

(١) م : « منهاجاً . . . طريقاً » (٢) ا ، م ؛ « وتصورت »

(٣) سقطت من م

(٤) م : « وثلج من الصدر » . وفي اللسان ٤٥/٣ « وثلجت نفسى بالشيء ثلجاً : اشتفت به واطمأنت إليه . . . وثلج قلبه : تيقن » .

(٥) في عيون الأخبار ٢٣٤/٢ « الهيثم ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، قال : لما بويج أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « والخطبة في العقد ٥٩/٤ باختلاف .

(٦) في عيون الأخبار بعد ذلك : « أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم » .

إني استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب ، فإن برَّ وعدَل : فذاك ظَنِّي به ، ورأى فيه ؛ وإن جارَ وبدَل فلا علمَ لي بالغيب ، والخيرَ أردتُ لكم ^(١) ؛ ولكلِّ امرئٍ ما اكتسبَ من الإثمِ ؛ وسيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ^(٢) .

* * *

وفي حديث عبد الرحمن بن عَوْفٍ رحمة الله عليه ؛ قال : دخلتُ على أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، في عِلَّتِهِ التي مات فيها ؛ فقلتُ : أراك بارئاً يا خليفةَ رسولِ الله ، فقال : أما إني — على ذلك — لَشَدِيدُ الْوَجَعِ ؛ وَلَمَّا لَقِيتُ مِنْكُمْ — يا معشر المهاجرين — أَشَدُّ عَلَىَّ مِنْ وَجَعِي . إني وَلَّيتُ أُمُورَكُمْ خَيْرَكُمْ في نفسى ، فكلِّمكم وِرِمَ ^(٣) أَنفُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ دُونِهِ .

والله لَتَتَخَذَنَّ نَصَائِدَ ^(٤) الدِّيَابِجِ ، وَسُتُورَ الْحَرِيرِ ، وَلَتَأْلَمَنَّ النَّوْمُ / عَلَى الصُّوفِ الْأَذْرَبِيِّ ^(٥) ، كَمَا يَأْلَمُ أَحَدُكُمْ النَّوْمُ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ ^(٦) ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتُضْرَبَ رَقَبَتُهُ فِي غَيْرِ حِدَّةٍ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْخُوضَ غَمَرَاتِ الدُّنْيَا .

يا هَادِي الطَّرِيقِ جُرْتُ ^(٧) ؛ إِنَّمَا هُوَ — وَالله — الْفَجْرُ أَوْ الْبَجْرُ ^(٨) .

(١) م : « بكم » (٢) ورد هذا العهد في الكامل للمبرد ٨/١

(٣) قال المبرد ٧/١ « يقول : امتلأ من ذلك غضباً . وذكر أنفه دون السائر ، كما قال :

فلان شامخ بأنفه ، يريد رافع رأسه . وهذا يكون من الغضب »

(٤) قال المبرد : « واحدها فضيدة ، وهي الوسادة وما ينفض من المتاع . . . ويقال : فضدت

المتاع : إذا ضمنت بعضه إلى بعض ، فهذا أصله »

(٥) قال المبرد ٦/١ « الأذربي منسوب إلى أذربيجان »

(٦) قال المبرد : « السعدان : نبت كثير الحسك (الشوك) تأكله الإبل فتسمن عليه ،

ويغفوها غذاء لا يوجد في غيره ، فمن أمثال العرب : مرعى ولا كالسعدان ، تفضيلاً له »

(٧) س ، ك : « جزت »

(٨) س ، ك : « البحر » قال المبرد ٧/١ « يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر

الطريق أبصرت قصدك ، وإن خبطت الظلمات وركبت المشواء هجماً بك على المكروه . وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحيرها أهلها »

قال : فقلتُ : خَفَضُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّ هَذَا يَهَيِّضُكَ^(١) إِلَى مَا بَيْنَكَ ؛ فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ صَالِحًا مُصْلِحًا ، لَا تَأْسَى عَلَى شَيْءٍ فَأَتَاكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ؛ وَلَقَدْ تَخَلَّيْتُ بِالْأَمْرِ وَحْدَكَ ، فَمَا رَأَيْتَ إِلَّا خَيْرًا .

وله خطب ومقامات مشهورة اقتصرنا منها على ما نقلنا ، منها قِصَّةُ السَّقِيفَةِ .

* * *

/ نسخة كتاب كتبه^(٢) أبو عبيدة بن الجراح ومُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

سلام عليك ؛ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

أما بعد ؛ فَإِنَّا عَهْدُناكَ وَأَمْرُ نَفْسِكَ لَكَ^(٣) مُهِمٌّ ؛ فَأَصْبَحْتَ وَقَدْ وُلِّيتَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحْمَرِهَا ، وَأَسْوَدَهَا ؛ يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْكَ الصَّدِيقُ وَالْعَدُوُّ ، وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ ؛ وَلِكُلِّ حَصَّتُهُ مِنَ الْعَدْلِ ؛ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ - يَا عُمَرُ - عِنْدَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّا نَحْذَرُكَ يَوْمًا تَعْنُو فِيهِ الْوُجُوهُ ، وَتَجِيبُ فِيهِ الْقُلُوبُ .

وإِنَّا كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَرْجِعُ^(٤) فِي آخِرِ زَمَانِهَا ؛ أَنْ يَكُونَ لِإِخْوَانِ الْعِلَانِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ ؛ وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُنْزَلَ كِتَابُنَا سِوَى الْمَنْزُولِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِنَا ؛ فَإِنَّا إِنَّمَا كَتَبْنَا إِلَيْكَ نَصِيحَةً لَكَ ؛ وَالسَّلَامُ .

فكتب إليهما :

من عمر بن الخطاب ، إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : سلامٌ عليكما ؛ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(٥) .

/ أما بعد ؛ فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكُمَا ، تَزْعَمَانِ أَنَّهُ بَلَّغَكُمَا أَنِّي وَلِّيتُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ : ٢١٣ / أَحْمَرِهَا وَأَسْوَدَهَا ، يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيَّ الصَّدِيقُ وَالْعَدُوُّ ، وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ ؛ وَكُتِبْنَا :

(١) قال المبرد : « يهيضك ، مأخوذ من قوهم : هيض العظم : إذا جبر ثم أصابه شيء يمتته فأذاه ، فكره ثانية أو لم يكسره ، وأكثر ما يستعمل في كسره ثانية »

(٢) س ، ك : « كتب » (٣) م : « إليك »

(٤) س ، ك : « أن هذه الأمة ترجع »

(٥) في سيرة عمر ص ٥٥٢ « أما بعد فإنني أوصيكم بتقوى الله ، فإنه رضا ربكم ، وحظ أنفسكم ، وغنيمة الأكياس لأنفسهم عند تفريط العجزة ، وقد بلغني كتابكم . . . »

أَنْ انْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ يَا عَمْرٍ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ وَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِعَمْرٍ - عِنْدَ ذَلِكَ - إِلَّا اللَّهُ .

وَكُتِبَتْهَا تُحَذِّرَانِي مَا حُذِّرَتْ بِهِ الْأُمَمُ قَبْلَنَا ؛ وَقَدِيمًا كَانَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِأَجَالِ النَّاسِ : يُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعِدٍ : حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ ؛ ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

وَكُتِبَتْهَا تَزَعِمَانِ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَرْجِعُ فِي آخِرِ زَمَانِهَا : أَنْ يَكُونَ إِخْوَانُ الْعِلَاقَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ ؛ وَلَسَمَ بِذَاكَ ، وَلَيْسَ هَذَا ذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَلَكِنْ زَمَانُ ذَلِكَ ^(١) حِينَ تَظْهَرُ الرِّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ ؛ فَتَكُونُ رَغْبَةُ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ إِصْلَاحِ دِينِهِمْ ، وَرَهْبَةُ بَعْضِ النَّاسِ إِصْلَاحَ دُنْيَاهُمْ .

وَكُتِبَتْهَا تُعَوِّذَانِي بِاللَّهِ أَنْ أَنْزَلَ كِتَابَكُمْ مَنَى سِوَى الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِكُمْ ؛ وَإِنَّمَا كُتِبَتْهَا نَصِيحَةٌ لِي ؛ وَقَدْ صَدَّقْتُمْ ؛ فَتَعَهَّدَانِي مِنْكُمْ بِكِتَابٍ ؛ وَلَا غِنَى بِي عَنْكُمْ ^(٢) .

/ عهد من عهود عمر رضى الله عنه

٢١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ^(٣) :
سَلَامٌ عَلَيْكَ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الْقَضَاءَ : فَرِيضَةُ مُحْكَمَةٍ ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ؛ فَافْهَمْ .
إِذَا أَدَّى إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا تَفْعَاذَ لَهُ .

آسِ ^(٤) بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ^(٥) ، وَلَا يِيَّاسٌ ضَعِيفٌ ^(٦) مِنْ عَدْلِكَ .

(١) م «ولسم بذلك . . . زمان هذا» (٢) الرياض النضرة ٢/٦١

(٣) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليماني الصحابي المشهور ، راجع تاريخ الإسلام ٢/٢٥٥ - ٢٥٨ والمعارف ص ١١٥ وابن سعد ٩/٦ وخلاصة تذهيب الكمال

ص ١٧٨ (٤) قال المبرد ٩/١ «يقول : سو بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة بعض»

(٥) قال المبرد : «أى فى ميلك معه لشرفه» (٦) ك : «شريف»

الْبَيْتَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ. وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ،
إِلَّا صُلْحًا أَهْلَ حَرَامًا، أَوْ حَرَّمَ حِلَالًا.
وَلَا يَمْنَعَنَّكَ (١) قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ - فَرَجَعْتَ فِيهِ عَقْلَكَ،
وَهَدَيْتَ لِرُشْدِكَ - أَنْ تَرْجَعَ إِلَى الْحَقِّ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ
خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ.

/ الْفَهْمُ الْفَهْمُ، فِيمَا تَلَجَّجْتَ فِي صَدْرِكَ (٢)؛ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، ٢١٥
ثُمَّ اعْرِفِ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ، وَقِسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَاعْمِدْ إِلَى أَشْبَهَيْهَا؛
بِالْحَقِّ.

وَأَجْعَلْ مَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً - أَمَدًا (٣) يَنْتَهِي إِلَيْهِ؛ فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَةً
أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ؛ وَإِلَّا اسْتَحَالَتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ؛ فَإِنَّهُ أَنْفَقَ لِلشَّكِّ، وَأَجْلَسَ لِلْعَمَى.
الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ إِلَّا مَسْجُودًا فِي حَدِّ، أَوْ مُجْرَبًا
عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ، أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ (٤)؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ،
وَدَرَأَ بِالْإِيمَانِ وَالْبَيِّنَاتِ (٥).

وَأَيَّاكَ وَالْعَلَقَ (٦) وَالضُّجْرَ، وَالتَّأَذَّى بِالْخُصُومِ، وَالتَّنَكَّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ (٧) ١٦

(١) س، ك: «ولا يمنعك»

(٢) قال المبرد ١٠/١ «يقول: تردد، وأصل ذلك: المضغة والأكلة يرددها الماضغ في فيه،
فلا تزال تردد إلى أن يسفيها أو يقذفها: والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى»

(٣) ك: «أمرًا»

(٤) فسر المبرد: «الظنين بأنه المتهم، ثم قال: «وإنما قال عمر ذلك لما جاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم: ملعون ملعون من اتهم إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه. فلما كانت معه
الإقامة على هذا لم يره للشهادة موضعًا»

(٥) قال المبرد: «ودرأ، إنما هو دفع، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادرؤوا
الحدود بالشبهات»

(٦) س، ك: «والعلو» وفي عيون الأخبار والبيان والتبيين: «والعلق». قال المبرد:
«وأما قوله: إياك والعلق والضجر فإنه ضيق الصدر وقلة الصبر، يقال في سوء الخلق: رجل غلق.
وأصل ذلك من قولهم: أغلق عليه أمره، إذا لم يتضح ولم يفتح من ذلك قولهم غلق: الرهن أي لم
يوجد له تخلص، وأغلقت الباب من هذا»

(٧) ما هنا يوافق ما في الكامل. وفي البيان والتبيين: «والتنكر للخصوم في مواطن الحق، التي
يوجب الله بها الأجر، فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى، ولو على نفسه، يكفه
الله ما بينه وبين الناس»

فإن الحقَّ في مواطن الحقِّ يُعْظَمُ اللهُ به الأجرَ ، ويُحَسَّنُ به الدَّخْرُ ؛ فمن صَحَّتْ نِيَّتُهُ ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ؛ ومن تخلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ، شَانَهُ اللهُ (١) ؛ فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته ؛ والسلامُ .

ولعمر رضى الله عنه خطبٌ مشهورةٌ مذكورة في التاريخ ، لم نقلها اختصاراً .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

خطبة له (٢) رضى الله عنه

قال : إنَّ لكلَّ شيء آفةً ، وإنَّ لكلَّ نعمة عاهةٌ ؛ وإنَّ عاهة (٣)
 هذا الدين عِيَابُونُ ظَنَانُونُ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ ما تُحِبُّونَ ، وَيُسرُّونَ/ ما تَكْرَهُونَ ،
 يقولون لكم وتقولون ؛ طَغَامٌ (٥) ، مِثْلُ النِّعَامِ ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ؛
 أحبُّ مواردِهِم إليهم النَّازِحُ .

لقد أقررت لابن الخطاب بأكثر مما نتقمتم على ، ولكنه وقمكم
 وقمكم ، وزجركم زجر النعم المخرمة (٥) . والله إني لأقربُ
 ناصراً ، وأعزُّ نفراً (٦) ، وأقمن - إن قلتُ : هلُم - أنْ تُجَابَ دعوتى ،
 من عمر .

هل تفقدون من حقوقكم شيئاً ؟ فالى لا أفعل في الحق ما أشاء ؟ إذا فلم
 كنتُ إماماً ؟ !

(١) في البيان « ومن تزين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتك الله ستره ، وأبدى فعله
 فما ظنك » (٢) ك ، ا « خطبة لعثمان »

(٣) ك : « عاهة هذا الدين » س « عاهة » في هذا الدين

(٤) في اللسان ٢٦١/١٥ « الطغام أزدال الناس وأوغادهم . . . قال الأزهري : وسمعت العرب

تقول للرجل الأحمق : طغامة ، والجميع الطغام »

(٥) في اللسان ٦٤/١٥ « والمخرم من نعت النعام ، قيل له مخزم لثقب في منقاره »

(٦) في البيان والتبيين ٣٧٧/١ بعد ذلك : فضل فضل من مالى ، فالى لا أفعل في الفضل

ما أشاء ؟ ! «

كتابه إلى علي حين حصر - رضى الله عنهما

أما بعد ؛ فقد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ، وجاوز الحِزَامُ الطُّبِّيَّيْنِ ، وَطَمِعَ
فِي مَنْ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ . فإذا أتاك كتابي هذا : فأقبل إلىَّ ، عَلَيَّ كُنْتَ
أُمُّ لِي .

٢١٨

/فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا : فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ

وإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أَمَزَقِ^(٢)

* * *

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه

قال : لما قُبِضَ أبو بكر رضى الله عنه إرتجَّتْ المدينةُ بالبكاء ، كيوم
قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وجاء عليُّ بأكْبَا مُسْتَرْجِعًا^(٣) ، وهو يقول :
اليومَ انْقَطَعَتْ خِلاَفَةُ النَّبُوَّةِ ، حتَّى وقف على باب البيت الذى فيه أبو بكر ؛
فقال :

رحمك^(٤) الله أبا بكر ؛ كُنْتَ إلفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنسَه ،
وثقته وموضعَ سرِّه ؛ كُنْتَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا ، وَأَخْلَصَهُمْ إِيمَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ
يَقِينًا ؛ وَأَخْوَفَهُمْ لِلَّهِ ، وَأَعْظَمَهُمْ غِنَاءً فِي دِينِ اللَّهِ ، وَأَحْوَطَهُمْ عَلَيَّ
رسولِ الله^(٥) ، وَأَشْبَهَهُمْ^(٦) عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَيْمَنَهُمْ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَأَحْسَنَهُمْ
صُحْبَةً ؛ وَأَكْثَرَهُمْ مَنَاقِبَ ، وَأَفْضَلَهُمْ سِوَابِقَ ، / وأرفعَهُمْ دَرَجَةً ، وَأَقْرَبَهُمْ^(٧)
وسيلةً ؛ وَأَشْبَهَهُمْ برسولِ الله^(٧) صلى الله عليه وسلم سَنَنًا^(٨) وَهَدْيًا ، وَرَحْمَةً
وَفَضْلًا ؛ وَأَشْرَفَهُمْ مَنْزِلَةً ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَوْثَقَهُمْ عِنْدَهُ .

(١) قال المبرد ١٢/١ « الزبية : مصيدة الأسد ، ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة ...
وقوله : وبلغ الحزام الطبيين ، فإن السباع والخيل يقال لموضع الأخلاف منها : أطباء ، واحدها طبي ...
فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى في المكروه »

(٢) البيت للمرق العبدى من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر ، كما في اللسان ٢١/١٣
وطبقات فحول الشعراء ص ٢٣٢ والشعر والشعراء ١/٣٦٠ وبقية القصيدة في الأصمعيات ص ٤٧

(٣) م : « متوجعاً »

(٤) م : « يرحمك »

(٥) س : « على رسوله »

(٦) ك : « وأيمانهم »

(٧) س : « وأقربهم برسول الله »

(٨) م : « سمتا »

فجزاك^(١) الله عن الإسلام وعن رسوله خيرًا ؛ كنتَ عندَه بمنزلة السَّمْع والبصر .

صدقتَ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين كذَّبَ به الناسُ ، فَسَمَّاكَ في تنزيله صِدِّيقًا ؛ فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾^(٢) .
وَأَسَيَّتَهُ حينَ بَخَلُّوا ، وَقَمَتَ مَعَهُ عِنْدَ الْمَكَارِهِ حينَ قَعَدُوا ؛ وَصَحْبَتَهُ في الشَّدَائِدِ أَكْرَمَ الصُّعْبَةِ ، ثَانِي اثْنَيْنِ وَصَاحِبَهُ^(٣) في الغار ، وَالْمَنْزَلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ؛ وَرَفِيقَهُ فِي الْهَجْرَةِ ، وَخَلِيفَتَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَفِي أُمَّتِهِ — أَحْسَنَ الْخُلَافَةِ — حينَ ارْتَدَّ النَّاسُ ، فَنَهَضَتْ حينَ وَهَنَ أَصْحَابُكَ ، وَبَرَزْتَ حينَ اسْتَكْبَرُوا ، وَقَوِيَتْ حينَ ضَعُفُوا ، وَقَمْتَ بِالْأَمْرِ حينَ فَشَلُوا ، وَنَطَقْتَ حينَ تَتَعَتَعُوا^(٤) ؛ مَضِيَّتَ بَنُورٍ إِذْ وَقَفُوا ؛ وَاتَّبَعُوكَ فَهَدُوا .

٢٢ / وَكُنْتَ أَصُوبَهُمْ مَنْطِقًا ، وَأَطْوَلَهُمْ صِمْتًا ، وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلًا ، وَأَكْثَرَهُمْ رَأْيًا ، وَأَشْجَعَهُمْ نَفْسًا ، وَأَعْرَفَهُمْ بِالْأُمُورِ ، وَأَشْرَفَهُمْ عَمَلًا .
كُنْتَ لِلدَّيْنَيْنِ يَغْسُوبًا^(٥) ، أَوَّلًا : حينَ نَقَرَ عَنْهُ النَّاسُ ؛ وَآخِرًا : حينَ قَفَلُوا^(٦) ؛ وَكُنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَبًا رَحِيمًا ؛ إِذْ صَارُوا عَلَيْكَ عِيَالًا ؛ فَحَمَلْتَ أَثْقَالَ مَا ضَعُفُوا عَنْهُ^(٧) ، وَرَعَيْتَ مَا أَهْمَلُوا ؛ وَحَفِظْتَ مَا أَضَاعُوا ؛ شَمَرْتَ إِذْ خَنَعُوا ؛ وَعَلِمْتَ إِذْ هَلَعُوا ؛ وَصَبَرْتَ إِذْ جَزَعُوا ؛ وَأَدْرَكْتَ أَوْتَارَ مَا طَلَبُوا ؛ وَرَاجَعُوا رُشْدَهُمْ بِرَأْيِكَ فَظَفَرُوا ، وَنَالُوا بِكَ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوا .

وَكَنْتَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَنَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي صُحْبَتِكَ وَذَاتِ يَدِكَ ؛ وَكَنْتَ كَمَا قَالَ : ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ ، قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللَّهِ ، مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِكَ ، عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ ، جَلِيلًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ^(٨) ، كَبِيرًا فِي أَنْفُسِهِمْ .

(١) س ، ك : « جزاك » (٢) سورة الزمر : ٣٣ (٣) م : « اثنين إذ هما » .

(٤) س : « حين تبعوا » وفي اللسان ٣٨٤/٩ والتبعة في الكلام : أن يعيا بكلامه و يتردد من حصر أروع ، ومنه الحديث : الذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه ، أي يتردد في قراءته ويتبذل فيها لسانه »

(٥) في اللسان ٨٩/٢ « اليعسوب : السيد والرئيس والمقدم ، وأصله أمير النحل وذكرها »

(٦) س « حين أقبلوا » ك : « حين قبلوا » ومعنى قفلوا : رجعوا ، يشير بذلك إلى الردة

(٨) م « في أعين المؤمنين »

(٧) سقطت من ك ، س

لم يكن لأحد^(١) فيك مغمزٌ ، ولا لأحد مطمعٌ ؛ ولا لمخلوق عندك هَوَادَةٌ ؛ الضعيفُ الدليلُ عندك قوىٌ عزيزٌ ، حتى تأخذ/ له بحقه ؛ والقوى^{٢٢١} العزيزُ عندك ضعيفٌ ذليلٌ ، حتى تأخذَ منه الحقُّ ؛ القريبُ والبعيدُ عندك سواءٌ ؛ أقربُ الناسِ إليك أطوعُهُم لله

شأنُكَ الحقُّ والصِّدْقُ والرفقُ^(٢) ؛ وقولُكَ حكمٌ وحِثْمٌ^(٣) ، وأمرُكَ حلْمٌ^(٤) وحزمٌ ، ورأيُكَ علمٌ وعزمٌ ؛ فأبلغتَ وقد نهَجَ السَّيْلُ ، وسهَّلَ العسيرُ ؛ وأطفأتَ النيرانَ ، واعتدَلَك بك الدينُ ، وقوىَ الإيمانُ ، وظَهَرَ أَمْرُ الله ولو كرهه الكافرونُ ؛ وأتعبتَ مَنْ بعدَكَ إتعاباً شديداً ، وفزتَ بالخيرِ فوزاً عظيماً^(٥) ؛ فجللتَ عن البكاء ، وعظمتَ رزيتُكَ في السماء ؛ وهَدَّتْ مصيبتُكَ الأيامَ ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ رَضِينَا عن الله قضاءً ، وسَلَّمْنَا له أمره ؛ فوالله لَن يُصَابَ المسلمون بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بمثلِكَ أبداً ؛ فألحقَكَ الله بنبيه ، ولا حَرَمْنَا أجْرَكَ ، ولا أضَلْنَا بعدَكَ . وسكتَ الناسُ حتى انقضى كلامُهُ ، ثم بكَّوْا حتى علتْ أصواتُهُمْ .

* * *

٢٢٢

/خطبة أخرى لعلی رضی الله عنه

أما بعد ؛ فإن الدنيا قد أدْبَرَتْ وأدْنَتْ بُودَاعَ ، وإن الآخرةَ قد أقبلتْ وأشرقتْ باطلَاعَ ؛ وإن المضمارَ اليومَ ، وغداً السِّبَاقُ . ألا وإنكم في أيامٍ مهملٍ ، ومن ورائه أجَلٌ ؛ فمن أخلَصَ في أيامِ مهله^(٦) فقد فاز ؛ ومن قصَّرَ في أيامِ مهله^(٧) ، قبلَ حُضُورِ أَجله ، فقد خَسِرَ عمله ، وضُرَّه أَمَلُهُ .

ألا فاعملُوا لله في الرغبة ؛ كما تعملون له في الرهبة .

ألا وإنی لم أركا الجنة نام طالِبُها ؛ ولا كالنارِ نام هارِبُها .

(٢) سقطت هذه الكلمة من م

(١) « لأحدهم »

(٣، ٤) مكان هاتين الكلمتين بياض في ك ، س

(٥) س، ك: « بالحد فوزاً مبيناً » (٦، ٧) س ، ك : « أملة . . . أملة

ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره^(١) الباطل ؛ ومن لم يستقم^(٢) به الهدى
يسجر به الضلال .

ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن . ودللتُم على^(٣) الزَّاد .
ألا وإن أخوف ما أخافُ عليكم اتِّباع^(٤) الهوى ، وطولُ الأمل^(٥) .

* * *

٢٢٣

/ وخطب رضى الله عنه . فقال بعد حمد الله :

أيها الناس ؛ اتقوا الله ؛ فما خلق امرؤ عبثاً فيلتهو ، ولا أهمل سُدًى
فيلغو ؛ ما دُنياه التي تحسنت إليه بخلف من الآخرة التي قبها سوءُ النظر
إليه ؛ وما الخسيس الذي ظفر به - من الدنيا - بأعلى همته^(٦) ؛ كالأخبر الذي
ذهب^(٧) من الآخرة من سُميته^(٨) .

* * *

وكتب على رضى الله عنه إلى عبد الله بن عباس : رحمة الله عليهما . وهو بالبصرة :
أما بعد ؛ فإن المرء يسر^(٩) بدرك ما لم يكن ليحرمه . ويسوءه
فيوت ما لم يكن ليُدركه ؛ فليكن سرورك بما قدمت : من أجر أو منطلق ؛
وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك .
وانظر ما فاتك من الدنيا : فلا تكثر عليه جرعاً ؛ وما نلتته : فلا تنعم
به فرحاً ؛ وليكن همك لما بعد الموت^(١٠) .

٢٢٤

/ كلام لابن عباس رضى الله عنه

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس : ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك
مكان أبي موسى . يوم الحَكَمين ؟

(١) س ، ك : « يضربه »

(٢) ك : « ومن لا يستقيم »

(٤) سقطت من س ، ك

(٣) م : « عن »

(٥) الخطبة من عيون الأخبار ٢٣٥/٢ والبيان والتبيين ٥٢/٢ ونهج البلاغة ١/٦٦

(٦) م : « هيه »

(٧) س ، ك : « الذي ظفر به من الآخرة »

(٨) م : « من سهمه » والسهم : النصيب كما في اللسان ٢٠٠/١٥

(٩) م : « ليس »

(١٠) نهج البلاغة ٢٣/٣ - ٢٤ والأمال لأبي علي القالي ٩٤/٢

قال : مَنَعَهُ - والله - من ذلك حاجزُ القَدَرِ ، وقَصَرُ المُدَّةِ ، ومَحَنَةُ الابتلاءِ .

أما والله ، لو بَعَثْتَنِي مكانَه لاعتَرَضْتُ له في مَدَارِجِ نفسه ، ناقِضًا لما أبْرَمَ ، ومُبْرِمًا لما نَقَضَ ، أسفُ إذا طار ، وأطيرُ إذا أسفَ ؛ ولكن مَضَى قَدَرٌ ، وبَقِيَ أسفٌ ؛ ومعَ يومنا غدٌ ؛ والآخرةُ خيرٌ لأميرِ المؤمنين ، من الأولى .

* * *

خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أصدقُ الحديثِ كتابُ الله ؛ وأوثقُ العُرَى كلمةُ التَّقْوَى ؛ خيرُ المِلَلِ مِلَّةُ إبراهيمَ ؛ وأحسنُ السننِ سُنَّةُ النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؛ خيرُ الأمور أوسطُها ؛ وشرُّ الأمور مُحْدَثَاتُهَا ؛ ما قلَّ وكَفَى ، خيرٌ مما كَثُرَ وألْهَى ؛ خيرُ الغِنَى غِنَى النفسِ ؛ وخيرُ ما أَلْقَى في القلبِ اليقينُ ؛ الحمرُ جِمَاعُ الإثمِ ؛ النساءُ حِبَالُ^(١) الشيطانِ ؛ الشابُّ شُعْبَةٌ من الجنونِ ؛ حُبُّ الكِفَايَةِ مِفْتَاحُ المَعْجَزَةِ . مِن/الناسِ مَنْ لا يَأْتِي الجماعةَ إِلَّا ٢٢٥ دُبْرًا ، ولا يَذْكُرُ اللهَ إِلَّا هُجْرًا ؛ أعظمُ الخطايا اللسانُ الكَذِبُ ، سَبَابُ المؤمنِ فسقٌ ، وقتالُه كفرٌ ، وأكلُ لحمه معصيةٌ ؛ مَنْ يَتَأَلَّ على الله يُكذِّبُه^(٢) ؛ مَنْ يَغْفِرُ يَغْفَرَ له ؛ مَكْتُوبٌ في ديوانِ المحسنين : مَنْ عَفَا عَنِّي عنه . الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ في بطنِ أمه ، والسعيدُ مَنْ وَعَظَ بغيره ؛ الأمورُ بعواقبِها ؛ ملائِكُ العملِ خَوَاتِمُه^(٣) ؛ أَشْرَفُ الموتِ الشهادةُ ؛ من يعرفِ البلاءَ يَصْبِرْ عليه ، ومن لا يعرفِ البلاءَ يُنْكِرُه .

* * *

(١) م « حبال »

(٢) في اللسان ٤٣/١٨ « من يتأَلَّ على الله يكذِّبُه » أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلن الله فلاناً النارَ وينجح الله سعى فلان »

(٣) م « خواتمه » وفي البيان والتبيين ٥٧/١ بعد ذلك : « أحسن الهدى هدى الأنبياء . أقبح الضلالة بعد الهدى »

خطبة لمعاوية بن أبي سفيان ، رضى الله عنه

قال الراوى : لما حضرته الوفاة قال لولئى له : من بالباب ؟

فقال : نقر من قریش يتباشرون بموتك !

فقال : ويحك ، ولم ؟ ثم أذن للناس ، فحمد الله وأثنى عليه ^(١) ؛ فأوجز ؛

ثم قال :

٢٢٦ / أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دهر عسود ، وزمن شديد ؛ يُعدُّ فيه

المحسن مسيئاً ، ويزداد الظالم فيه عُتُوًّا ؛ لا ننتفعُ بما علمنا ، ولا نسألُ

عمَّا جهلنا ، ولا نتخوفُ ^(٢) قارعةً حتى تحلُّ بنا ؛ فالنَّاسُ على أربعة

أصناف :

منهم : من لا يمنعه من الفساد فى الأرض إلا مهانةُ نفسه ، وكلالُ حدِّه ، ونقصُ ^(٣) وقْره .

ومنهم : المصلِّ ^(٤) لسيفه ، والمُجلبُ بِرَجْله ^(٥) ، والمعلنُ ^(٦) بشره ؛

قد أشرطَ نفسه ^(٧) ، وأوبقَ دينه ؛ لحطام ^(٨) ينتهزه . أو مقنَّب ^(٩) يقوده ،

أو مینبرٌ يفرَّعه ^(١٠) ؛ ويثسَّ المتجبرُ أنْ تراها لنفسك ثمنًا ، ومِمَّا لك

عند الله عوضًا .

٢٢٧ / ومنهم : من يطلبُ الدنيا بعمل الآخرة ؛ ولا يطلبُ الآخرة بعمل الدنيا ؛

قد طامَنَ مِن شخصه ، وقاربَ من خطوِّه ، وشمرَ من ثوبه ؛ وزخرفَ

(١) س ، ك : « فحمد الله فأوجز » (٢) س ، ك : « من قارعة »

(٣) م : « وقصيص »

(٤) س ، ك : « المسلط » وفى اللسان ٣٥٨/٢ « وأصل السيف : جرد من غمده فهو

مصلت »

(٥) فى اللسان ٢٦٥/١ « وأجلب الرجلُ الرجلَ إذا توعده بشره وجمع الجمع عليه ، وكذلك

جلب يجلب جلباً ، وفى التنزيل : (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى أجمع عليهم وتوعدهم بالشر »

(٦) ك : « والمعلق بشره »

(٧) م : « قد أشرك » ، ومعنى « أشرط نفسه » : أى هياها (٨) م : « بحطام »

(٩) وفى اللسان ١٨٤/٢ « المقلب بالكسر : جماعة الخيل والفرسان »

(١٠) س ، ك : « يقرعه » ، ومعنى « يفرعه » : يعلوه

نفسه للأمانة ، واتخذ سراً لله ذريعة إلى المعصية .

ومنها : من أفعده عن الملك ضلولة في نفسه ، وانقطاع سببه ؛ فقصر به الحال عن حال^(١) ؛ فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس الزهاد ؛ وليس من ذلك في مراح ولا مغددي .

وبقي رجال أغضض أبصارهم ذكر المرّجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد^(٢) نداد ، وخائف منقذ^(٣) ، وساك مكموم^(٤) وداع مخلص ، وموجع ثكلان ؛ قد أحملتهم التقيّة ، وشملتهم الدّالة ؛ في بحر أجّاج ، أفواههم دامية^(٥) ، وقلوبهم قريحة^(٦) ؛ قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ، وقتلوا حتى قتلوا .

/فلتكن الدنيا في عيونكم أقلّ من حثالة القرط^(٧)، وقراضة النجس^(٨)؛ ٢٢٨
واتعظوا بمن كان قبلكم . قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ؛ فارفضوها ذميمة ؛
فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم^(٩)

- (١) كذا في م والعقد الفريد ٨٩/٤ و « الحال على ماله » وعيون الأخبار ٢٣٨/٢ « على حاله » والبيان والتبيين ٦٠/٢ « الحال عن أهله » وفي ك ، س « فقصرته الحال فتحلى باسم القناعة »
(٢) س ، ك : « شديد نادر » وفي العقد وم « شريد باد » والنادر : النافر الذاهب على وجهه
(٢) س : « متقمع » وفي اللسان ١٦٨/١٠ « قمع الرجل في بيته وانقمع دخله مستخفياً »
(٤) في اللسان ٤٢٦/١٥ « مكوموم » وقد سد الخوف فنه فنه من الكلام
(٥) في البيان والتبيين ٦٠/٢ « ضامرة » وفي م « أقدامهم دامية »
(٦) س ، ك : « قريحة »
(٧) م : « حثالة » وفي اللسان ٣٢٦/٢ « حثات كل شيء : ما تحات منه ، أي تناثر » وفي ١٥٠/١٣ « وحثالة القرط : نفايته ، ومنه قول معاوية في خطبته : فانا في مثل حثالة القرط ، يعني الزمان وأهله »

(٨) في اللسان ٨٢/٩ « والقراضة : ما سقط بالقرض . وقراضات الثوب : الفضالة التي يقطعها الخياط وينفيها الجلم » والجلم : المقص .

(٩) عقب الجاحظ على هذه الخطبة بقوله ٦١/٢ « وفي هذه الخطبة - أبقاك الله - ضروب من العجب : منها أن الكلام لا يشبه الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أن هذا المذهب في تصنيف الناس ، وفي الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقيّة والخوف ، أشبه بكلام على رضى الله عنه ومعانيه وحاله - منه بحال معاوية . ومنها أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، ولا يذهب مذاهب العباد . وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم » وقد قال الرضى في نهج البلاغة ٧٦/١ إنها من كلام على الذي لا يشك فيه ، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٢/١

خطبة لعمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه

أيها الناس ، إنكم مبيتون ، ثم إنكم مبيعوثون ، ثم إنكم مُحاسِبون ؛ فلعمري :
لئن كنتم صادقين ، لقد قَصَرْتُمْ ؛ ولئن كنتم كاذبين ، لقد هَلَكْتُمْ .
يا أيها الناس ؛ إنه مَنْ يُقَدَّرُ له رِزْقٌ بِرَأْسِ جَبَلٍ ، أو بِحَضِيضٍ
/ ٢٢٩ أرض - يَنَآتِيهِ ؛ فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ^(١) .

خطبة للحجاج بن يوسف

حميد الله ، وأئني عليه ^(٢) ؛ ثم قال :
يا أهلَ العراقِ ، ويا أهلَ الشقاقِ والنفاقِ ، ومساوئِ الأخلاقِ ؛ وبتى
اللَّكِيعةَ ، وعبيدَ العصا ، وأولادَ الإماء ، والفقعِ بالقرقر ^(٣) ؛ إني سمعتُ
تكبيراً لا يُرادُ به الله ، وإنما يُرادُ به الشيطانُ ؛ وإنما مثلى ومثلكم ، ما قاله
ابنُ بَرَأَقَةَ الهَمْدَانِي ^(٤) :

وكنْتُ إذا قومٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فهل أنا في ذا ، يَا لَهْمْدَانَ ، ظالمٌ
متى تجمعُ القلبُ الذَّكِيَّ وصارِماً وَأَنْفَأَ حَمِيّاً ، تَجَنَّبَكَ المَظَالِمُ ^(٥)
أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَقْرَعُ عَصَاً عَصَاً ، إِلَّا جَعَلْتُهَا ^(٦) كَأَمْسِ الدَّابِرِ .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨

(٢) في البيان والتبيين ١٣٧/٢ عن الهيثم بن عدي قال « أنبأني ابن عياش ، عن أبيه قال :
خرج الحجاج يوماً من القصر بالكوفة ؛ فسمع تكبيراً في السوق فزاعه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله
وأئني عليه وصل على نبيه ثم قال »

(٣) في اللسان ١٢٦/١٠ « الفقع والفقع بالفتح والكسر : الأبيض الرخو من الكمأة وهو
أردؤها . . . ويشبه به الرجل الذليل فيقال : هو فقع قرقر ، ويقال أيضاً : أذل من فقع بقرقر ؛
لأن الدواب تنجله بأرجلها » والقرقر : الأرض المنخفضة

(٤) هو عمرو بن براقه ، وهو ابن منبه بن شهر الهمداني ، شاعر فاتك ، جاهل إسلامي . نسب

إلى أمه براقه ، راجع المؤلفات والمختلَف للامدني ص ٦٦ - ٦٧ والأغانى ٢١ / ١٧٥

(٥) ١ : « القلب الكمي »

(٦) ٦ : « إلا جعلها » وفي ١ ، م « كالأمس » .

/ خطبة لقس بن ساعدة الإيادي ^(١)

أخبرني محمد بن عليّ الأنصاري ^(٢) بن محمد بن عامر ، قال : حدثنا عليّ ابن إبراهيم ، حدثنا عبد الله بن داود بن عبد الرحمن العمري ؛ قال : حدثنا الأنصاري عليّ بن محمد الحنظلي - من ولد حنظلة الغسيل - حدثنا جعفر ابن محمد ، عن محمد بن حسان ^(٣) ، عن محمد بن حجاج اللخمي ^(٤) ، عن مجالد ^(٥) ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ؛ قال :
لما وفد وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيكم يعرف قس بن ساعدة ؟

/ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ^(٦) .

قال : لست أنساه بعكاظ ، إذ وقف على بعير له أحمر ، فقال :
أيها الناس اجتمعوا ، وإذا اجتمعتم فاستمعوا ، وإذا سمعتم فاعتوا ؛ وإذا وعيتم فقولوا ، وإذا قلتم فاصدقوا ؛ من عاش مات ، ومن مات فات ؛ وكل ما هو آت آت .

أما بعد ، فإن في السماء خيراً ، وإن في الأرض لغيراً ؛ مهتاد موضوع ، وسقف مرفوع ؛ ونجوم تمشور ، وبحار لا تغور ؛ أقسم بالله قس قسماً

(١) م : « رضى الله عنه ! » (٢) هذه الكلمة من ك فقط

(٣) هو محمد بن حسان بن خالد السمي ، أبو جعفر البغدادى . مات سنة ثمان وعشرين ومائتين راجع خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٨٣ .

(٤) هو أبو إبراهيم : محمد بن الحجاج ، من أهل واسط ، سكن بغداد ، وحدث بها عن عبد الملك بن عمير ، ومجالد بن سعيد . وهو كذاب خبيث منكر الحديث ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألعن جبريل الهريسة لتشده ظهري لقيام الليل » ؛ وقد توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . وترجمته في تاريخ بغداد ٢٧٩/٢ - ٢٨٢ .

(٥) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ، أبو عمرو الكوفي . ضعفه ابن معين . وقال ابن عدى إن ما يرويه غير محفوظ . مات سنة أربع وأربعين ومائة ، كما في خلاصة تذهيب الكمال ص ٣١٥ .

(٦) حديث قس بن ساعدة طروقه كلها ضعيفة ، كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٨٥/٥ - ٢٨٦ وانظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ٢٣٠/٢ - ٢٣٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ٦٨/١ - ٧٢ وتاريخ بغداد ٢٨٣/٢ والأغاني ٤١/١٤ - ٤٣ والبيان واثنين ٣٠٨/١ - ٣٠٩ والمعرين للسجستاني ص ٦٩ - ٧٠ ومجمع الأمثال ١١٧/١ - ١١٨ وخزانة الأدب ٢٦٣/١ - ٢٦٨ و ٢٥/٢ - ٢٦ ونقد النثر ٨٧ طبع دار الكتب ، والزهد لأحمد بن حنبل ٣٥٥ .

حَقًّا لَا كَاذِبًا فِيهِ وَلَا آثَمًا . لَنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ رِضًا لِيَكُونَنَّ سَخَطًا^(١) ؛ إِنْ لَلَّهِ
تَعَالَى دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ . وَقَدْ أَنْتُمْ أَوَّانُهُ . وَلِحَقَّتْكُمْ
مُدَّتُهُ .

مَالِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ؟ أَمْ تُتْرَكُوا
فَنَامُوا ؟

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّكُمْ يَرُوى شَعْرُهُ ؟ فَأَنْشَدُوهُ :

فِي الدَّاهِبِينَ الْأَوَّلِيْنَ نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بِصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لَلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَسْعَى الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيْهِ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيَقْنَتُ أَنِّي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

* * *

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٢) بْنُ إِسْمَاعِيلَ،
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا . حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ . عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ :
أَنْ وَفَدَا مِنْ إِيَادٍ قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِ قُسَ
ابْنِ سَاعِدَةَ ، فَقَالُوا : قَالَ قُسَ :

يَا نَاعِيَ الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتِ فِي جَدَّتْ
عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَزَّهِمْ خِرَقُ
دَعَهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُّ بِهِمْ
كَمَا يَنْبَغُهُ مِنْ نَوْمَاتِهِ الصَّعِقُ^(٣)
مِنْهُمْ عُرَاةٌ وَمِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ
مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْأَوْرَقُ الْخَلْقُ^(٤)

(١) س : « مخطوطة » (٢) م : « الحسن » (٣) في المعمرين بعد هذا البيت :

حتى يحیی بحال غیر حالم خلق مضوا ثم ماذا بعد ذاك لقوا

(٤) في المعمرين ص ٧١ « منهم عرأة وموق في ثيابهم » .

/مطر ونبات^(١) ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت . وآيات في إثر آيات ، ٢٣٣
 وأموات بعد أموات . ضوء وظلام . وليال وأيام ؛ وغنى وفقير ، وشقى وسعيد .
 ومحسن ومُسِيء . أين الأرباب الفعّلة ؟ ليصلحن كل عامل عمله .
 كلا ، بل هو الله واحد ، ؛ ليس بمولود ولا والد ؛ أعاد^(٢) وأبدى وإليه
 المآب غدًا .

أما بعد ، يا معشر إياد ؛ أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؛ أين الحسن
 الذي لم يشكر ؛ أين الظلم الذي لم ينقم^(٣) ؛ كلا ورب الكعبة ليعودنَّ ما بدا ،
 ولئن لذهب يوم ليعودنَّ يوم .

قال : وهو قس بن ساعدة^(٤) بن حُذاق بن ذهل بن إياد بن نيزار . أوّل
 من آمن بالبعث من أهل الجاهلية . وأوّل من توكأ على عصا^(٥) . وأوّل من تكلم
 بـ «أما بعد»^(٥) .

٢٣٤

/خطبة لأبي طالب/

الحمد لله الذي جعلنا من ذُرِّيَةِ إبراهيم ، وزرّع إسماعيل ؛ وجعل لنا بلدًا
 حَرَامًا ، وبيتًا مَحْجُوجًا ؛ وجعلنا الحكّام على الناس .
 وإنَّ محمدَ بنَ عبد الله ، ابنَ أخي ، لا يوازن^(٦) به فتى من قریش إلا
 رَجَحَ به : بركةً وفضلًا وعدلاً ، ومجدًا ونبلًا ، وإن كان في المال مُقِلًّا ؛
 فإن المال عاريةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ ، وظل زائل ؛ وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها
 فيه مثل ذلك ؛ وما أردتم من الصدّاق فعلى^(٧) .

* * *

/قد نسختُ لك جُملاً من كلام الصّدْر الأوّل ومُحاوراتهم وخطبهم ، ٢٣٥

(١) في المعمرين « قال أبو حاتم : وذكر حزم بن أبي راشد قال : أملى على رجل من أهل
 خراسان من مواعظ قس : مطر . . . »

(٢) م : « وأبدأ » : « وأبدأ »

(٣) س : « الظالم » وفي البيان والتبيين ٣٠٩/١ « والظلم الذي لم يتكر »

(٤) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٨ « قس بن ساعدة بن عمرو بن شعمر بن عدى

ابن مالك . . . » وفي المعمرين غير ذلك فراجع هناك ص ٦٩

(٥ - ٥) ما بين الرقيمين ساقط من ا ، م وثابت في ب و ك ، والمعمرين ص ٦٩

(٦) صبح الأعشى ٢١٣/١

(٦) م : « لا أُن »

وأحيلك فيما لم أنسخ على التواريخ والكتب المصنّفة في هذا الشأن . فتأمل ذلك ،
وسائر ما هو مسطر من الأخبار الماثورة عن السلف ، وأهل البيان واللسن ،
والفصاحة والفظن ؛ والألفاظ المنثورة ، والمحادثات الدائرة بينهم ، والأمثال
المنقولة عنهم . ثم انظر - بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفرغ لب ، وجُمع
عقل - في ذلك ، فسيق لك الفصل ^(١) بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين ،
وتعلم أن نظم القرآن يخالف نظم ^(٢) كلام الآدميين ، وتعلم الحد الذي يتفاوت
بين كلام البليغ والبلّغ ، والخطيب والخطيب ، والشاعر والشاعر ، وبين نظم
القرآن جملةً .

فإن خُيِّلَ إليك ، أو شُبِّهَ عليك ، وظننت أنه يحتاج أن يُوازَنَ بين نظم
الشعر والقرآن ؛ لأن الشعر أفصح من الخطب ، وأبرع من الرسائل ، وأدق
مسلكاً من جميع أصناف المحاورات - ولذلك ^(٣) قالوا له صلى الله عليه وسلم :
هو شاعر أو ساحر - وسوّى إليك الشيطان أن الشعر أبلغ وأعجب ، وأرق ^(٤)
وأبرع ، وأحسن الكلام وأبدع - فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين ، وكلام
بين المختصين .

(١) ك : « الفضل »

(٢) م : « يخالف لنظم »

(٣) م : « وكذلك »

(٤) م : « وأدق »

سمعتُ^(٢) أفضلَ من رأيتُ من أهل^(٣) العلم بالأدب والحِذْق بهذه الصناعة ، مع تقدُّمه في الكلام - يقول :

إن الكلام المنشور يتأتَّى فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأتَّى في الشعر ؛ لأن الشعر يُضَيِّقُ نطاقَ الكلام ، ويمنع القول من انتهائه ، ويصدُّه عن تصرفه على سَنَنِهِ .

وحَضَرَهُ من يتقدم في صنعة الكلام ، فَرَّاجَعَهُ في ذلك ، وذكر أنه لا يمتنع أن يكون الشعر أبلغ إذا صادف شروط الفصاحة ، وأبدع إذا تضمن أسباب البلاغة .

ويشهد عندى للقول الأخير : أن معظم براعة كلام العرب في الشعر ، ولا نجد في منشور قولهم ما نجد في منظومه ، وإن كان قد أحدثت البراعة في الرسائل على حدٍّ لم يُعْهَد في سالف أيام العرب ، ولم يُنقل في دواوينهم^(٤) وأخبارهم .

وهو ، وإن ضَيَّقَ نطاقَ القول ، فهو يَجْمَعُ حواشيه ، ويضمُّ / أطرافه ٢٣٧ ونواحيه ، فهو إذا تهذَّب في بابه ، ووُفِّي^(٥) له جميع أسبابه - لم يقاربه من كلام الآدميين كلام ، ولم يعارضه من خطابهم خطاب .

وقد حُكِيَ عن «المُتَنَبِّئِي» أنه كان ينظر في المصحف ، فدخل إليه بعض أصحابه ، فأنكر نظره فيه ، لما كان رآه^(٦) عليه من سوء اعتقاده ، فقال له : هذا^(٧) المكي على فصاحته كان مُفْحَمًا !

فإن صَحَّتْ هذه الحكاية عنه في إلحاده ، عُرِفَ بها^(٨) أنه كان يعتقد أن الفصاحة في قول الشعر [أمكن] وأبأن^(٩) .

(١) هذا العنوان من م

(٢) س : « أسمت »

(٣) م : « من العلم بالأدب » ا : « من أهل الأدب »

(٤) س : « من دواوينهم » (٥) م : « ووفر »

(٦) م : « يراه » (٧) ك : « هو »

(٨) ك : « عرف لها » (٩) س ، ك : « الشعر أبلغ »

وإذا كانت الفصاحة في قول الشعر أو لم تكن ، وبَيِّنًا أَنْ نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ، ويتقدم في بلاغته على كل قول ؛ بما يتضح به الأمر انتضاح الشمس ، ويتبين به بيان الصبح - وَقَفَّتْ على جليّة هذا الشأن . فانظر فيما نعرضه عليك^(١) ، وتصور بفهمك ما نُصَوِّرُهُ ، ليقع لك موقع عظيم شأن القرآن ، وتأمل ما نُرَتِّبُهُ ، ينكشف لك الحق .

٢٣٨

إذا أردنا^(٢) تحقيق ما ضمنناه لك ، فمن سبيلنا أن نعهد إلى قصيدة / مُتَّفَقٍ على كبر محلها ، وصحة نظمها ، وجودة بلاغتها ، ورشاقة^(٣) معانيها ، وإجماعهم على إبداع صاحبها فيها ، مع كَوْنِهِ من الموصوفين بالتقدم في الصناعة ، والمعروفين بالحدِّق في البراعة ، فنقفك على مواضع^(٤) خللها ، وعلى تفاوت نظمها ، وعلى اختلاف فصولها ، وعلى كثرة فصولها . وعلى شدة تعسفها ، وبعض تكلفها ، وما تَجَمَّعُ من كلام رفيع ، يُقَرَّنُ بينه وبين كلام ضيع ، وبين لفظ سُوقِيٍّ ، يُقَرَّنُ بلفظ مُلُوكِيٍّ ، وغير ذلك من الوجوه التي يجيء تفصيلها ، وتبيين ترتيبها وتنزيلها .

* * *

فأما كلام « مُسَيَّلِمَةَ » الكذّاب ، وما زعم أنه قرآن ، فهو أخسُّ من أن نشتغل به ، وأسخفُ من أن نفكر فيه .

ولنما نقلنا منه طرفاً ليتعجب القارئ ، وليتبصر الناظر ؛ فإنه^(٥) على سخافته قد أضلّ ، وعلى ركاكته قد أزلّ ، وميدان الجهل واسع ! ومن نظر فيما نقلناه عنه ، وفهم موضع جهله ، كان جديراً أن يحمد الله على ما رزقه من فهم ، وآتاه من علم .

٢٣٩

فمّا كان يزعم أنه نزل عليه من السماء : « والليل الأظْحَم » ، والذنب / الأدْلَم ، والجذع الأزلَم ، ما انتهكت أسيد من محرم ! وذلك قد ذكر في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه !

(١) ك : « نعرضه ونصور » س : « نعرضه عليك ما نعرضه ونصور »

(٢) م : « إذا أردت » (٣) سقطت هذه الكلمة من س ، ك

(٤) م : « فنوقفك على مواقع » (٥) م : « لأنه »

وقال أيضاً : « والليل الدَّامِس ، والذئب الهامِس ، ما قطعت أُسيد من رطب ولا يابس » !

وكان يقول : « والشاء وألوانها ، وأعجيبها السَّود ، وألبانها ، والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المَدَق ، فما لكم لا تجتمعون » (١) !
وكان يقول : « ضِفْدَع بنت ضِفْدَعَيْن ، نَقَى ما تَنَقِيَنَّ ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشَّارَب تمنعِين » (٢) ، ولا الماء تكذِّرين ، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها . ولكن قریشاً (٣) قوم يعتدون » !

وكان يقول : « والمبديات » (٤) زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والحازبات خبزاً ، والثَّارِدات ثيرداً ، واللاقمات لقماً ، إهالةً ومنماً . لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المَدَر ، ريفكم فامنعوه ، والمُعْتَرَّ فأووه ، والباغى فَنَافُوهُ . » !

/وقالت سَجَّاح بنت الحارث بن عقبان — وكانت تنبأ ، فاجتمع مُسَيِّلِمَةُ ٢٤٠ معها — فقالت له : ما أوحى إليك ؟

فقال : « ألم تركيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى » (٥) ، ما بين صفاق وحشاً » !

وقالت : فما بعد ذلك ؟

قال : أوحى إلى : « إن الله خلق النساء أفواجاً ، وجعل الرجال لهن أزواجاً ، فنولج فيهن قَعَساً إيلاجاً ، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجاً ، فينتجن لنا سِخَلاً نِتَاجاً » ! فقالت : أشهد أنك نبي (٦) ! !

ولم ننقل كل ما ذكر من سخفه ، كراهية الثقيل .

وروى : أنه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواماً قدموا عليه من بني حنيفة ، عن هذه الألفاظ ؟ فحكوا بعض ما نقلناه ، فقال أبو بكر : سبحان

(١) م : « تجمعون » ! (٢) التمهيد ص ١٢٨ (٣) م : « قریش »

(٤) في التمهيد « والزارعات » م : « والمندرات » ك : « والمبديات »

(٥) ل : « تسعى بين »

(٦) انظر قصة اجتماعهما — وبقيّة حوارهما ، وما قاله الأغلب العجلى في قصة زواجهما ،

الله ! ونحبكم ، إن هذا الكلام لم يخرج عن إل^(١) ، فأين كان يُذْهَبُ بكم ؟!

ومعنى قوله : « لم يخرج عن إل » : أى عن ربوبيّة .
/ ومن كان له عقل لم يشبهه عليه سَخَفُ هذا الكلام^(٢) !

٢٤١

* * *

فراجع الآن إلى ما ضَمِنَتْه من الكلام على الأشعار المتفق على جَوْدَتِها وتقدّم أصحابها في صناعتهِم ؛ ليتبين لك تفاوت أنواع الخطاب وتباعدُ مواقع أنواع^(٣) البلاغة ، وتستدلّ على مواضع البراعة .

وأنت^(٤) لا تشك في جودة شعر « امرئ القيس » ولا ترتاب في براعته ، ولا تتوقف في فصاحته . وتعلم أنه قد^(٥) أبدع في طرق الشعر أموراً اتبع فيها ، من ذكر الديار والوقوف عليها ، إلى ما يصل بذلك : من البديع الذى أبدعه ، والتشبيه الذى أحدثه ، والمليح الذى تجد في شعره^(٦) ، والتصرف الكثير الذى تصادفه في قوله ، والوجوه التى ينقسم إليها كلامه : من صناعة وطبع . وسلسلة وعفو^(٧) ، ومثانة ورقة ، وأسباب تحمّد . وأمور تؤثّر وتمدح . وقد تَرَى الأدباء أولاً^(٨) يوازنون بشعره فلاناً وفلاناً . ويضمّون أشعارهم إلى شعره ، حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين شعره في أشياء لطيفة ، وأمور بديعة ، وربما فضّلُوهم عليه ، أو سَوّوْا بينهم وبينه ، أو قرَّبوا موضع تقدمه عليهم^(٩) ، وبرَّزُوهم بين أيديهم .

٢٤٢

(١) س : « عن آل »

(٢) قال المؤلف في كتاب التمهيد ص ١٢٨ « هذا الكلام دال على جهل مورده ، وضعفه عقله ورأيه ، وما يوجب السخرية منه والهزء به ، وليس هو مع ذلك خارجاً عن وزن ركيك السجع وسخيفه . وعلى أنه لو كان معجزاً لتعلقت العرب وأهل الردة به ، ولعرف أتباع النبي صلى الله عليه أنه عرض له ، ولوقع لهم العلم اليقين بأنه قد قوبل . وفي عدم ذلك دليل على جهل مدعى ذلك ، وعلى أن مسيلة لم يدع هذا الكلام معجزاً ، ولا تحدى العرب بمثله فمعجزوا عنه ، بل كان في نفسه ونفس كل سامع له أخف وأسخف وأذل من أن يتعلق به . ولذلك لا نجد له نبأ ولا أحداً من العرب تعلق به »

(٣) هذه الكلمة من م (٤) م : « إنك » (٥) سقطت من م

(٦) هكذا في الأصول الخطية ، وفي س : « والتعليح الذى يوجد في شعره »

(٧) كذلك في سائر الأصول ، ولكنها غيرت في س أيضاً إلى « وعلو » !

(٨) سقطت هذه الكلمة من م (٩) س ، ك : « تقدمهم عليه » وم : « موقع تقدمه »

ولما اختاروا قصيدته في «السَّبْعِيَّاتِ»^(١) . أضافوا إليها أمثالها ، وقرنوا بها نظائرها ، ثم تراهم يقولون : لفلان لامية مثلها . ثم ترى أنفُس الشعراء تشوق إلى معارضته . وتساويه في طريقته ، وربما غبَّرت في وجهه في أشياء كثيرة^(٢) ، وتقدمت عليه في أسباب عجيبة .

• وإذا جاءوا إلى تعداد محاسن شعره . كان أمرًا محصورًا ، وشيئًا معروفًا . أنت تجد من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره . وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه . وتنظر إلى المُحدِّثين كيف توغَّلوا إلى حيازة المحاسن ، منهم من جمع رَصَانَةَ الكلام إلى سلاسته . / ومَتَانَتَهُ إلى عُدُوْبَتِهِ ، والإصابة في ٢٤٣ معناه إلى تحسين بَهْجَتِهِ ؛ حتى إن منهم مَنْ قَصَّرَ عنه في بعض ، تقدَّم عليه في بعض . [وإن وقف دونه في حال . سبقه في أحوال . وإن تشبَّه به في أمر . ساواه في أمور]^(٣) لأنَّ الجنس الذي يَرْمُونُ إليه ، والغرض الذي يَسْتَوَارِدُونَ عليه . هو^(٤) مما للآدمي فيه مَجَالٌ . وللبَشَرِيّ فيه مِثَالٌ ؛ فكلُّ يضرب فيه بسهم . ويفوز فيه بِقِيْدَحٍ . ثم قد تتفاوت السهام^(٥) تفاوتًا ، وتتباين تباينًا . وقد تتقارب تقاربًا . على حسب مشاركتهم في الصنائع ، ومساعدتهم في الحِرَفِ .

«ونظمُ القرآن» جنسٌ مُتَمَيِّزٌ^(٦) . وأسلوبٌ مُتَخَصِّصٌ . وقَبِيلٌ عن النظر^(٧) مُتَخَلِّصٌ ؛ فإذا شئت أن تعرفَ عِظَمَ شَأْنِهِ ، فتأملْ ما نقوله في هذا الفصل لا مَرَى القيس في أجود أشعاره ، وما نبينُ لك من عَوَارِهِ ، على التفصيل . وذلك قوله :

قِنَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسْمِطِ الْمَلَوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتَوْضَحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا
لِمَا نَسَمَجَّتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالِ

(١) يريد «المعلقات السبع»

(٢) كذا في الأصول ، ولكنها غيرت في س إلى «وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة» !

(٣) الزيادة من ا ، م (٤) هذه الكلمة سقطت من س ، ك

(٥) م : «بالسهم» (٦) ك ، م : «مميز» (٧) ك : «عن النظم»

/الذين يتعصبون له ويدَّعون^(١) محاسن الشعر ، يقولون : هذا من البديع ؛
لأنه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى . وذكر العهد والمنزل والحبيب ،
وتوجع واستوجع ، كله في بيت : ونحو ذلك .

ولمَّا بيَّنا هذا لثلاث يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن — إن كانت —
ولا غفلتنا عن مواضع الصناعة : إن وجدت .

تأمل — أُرشدك الله ، وانظر — هداك الله : أنت تعلم أنه ليس في البيتين
شيء قد سبقَ في ميدانه شاعراً ، ولا تقدَّم به صانعاً . وفي لفظه ومعناه
خلل :

فأولُ ذلك : أنه استوقف مَنْ يبكي للذكر الحبيب^(٢) ، وذكره لا تقتضي
بكاء الخليلي ، ولَمَّا يصحَّ طلب الإسعاد في مثل هذا ، على أن يبكي لبكائه
ويرقَّ لصديقه في^(٣) شدة بُرحائه ؛ فأمَّا أن يبكي على حبيب صديقه ،
وعشيق رفيقه ، فأمرٌ محال .

فإن كان المطلوب وقوفه وبكاؤه أيضاً عاشقاً ، صحَّ الكلام [من وجه]^(٤) ،
وفسد المعنى من وجه آخر ! لأنَّه من السُّخف أن لا يغار على حبيبه ، وأن يدعو
غيره إلى التَّعَازُلِ عليه ، والتَّوَجُّدِ معه فيه !

/ثم في البيتين ما لا يفيد ، من ذكر هذه المواضع ، وتسمية هذه الأماكن :
من « الدَّخول » و « حومل » و « تَوْضِيح » و « المِقْرَأة » و « سِقْطِ اللَّوَى » ،
وقد كان يكفي أن يذكر في التعريف بعض هذا . وهذا التطويل إذا لم يُفدْ كان
ضرباً من العبي !

ثم إن قوله : « لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا » ، ذكر الأَصْمَعِيُّ من محاسنه : أنه
باق فنحن نحزن على مشاهدته ، فلمَّا عَفَا لاسترحنا .

وهذا بأن يكون من مَسَاوِيهِ أَوَّلِي ؛ لأنه إن كان صادق الودِّ ، فلا يزيده

(٢) ك : « استوقف ثم يبكي »

(٤) الزيادة من م

(١) س ، ك : « أو »

(٣) م : « من شدة »

عَفَاءُ الرُّسُومِ إِلَّا جِدَّةَ عَهْدٍ ، وَشِدَّةَ وَجْدٍ . وَإِنَّمَا فَنَزَعَ الْأَصْمَعِيُّ^(١) إلى إفادته هذه الفائدة ، خشية أن يُعَاب عليه ، فيقال : أئى فائدة لأن يُعرفنا أنه لم يَعْفُ رَسْمُ منازل حبيبه ؟ وأى معنى لهذا الحشو ؟ فذكر ما يمكن أن يذكر ؛ ولكن لم يخلصه - بانتصاره له - من الخلل .

ثم في هذه الكلمة خلل آخر ، لأنه عَقَّبَ البيت بأن قال^(٢) :

* فهل عند رسم دارس من مُعَوَّل ! *

فذكر أبو عبيدة : أنه رجع فأكذب نفسه ، كما قال زهير :

إِقْفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدْمُ نَعَمْ . وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدَيْمُ^(٣) ٢٤٦
وقال غيره : أراد بالبيت الأول أنه لم ينظمس أثره كله ، وبالثانى أنه ذهب بعضه ، حتى لا يَتَنَاقَضَ الكلامان .

وليس في هذا انتصار ؛ لأن معنى « عفا » و « دَرَس » واحد ، فإذا قال : « لم يعف رَسْمُهَا » ثم قال : « قد عَفَا » ، فهو تناقض لا محالة !

واعتذر « أبى عبيدة » أقرب لو صحَّ ، ولكن لم يرد هذا القول مَوْرَدَ الاستدراك كما قاله^(٤) زهير ، فهو إلى الخلل أقرب .

وقوله : « لِمَا نَسَجَتْهَا » ، كان ينبغي أن يقول : « لِمَا نَسَجَتْهَا » ولكنّه تعسّف فجعل « ما » في تأويل تأنيث^(٥) ، لأنها في معنى الريح ، والأولى التذكير دون التأنيث ، وضرورة الشعر قد قادت إلى^(٦) هذا التعسف .

وقوله : « لَسَمَ يَعْفُ رَسْمُهَا » كان الأولى أن يقول : « لَسَمَ يَعْفُ رَسْمُهُ » ؛ لأنه ذكر المَنَزَلَ ؛ فإن كان ردّ ذلك إلى هذه البيّقات والأماكن

(١) س : « وإنما قرع له الأصمعي ! » (٢) ١ : « بأن قال بعده »

(٣) ديوانه ص ١٤٥ وفيه « بلى وغيرها » والأرواح : جمع ريح . والديم جمع ديمة ، والديمية مطر يدم في سكون بلا رعد أو برق ، وقال ثعلب في شرح هذا البيت : « قال أبو زياد : عفا بعضها ولم يعف بعض » . وقال أبو عبيدة : أكذب نفسه . لم يعفها ، لم يدرسها ، ثم رجع فقال : بلى ، ومثله قول الطهوى :

فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب بلى إن من زار القبور ليبعدا

(٤) م : « لو صح . ولم يكن يورد هذا القول . . . على ما قاله »

(٥) كذا في م ، ا ، ك ، وفي س : « التأنيث »

(٦) س ، ك : « قد دلته على هذا »

٢٤٧ / التي المنزل واقع بينها ، فذلك خلل : لأنه إنما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبه ، يعفائه ، أو بأنه لم يعف دون ما جاوره .

وإن أراد بالمنزل الدار حتى أنت ، فذلك أيضاً خلل .

ولو سلم من هذا كله وما تكرر ذكره كراهية التطويل - لم نشك في أن شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين ؛ بل يزيد عليهما ويفضلهما .

ثم قال :

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَحْمَلِ (١)
وإن شِئْنِي عَبْرَةً مُهْرَاقَةً فَهَلْ عِنْدَ رَسَمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
وليس في البيتين أيضاً معنى بديع ، ولا لفظ حسن كالأولين .

والبيت الأول منهما متعلق بقوله : « قفا نبك » فكأنه قال : قفا وقوف صحبي بها على مطيهم ، أو : قفا حال وقوف صحبي . وقوله « بها » : متأخر في المعنى وإن تقدم في اللفظ . ففي ذلك تكلف وخروج عن (٢) اعتدال الكلام .

والبيت الثاني مختل من جهة أنه قد جعل الدمع في اعتقاده شافياً / ٢٤٨ / كافياً ، فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة (٣) أخرى ، وتحمّل ومُعَوَّل عند الرُسُوم ؟

ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يدُل (٤) على أن الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ، ثم (٥) يسأل : هل عند الربع من حيلة أخرى ؟

وقوله :

كَذَلِكَ مِنْ أُمِّ الْخُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَا سَلِ

(١) جاء في م بعد هذا البيت قوله :

كَأَنِّي غَدَاةُ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سِمَاتِ الْخِي نَاقِفٌ حَنْظَلٌ

(٢) هي كذلك في ا ، م ، ك ولكنها غيرت في س إلى « من » .

(٣) م : « طلب حاجة » .

(٤) هي كذلك في ا ، م ، ك ولكنها في س « أن يدخل » !

(٥) م : « ثم أقبل يسأل » .

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَاجَاءِ بَرِيًّا الْقَرَنْفُلُ^(١)
 أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة ، ليس له مع ذلك بهنجة ،
 فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ ، وإن كان منزع المعنى !
 وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله :
 * إذا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا *

ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيباً على كل حال ، فأماً في حال القيام
 فقط ، فذلك تقصير !!!
 ثم فيه خلل آخر : لأنه بعد أن شبه عرّفها بالمسك ، شبه ذلك بنسيم
 القَرَنْفُل ، وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص .
 / وقوله : « نَسِيمَ الصَّبَا » ، في تقدير المنقطع عن المصراع الأول ، لم يصله به ٢٤٩
 وصل مثله .

* * *

وقوله :

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِثْلَ صَبَابَةٍ عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُمْ صَالِحٌ وَلَا سِيمًا يَوْمَ بِدَارَةِ جُلْجُلِ^(٢)
 / قوله^(٣) : « فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ » ، ثم استعانه بقوله : « مِثْلَ » استعانة
 ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة ، وهو حشو غير مريح ولا بديع .
 وقوله : « عَلَى النَّخْرِ » ، حشو آخر ، لأن قوله : « بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي »^(٤)
 يغني عنه ، ويدل عليه ، وليس بحشوحسن ثم قوله : « حَتَّى بَلَ مَحْمَلِي »^(٥)
 إعادة ذكره الدمع حشو آخر ، وكان يكفيه أن يقول : حتى بَلَ مَحْمَلِي ،
 فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كله .
 ثم تقديره أنه^(٦) قد أفرط في إفاضة الدمع حتى بَلَ مَحْمَلِي ، تفريط

(١) في خزنة الأدب ٦٥ : « قال الدينوري في كتاب النبات : القرنفل أجود ما يؤتى به من بلاد الصين ، وقد كثر مجيء الشعر بوصف طيبه - وأنشد هذا البيت - ثم قال : وقالوا : قد أخطأ امرؤ القيس ؛ فإنه لا يقال : تصوع المسك حتى كأنه ربا القرنفل . إنما كان ينبغي أن يقول : تصوع القرنفل حتى كأنه المسك . انتهى . وقد تبعه الإمام الباقلاني في كتاب إعجاز القرآن . قال : وفيه خلل لم يصله به وصل مثله . انتهى . والبيان الأخير أن ليس كما وهم فتأمل »

(٢) م : « يوم صالح لك منهما » (٣) نقله البغدادى في خزنة الأدب ٦٧/٢ .

(٤، ٤) ما بين الرقمين ثابت في ١ ، م ، ك . (٤) م : « بل » .

(٦) سقطت هذه الكلمة من م .

منه وتقصير ، ولو كان أبدعَ لكان يقولُ : حتى بلّ دمعى مغانيهم وعراصهم .
 ٢٥٠ ويشبه أن يكون غرضه إقامة الوزن والقافية : لأن^(١) / الدمعَ يَبْغُدُ أن يَبْلُ
 المحمّل ، وإنما يَقْطُرُ من الواقف والقاعد على الأرض أو على الذئيل !! وإن
 بلّهُ فَلَقَلَّتْهُ وأنه لا يقطر .
 وأنت تجد في شعر الخُبَيْرِ رَزَى^(٢) ما هو أحسن من هذا البيت وأمن^(٣)
 وأعجب منه .

والبيت الثانى خال من المحاسن والبديع ، خاو^(٤) من المعنى ، وليس له لفظ
 يَرُوقُ ، ولا معنى يَرُوعُ ، من طباع^(٥) السوق ! فلا يركك تهويله باسم موضع
 غريب .

وقال :

ويومَ عَقَرْتُ للعَدَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ
 فظُلَّ العَدَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ
 / تقديره : اذْكَرُ يومَ عَقَرْتُ مطيى ، أو يَرُدُّهُ^(٦) على قوله : « يوم
 ٢٥١ بَدَارَةِ جُلْجُلٍ » ، وليس فى المصراع الأول من هذا البيت إلا سفاهته^(٧) !!
 قال^(٨) بعض الأدباء : قوله « يا عَجَبًا » يُعَجِّبُهُمْ من سفهه فى شبابه :
 من نحره لمن^(٩) . وإنما أراد أن لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعاً عن
 الأول ، وأراد أن يكون الكلام ملائماً له .
 وهذا الذى ذكره بعيد . وهو منقطع عن الأول ، وظاهره أنه يتعجب من

(١) س : « إذا » بدل « لأن »

(٢) فى ضبطها ست لغات . فانظرها فى وفيات الأعيان ١٨/٥ وهو أبو القاسم نصر بن أحمد
 ابن نصر ، أصله من البصرة ، ونزل بغداد وأقام بها دهرًا طويلا . وتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .
 وهو شاعر أمى مجيد ، كان لا يتهجى ولا يكتب ، وكان خبازًا يخبز خبز الأرز بذكاء له فى مريد البصرة ،
 فكان يخبز وهو ينشد ما يقوله من الشعر ، فيجتمع الناس حوله ويزدحمون عليه ، لاستماع شعره وملحه ،
 ويتمجّبون من إجادته فى مثل حاله وحرفته . راجع ترجمته فى تاريخ بغداد ١٣/٢٩٦ - ٢٩٩ ووفيات
 الأعيان ١٢/٥ - ١٨ ومعجم الأدباء ١٩/٢١٨ - ٢٢٢ وبيتة الدهر ٢/٣٣٧ - ٣٤٠

(٤) س : « خلو » م « فارغ »

(٣) م : « وأميز »

(٦) م : « أو يحريه » .

(٥) س : « طبائع » .

(٨) نقله البغدادى فى خزنة الأدب ٢/٦٦

(٧) ا ، م ، ك : « إلا سلامته » .

(٩) س ، ك : « لهم » .

تحمل العذاري رَحْلَهُ ! وليس في هذا تعجب كبير ، ولا في نَسْحَرِ الناقة لمن تعجب !

وإن كان يعنى به أنهم حملنَ رَحْلَهُ ، وأن بعضهن حملة^(١) ، فعبّرَ عن نفسه برحله ، فهذا قليلاً يشبه أن يكون عجباً ، لكنّ الكلام لا يدلّ عليه ، ويَسْتَجَافِي عنه .

ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب^(٢) ، ولا معنى بديع ، أكثر من سفاهته^(٣) ، مع قلة معناه ، وتقارب أمره ، ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا !

٢٥٢

/ وإلى هذا الموضع لم يمرّ له بيت رائع ، وكلام رائع .

وأما البيت الثاني فيعدونه حسناً ، ويعدون التشبيه مليحاً واقعاً . وفيه شيء : وذلك أنه عرّف اللحم وتكرّر الشحم ، فلا يعلم^(٤) أنه وصف شحمها ، وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع [للعامة ، ويجرى على ألسنتهم]^(٥) ! وعجز عن تشبيه القسمة الأولى فرّت مُرْسَلَةً ! وهذا نقص في الصنعة ، وعجز عن إعطاء الكلام حقّه .

وفيه شيء آخر من جهة^(٦) المعنى : وهو : أنه وصف طعامه الذي أطعم من أضاف بالجوذة ، وهذا قد يعاب . وقد يقال : إن العرب تفتخر بذلك ولا يرونها عيباً ، وإنما الفرس هم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً .

وأما تشبيه الشحم بالدّمّ مقسّ ، فشئى يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم ، فليس بشئى قد سبق إليه ، وإنما زاد « المُفْتَل » للقافية ، وهذا^(٧) مفيد ، ومع ذلك فلست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة ، ولم يعد أهل الصنعة ذلك من البديع ، وراؤه قريباً .

وفيه شيء آخر [من جهة المعنى^(٨)] : وهو : أن تَبَجَّحَهُ بما أطعمَ للأجباب مذموم ، وإن سَوَّغَ التَّبَجَّحَ بما أطعمَ للأضياف ، إلا أن

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ

(١) م : « حملة »

(٤) م : « فلا يعرف »

(٣) م ، أ ، ك : « من سلامته »

(٦) م : « من طريق »

(٥) الزيادة من أ

(٨) الزيادة من أ

(٧) م : « وهو »

٢٥٣ / يورد الكلام موريد المُجُون ، وعلى طريق^(١) أبى نُوَاس في المَزَاح والمداعبة !

* * *

وقوله :

ويومَ دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيْزَةٍ فتمالت : لك الوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي
تقولُ وقد مَالَ الغَيْبُطُ. بنا معاً : عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امراً الْقَيْسِ فَنَازِلِ
قوله^(٢) : « دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيْزَةٍ » ، ذكره تَكريراً^(٣) لإقامة الوزن ،
لا فائدة فيه غيره ، ولا ملاحه له ولا رونق !

وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت : « فتمالت لك الوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي »
كلامٌ مؤنَّث من كلام النساء ، نقله من جهته إلى شعره ! وليس فيه غير هذا^(٤) ! !
وتكريره بعد ذلك : « تقول وقد مال الغَيْبُطُ » ، يعنى قَتَبَ الهَوْدَجَ ، بعد
قوله : « فتمالت لك الوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي » : لا فائدة فيه غير تقدير^(٥) الوزن !
وإلا فحكاية قولها الأول كاف ، وهو في النظم قبيح ؛ لأنه ذكر مرة :
« فتمالت » ، ومرة : « تقول » ، في معنى واحد ، وفصل خفيف !
وفي مصراع الثاني أيضاً تأنيثٌ من كلامهن^(٦) .

٢٥٤ / وذكر أبو عُبَيْدَةَ أنه قال : « عَقَرْتُ بَعِيرِي » ، ولم يقل ناقتي ، لأنهم
يحملون النساء على ذكور الإبل ، لأنها أقوى .
وفي ذلك^(٧) نظر ، لأن الأظهر أن البعير اسم للذكر والأنثى ، واحتاج إلى
ذكر البعير لإقامة الوزن^(٨) .

* * *

وقوله :

فقلتُ لها : سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ ولا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلَّلِ
فَمِثْلُكَ حُبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحُولِ^(٩)

(١) ١ : « طرائق » (٢) نقله البغدادي في خزانة الأدب ٦٧/٢ .

(٣) م : « ذكر تَكريره » (٤) قال البغدادي : « طعنه الأول ليس بصحيح :

لأنه من باب الإبهام والتفسير ، وهو عندهم من محاسن الكلام » . (٥) م : « غير تقديم »

(٦) س ، ك : « وفيه » (٧) س ، ك : « مفيل » أ « مغول »

(٨) قال البغدادي : « طعنه الأول غير وارد ؛ لأنه من باب الإطناب ، بسطه ثانياً للتلذذ

والإيضاح . وقوله : ثانياً ، غير معيب ، لأنه من حكاية الحال الماضية ، وقد عد حسناً » .

(٩) نقله البغدادي في الخزانة ٦٨/٢ .

البيت الأول قريب النسخ ، ليس له معنى بديع ، ولا لفظ شريف ، كأنه من عبارات المنحطين في الصنعة^(١) .

وقوله : « فمثلك حبل قد طرقت » ، عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام : قرب. مثلك حبل قد طرقت ، وتقديره أنه زيرُ نساء ، وأنه يفسدهن ويلهيهن عن حببهن ورضاعهن ، لأن الحبل والمرضعة أبعد من الغزل وطلب الرجال !

والبيت الثاني في الاعتذار والاستهتار^(٢) والتَهَيَّام ، وغير منتظم مع المعنى الذي قدمه في البيت الأول ؛ لأن تقديره : لا تبعدين عن نفسك فإني أغلب النساء ، وأخذعهن عن رأيهن ، وأفسدهن / بالتغازل ! وكونه مفسدةً لهن ٢٥٥ لا يوجب له وصلهن وترك إبعادهن إياه ، بل يوجب هجره والاستخفاف به ، لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش ، ورُكوبه كل مركب فاسد !
وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من^(٣) مثله ، ويأنف من ذكره !!

* * *

وقوله :

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشقٍّ وتحنى شقها لم يحول^(٤)
ويوماً على ظهر الكئيب تعذرت على وآلت حلفت لم تحلل
فالبيت الأول غاية في الفحش ، ونهاية في السخف ، وأى فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ، ويذهب هذه المذاهب ، ويرد هذه الموارد ؟! إن هذا ليغضه [إلى]^(٥) كل من سمع كلامه ، ويوجب له المقت ! وهو - لو صدق - لكان قبيحاً ، فكيف : ويجوز أن يكون كاذباً ؟ !
ثم ليس في البيت لفظ بديع ، ولا معنى حسن .

وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله ، من ذكر المرضع التي لها ولد مُحَوَّل .

(٢) ك : « والاشتهار »

(١) نقله البغدادى في الخزانة ٢٨ / ٢

(٤) أ : « بشق وشق عندنا لم يحول »

(٣) م : « عن »

(٥) الزيادة من أ ، ك ، م

/ فأماً البيتُ الثاني وهو قوله : « ويوماً » . يتعجب منه بأنها ^(١) تشدّت وتعرّست ^(٢) عليه وحلفت عليه ، فهو كلام ردّيء النّسج ، لا فائدة لذكره لنا أن حبيته تَمَنّعت عليه يوماً بموضع يسميه ويصفه !
وأنت تجد في شعر المحدثين من هذا الجنس في التغزل ما يذوب معه اللب ، وتطرب عليه ^(٣) النفس . وهذا مما تستنكره النفس ، ويشمئز منه القلب ، وليس فيه شيء من الإحسان والحسن !!

وقوله :

أَفَاطَمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِي
أَغْرَكِ مِنِّي أَنَّ حَبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
فالبيت الأول فيه ركاقة جداً ، وتأنيث ورقّة ، ولكن فيها تخنيث !
ولعل قائلًا [أن] ^(٤) يقول : إن كلام النساء بما يلائمنه من الطبع أوقع وأغزّل ؟

وليس كذلك ، لأنك تجد الشعراء في الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قوهم .

/ والمصرع الثاني منقطع عن الأول ، لا يلائمه ولا يوافقه . وهذا يبين لك إذا عرضت ^(٥) معه البيت الذي تقدمه .
وكيف يُنكر عليها تدللها ، والمتغزّل يطرب على دلال الحبيب وتدلّله ؟

والبيت الثاني قد عيب عليه ^(٦) ، لأنه قد أخبر أن من سبيلها أن لا تغتر ^(٧) بما يريها من أن حبّها يقتله ، وأنها تملك قلبه فما أمرته ففعلته ، والحب إذا أخبر عن مثل هذا صدق .

(٢) م : « وتمعرت »

(١) ا : « منه أنها » ك ، س « منه وإنما »

(٤) الزيادة من ا ، م ، ك

(٣) م : « له »

(٦) راجع الموشع ص ٣٦ -

(٥) كذا في م ، ك . وفي س : « اعترضت »

(٧) م : « ألا تعيره »

وإن كان المعنى غير هذا الذى عيب عليه ، وإنما ذهب مذهباً آخر ، وهو : أنه أراد أن يظهر التجلّد — فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدم من الأبيات ، من الحب والبكاء على الأحبة ، فقد دخل فى وجه آخر من المناقضة والإحاطة فى الكلام .
ثم قوله : « تَأْمُرُى الْقَلْبَ يَفْعَلِ » معناه ^(١) تأمرينى . والقلب لا يؤمر . والاستعارة فى ذلك غير واقعة ولا حسنة ^(٢) .

* * *

/ وقوله :

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَأَعْتُكَ مِنِّى خَلِيقَةً
وَمَا ذَرَقْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِى
البيت الأول قد قيل فى تأويله : إنه ذكر الثوب وأراد البدن ، مثل قول الله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ^(٣) . وقال أبو عبيدة : هذا مثل للهَجْر . وتَنَسَّلُ : تَبَيَّن .

وهو بيت قليل المعنى ، ركيكه ووضيعة . وكلّ ما أضاف إلى نفسه ووصف به نفسه سَقُوطٌ وسفه وسخف ، يوجب ^(٤) قطعه . فليَمَ لَمْ يَحْكُمُ عَلَى نفسه بذلك ، ولكن يورده مورد أن ليست له خليفة توجب هِجْرَانَهُ والتَفْصِي ^(٥) من وصله ، وأنه مهذب الأخلاق ، شريف الشئائل ؛ فذلك يوجب أن لا ينفك من وِصَالِهِ .

(١) م : « تقديره »

(٢) قال أبو حيان التوحيدى فى كتاب البصائر والذخائر ٢٦/١ « وقال محمد بن راشد : كنا يوماً مع إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، نتحدث ونخوض فى ضروب الآداب ، فأقبل علينا فقال : ما أراد امرؤ القيس بقوله :

أَغْرَكَ مِنِّى أَنْ حَبَلَكَ قَاتِلٌ وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرُى الْقَلْبَ يَفْعَلُ ؟
فكل قال بما حضره ، فقال : لم يرد هذا . قلنا : فما أراد ؟ قال : أراد أنك تملكين قلبك فإن أردت صرى قدرت عليه ، وإن أردت صلتى قدرت عليها ، وأما أنا فلا أملك من قلبى إلا صلتك .
ومعنى أغرك : أى جرأك على ، وانظر الشعر والشعراء ٨٤/١

(٤) كذا فى ك ، م

(٣) سورة المدثر : ٤

(٥) م : « والتقصى »

والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب ، وإن كانت غريبة^(١) .
 / وأما البيت الثاني فعدود من محاسن القصيدة^(٢) وبدائعها . ومعناه : ما بكيت
 إلا لِتَجْرَحِي قلباً معشراً - أى مكسراً - من قوهم : « بُرْمَةٌ أعشار » إذا
 كانت قِطْعاً^(٣) . هذا تأويل ذكره الأصمعي^(٤) ، وهو أشبه عند أكثرهم .
 وقال غيره : وهذا مثل للأعشار التي تقسم الجزور عليها . ويعنى بسهميك :
 المُعَلَّى ، وله سبعة أنصباء ، والرَّقِيب ، وله ثلاثة أنصباء . فأراد أنك ذهبت
 بقلبي أجمع .
 ويعنى بقوله : مقتل : مذلل^(٥) .

وأنت تعلم أنه على ما يعنى به فهو غير موافق للآيات المتقدمة ؛ لما فيها من
 التناقض الذى بيننا .

ويشبه أن يكون مَنْ قال بالتأويل الثاني ، فزع إليه لأنه رأى اللفظ مستكرهاً
 ٢٦٠ على المعنى الأول ، لأن القائل إذا قال : « ضَرَبَ / فلان بسهمه في الهدف » ،
 بمعنى أصابه - كان كلاماً ساقطاً مردولاً ، وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينها
 كالسهمين النافذين في إصابة قلبه المجرّوح ، فلما بكنا وذرفنا بالدموع كانتا
 ضاربتين في قلبه .

ولكن مَنْ حمل على التأويل الثاني سلم من الخلل الواقع في اللفظ ، ولكنه
 يفسد المعنى ويختل^(٦) ؛ لأنه إن كان مُحِبّاً^(٧) - على ما وصف به نفسه من
 الصباية - فَقَلْبُهُ كله لها ، فكيف يكون بكائها هو الذى يُخَلِّصُ قلبه لها ؟ !
 واعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم للبيت الأول ، ولا متصل به في المعنى ،

(١) م : « عربية » (٢) م : « هذه القصيدة »

(٣) أراد أن قلبه كسر ثم شعب كما تشعب القدر (٤) س ، ك : « رضى الله عنه » !
 (٥) في اللسان ٢٤٩/٦ « قال الأزهري : وفيه قول آخر ، وهو أعجب إلى . قال أبو العباس
 أحمد بن يحيى : أراد بقوله : " بسهميك " ها هنا سهمى قذاح الميسر ، وهما : المثل والرقيب .
 فلمعمل سبعة أنصباء ، والرقيب ثلاثة ، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطمع
 غيره في شيء منها ، وهى تقسم على عشرة أجزاء . فالمعنى : أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها
 السهمان ، فقلبت على قلبه كله ، وفتته فلكته . ويقال : أراد بسهميها عينها . . . قال : وهذا
 التفسير في هذا البيت هو الصحيح . ومقتل : مذلل .

(٦) كذا في م ، وفي س ، ك « ولكنه إذا حمل على الثاني فسد المعنى واختل »

(٧) س : « كان محتاجاً » !

وهو منقطع عنه ؛ لأنه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ، ولا سبب يوجب ذلك ؛ فتركبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال .

ثم لو^(١) سلم له بيت من عشرين بيتاً ، وكان بديعاً ولا عيب فيه — فليس بعجيب ؛ لأنه لا يُدعى على مثله أن كلامه كله متناقض ، ونظمه كله متباين .

وإنما يكفي أن نبيّن أن ما سَبَقَ من كلامه إلى هذا البيت ، مما لا يمكن أن يقال إنه يتقدم فيه أحداً من المتأخرين ، فضلاً عن المتقدمين .

٢٦١ / وإنما قدّم في شعره لأبيات قد برع فيها ، وبأنّ حَدِّقَهُ بها .
وإنما أنكرنا أن يكون شعره مُتَنَاسِباً في الجودة ، ومتشابهاً في صحة المعنى واللفظ ، وقلنا : إنه يتصرّفُ بين وحشيّ غريب مُسْتَكْرَهٍ ، وعربية كالمُهْمَلِ مُسْتَكْرَهَةٍ^(٢) ، وبين كلام سليم متوسط ، وبين عاميّ سَوَقٍ في اللفظ والمعنى ، وبين حكمة حسنة ، وبين سخف مُسْتَشْنَع . ولهذا قال الله عزّ اسمه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٣) .

فأما قوله :

وَبَيْضَةُ خِدْرِ لَا يُرَامُ خِيَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً وَأَهْوَالَ مَعْشَرٍ عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي^(٤)
فقد قالوا : عَنَى بذلك أنها كَبَيْضَةُ خِدْرِ في صفائها ورقتها ، وهذه كلمة حسنة ، ولكن لم يَسْبِقْ إليها ، بل هي دائرة في أفواه العرب ، وتشبيه سائر .

ويعنى بقوله : « غير مُعْجَلٍ » : أنه ليس ذلك مما يتفق قليلاً وأحياناً ، بل يتكرر له الاستمتاع بها ، وقد يحمله^(٥) غيره على أنه / رابط الجأش ، فلا^(٦) ٢٦٢

(١) م : « ثم إن » .

(٢) كذا في م ، ك ، وفي س : « كالمهل مستنكرة » ! (٣) سورة النساء : ٨٢

(٤) كذا في م ، ك ، وفي س والمعلقات :

« أحراساً إليها ومعشر على حراسا »

(٦) م : « ولا »

(٥) م : « حمله »

يستعجل إذا دخلها خوف حصانتها^(١) ومنعتها .

وليس في البيت كبير فائدة ؛ لأن^(٢) الذي حكي في سائر أبياته قد تضمن مطاولته في المغازلة واشتغاله بها ، فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى ، إلا الزيادة التي ذكر من منعتها ، وهو - مع ذلك - بيت سليم اللفظ في المصراع الأول دون الثاني .

والبيت الثاني ضعيف .

وقوله : « لو يُسِرُّونَ مَقْتَلِي » أراد أن يقول : لو أسروا ، فإذا نقله إلى هذا ضعف ووقع في مضمار الضرورة ، والاختلال على نظمه بين ، حتى إن المتأخر ليحسب أن^(٣) من مثله .

* * *

وقوله :

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّض أنثاء الوشاح المفصل^(٤)
قد أنكر عليه قوم قوله : « إذا ما الثريا في السماء تعرّضت » ، وقالوا :
الثرى لا تتعرض^(٥) ، حتى قال بعضهم : سمى الثرى وإنما أراد الجوزاء ،
لأنها تعرض ، والعرب تفعل ذلك ، كما قال زهير : « كأحمر عباد^(٦) » وإنما هو
أحمر ثمود^(٧) .

وقال بعضهم في تصحيح قوله [إنما] تعرّض : أول ما تطلّع [وحين

(١) م : « حصانتها وعفتها ومنعتها » (٢) س : « لأنه »

(٣) س ، ك « المحترز يحترز » (٤) التشبيهات لابن أبي عون ص ٤

(٥) الموشح ص ٣٦ والوساطة ص ١٢ ، وفي م « لا تعرض »

(٦) يقصد قوله في معلقته :

فنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتطم

قال الأعمى الشنبري : « قوله : كأحمر عاد : أى كلهم في الثوم كأحمر عاد ، وأراد أحمر ثمود ، فغلط . وقال بعضهم : لم يغلط ولكنه جعل عاداً مكان ثمود اتساعاً ومجازاً ، إذ قد عرف المعنى مع تقارب ما بين عاد وثمود في الزمن والأخلاق » راجع ديوانه ص ٢٠ وشرح المعلقات للزوزنى ص ٨٣

(٧) هو عافر ناقة صالح

تَغْرُبُ^(١) ، كما أن الوِشَاحَ إذا طُرِحَ يَلْقَاكَ بَعْرُضِهِ ، وهو ناحيته^(٢) . وهذا كقول الشاعر^(٣) :

تَعَرَّضْتُ لِي بِمَجَازٍ خَلٍّ تَعَرَّضَ الْمُهْرَةُ فِي الطَّوْلِ^(٤)
يقول : تُرِيكَ عَرْضَهَا وَهِيَ فِي الرَّسَنِ .

/ وقال أبو عمرو : يعنى إذا أخذت الثَّوْبَ في وسط السماء ، كما يأخذ الوشاح ٢٦٤
وسط المرأة .

والأشبه عندنا^(٥) : أن البيت غير مَعْيِبٍ من حيث عابوه به ، وأنه من محاسن هذه القصيدة ، ولولا أبياتٌ عدَّةٌ فيه لَنَقَابِلُهُ ما شَتَّ من شعر غيره ، ولكن لم يأت فيه بما يفوت الشَّأَوَ ، ويستولى على الأمد .

أنت تعلم أنه ليس للمتقدمين ولا للمتأخرين في وصف شيء من النجوم مثل ما في وصف الثريا ، وكلُّ قد أبدع فيه وأحسن ، فلما أن يكون قد عارضه أو زاد^(٦) عليه .

فمن ذلك قول ذى الرُّمَّة :

وَرَدْتُ اغْتِسَافاً وَالثَّرِيّاً كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٌ^(٧)

(١) الزيادة من م (٢) في اللسان ٣١/٩ «أى لم تستقم في سيرها ، ومالت كالوشاح المعوج أثناؤه على جارية توشحت به» .

(٣) م : «الشاعر زهير» وهو خطأ . وفي اللسان ٤٣٩/١٣ «الطول : الحبل الذى يطول به للدابة فترعى فيه . . . وقد شدد الراجز الطول للضرورة ، فقال منظور بن مرثد الأسدي :

تعرضت لى بمكان حل - تعرضاً لم تأل عن قتلى
تعرضت المهرة فى الطول

ويروى : عن قتلا لى ، على الحكاية ، أى عن قولها قتلا له . وفي ١٣٠/٩ «وقال : تعرضت لم تأل عن قتلا لى» . (٤) كذا في م ، ك ، وفي تاج العروس «حل» وفي س «بمجان حل» وفي الصحاح « . . . بمكان حل » .

وانظر التشبيهات لابن أبي عون ص ٤ .

(٥) نقل هذا عبد القادر البغدادى فى خزانة الأدب ٤/٤٦١ . (٦) م : «وزاد»

(٧) ديوانه ص ٤٠١ وديوان المعاني ١/٣٣٤ ونثار الأزهار ص ١٠٩ والتشبيهات ص ٥ .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وترى الثريا في السماء كأنها
وبيضات أذحي يلحن بفدق^(١)
وكقوله :

كان الثريا في أواخر ليلها
تفتح نور أو لجام مفضض^(٢)
وقوله أيضاً :

فناولنيها والثريا كأنها
جنى نرجس حبي الندامي به الساق^(٣)
/ وقول الأشهب بن ربيعة :

ولاحت لسايرها الثريا كأنها
لدى الأفق الغربي قرط مسلسل^(٤)
ولابن المعتز :

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه
كذات قرط أرادته وقد سقطا^(٥)
أخذه من ابن الرومي في قوله :

طيب ريقه إذا ذقت فاه
والثريا بجانب الغرب قرط^(٦)
ولابن المعتز :

قد سقاني المدام والض
صبح بالليل مؤتزر
والثريا كنور غص
ني على الأرض قد نثر^(٧)
وقوله :

وتروم الثريا في السماء مراما^(٨)

(١) ديوانه ص ٣٣ « بيض بأدحي »

(٢) ديوان المعاني ١/ ٣٣٦ وزهر الآداب ١/ ٣١٠ والتشبيهات ص ٥

(٣) ديوانه ص ٢٣٩ وديوان المعاني ١/ ٣٣٥

(٤) ديوان المعاني ١/ ٣٣٥ والتشبيهات ص ٥

(٥) التشبيهات ص ٩ وديوان المعاني ١/ ٣٣٧

(٦) التشبيهات ص ٥ وديوان المعاني ١/ ٣٣٥

(٧) ديوانه ص ٢٢٢ « والليل بالصبح » وكذلك التشبيهات ص ١٠ وفي م « على الغرب »

(٨) ديوانه ص ٢٤٥ وأسرار البلاغة ص ٧٥

كَانَكِبَابٍ طِمْرٌ كَادَ يُلْقَى لِجَمَامَا
ولابن الطُّشْرِيَّةِ :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَانَتْهَا جُمَانٌ وَهَى مِنْ سِلْكِهِ فَتَبَدَّدَا^(١)
/ ولو^(٢) نسختُ لك كلَّ ما قالوا من البديع في وصف الثريا - لطال عليك ٢٦٦
الكتاب ، وخرج^(٣) عن الغرض ، وإنما نريد أن نبين لك أن الإبداع في نحو هذا
أمر قريب^(٤) . وليس فيه شيء غريب .

وفي جملة ما نقلناه ما يزيد على تشبيهه^(٥) في الحسن ، أو يساويه ، أو
يقاربه^(٦) . فقد علمت أن ما خلَّق^(٧) فيه ، وقدَّر المتعصب له أنه بلغ النهاية
فيه - أمرٌ مشترك ، وشريعة مَوْزُودَة ، وبابٌ واسع ، وطريق مسلوكة . وإذا
كان هذا بيت القصيدة ، ودُرَّة القِلَادَة ، ووَاسِطَةُ الْعِقْدِ وهذا محله^(٨) -
فكيف بما تعدَّاه ؟ !

ثم فيه ضربٌ من التكلُّف ؛ لأنه قال : « إذا ما الثريا في السماء تعرَّضَتْ تعرض
أثناء الوشاح » ، فقلوله : « تعرَّضَتْ » : من الكلام الذي يُستغنى عنه ؛ لأنه
يُشَبَّهُ أَثْنَاءَ الْوَشَّاحِ [بالثريا]^(٩) ، سواء كان في وسط السماء ، أو عند
الطلوع والمغيب ، فالتحويلُ بالتعرض ، والتطويل بهذه الألفاظ ، لا معنى له .

وفيه : أنَّ الثريا كقطعة من الوشاح الْمُفَصَّل ؛ فلا معنى لقلوله « تعرَّضَ -
أثناء الوشاح » ، وإنما أراد أن يقول : تعرَّضَ قطعة من / أثناء الوشاح ، فلم ٢٦٧
يستقم له اللفظ ، حتى شبه ما هو كالشيء الواحد بالجمع^(١٠) .

* * *

(١) ديوان المعاني ١/ ٣٣٤ وحامسة ابن الشجري ص ٢١٤

(٢) م : « قال : ولو نسخت »

(٣) م : « ونخرج »

(٤) م : « في مثل هذا نحو قريب »

(٥) م : « يشبهه »

(٦) م : « يقاربه ويدانيه »

(٧) م : « ما خلق » م « ما خلق إليه ، وقدَّر المتعصب أنه »

(٨) م : « وهذا محله » (٩) الزيادة من خزانة الأدب ٤/ ١٧٤

(١٠) آخر ما نقله البغدادي في خزانة الأدب ٤/ ١٧٤

وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السَّيْرِ إِلَّا لِبِئْسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
فَقَالَتْ : يَمِينَ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةً وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي^(١)
انظر إلى البيت الأول والأبيات التي قبله ، كيف خلط في النظم ؛ وفترط
في التأليف ! فذكر التمتع بها ، وذكر الوقت والحال والحُرَّاسَ - ثم ذكر^(٢) كيف
كان صفتها لما دخل عليها ووصل إليها ، من نزعها ثياباً بها إلا ثوباً واحداً
والمُتَفَضِّلُ : الذي في ثوب واحد ، وهو الفضل ، فما كان من سبيله أن
يقدمه إنما ذكره مؤخرًا .

وقوله : « لدى السير » : حشو ، وليس بحسن ولا بديع ، وليس في البيت
حسن ، ولا شيء يفضل لأجله .

وأما البيت الثاني ففيه تعليق^(٣) واختلال ، ذكر الأصمعي أن معنى قوله
« ما لك حيلة » ، أى ليست لك جهة تجيء فيها والناس أحوالي^(٤) .

/ والكلام في المصراع الثاني منقطع عن الأول ، ونظمه إليه فيه ضرب من
التفاوت .

٢٦٨

* * *

وقوله :

فَقِمْتُ بِهَا أُمُشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطِ مُرْجَلٍ
فَلَمَّا أَجْزَنَّا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى بِنَابِطِنَ خَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلٍ^(٥)
البيت الأول [يذكر من محاسنه]^(٦) : من مساعدتها إياه ، حتى قامت معه
ليخلوا ، وأنها^(٧) كانت تجر على الإثر أذْيَالَ مِرْطِ مُرْجَلٍ ، والمرجل : ضرب
من البرود ، يقال لَوْشِيهِ^(٨) : الرجل ، وفيه تكلف . لأنه قال : « وراءنا عكسى

(١) س ، ك « العماية »

(٢) م : « تغليق » ا « تغليق »

(٣) كذا في ك وفي م : « جهة تجيء إليها والناس حول »

(٤) ك : « ذى قفاف » م : « ذى ركام »

(٥) س ، ك : « الأول من مساعدتها »

(٦) م : « يقال أوشيه »

(٧) س ، ك : « وإنما »

إثراً» ، ولو قال « على إثرائنا » كان كافياً ، والدليل إنما يجز (١) وراء الماشي ، فلا فائدة لذكره « وراءنا » ، وتقدير القول : فقمتم أمشي بها ، وهذا أيضاً ضرب من التكلف .

وقوله « أذيال مرط » ، كان من سبيله أن يقول : ذيل مرط .
على أنه لو سلم من ذلك كان قريباً ليس مما يفوت بمثله غيره ، ولا يتقدم به سواه . وقول ابن المعتز أحسن منه :

٢٦٩ / فَبِتُّ أَفْرُشُ حَدِي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَكْمَامِي عَلَى الْأَثَرِ (٢)
وأما البيت الثاني فقولهُ « أَجْزَنَّا » بمعنى « قَطَعْنَا » ، و « الْخَبْتُ » :
بطن من الأرض ، و « الْحَقِيفُ » : رمل منرج ، و « الْعَقْسَنَقْلُ » : المنعقد
من الرمل الدّاخِل بعضه في بعض .

وهذا بيت متفاوت (٣) مع الأبيات المتقدمة ؛ لأن فيها ما هو سلس (٤) قريب يُشَبِّه كلام المولدين وكلام البذلة ، وهذا قد أغرب فيه وأتى بهذه اللفظة الوحشية المتعقدة ، وليس في ذكرها والتفضيل بإلحاقها بكلامه (٥) فائدة .
والكلامُ الغريب واللفظةُ الشديدة المُبَايَنَةُ (٦) لِنَسْجِ الكلام قد تُحمد إذا وقعت موقع الحاجة في وصف ما يلائمها ، كقولهِ عز وجل في وصف يوم القيامة :
(يَوْمًا عَبَسَ سَاطِعًا مَطْمَرِيرًا) (٧) . فأما إذا وقعت في غير هذا الموقع ، فهي مكروهة مذمومة ، بحسب ما تحمد في موضعها .

وروي أن جريراً أنشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته (٨) :
بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كُلَّمَا جَدُّوا لِيَمِينٍ تَجَزَّعُ ؟
/ كيفَ العزَاءِ وَلَمْ أَجِدْ مُدَّ يَنْتَمُ قَلْبًا يَقْرَ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ (٩)
قال : وكان يزحف من حسن هذا الشعر ، حتى بلغ قوله :

وتقولُ بَوَزَعُ : قد دَبَّيْتُ عَلَى الْعَصَا هَلَّا هَزَنْتِ بَغِيرِنَا يَا بَوَزَعُ

(٢) كذا في م ، ك ، ا ، وفي س :

« أذيال »

(٥) س ، ك : « كلامها » .

(٧) م : « الشريفة المتباينة » .

(٩) ا : « ولم أفد » ك : « ولا شراب »

إعجاز القرآن

(١) م : « إنما يجز »

(٣) كذا في م ، ك : « متقارب » .

(٤) ك : « سلس القياد قريب »

(٦) سورة الإنسان : ١٠

(٨) الخبر في الشعر والشعراء ١٥/١ .

فقال : أفسدت شعرك بهذا الاسم !!

* * *

وأما قوله :

هَصَرْتُ بِغُصْنِي دَوْحَةً فَتَمَايَلَتْ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَخِلِ^(١)
مُهَفَّفَةً بِيضَاءٍ غَيْرِ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ
فعنى قوله « هَصَرْتُ » : جَدَّ بَتُّ وَثَنِيَّتُ .

وقوله « بِغُصْنِي دَوْحَةً » ، تعسّف ، ولم يكن من سبيله أن يجعلهما
اثنين .

والمصراع الثانى أصح ، وليس فيه شيء إلا ما يتكرر على ألسنة الناس من
هاتين الصفتين . وأنت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ، ولكنه — مع تكرره على
الألسن — صالح .

وأما معنى قوله « مُهَفَّفَةً » : أنها مخففة ليست مثقلة .
و « المُفَاضَةُ » : التى اضطرب طولها .

والبيت — مع مخالفته فى الطبع الأبيات المتقدمة ، ونزوعه فيه^(٢) / إلى الألفاظ
المستكرهة ، وما فيه من الخلل ، من تخصيص الترائب بالضوء ، بعد ذكر جميعها
بالبياض — فليس بظائل ، ولكنه قريب متوسط .

* * *

وقوله :

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفَلٍ
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ
معنى قوله « عَنْ أَسِيلٍ » : أى بأَسِيل ، وإنما يريد خدّاً ليس بكَنَزٍّ .
وقوله « تَتَّقِي » ، يقال : اتقاه بحقه^(٣) أى جعله بينه وبينه .

(١) كذا فى م ، ك ، وفى المعلقات ص ١٨ « هصرت بفوضى رأسها » وفى شرحها « وىروى » :

بغصنى دوحه (٢) م : « فيها » (٣) كذا فى م ، ك ، وفى ص « بقره »

وقوله : « تصدّ وتبدي عن أسيل » : متفاوت ، لأنّ الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصد .

وقوله : « تتقي بناظرة » : لفظة مليحة ، ولكن أضافها إلى ما نظم به ^(١) كلامه ، وهو مختل ، وهو قوله : « من وحش وجرة » ! وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا ، كان من سبيله أن يضيف إلى عيون الأطباء أو المصها دون إطلاق الوحش ، ففيهن ما تستنكر عيونها .

٢٧٢ / وقوله : « مطفل » فسروه على أنها ليست بصبيّة ، وأنها قد استحكمت ، وهذا اعتذار متعسف . وقوله « مطفل » : زيادة لا فائدة فيها على هذا التفسير الذي ذكره الأصمعي . ولكن قد يحتمل - عندى - أن يفيد ^(٢) غير هذه الفائدة ، فيقال : إنها إذا كانت مطفلاً لحظت أطفالها بعين رقة ، ففى نظر هذه رقة نظر المودة ، ويقع الكلام معلقاً تعليقاً متوسطاً .

وأما البيت الثانى فعنى قوله : « ليس بفاحش » : أى ليس بفاحش الطول . ومعنى قوله : « نصّته » : رفعته . ومعنى قوله : « ليس بفاحش » - فى مدح الأعناق - كلام فاحش موضوع منه ! وإذا نظرت فى أشعار العرب رأيت فى وصف الأعناق ما يشبه السحر ، فكيف وقع على هذه الكلمة ، ودفع إلى هذه اللفظة ؟ ! وهلا قال كقول أبى نواس :

مثل الطبّاء سمّت إلى روض صوادر عن غدير ^(٣)

* * *

ولست أطول عليك فتستقل ، ولا أكثر القول فى ذمه فتستوحش .

٢٧٣ / وأكلك الآن إلى جملة من القول ، فإن كنت من أهل الصنعة ، فطنت واكتفيت وعرفت ما رمينا إليه واستغنيت .

وإن كنت عن الطبقة خارجاً ، وعن ^(٤) الإتقان بهذا الشأن خالياً - فلا يكفيك البيان ، وإن ^(٥) استقرينا جميع شعره ، وتبعنا عامة ألفاظه ، ودلنا ^(٦) على ما فى كل حرف منه .

(٣) ديوانه ص ١٩٢

(٢) « يفاد »

(١) م : « بها »

(٦) م : « لفظه ودلناك »

(٥) م : « ولو »

(٤) م : « ومن »

اعلم أن هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مُبتدَلة ، وأبيات متوسطة ، وأبيات ضعيفة مرذولة ؛ وأبيات وحشية غامضة مستكرهة ، وأبيات معدودة بديعة . وقد دللنا^(١) على المبتذل منها ، ولا يشبه عليك الوَحْشِيَّ المستنكر ، الذي يَرُوعُ السَّمْعُ ، وَيَهْوِلُ الْقَلْبُ ، وَيَكْدُ اللِّسَانُ ، وَيَعْبَسُ معناه في وجه كل خاطر ، وَيَكْفَهَرُ مَطْلَعُهُ على كل مُتأمل أو ناظر ، ولا يقعُ بمثله التَّمَدُّحُ^(٢) والتَّنْفَاصُحُ . وهو بجانب لما وُضِعَ له أصلُ الإفهام ، ومخالف لما بُنِيَ عليه التفاهم بالكلام . فيجب أن يسقط عن الغرض المقصود ، ويلحق باللغز والإشارات المستهمة .

* * *

فأما الذي زعموا أنه من بديع هذا الشعر ، فهو قوله :

٢٧٤

وَيُضْحِي فَتِيَّتُ الْمَسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا
نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ
والمصرع الأخير عندهم بديع ، ومعنى ذلك : أنها مُتَرْفِعة متعومة ، لها من يكفيها .

ومعنى قوله : « لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ » ، يقول : لَمْ تَنْتَطِقْ وَهِيَ فَضْلٌ^(٣) و « عَنْ » هِيَ بِمَعْنَى « بَعْدَ » . قال أبو عُبَيْدَةَ : لَمْ تَنْتَطِقْ فَتَعْمَلْ ، ولكنها تَنْتَفِضَلْ .

* * *

ومما يعدونه من محاسنها :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
عَلَى بَأْنَوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِيَ^(٤)

(٢) م : « المدح » .

(١) م : « د للناك » .

(٣) في اللسان ١٤١/١٤ - ١٤٢ « والفضلة : اثياب التي تبذل النوم ، لأنها فضلت عن ثياب التصرف . . . وفي حديث امرأة أبي حذيفة : قالت يا رسول الله ، إن سالما مولأني حذيفة يراني فضلا : أي مبتذلة في ثياب مهنتي ، يقال : تفضلت المرأة : إذا لبست ثياب مهنتها أو كانت في ثوب واحد ، فهي فضل ، والرجل فضل أيضا » .

(٤) س ، ك « بأنواع الغوم » وانظر رأي الأستاذ محمود محمد شاكر في معنى هذا البيت ونقصه لأراء الشراح السابقين في طبقات فحول الشعراء ص ٧١ .

/ فقلتُ له لما تَمْطِي بَصْلِيهِ
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلٍ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ
بَصْبَحٍ ، وما الإصباحُ فيكَ بِأَمْثَلٍ ^(١)
وكان بعضهم يعارض هذا بقول النَّابِغَةِ :

كِلِينِي لِيَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ
وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمٍّ
تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ

وليس الذى يتلو النُّجُومَ بِأَيِّبٍ ^(٢)
وقد جرى ذلك بين يدي بعض ^(٣) الخلفاء ، فَقَدْ مَسَتْ أَيْاتُ امرئ القيس ،
واستحسن استعارتها ^(٤) ، وقد جعل لليل صدرًا يثقل تنحيه ، ويبطئ تقضيه ،
وجعل له أردافًا كثيرة ، وجعل له صلبًا يمتدُّ ويتطاوَل ، ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره
أبو تمام / من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة ^(٥) ، ورأوا أن الألفاظ جميلة .
واعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذى يقال : إنه متناه عجيب ،
وفيه إلام بالتكلف ، ودخولٌ فى التعمُّل .

* * *

وقد خرَّجوا له فى البديع من القصيدة قوله :
وقد أَغْتَدَيْ والطيرُ فى وُكُنَاتِهَا
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَايدِ هَيْكَلِ

(٢) م « الذى يرى النجوم »

(١) ك ، م « فيك » س « منك »

(٣) م : « ذلك بمجلس بعض »

(٥) سقطت من م

(٤) س ، ك « واستحسن » وانظر الموشع ص ٣١ - ٣٣

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُذْبِرٌ مَعَا

كجُلُمُودٍ ضَخِرٍ حَطَّه السَّبِيلُ مِنْ عَلٍ^(١)

وقوله أيضاً :

له أَبْطَلًا ظَبْيِي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءً سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتَفُلٍ^(٢)
فأما قوله « قَيْدُ الْأَوَابِدِ » ، فهو مَلِيحٌ ، ومثله في كلام الشعراء وأهل الفصاحة
كثير ، والتَّعَمُّلُ بمثله^(٣) ممكن .

وأهلُ زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفاً ، ويؤلفون المحاسن تأليفاً ،
يُوشِحُونَ به كلامَهم . والذين كانوا من قبلُ — لغزاتهم^(٤) — / وتمكنهم — لم يكونوا
يتصنعون لذلك ، وإنما كان يتفق لهم اتفاقاً ، وَيَطَّرِدُ في كلامهم اطراداً .

وأما قوله في وصفه : « مِكْرٌ مِفْرٌ » ، فقد جمع فيه طِباقاً وتشبيهاً .
وفي سرعة جرى الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف .

وكذلك في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد — صنعة .
ولكن قد عُوْرِضَ فيه وزُوجِمَ [عليه]^(٥) والتوصل إليه يسير ، وتطلبه^(٦)
سهل قريب .

وقد بينّا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبياتها تفاوتاً بيناً في الجودة
والرِّدَاءَةِ ، والسَّلاَسَةِ والانعقاد ، والسلامة والانحلال ، والتمكّن [والاستصعاب]^(٧)
والتسهّل والاسترسال ، والتوحّش والاستكراه . وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في
محاسنها ، ومعارضون في بدائعها . ولا سواءٌ كلامٌ يُنَحْتُ من الصخر تارةً ،
ويذُوبُ تارةً ، ويتلوّنُ تَلَوْنًا الْحَرِّ بَاءً ، ويختلف اختلاف الأهواء ، ويكثر
في تصرّفه اضطرابه ، وتتفاذف^(٨) به أسبابه . وبين قول يجري في سبّكه على
نظام ، وفي رصفه على منتهاج ، وفي وضعه على حدّ ، وفي صفائه على باب ، وفي

(١) انظر شرحه في طبقات فحول الشعراء ص ٦٩

(٢) انظر شرحه في طبقات فحول الشعراء ص ٧٠

(٣) م : « والتعمل لمثله . . . زماننا اليوم »

(٤) م : « لغزاتهم » ك : « لغزاتهم »

(٦) م : « والتطلب له »

(٨) م : « وتتفاوت »

(٥) الزيادة من م

(٧) الزيادة من م

/ بَهَجَتَهُ وروفته على طريق ، مُخْتَلَفُهُ مُؤْتَلَفٌ ، ومُؤْتَلَفُهُ مُتَّحِدٌ ،
ومُتَّبَعُهُ مُتْقَارِبٌ ، وشَارِدُهُ مُطِيعٌ ، ومُطِيعُهُ شَارِدٌ . وهو على مُتَّصِرَاتِهِ
واحد ، لا يُسْتَعَصَبُ في حال ، ولا يُسْتَعَقَدُ في شأن .

* * *

وكنّا أردنا أن نتصرّف في قصائد مشهورة ، فتكلّمَ عليها ، وندلّ على معانيها
ومحاسنها ، ونذكر لك من فضائلها ونقائصها ، ونبسّط لك القول في هذا الجنس ،
ونفتح عليك في هذا النهج^(١) .
ثم رأينا هذا خارجاً عن غرض كتابنا ، والكلامُ فيه يتصل بنقد الشعر وعيابه ،
ووزنه بميزانه^(٢) ومعياره ، ولذلك كُتِبَ وإن لم تكن مُستوفاة ، وتصانيفُ وإن لم
تكن مستقصاة .

وهذا القدرُ يكفي في كتابنا ، ولم نُحِبَّ أن ننسخ^(٣) لك ما سطره الأدباء في
خطأ امرئ القيس في العروض والنحو والمعاني ، وما عابوه عليه^(٤) في أشعاره ،
وتكلموا به على ديوانه . لأنّ ذلك أيضاً خارج عن غرض كتابنا ، ومُجَانِبٌ
لمقصوده .

وإنما أردنا أن نبينَ الجملة^(٥) التي بيّناها . لتعرف أن طريقة الشعر
/ شريعةٌ موروثةٌ ، ومترّلة مشهودة ، يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابهم ،
ويتناول منها ذووها على حسب أحوالهم .

وأنت تجدُ للمتقدم معنى قد طمَسَ المتأخّر بما أبتَرَّ عليه فيه ، وتجدُ
للمتأخّر معنى قد أغفله المتقدم ، وتجد معنى قد تَوَافَدَا عليه ، وتَوَافَيَا إليه ،
فهما فيه شريكا عنان ، وكأنهما فيه^(٦) رضيعا لبّان ، والله يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ
يشاء .

* * *

فأمّا^(٧) نهج القرآن ونظمه ، وتأليفه ورصفه ، فإن القول تبيّه في جهته ،
وتحار في بحره^(٨) ، وتضلّ دون وصفه .

(٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٤) م : « وبه »

(٦) م : « وكلاهما فيه »

(١) م : « ونفسح عليك في هذا المنهج »

(٣) م : « وأحب أن أنسخ »

(٥) م : « نبين الحكمة »

(٧) م : « وأما »

ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدلُّ به على الغرض ، وتستول به على
الأمم ، وتصلُّ به إلى المقصد ، وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس ،
وتتيقنُ تنَاهِيَّ بلاغته كما تتيقنُ الفَجْرَ ، وأقرب عليك الغامض ، وأسهل
لك العسير .

واعلم أن هذا علم شريف المحلّ ، عظيم المكان ؛ قليل الطلاب ، ضعيف
الأصحاب ؛ ليست له عشيرةٌ تحميه ، ولا أهلٌ عِصْمَةٌ تَقْظُنُ / فيه . وهو
أدقّ من السحر ، وأهولُ من البحر ، وأعجب من الشعر . ٢٨٠

وكيف لا يكون كذلك : وأنت تحسب أن وضع « الصبح » في موضع
« الفجر » يحسّنُ في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً ؟ وليس كذلك ؛
فإن إحدى اللفظتين قد تنفّرُ في موضع ، وتنزِلُ عن مكان لا تنزِلُ عنه اللفظةُ
الأخرى ، بل تتمكن فيه ، وتضربُ بجرائنها ، وترها في مظانّها ، وتجدها
فيه غير مُتَنَازِعَةٍ إلى أوطانها ، وتجدهُ الأخرى — لو وُضعت مَوْضِعَها — في
محل نِفَارٍ ، ومَرَمَى شِرَادٍ ، ونَابِيَةٍ عن استقرار^(١) .

ولا أكثرُ عليك المثل ، ولا أضربُ لك فيه الأمثال ، وأرجعُ بك إلى
ما وعدتُك^(٢) من الدلالة ، وضمنتُ لك من تقريب المقالة .

فإن كنت لا تعرف الفصل الذي بينا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ،
ومتصرّفات مجاري النظام ، لم تستفدْ مما نُقَرَّرَ به عليك شيئاً ، وكان التقليدُ
أولى بك ، والاتباعُ أوجبَ عليك . ولكل شيء سبب ، ولكل علم طريق ؛
ولا سبيل إلى الوصول إلى الشيء من غير طريقه ، ولا بلوغ غايته من غير
سبيله .

* * *

/ خذ الآن — هداك الله — في تفرّيع^(٣) الفكر ، وتخلّيةِ البال ؛ وانظر
فيما نعرض عليك ، ونُهدِيه إليك ؛ متوكلاً على الله ، ومعتصماً به ، ومستعيذاً به
من الشيطان الرجيم ؛ حتى تنقِفَ على إعجاز القرآن العظيم .

(٢) ك : « وما وعدتلك به »

(١) م : « وبانية عن اسفرار »

(٣) م : « مع تفرّيع »

شماه الله عز ذكره «حكيمًا» و «عظيمًا» و «مجيدًا» .

وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(١) .

وقال : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٢) .

وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا قُرْآنًا سِيرَتٍ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى ، بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾^(٣) .

وقال : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٤) .

وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني ، حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان ، حدثنا أبو يوسف الصيّد لاني ، حدثنا محمد بن سلمة ، / عن أبي سينان ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري الطائي ، عن ٢٨٢ الحارث الأعور ، عن علي رضي الله عنه ، قال :

قيل : يا رسول الله ، إن أمتك ستفتتن من بعدك ؛ فسأل أو سئل : ما المخرج من ذلك ؟

فقال : « بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ؛ من ابتغى العلم في غيره أضله الله ، ومن ولي هذا من جبّار فحكّم بغيره قصّمه الله ؛ وهو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم . فيه خبر من قبلكم ، وتبينان من بعدكم ؛ وهو فصل ، ليس بالهزل . وهو الذي [لما] سمعته الجن قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾^(٥) لا يخلق على طول الرّد ، ولا تنقض عبْرهُ ، ولا تنفي عجائبه^(٦) .

وأخبرني أحمد بن علي بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ،

(١) سورة فصلت : ٤٢

(٢) سورة الحشر : ٢١

(٣) سورة الرعد : ٣١

(٤) سورة الإسراء : ٨٨

(٥) سورة الجن : ٢

(٦) انظر عيون الأخبار ٢ - ٣١٣

أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيب بن شريك ، عن عبيدة^(١) ، عن أسامة بن أبي عطاء^(٢) ؛ قال : أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه في ليلة ، فذكر نحو ذلك في المعنى ، وفي بعض ألفاظه اختلاف .

٢٨٣

وأخبرنا أحمد بن علي بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ، أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيب بن شريك ، عن بشر بن نمير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ، ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ، ومن قرأ القرآن كله أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه » . وذكر الحديث^(٣) .

* * *

ولم يكن من عظم شأنه إلا أنه طبق الأرض أنوارُهُ ، وجلّل الآفاق ضياؤُهُ ، ونفذ في العالم حكمهُ ، وقبّل في الدنيا رسمهُ ؛ وطمس ظلام الكفر بعد أن كان مضروب الرواق ، ممدود الأطناب ، مبسوط الباع ، مرفوع العماد ليس على الأرض من يعرف الله حق معرفته ، أو يعبد حق عبادته ، أو يدّين بعظمته ، أو يعلم علوّ جلالته ، أو يتفكّر في حكمته . فكان كما وصفه الله تعالى جل ذكره ، من أنه نور ، فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ

٢٨٤

(١) « عبيدة » بضم العين المهملة ، وهو ابن الأسود بن سعيد الهمداني الكوفي ، راجع ترجمته في التهذيب ٨٦/٧ .

(٢) أسامة بن أبي عطاء هذا : تابعي ، يروى عن علي بن أبي طالب ، ترجمه البخاري في التاريخ الكبير ج ١ ق ١ ص ٢٣ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ١ ق ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ . (٣) سألت الشيخ أحمد محمد شاكر عن هذا الحديث فكتب يقول : « هذا الحديث مكذوب لا أصل له ، وكفى أن يكون في إسناده "بشر بن نمير القشيري البصري" قال يحيى بن سعيد القطان في شأنه : "كان ركناً من أركان الكذب" . وقال أحمد بن حنبل : "يحيى بن العلام كذاب يضع الحديث ، وبشر بن نمير أسوأ حالا منه" . وبشر هذا يروى عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة أحاديث في نسخة له ، قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ١٥١/١ - ١٥٢ بعد أن ذكر الحديث الذي هنا : "ولبشر عن القاسم نسخة كبيرة ساقطة" . وقال شعبة بن الحجاج : "كان بشر بن نمير لوقيلا له : ماشاء الله - لقال : القاسم عن أبي أمامة " !! يعني جرأته على الكذب والاختراع » .

نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾

فانظر — إن شئت — إلى شريف هذا النظم ، وبديع هذا التأليف ، وعظيم هذا الرِّصْف (٢) ؛ كل كلمة من هذه الآية تامة ، وكل لفظ بديعٌ واقعٌ .

قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ : يدل على صدوره من الرُّبُوبِيَّةِ ، وَيُسَبِّحُ عَنْ وَرُودِهِ عَنِ الْإِلَهِيَّةِ . وهذه الكلمة بمنفردِها وأخواتها (٣) كل واحدة منها لو وقعت بين كلام كثير — تَمَيَّزَ عَنْ جَمِيعِهِ ، وكان واسطة عِقْدِهِ ، وفاتحة عَقْدِهِ ؛ وَغَيْرَةُ شَهْرِهِ ، وَعَيْنَ دَهْرِهِ .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ، فجعله رُوحًا ؛ لأنه يحْيِي (٤) ، الْخَلْقَ ، فله فضل الأرواح في الأجساد . وجعله نورًا ؛ لأنه يضيء ضياءَ الشمس في الآفاق . ثم أضاف وقوع / الهداية به إلى مشيئته ، وَوَقَفَ وَقُوعَ (٥) الْإِسْتِشَادِ بِهِ عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَهْتَدِيَ إِلَيْهِ لَوْلَا تَوْفِيقُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَعْلَمَ مَا فِي الْكِتَابِ وَلَا الْإِيمَانَ لَوْلَا تَعْلِيمُهُ ؛ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَهْتَدِيَ — فَكَيْفَ كَانَ يَهْدِي — لَوْلَاهُ ، فَقَدْ صَارَ (٦) يَهْدِي ، وَلَمْ يَكُنْ (٧) مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ لِيَهْتَدِيَ (٧) ، فَقَالَ :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (٨) .

فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث : فَالْكَلِمَتَانِ الْأَوَّلَتَانِ مُؤْتَلِفَتَانِ . وقوله : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ كلمةٌ منفصلة مبينة للأولى ، قد صيرَهما شريفُ النظم أشدَّ اتِّلَافًا مِنَ الْكَلَامِ الْمُؤَالِفِ ، وَالطَّفِ انتظامًا مِنَ الْحَدِيثِ الْمَلَأَمِ .

وبهذا يبين فضل الكلام ، وتظهر فصاحته وبلاغته .

الأمر أظهر — والحمد لله — والحال أبين من أن يحتاج إلى كشف .

(٢) م : « على أن كل »

(١) سورة الشورى : ٥٢

(٤) م : « يحْيِي بِهِ »

(٣) س : « وأخواتها »

(٦) ما بين الرقيمين مكانه بياض في ك

(٥) كذا في م وفي س ، ك : « وقوف »

(٨) سورة الشورى : ٥٣

(٧) م : « ليهدي »

تأمل قوله : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١) .

/ انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألّف بينها ، واحتج بها على ظهور قدرته ، ونفاذ أمره ، أليس كل كلمة منها في نفسها غرّة ؟ وبمفردها^(٢) درّة ؟

٢٨٦

وهو - مع ذلك - يبين أنه يصدر عن علو الأمر ، ونفاذ القهر ؛ ويتجلّى في بهجة القدرة ، ويتحلّى بخالصة العزّة ، ويجمع السّلاسة إلى الرّصانة ، والسّلامة إلى المتانة ؛ والرونق الصّافي ، والبهاء الضّافي .

ولست أقول : إنه شمل الإطباق الملبح ، والإيجاز اللطيف ، والتعديل والتّمشيل ، والتّقريب والتّشكيل - وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه - لأنّ العجيب ما بينّا من افراد كلّ كلمة بنفسها ، حتى تصلح أن تكون عيّن رسالة أو خطبة ، أو وجه قصيدة أو فقرة . فإذا ألّفت ازدادت [به] حسناً [وإحساناً]^(٣) ، وزادت - إذا تأملت - معرفة وإيماناً .

* * *

ثم تأمل قوله : ﴿وَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٤)

هل تجد / كلّ لفظة ، وهل تعلم كلّ كلمة ، تستقل بالاشتمال على نهاية البديع ، وتتضمن شرط القول البليغ ؟

٢٨٧

فإذا كانت الآية تنظم من البديع ، وتتألف من البلاغات ، فكيف لا تفوت

(٢) كذا في م ، ك وفي س « وبمفردها »

(٤) سورة يس : ٣٧ - ٣٩

(١) سورة الأنعام : ٩٦

(٣) الزيادة من م

حدّ المعهود، ولا تَجُوزُ^(١) شَأَوَ المألوف؟ وكيف^(٢) لا تحوز قَصَبَ السَّبْقِ ،
ولا تتعالى عن كلام الخلق ؟

ثم اقصده إلى سورة تامة ، فتصّرف في معرفة قصصها ، وراع ما فيها
من براهينها وقصصها .

تأمل السورة التي يُذكر فيها « النمل » وانظر في كلمة كلمة ، وفصل
فصل .

بدأ بذكر السورة ، إلى أن يبيّن أن القرآن من عنده ، فقال :
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾^(٣) . ثم وصل بذلك قصة موسى
عليه السلام ، وأنه رأى ناراً ، ﴿ فقال لأهله : امكثوا إني آنست ناراً ، سَأَتِيكُمْ
مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾^(٤) .

وقال في سورة طه في هذه القصة : ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ / أَوْ أَجْدُ
عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾^(٥) . وفي موضع : ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ
النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾^(٦) .

قد^(٧) تصّرف في وجوه ، وأتى بذكر القصة على ضروب ، ليُعْلِمَهُمْ
عجزهم عن جميع طُرُق ذلك . ولهذا قال : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾^(٨) .

ليكون أبلغ في تعجيزهم ، وأظهر للحجة عليهم .
وكل كلمة من هذه الكلمات ، وإن أنبأت عن قصة ، فهي بليغة بنفسها ،
تامة في معناها .

ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ،
وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٩) .

فانظر إلى ما أجرى له^(١٠) الكلام ، من علوّ أمر هذا النداء ، وعِظَم شأن

(٢) ب ، س « فكيف »

(١) كذا في م ، ك وفي س « ولا تحوز »

(٤) سورة النمل : ٨

(٣) سورة النمل : ٦

(٦) سورة القصص : ٢٩

(٥) سورة طه : ١٠

(٨) سورة الطور : ٣٤

(٧) م : « فقد »

(١٠) م : « إليه »

(٩) سورة النمل : ٨

هذا الشَّاء^(١) ، وكيف انتظم مع الكلام الأوَّل ، وكيف اتصل بتلك المقدمة ، وكيف وصل بها ما بعدها من الإخبار عن الرُّبُوبِيَّةِ ، وما دلَّ به عليها من قلب العصا حيةً ، وجعلها دليلاً يدلُّه عليه ، ومعجزةً تهديه إليه ؟

/ وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن ، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ، ثم ما شَفَّعَ به هذه الآية ، وقرَنَ به هذه الدلالة : من اليَسَدِ البَيْضَاءِ — عن نور البرهان — من غير سوء .

ثم انظر في آية آية ، وكلمة كلمة : هل تجدها كما وصفنا : من عجبب النظم ، وبديع الرِّصْفِ ؟ فكل كلمة لو أَفْرَدَتْ كانت في الجمال^(٢) غايةً ، وفي الدلالة آيةً ، فكيف إذا قارنتها أخواتها ، وضامَّتْها ذواتها : [مما]^(٣) تجرى في الحسن مجراها ، وتأخذ في معناها ؟

ثم من قصة إلى قصة ، ومن باب إلى باب ، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل ، وحتى يُصَوِّرَ^(٤) لك الفصل وصلاً ، ببديع^(٥) التأليف ، وبلغ التنزيل .

* * *

وإن أردت أن تتبين ما قلناه فضل تبين ، وتحقق بما ادعيناه زيادة تحققٍ — فإن كنت من أهل الصنعة فاعمدْ إلى قصة من هذه القصص ، وحديث من هذه الأحاديث ، فعبِّرْ عنه بعبارة من جهتك ، وأخْبِرْ عنه بألفاظ من عندك ، حتى ترى فيما جئت به^(٦) النقص الظاهر ، وتبين في نظم القرآن الدليل الباهر .

/ ولذلك^(٧) أعاد قصة موسى في سُورٍ ، وعلى طرق شتى ، وفواصل مختلفة ، مع اتفاق المعنى . فاعلك ترجع إلى عقلك ، وتستر^(٨) ما عندك ، إن غلظت في أمرك ، أو ذهب في مذاهب وهمك ، أو سَلَطْتَ على نفسك وجه ظَنِّكَ .

(٢) م « في الكلام غاية »

(٤) م : « وحتى يتصور »

(٦) م : « به من »

(٨) م : « إلى نفسك وتسير »

(١) م « شأن هذه النبأ »

(٣) الزيادة من م

(٥) م : « لبديع »

(٧) م : « وكذلك »

متى تهيأ لبليغ أن يتصرف في قدر^(١) آية في أشياء مختلفة ، فيجعلها مؤتلفة ، من غير أن يبين على كلامه إعياء الخروج والتنقل ، أو يظهر على خطابه آثار التكلف^(٢) والتعمُّل ؟

وأحسب أنه لا يسلم من هذا - ومحال أن يسلم منه - متى^(٣) يظفر بمثل تلك الكلمات الأفراد ، والألفاظ الأعلام ، حتى يجمع بينها ، فيجلو^(٤) فيها فقرة من كلامه ، وقطعة من قوله . ولو اتفق لـ في أحرف معدودة ، وأسطر قليلة ، ففى يستفق له في قدر ما نقول : إنه^(٥) من القرآن معجز ؟

هيهات هيهات ! إن الصبح يطمسُ النجوم وإن كانت زاهرة ، والبحر يغمر الأنهار وإن كانت زاحرة .

٢٩١ / متى^(٦) تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام ، بعد ذكر العنوان والتسمية ، هذه الكلمة الشريفة العالية : ﴿ أَلَا تَعْلَمُوا عَمَلِي ﴾ وأتوْنِي مُسْلِمِينَ^(٧) . والخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبير ، واشتغلت به من المشورة ، ومن تعظيمها أمر المستشار ، ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها^(٨) ، بتلك الألفاظ البديعة ، والكلمات العجيبة البليغة .

ثم كلامها بعد ذلك ، [ألا] تعلم^(٩) تمكن قولها : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ، مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾^(١٠) .

وذكر قولهم : ﴿ قَالُوا : نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ، فَاَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾^(١١) ، لا تجد في صفتهم أنفسهم أبرع^(١٢) مما وصفهم به .

وقوله : ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ ، تعلم براعته بنفسه ، وعجيب معناه ، وموضع

- | | |
|------------------------|-----------------------------------|
| (٢) م : « التكليف » | (١) م : « في صدر » |
| (٤) م : « فيخلو » | (٣) م : « حتى » |
| (٦) م : « ففى » | (٥) م : « آية من القرآن معجزة » . |
| (٨) م : « وطاعهم لها » | (٧) سورة النمل : ٣١ |
| (١٠) سورة النمل : ٣٢ | (٩) س : « بعد ذلك لتعلم » |
| (١٢) س : « أبداع » | (١١) سورة النمل : ٣٤ |

اتفاقه في هذا الكلام ، وتمكّن الفاصلة^(١) ، وملاءمته لما قبله ، وذلك قوله :
﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ؟﴾ .

٢٩٢

/ ثم إلى هذا الاختصار ، وإلى البيان مع الإيجاز . فإن الكلام قد يفسده الاختصار ، ويعميه التخفيف منه والإيجاز ، وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً لممكنه ووقوعه ، ويتضمن الإيجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه .

وكم جئت إلى كلام مبسوط يَضِيقُ عن الأفهام ، ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من^(٢) التام ، ثم لو وقع على الأفهام [والتام ، أخل بما]^(٣) يجب فيه من شروط الإحكام ، أو بمعاني القصة وما تقتضى من الإعظام .

ثم لو ظفرت بذلك كله ، رأيته ناقصاً في وجه الحكمة ، أو مدخولاً في باب السياسة ، أو مضعوفاً^(٤) في طريق السيادة ، أو مشترك الغباريات إن كان مستجود المعنى ، [أو مستجود العبارة مشترك المعنى]^(٥) ، أو جيد البلاغة مُسْتَجَلَبَ^(٦) المعنى ، أو مستجلب البلاغة جيد المعنى ، أو مستنكر اللفظ وحشي العبارة ، أو مستبهّم الجانب مستكره الوضع .

٢٩٣

وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بُسِطَ أفاد ، وإذا اختصِرَ كمل في بابه وجاد ؛ وإذا سَرَحَ الحكيمُ في جوانبه طُرف / خاطره^(٧) ، وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه ، لَسَمَ يَقَعُ إلا على محاسن تتوالى ، وبدائع تَتَرَى^(٨) . ثم فكَرَ بعد ذلك في آية آية ، أو كلمة كلمة ، في قوله : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا

دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وكذلك يَفْعَلُونَ^(٩) .
هذه الكلمات الثلاث ، كل واحدة منها كالنجم في علوه ونوره ، وكالياقوت

(١) م : « تمكّن ألفاظه »

(٢) م : « على »

(٣) س ، ك : « أو مصفوفاً ! »

(٤) الزيادة من م ومكانها بياض في ك

(٥) م : « مستحيل المعنى أو مستحيل » .

(٦) الزيادة من م

(٧) م : « أو »

(٨) هذا الاستعمال من الباقلاني يكاد يوم القارئ أن كلمة « تترى » فعل مضارع ، إذ جعلها مزاملة لكلمة « تتوالى » ! و « تترى » اسم ، بمعنى : متواترين ، ولذلك يجوز تنوينها . ففي اللسان ١٣٧/٧ - ١٣٨ « وجاءوا تترى وتترأ ، أى متواترين . التاء مدلة من الواو . قال ابن سيده : وليس هذا البديل قياساً ، إنما هو في أشياء معلومة »

(٩) سورة النمل : ٣٤

بتلاؤاً بين شذُورِهِ . ثم تأملْ . تمكُنْ الفاصلة - وهى الكلمة الثالثة - وحسن موقعها ، وعجيب حكمتها^(١) ، وبارع معناها .

وإن شِرتُ لك ما فى كل آية طال عليك الأمر ، ولكنى قد بَيَّنْتُ بما فسرْتُ ، وقرَّرتُ بما فصَّلْتُ - الوجهَ الذى سلكْتُ . والنحو الذى قصدْتُ ، والغرض الذى إليه رميتُ ، والسَّمْتُ الذى إليه دعوتُ .
ثم فكَّرْ بعد ذلك فى شىء أدلك عليه :

وهو تَعَادُلُ هذا النظم فى الإعجاز ، فى مواقع الآيات القصيرة ، والطويلة ، والمتوسطة .

٢٩٤ / فأجِلِ الرأى فى سورة سورة ، وآية آية ، وفاصلة فاصلة ، وتدبِّرِ الخَوَاتِمَ ،
والفَوَاتِحَ ، والِبَوَادِىَ^(٢) ، والمقاطع ، ومواضع الفَصْلِ والوصل ، ومواضع التنقل والتحول ، ثم اقضِ ما أنت قاض .
وإن طال عليك تأمل الجميع . فاقصر على سورة واحدة ، أو على بعض سورة^(٣) .

* * *

ما رأيك فى قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فى الأَرْضِ . وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا . يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ . إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٥) ؟

هذه تشتمل على ست كلمات ، سناؤها وضياؤها على ما ترى ، وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ، ورونقها على ما تعين ، وفصاحتها على ما تعرّف .

وهى تشتمل على جملة وتفصيل : [وجامعة]^(٥) وتفسير : ذكر العلُوِّ فى الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدَانِ وسبى^(٦) النساء ، وإذا تحكَّم فى هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ! ؟ لأنَّ النفوس لا تطمئن على هذا الظلم ، والقلوب لا تقَرُّ على هذا الجور .

(٢) م : « والبادى »

(١) س : « حكمتها »

(٤) سورة القصص : ٤

(٣) س : « سور » م « أو بعض »

(٦) م : « لذبح الولدان ، واستحياء » .

(٥) الزيادة من م

/ ثم ذَكَرَ الفاصِلَةَ الَّتِي أَوْغَلَتْ فِي التَّأْكِيدِ ، وَكَفَّتْ فِي التَّظْلِيمِ ، وَرَدَّتْ آخِرَ الْكَلَامِ عَلَى أَوَّلِهِ ، وَعَظَفَتْ عَجْزَهُ عَلَى صَدْرِهِ .

ثم ذكر وعده تَخْلِيصَهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(١) . وهذا من التأليف بين المؤتلف ، والجمع بين المُستأنس .

كما أن قوله : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(٢) .

وهي خمس كلمات ، متباعدة في المواقع ، نائية المَطَارَح ، قد جعلها النَّظْمُ البديع أشدَّ تَأْلِيفًا ^(٣) من الشيء المؤتلف في الأصل ، وأحسن توافقًا من المتطابق في أول الوضع .

ومثل هذه الآية قوله : ﴿ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ . سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٤) .

ومثلها : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْصُرُوا مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(٥) .

/ ومن المؤتلف قوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ ^(٦) . وهذه ثلاث كلمات ، كل كلمة منها أعزُّ من الكبريت الأحمر .

ومن الباب الآخر ^(٧) قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الْحُكْمُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٨) .

كل سورة من هذه السور تتضمن من القَبَصِص ما لو تكلفت العبارة عنها بأضعاف كلماتها ، لم تستوف ما استوفته . ثم تجد فيما تنظم ثقل النظم ،

(٢) سورة القصص : ٧٧

(٤) سورة القصص : ٦٨

(٦) سورة القصص : ٨١

(٨) سورة القصص : ٨٨

(١) سورة النمل : ٥

(٣) م : « تأليفًا »

(٥) سورة القصص : ٥٨

(٧) كذا في ك ، س وفي م : « ومن الباب قوله »

وَنُفُورَ الطَّيْعِ ، وَشِرَادَ^(١) الْكَلَامِ ، وَتَهَاوُتَ الْقَوْلِ ، وَتَمَنُّعَ جَانِبِهِ ، وَقُصُورَ كَ فِي
الإيضاح عن واجبه . ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة إلى قصة ، وفصل إلى فصل ،
حتى تتبثر^(٢) عليك مواضع الوصل ، وتستصعب عليك أماكن الفصل . ثم
لا يمكنك أن تصل بالقصص مواضع زاجرة ، وأمثالا سائرة وحكما جليلة . وأدلة^٣
على التوحيد بيّنة ، وكلمات في التنزيه والتَّحْمِيدِ^(٣) شريفة .

وإن أردت أن تتحقق ما وصفتُ لك ، فتأملْ شعراً مَن شئتَ من الشعراء ٢٩٧
المُفْلِقِينَ . هل تجد كلامه في المديح والغزل والفخر والهجو يجري مجرى كلامه
في ذكر القصص ؟

إنك لتراه إذا جاء إلى وصف وقعة^(٤) . أو نقل خبر . عامي الكلام .
سوقي الخطاب . مسترسلاً في أمره . متساهلاً في كلامه . عادلاً عن المؤلف
من طبعه ، وناكباً عن المعهود من سجيته . فإن اتفق له في قصة كلام جيد .
كان قدر ثنتين أو ثلاثة . وكان ما زاد عليها حشواً . وما تجاوزها لغواً . ولا أقول :
إنها تخرج من عادته عفواً . لأنه يقصر عن العفو . ويقف دون العرف ،
ويتعرض للركاكة .

فإن لم تقنع بما قلتُ لك من الآيات^(٥) ، فتأمل غير ذلك من السور^(٦) ، هل
تجد الجميع على ما وصفت لك ؟

لو لم تكن إلا سورة واحدة لكففت في الإعجاز : فكيف بالقرآن
العظيم ؟

ولو لم يكن إلا حديث من سورة لكففتي . وأقنع وشفتي .
ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء . لما طلبت بيّنة^٧
سواها .

بل قصة من قصصه ، وهي قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ،

إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ / وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ ٢٩٨

(١) م : « وشروء » (٢) كذا في ١ ، وفي س ، ك تبين . وفي م « حتى تتمر »

(٣) م : « والتجيد »

(٤) س : « واقعة »

(٥) كذا في م . وفي س ، ك : « من الآيات »

(٦) ١ : « من الشعر »

(٧) سورة الشعراء : ٥٢

كريم . كذلك وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ^(١) حتى قال : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ . فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ^(٢) .

ثم قصة إبراهيم عليه السلام .

ثم لو لم تكن إلا الآيات التي انتهى إليها القول في ذكر القرآن ، وهي قوله : ﴿وَإِنَّهُ لَنَزْلِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ^(٣) .

وهذه كلمات مُفْرَدَةٌ بفواصلها . منها ما يتضمن فاتحة وفاصلة ، ومنها ما هي فاتحة وواسطة وفاصلة ، ومنها كلمة بفواصلها تامة .

دل على أنه نَزَّلَهُ على قلبه ليكون نذيراً ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ آيَةٌ لَكُونَهُ نَبِيًّا ، ثم وصل بذلك كيفية النِّذَارَةِ فقال : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٤) .

فتأمل آيَةَ آيَةٍ ، لتعرف الإعجاز ، وتبين تصرف البديع ، والتنقل في الفصول إلى آخر السورة .

ثم رَاعِ المقطع العجيب . وهو قوله : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ^(٥) .

/ هل يُحْسِنُ [أحد] ^(٦) أن يأتي بمثل هذا الوعيد؟ وأن يَنْظِمَ ^(٧) مثل هذا النظم ، وأن يَجِدَ مثل هذه النظائر السابقة ؟ وَيُصَادِفُ ^(٨) مثل هذه الكلمات المتقدمة ؟

ولولا كراهة الإملال ، لجئت إلى كل فصل ، فاستقرت على الترتيب كلماته . وبينت لك ما في كل واحدة منها من البراعة ، وعجيب ^(٩) البلاغة .

(٢) سورة الشعراء : ٦٣

(١) سورة الشعراء : ٥٧ - ٦٠

(٤) سورة الشعراء : ٢١٤ - ٢١٥

(٣) سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

(٦) الزيادة من م .

(٥) سورة الشعراء : ٢٢٧

(٧) س ، ك : « وَأَنْ تَنْظِمَ . . . وَأَنْ تَجِدَ . . . وَتَصَادِفَ »

(٩) س ، ك : « ومن عجيب »

(٨) م : « السايغة » . . . مثل الكلمات

ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده ، وتستضيء بنوره ، وتهتدى بهداه .

* * *

ونحن نذكر آيات أخر ، لتزداد استبصاراً ، وتيقن^(١) تيقناً :

تأمل من الكلام المؤتلف قوله : ﴿ حَمَّ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ، ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾^(٢) .

أنت قد تدرّبت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته ، فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر ، وما يجمع ما تجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة .

/ ثم اتل^(٣) ما بعدها من الآي ، واعرف وجه الخلوص من شيء إلى شيء : من احتجاج إلى وعيد ، ومن إعداء إلى إنذار ، ومن فنون من الأمر شيء ، مختلفة تأتلف بشريف النظم ، ومتباعدة تتقارب^(٤) بعلى الضم .

ثم جاء إلى قوله : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيُأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، فَأَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) ، وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار^(٥) .

الآية الأولى أربعة فصول ، والثانية فصلان .

وجه الوقوف على شرف^(٦) الكلام : أن تتأمل موقع قوله :

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيُأْخُذُوهُ ﴾ وهل تقع في الحسن موقع

قوله : « ليأخذوه » كلمة ؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة ؟ وهل يفسد مسده في الأصالة نكته ؟ لو وُضع موضع ذلك « ليقتلوه » ، أو « ليرجموه » . أو « لينفوه » ، أو « ليطرده » ، أو « ليهلكوه » ، أو « لينلوه » ، ونحو هذا ، ما كان ذلك بديعاً^(٧) ولا بارعاً ، ولا عجيلاً ولا بالغاً .

(١) كذا في م . وفي س « ويتقدم » ولك : « ويتقدم » (٢) سورة غافر : ١ - ٣

(٣) س ، لك : « وأتل » (٤) كذا في س ، لك . وفي م : « تتقارب معاني الكلام »

(٥) سورة غافر : ٥ - ٦ م : « على شريف »

(٧) كذا في م . وفي س ، لك : « بعيداً »

/ فانقُذْ موضع هذه الكلمة ، وتعلَّم بها ما تذهب إليه من تخير^(١) الكلام ،
[وانتقاء]^(٢) الألفاظ ، والاهتداء للمعاني .

فإن كنت تقدّر أن شيئاً من هذه الكلمات التي عددناها^(٣) عليك أو غيرها ،
[يقوم مقام هذه اللفظة - لم تَقِفْ]^(٤) على غرضنا من هذا الكتاب ، فلا سبيل
لك إلى الوقوف على تصارييف الخطاب ، فافزع إلى التقليد ، واكف نفسك
مؤونة التفكير .

وإن فطنت ؛ فانظر إلى ما قال مِّن رَّدِّ عجز الخطاب إلى صدره ، بقوله :
﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ ثم ذكر عقبيها العذاب في الآخرة ، وأتلاها
تَلَوَ العذاب في الدنيا ، على الإحكام الذي رأيت^(٥) .

ثم ذكر المومنين بالقرآن ، بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل ، فقال :
﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾^(٦)
إلى أن ذكر ثلاث آيات .

/ وهذا كلام مفصول ، تعلم^(٧) عجب اتصاله بما سبق ومضى ، وانتسابه إلى
ما تقدم وانقضى ، وعظم موقعه^(٨) في معناه ، ورفع ما يتضمن من تحميدهم
وتسبيحهم ، وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ
رَّحْمَةً وَعِلْماً ﴾^(٩) .

هل تعرفُ شرفَ هذه الكلمة لفظاً ومعنى ، ولطيفَ هذه الحكاية ، وتلاؤمَ
هذا الكلام ، وتشاكلَ هذا النظام ؟ فكيف^(١٠) يهتدى إلى وضع هذه المعاني
بشَرِيٍّ ، وإلى تركيب ما يلائمها من الألفاظ إنشئ ؟
ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافرين على ما ترى .

ثم نبّه على أمر القرآن ، وأنه من آياته ، بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ

(١) س ، ك : « من نخب » . (٢) الزيادة من م ، ومكانها بياض في ك

(٣) مكان هذه الكلمة بياض في ك

(٤) الزيادة من م ، وفي س ، ك « عليك أو غيرها لا تقف بك على غرضنا » .

(٥) م : « على الأحكام التي رادت » (٦) سورة غافر : ٧

(٧) ك : « يعلم » (٨) س ، ك : « وتقضى وعظم موضعه »

(٩) سورة غافر : ٧ (١٠) م ، ك : « وكيف »

آيَاتِهِ ، وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١﴾
 وإنما ذكر هذين الأمرين اللذين يختص بالقدرة عليهما ، لتناسبهما في أنهما
 من تنزيله من السماء ، ولأن الرزاق الذى لو لم (٢) يَرْزُقْ لم يمكن بقاء النفس ،
 تَجِبُ طاعته والنظر في آياته .

٣٠٣ / ثم قال : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، رَفِيعُ
 الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ،
 لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ
 الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٣) .

قف على هذه الدلالة (٤) ، وفكر فيها ، وراجع نفسك في مراعاة معاني هذه
 الصفات العالية ، والكلمات السامية ، والحكم البالغة ، والمعاني الشريفة —
 تَعَلَّمْ وُرُودَهَا عن الإلهية ، ودلالاتها على الربوبية ، وتحقق أن الخطب
 المنقولة عنهم ، والأخبار الماثورة في كلماتهم الفصيحة ، من الكلام الذى تعلق
 به الهمم البشرية ، وما تحوُّم عليه الأفكار الآدمية ، وتعرف مبياتيتها لهذا
 الضرب من القول .

أى خاطر يتشوّف إلى أن يقول : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ . لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ . يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ؟
 وأى لفظ يدرك هذا المضمار ؟ وأى حكيم يهتدى إلى ما لهذا من الغور ؟
 وأى فصيح يهتدى إلى هذا النظم ؟

ثم استقرئ الآية إلى آخرها ، واعتبر كلماتها ، وراع بعدها قوله :
 ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ . لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴾ (٥) .

٣٠٤ / مَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَأْلِيفِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ، عَلَى قُرْبِهَا ، وَعَلَى خَفَتِهَا فِي
 النِّظْمِ ، وَمَوْقِعِهَا مِنَ الْقَلْبِ ؟

(٢) م : « الذى لم »

(١) سورة غافر : ١٣

(٥) سورة غافر : ١٧

(٤) م : « الآية »

(٣) سورة غافر : ١٤ - ١٦

ثم تأمل قوله : وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْهِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ^(١) .

كل كلمة من ذلك على ما قد وصفناها ^(٢) : من أنه إذا رآها الإنسان في رسالة كانت عينها ، أو في خطبة كانت وجهها ، أو قصيدة كانت ^(٣) غرة غرتها ، وبيت قصيدتها ، كالياقوتة التي تكون فريدة العقد ، وعين القلادة ، ودرة الشدر ، إذا وقع بين كلام وشحه ، وإذا ضمن ^(٤) في نظام زينه ، وإذا اعترض في خطاب تميز عنه ، وبأن بحسنه منه .

ولست أقول هذا لك في آية ، دون آية ، وسورة دون سورة ، وفصل دون فصل ، وقصة دون قصة ، ومعنى دون معنى ؛ لأنني قد شرحت لك أن الكلام في حكاية القصص والأخبار ، وفي الشرائع / والأحكام ، وفي الديانة والتوحيد ، وفي الحجج والتشبيات ، هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور .

ألا ترى أن الشاعر المفلق إذا جاء إلى الزهد قصر ، والأديب إذا تكلم في بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام ، لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره . ونظم القرآن لا يتفاوت في شيء ، ولا يتباين في أمر ، ولا يختل في حال ؛ بل له المثل الأعلى ، والفضل الأسنى .

وفيا شرحناه لك كفاية ، وفيما بيناه بلاغ .

* * *

ونذكر في الأحكاميات وغيرها آيات أخر :

منها قوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ؟ قُلْ : أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ ، تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ^(٥) .

(٢) م : « على قدر ما وصفناها » .

(٤) م : « وإذا نظم »

(١) سورة غافر : ١٨ - ٢٠

(٣) م : « وكانت غرتها »

(١) سورة المائدة : ٤

أنت تجد في هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب ، والنظم البارع [الغريب] ^(١) ، ما يدلك - إن شئت - على الإعجاز ، مع هذا الاختيار والإيجاز ، فكيف إذا بلغ ذلك آيات ^(٢) ، أو كانت سورة ؟ .

٣٠٦

ونحو هذه الآية قوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) .

وكالآية التي بعدها في التوحيد وإثبات النبوة ، وكالآيات الثلاث في المواريث . أيُّ بارع يقدر على جمع أحكام الفرائض في قدرها من الكلام ؟ ثم كيف يقدر على ما فيها من بديع النظم ^(٤) ؟

وإن جئت إلى آيات الاحتجاج ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ، لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ^(٥) .

وكالآيات في التوحيد ، كقوله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) .

٣٠٧

وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ^(٧) .

وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٨) ، إلى آخرها .

وكقوله : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ،

(٢) س ، ك : « وكانت »

(١) الزيادة من م

(٤) م : « على مثل ما فيها من بليغ النظام »

(٣) سورة الأعراف : ١٥٧

(٦) سورة غافر : ٦٥

(٥) سورة الأنبياء : ٢٢ - ٢٣

(٨) سورة الملك : ١

(٧) سورة الفرقان : ١ - ٢

إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ،
إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ،
لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، دُحُورًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ
وَاصِبٌ ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٧﴾ .

هذه من الآيات التي قال فيها الله تعالى ذكره : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ
جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (١) .

[ارفع طرف قلبك] (٢) ، وانظر بعين عقلك ، وراجع جليلة بصيرتك ،
إذا تفكرت في كلمة كلمة مما نقلناه إليك ، وعرضناه / عليك ، ثم فيما ينتظم من
الكلمات ، ثم إلى أن يتكامل فصلاً وقصةً ، أو يتيم حديثاً وسورة .

لا ، بل فكثر في جميع القرآن على هذا الترتيب ، وتدبره على نحو هذا
التنزيل ، فلم ندع ما ادعيناه لبعضه ، ولم نصِفْ ما وصفنا (٣) إلا في كله ، وإن
كانت الدلالة في البعض أبين وأظهر ، والآية أكتشف وأبهر .

وإذا تأملت على ما هديناك إليه ، ووقفناك عليه ، فانظر هل تجد وقع (٤)
هذا النور في قلبك ، واشتماله على لبك ، وسريانه في حسك ، ونفوذه في
عروقك ، وامتلاءك به إيقاناً وإحاطة ، واهتدائك به إيماناً وبصيرة ؟ أم هل
تجد الرعب يأخذ منك مأخذاً من وجه ، والهزة تعمل في جوانبك (٥) من لون ،
والأريحية تستولى عليك من باب ؟

وهل تجد الطرب يستفزك للطيف ما فطنت له ، والسرور يحركك من
عجيب ما وقفت عليه ، وتجد في نفسك من المعرفة التي حدثت لك - عيزة ، وفي
أعطافك ارتياحاً وهزة ، وترى لك في الفضل تقدماً وتسريزاً ، وفي اليقين
سبقاً وتحقيقاً ، وترى مطارح الجهال تحت / أقدام الغفلة ، ومهملاتهم

٣٠٩

(٢) سورة : الزمر ٨

(٤) س : « ما وصفناه »

(٦) م : « في جوارحك »

(١) سورة الصافات : ١ - ١٠

(٣) الزيادة من م

(٥) كذا في ا ، م ، وفي س ، ك : « هل ترى »

في ظلال^(١) القِلَّةِ والدَّلَّةِ ، وأقدَّارَهم بالعين التي يجب أن تُلحَظَ بها ،
ومراتبهم بحيث يجب^(٢) أن ترتبها ؟

هذا كُلُّهُ في تأمل الكلام ونظامه ، وعجيب معانيه وأحكامه .

فإن جئت إلى ما انبسط في العالم من بركته وأنواره ، وتمكن في الآفاق من
يمنه وأضوائه ، وثبتت في القلوب من إكباره وإعظامه ، وتقرر في النفوس
من حتم أمره ونهيه ، ومضى في الدماء^(٣) من مفسرٍ وحكمه ، وإلى أنه جعل
عماد^(٤) الصلاة التي هي تلو الإيمان في التأكيد ، وثانية التوحيد في الوجوب .
وفرض^(٥) حفظه ، ووكل الصغار والكبار بتلاوته ، وأمر عند افتتاحه بما أمر به
لتعظيمه ، من قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٦)
لم يؤمر بالتعوذ لافتتاح أمر كما أمر به لافتتاحه ، فهل يدلك هذا على عظيم شأنه ،
وراجع ميزانه ، وعلى مكانه .

وجُمْلَةُ الأمر أن نقد الكلام شديد ، وتمييزه صعب .

ومما كتب إلى الحسن بن عبد الله العسكري : [قال]^(٧) أخبرني / أبو بكر
ابن دريِّد قال : سمعت أبا حاتم يقول : سمعت الأصمعي يقول : فرسان الشعر^(٨)
أقلُّ من فرسان الحرب .

وقال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : العلماء بالشعر أعزُّ من الكبريت
الأحمر .

وإذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس ، يشقُّ تمييزه ، ويصعب نقده ،
ويذهب عن محاسنه الكثير^(٩) ، وينظرون إلى كثير من قبيحه بعين الحسن ، وكثير من
حسنه بعين القبح ، ثم يختلفون في الأحسن منه اختلافاً كثيراً ، وتباين آرائهم في تفضيل
ما يفضل منه — فكيف لا يتحIRON فيما لا يحيط به علمهم ، ولا يتأتى في مقدورهم ،
ولا يمثلُ بخواطيرهم ؟ وقد حَيَّرَ القوم الذين لم يكن أحدٌ أفصحَ منهم .

(٢) م : « بحيث يحق »

(١) كذا في س ، ك ، وفي م : « في أطلال »

(٤) م : « أعاد »

(٣) م : « في الدنيا »

(٦) سورة النحل : ٩٨

(٥) م : « وقروض »

(٧) الزيادة من م

(٩) ك : « يذهب ... الكبير »

(٨) كذا في م ، وفي س ، ك : « الشعراء »

ولا أتمّ بلاغةً ، ولا أحسن براعةً ، حتى دُهِشوا حين ورّد عليهم ، وولّهِتْ عقولُهم ، ولم يكن عندهم فيه جوابٌ غير ضرب الأمثال ، والتّخَرُّصِ ^(١) عليه ، والتّوهّم فيه ، وتقسيمه أقساماً ، وجعله عِصِيَنَ .

وكيف لا يكون أحسن الكلام ، وقد قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ^(٢) .

٣١١

استغنم فهم هذه الآية ، وكفاك ، استفد علم هذه الكلمات ، وقد أغناك ، فليس يُوقَفُ على حسن الكلام بطوله ، ولا تُعرف براعته بكثرة فصوله ، إن القليل يدل على الكثير ، والقريب قد يهتجم بك على البعيد .

ثم إنه سبحانه وتعالى لمّا علم من عظم شأن هذه المعرفة ، وكبر محلها ^(٣) ، وذهابها على أقوام — ذكر في آخر هذه الآية ما ذكر ، وبَيَّنَ ما بَيَّنَ ، فقال : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . فلا تعلم ^(٤) ما وصفنا لك إلا بهداية من العزيز الحميد . وقال : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ ^(٥) .

وقد بسطنا لك القول رجاء إفهامك .

وهذا « المنهاج » الذي رأيته ، إن سلكتَه ، يأخذ بيدك ، ويدلك على رشدك ، ويغنّيك عن ^(٦) ذكر براعة ^(٧) آية لك .

٣١٢

واعلم أنّنا لم نقصد فيما سَطَرْنَاهُ من الآيات ، وسمّيناه من السور / والدلالات ، ذِكْرَ الأحسن ^(٨) والأكشَفِ والأظْهَرِ ؛ لأننا نعتقد في كل سورة ذكرناها أو ^(٩) أضربنا عن ذكرها اعتقاداً واحداً في الدلالة على الإعجاز ، والكفاية في التمتع والبرهان . ولكن لم يكن بُدٌّ من ذكر بعض ، فذكرنا ما تيسر ، وقلنا فيما اتجه

(٢) سورة الزمر : ٢٣

(١) كذا في ك ، وفي م ، س : « والتخرض »

(٤) س ، ك : « فلا يعلم »

(٣) م : « وكبر محلها »

(٦) م : « ويعضك على »

(٥) سورة البقرة : ٢٦

(٨) ا ، م : « ذكر الأعجز »

(٧) س : « براعته »

(٩) س ، ك : « وضرَبنا »

في الحال وخطر ، وإن كنا نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر ، وفي بعضه ^(١) أدق وأعمق . والكلام في هذا الفصل يحىء بعد هذا .
فاحفظ عنا في الجملة ما كررنا ، والسيرُ بعد ذلك في التفصيل إليك ،
وحصل ما أعطيناك من العلامة ، ثم النظر عليك .

* * *

قد اعتمدنا على أن الآيات تنقسم إلى قسمين :
أحدهما : ما يتم بنفسه ، أو بنفسه وفاصلته ، فيُسِيرُ في الكلام إنارة النجم
في الظلام .

والثاني : ما يشتمل على كلمتين أو كلمات ، إذا تأملتها وجدت كل كلمة
منها في نهاية البراعة ، وغاية البلاغة .

وإنما يبين ذلك بأن تتصور هذه الكلمة مُضمَّنةً بين أضغاث كلام
كثير ، أو خطاب طويل ، فتراها ما بينها ^(٢) تدلّ على نفسها . / وتعلو على ما قرين
بها ^(٣) لعلو جنسها ، فإذا ضُمَّتْ إلى أخواتها ، وجاءت في ذواتها ، أرتكَّ
القلائد منظومة ، كما كانت تُريك - عند تأمل الأفراد منها - اليواقيت منشورة ،
والجواهر مبشورة ^(٤) .

ولولا ما أكره من تضمين القرآن في الشعر لأنشدتك ألفاظاً وقعت مُضمَّنةً ،
لتعلم كيف تلوح ^(٥) عليه ، وكيف ترى بهجتها في أثنائه ، وكيف تمتاز منه ، حتى
إنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجني من الكلام الذي تضمنه ، والباب
الذي توسطه . وأنكر مكانه ، واستكبر موضعه .

ثم تناسبها في البلاغة والإبداع ، وتماثلها في السلاسة والإغراب ، ثم انفرادها
بذلك الأسلوب . وتخصصها بذلك الترتيب ، ثم سائر ما قدمنا ذكره ، مما نكره
إعادته .

وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه ، ويختل تصرفه في معانيه ،

(١) س : « وفي بعض » (٢) م : « ما بينهما »

(٣) كذا في ا ، م . وفي س ، ك : « على ما قد قرن منها »

(٤) م : « مبشورة منشورة » (٥) م : « يلوح »

ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه ، ويضيق به النطاق في مذاهبه ، ويرتبك^(١) في أطرافه وجوانبه ، ويُسلمه للتكلف^(٢) الوحش كثرة تصرفه ، ويحيله على التصنع الظاهر موارِدُ تنقله وتخلصه .

٣١٤

/ ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه ، وفي فصله ووصله ، وافتتاحه واختتامه ، وفي كل نهج يسلكه ، وطريق يأخذ فيه ، وباب يتهجم عليه ، ووجه يؤمُّه ، على ما وصفه الله تعالى به — لا يتفاوت ، كما قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٣) . ولا يخرج عن تشابهه وتماثله ، كما قال : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَجٍ ﴾^(٤) . وكما قال : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾^(٥) ولا يخرج عن إبانته ، كما قال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٦) .

وغیره من الكلام كثير اللون ، دائم التغير ، [والتنكر]^(٧) ، يقف بك على بدیع مستحسن ، ويعقبه بقبيح^(٨) مستهجن ، ويطلع عليك بوجه الحسنة ، ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء ، ويأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التي هي كاللآلي الزهر .

وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهيم ، وقد يقع إليك منه الكلام المشبَّع^(٩) ، والنظم المشوش ، والحديث المشوه .

٣١٥

وقد تجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه ، ولا يتألف ولا يتماثل / وقد قيل في وصف ما جرى هذا المجرى :

وشعرٍ كبعير الكباشِ فرَّقَ بينه

لسانُ دعى في القريرِضِ دَخِيلٍ^(١٠)

(١) م : « ويربك »

(٢) م : « ويسلبه التكلف الوحش كثير »

(٣) سورة النساء : ٨٢

(٤) سورة الزمر : ٢٣

(٥) سورة الشعراء : ١٩٥

(٦) سورة الزمر : ٢٣

(٧) س « قبيح »

(٨) الزيادة من م

(٩) في اللسان ٤٣/٣ « الشج : اضطراب الكلام » .

(١٠) في البيان والتبيين ٦٦/١ « قال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي :

وشعر إلخ . . . وأما قوله : " كبعير الكباش " فإنما ذهب إلى أن بعر الكباش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا =

وقال آخر :

وبعض قريض القوم أولاد علة

يكد لسان الناطق المتحفظ^(١)

فإن قال قائل : فقد نجد في آيات [من]^(٢) القرآن ما يكون نظمُه بخلاف ما وصفت : ولا تتميز الكلمات بوجه البراعة . وإنما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة . وحدّ يتجاوز حدّ الألفاظ المستندة ، وإن كان الأكثر على ما وصفته به ؟

٣١٦ قيل له : نحن نعلم أن قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ . إلى آخر الآية — ليس من القبيل الذي يمكن إظهار البراعة فيه ، وإبانة الفصاحة [عليه]^(٣) . وذلك يجري عندنا مسجّري ما يحتاج إلى ذكره من الأسماء والألقاب . فلا يمكن إظهار البلاغة^(٤) فيه . فطلبها في نحو هذا ضرب من الجهالة . بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب . وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى . وذلك حاصل في هذه الآية — إن تأملت .

ألا ترى أنه بدأ بذكر الأم ، لعظم حرمتها . وإدلائها بنفسها . ويمكن بتعريضتها . فهي أصل لكل من يُدعى بنفسه منهن . ولأنه^(٥) ليس في ذوات الأنساب أقرب منها .

ولما جاء إلى ذوات الأسباب . ألحق بها^(٦) حُكْمَ الأم من الرضاع ؛ لأن

= متجاوز . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملاء ، ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكده ، والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة مواتية ، سلسة النظام ، خفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد .

(١) البيت لخلف الأحمر . قال الجاحظ في البيان والتبيين ١/٦٦ « أما قول خلف » وبعض قريض القوم أولاد علة » فإنه يقول : إذا كان الشعر مستكرهاً ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

(٤) م : « البراعة »

(٣) الزيادة من م

(٢) الزيادة من م

(٦) س ، ك : « لها »

(٥) س ، ك : « لأنه »

اللحم ينشره اللبن بما يغذوه ، فيتحصل بذلك أيضاً لها حكم البعوضة ، فنشر (١)
الجُرْمَة بهذا المعنى ، وألحقها بالوالدة .

وذكر الأخوات من الرضاعة ، فنبه بها على كل من يُدلى بغيرها ، وجعلها
تلو الأم من الرضاع .

٣١٧

/ والكلام في إظهار حكم هذه الآية وفوائدها يطول ، ولم نضع كتابنا لهذا ،
وسبيل هذا أن نذكره في كتاب « معاني القرآن » إن سهل الله لنا إملأه وجمعه .

فلم تنفك هذه الآية من الحكم التي تسخلف حكمة الإعجاز في النظم
والتأليف ، والفائدة التي تنوب مناب العدول عن البراعة في وجه الترشيف .

فقد علم السائل أنه لم يأت بشيء ، ولم يهتد للأغراض (٢) في دلالات الكلام ،
وفوائده ومتصرفاته ، وفنونه ومتوجهاته .

وقد يتفق في الشعر ذكر الأسماء فيحسن موقعه ، كقول أبي ذؤاب الأسدي (٣) :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ

بُعْتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ (٤)

بَأَشَدَّهُمْ كَلْباً عَلَى أَعْدَائِهِ

وَأَعَزَّهُمْ فَقَدْ عَلَى الْأَصْحَابِ (٥)

وقد يتفق ذكر الأسماء ؛ فيفسد النظم ، ويقبح الوزن .

٣١٨

/ والآيات الأحكاميات التي لا بد فيها من أمر (٦) البلاغة ، يُعتبر فيها من

الألفاظ (٧) ما يعتبر في غيرها ، وقد يمكن فيها ، وكل موضع أمكن ذلك فقد
وُجد في القرآن في باب ما ليس عليه مزيد في البلاغة وعجيب النظم . ثم في جملة

الآيات ما إن لم تراع البديع البليغ في الكلمات الأفراد والألفاظ الآحاد ، فقد
تجد ذلك مع تركب الكلمتين والثلاث ، ويطرد ذلك في الابتداء ، والخروج ،

والفواصل ، وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الوساطة ، أو باجتماع ذلك أو في

(١) م : « فتنشر » (٢) م : « للاعراض » ، ك : « للأغراض »

(٣) في العقد الفريد ٣٤٩/٥ الشعر لربيعة الأشتر ، والد ذؤاب بن ربيعة ، قاتل عتيبة بن

الحارث بن شهاب (٤) في العقد : « فقد هتكت بيوتهم »

(٥) في العقد : « بأحبهم فقد إلى أعدائه » وأشدهم فقداً

(٦) م : « من ذكر » (٧) م : « من اللفظ »

بعض ذلك - ما يخلف الإبداع في أفراد الكلمات ، وإن كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه .

وإذا عرف ما يجرى إليه الكلام ، وينهى إليه الخطاب ، ويقف عليه الأسلوب ، ويختص به القبيل - بآن عند أهل الصنعة تميزُ بابيه ، وانفرادُ سبيله ، ولم يتشكَّ البليغُ في انتمائه إلى الجهة التي ينتمى إليها . ولم يرتب الأديبُ البارِع في انتسابه إلى ما عرّف من نهجه .

وهذا كما يعرف طريقة مترسّل في رسالته ، فهو لا يخفى عليه بناءُ قاعدته وأساسه ، فكأنه يرى ^(١) أنه يعد عليه مجارى حركاته وأنفاسه .

/ وكذلك في الشعر ^(٢) واختلاف ضروبه ، يعرف المتحقق به طبع كل أحد ، ٣١٩ وسبيل كل شاعر .

وفي « نظم القرآن » أبواب كثيرة لم نستوفِها ، وتقصّيتها يطول ، وعجايبها لا تنقضى ؛ فنحن الكلام [المغلق] ^(٣) والإشارات .

وإذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغاً ربما زاد الإفهام به على الإيضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح ، مع استيفائه شروطه - كان النهاية في في معناه .

وذلك كقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٤) . فصول هذه الآية وكلماتها على ما شرحنا من قبل ^(٥) البلاغة واللفظ في التقدم ، وفي تضمن هذا الأمر العظيم ، والمقام الكريم .

ويتلو هذه قوله : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(٦)

هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصوّر في / صورة المنقطع ، وقد تمثل ٣٢٠ في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول ^(٧) .

(٢) م : « في الشعر مع اختلاف »

(٤) سورة الإسراء : ١

(٦) سورة الإسراء : ٢

(١) م : « يراه »

(٣) الزيادة من م ومكانها بياض في ك

(٥) م : « من قبيل »

(٧) م : « وموقع لا ينفك » .

وقد يتبرأ الكلام المتصلُ بعضه من بعض ، ويظهر عليه التَّشْبِيحُ^(١) والتَّبَايُنُ ، للخلل الواقع في النظم .

وقد تصوّر هذا الفصلُ للطفه وصلّا ، ولم يبنْ عليه تميزُ الخروج .

ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب إلى ذكر نوح ، وكيف أثنى عليه ؟ وكيف تليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها ، مع خروجها مخرج البروز من الكلام الأول ، إلى ذكره ، وإجرائه إلى مدحه بشكره ، وكونهم من ذريته يُوجبُ عليهم أن يسيروا بسيرته ، وأن يستنوا بسنته ، في أن يشكروا كشكره ، ولا يتخذوا من دون الله وكيلًا ، وأن يعتقدوا تعظيمَ تخليصه إياهم من الطوفان ، لَمَّا^(٢) حملهم عليه ونجّاهم فيه ، حين أهلك مَنْ عَدَاهُمْ به ، وقد عرفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم ، فيما سَلَطَ عليهم مَنْ قبلهم وعاقبهم ، ثم عاد عليهم بالإفضال والإحسان ، حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولدهم وهم من ذريته ، فلما عادوا إلى جهالتهم ، وتمردوا في طغيانهم ، عاد عليهم بالتعذيب .

٣٢١ / ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم ، بكلمات قليلة في العدد ، كثيرة الفوائد ، لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير ، والكلام الطويل .

ثم لم يخل تضاعيف الكلام مما ترى من الموعظة ، على أعجب تدريج ، وأبدع تأريخ^(٣) ، بقوله : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾^(٤) . ولم ينقطع بذلك [نظام]^(٥) الكلام ، وأنت ترى الكلام يتبدّد مع اتصاله ، وينتشر مع انتظامه ، فكيف باللقاء ما ليس منه في أثنائه ، وطرح ما يعدّوه^(٦) في أدراجِه ؟

إلى أن خرج إلى قوله : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدتُمْ عُدنَا ﴾^(٧) . يعني : إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو .

(١) م : « عليه القبح » . (٢) م : « بما » ، ا : « وما »

(٣) كذا في م ، ك ، وف س : « تاريخ » . والتأريخ : التَّهْيِيجُ ، كما في اللسان ٢٩/٣

(٤) سورة الإسراء : ٧ (٥) الزيادة من م . ومكانها بياض في ك .

(٦) كذا في م . وف س ، ك : « ما بعده » (٧) سورة الإسراء : ٨ .

ثم خرج خروجاً آخر إلى ذكر القرآن .

وعلى هذا فقيسٌ بخصك عن^(١) شرف الكلام ، وما لهُ من علو الشان ،
لا يطلب مطلباً إلا انفتح ، ولا يسلك قلباً إلا انشرح ، ولا / يذهب مذهباً إلا
استنار وأضاء ، ولا يضرب مضرباً إلا بلغ فيه السواء ، لا تقعُ منه على فائدة
فقدّرت أنها أقصى فوائدها - إلا قصّرت ، ولا تظفر بحكمة فظننت أنها زُبْدَةٌ
حكمها - إلا وقد أخلت .

* * *

إنّ الذى عارض القرآن بشعر امرئ القيس لأضلُّ من حمارٍ بآهله^(٢) ،
وأحمقُ من هبنقة^(٣) .

لو كان شعره كله كالآبيات المختارة التى قدّمناها ، لأوجب البراءة منه^(٤)
قولُه :

وَمِنْ كُسْنَيْقٍ سِنَاءٌ وَسُنْمًا ذَعَرْتُ بِمِدْلَاجِ الْهَجِيزِ نَهْوَصٍ^(٥)
قال الأصمعى : لا أدري ما السنُّ ، ولا السنينقُ ، ولا السنم ؟ ! وقال
بعضهم : السنيق : أكمة .

(١) م : « على »

(٢) كذا فى م . وفى س ، ك : « من حمار أهله » . وكذلك ورد فى الحيوان ٢/٢٥٧ ولست أعرف وجه الصواب فيهما

(٣) هو ذو الودعات : يزيد بن ثروان ، أحد بنى قيس بن ثعلبة . راجع مجمع الأمثال ١/٢٢٧

(٤) كذا فى م ، ك ، ولكنها غيرت فى س إلى « من قوله » !

(٥) ديوانه ص ٨٢ وفى اللسان ٣١/١٢ « لم يفسر أبو عمرو قول امرئ القيس . . . ويروى :
سناما وسنما . وفسره غيره فقال هو : جبل . التهذيب : وسنيق : اسم أكمة معروفة وأورد بيت امرئ القيس .
شمر : سنيق : جمع سنيقات وسنانيق ، وهى الآكام . وقال ابن الأعرابي : لا أدري ما سنيق » .
وقال ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٧٧٣ « لم يعرفه الأصمعى . وقال غيره : سن : ثور ، وسنيق جبل .
سناء : ارتفاعاً . رسم : بقرة ، مدلاج : من دلج ، إذا مشى ، وليس هو من ادلج ولا ادلج ، وكيف
يدلج فى الهجير أو يدلج ؟ » . وفى م : « بمدلاج الهدير » . والعر : الحمار الوحشى .

/ وقال فيها :

٣٢٣

له قُصْرِيَا عَيْرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ

كَفَحَلِ الْهَجَانِ الْقَيْسَرِيَّ الْعُصُوضِ^(١)

وقوله :

عَصَافِيرُ وَذَبَّانُ وَدُودُ وَأَجْرُ مِنْ مُجْلَحَةِ الذَّابِ^(٢)

وزاد في تقبيح ذلك وقوعه في أبيات فيها :

فقد طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وَكُلُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ صَارَتْ إِلَيْهِ هِمَّتِي وَبِهَا اكْتِسَابِي^(٣)

وكقوله في قصيدة قالها في نهاية السقوط :

أَزْمَانَ فُوَهَا كُلَّمَا نَبَّهْتُهَا كَالْمَسْكَ فَاحَ وَظَلَّ فِي الْفَدَامِ^(٤)أَفَلَا تَرَى أَطْعَانَهُنَّ بَوَاكِراً كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِرَامِ^(٥)/ وَكَأَنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ مُومٌ يُخَالِطُ جِسْمَهُ بِسِقَامِ^(٦) ٣٢٤

وكقوله :

لَمْ يَفْعَلُوا فِعْلَ آلِ حَنْظَلَةَ إِنَّهُمْ جَيْرٌ بِشَمَا انْتَمَرُوا^(٧)

(١) قبل هذا البيت في الديوان :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليبدين قبيض

والقصرى ، والقصيرى : الضلع التى تل الشاكلة بين الجنب والبطن . وفى س ، ك : « الهجان

القصيرى »

(٢) كذا في م والديوان ص ٢٨ ، وفى ك : « من مجلبة الذباب » ولكن الكلمة الأخيرة غيرت في

س إلى « الذباب » ! ! وفى اللسان ٢٤٩/٣ « وذئب مجلح : جرى والأنثى بهاء ، قال امرؤ القيس ... »

(٣) س ، ك : « سارت إليه همى ونما اكتسابى » . وفى الديوان « وبه اكتسابى »

(٤) فى الديوان ص ١٣٦ « وظل فيه الفدام »

(٥) فى الديوان « أو ما ترى » ، وفى م ، ا « أطعانهن بعائل » . والصرام : « قطع الثمرة واجتناؤها

من النخلة » كما فى اللسان ٢٢٨/١٥ .

(٦) الموم : المرض . وفى م « يخالط خبله » وهى رواية أخرى . وبين هذا البيت وسابقه هنا ثلاثة

أبيات فى الديوان .

(٧) بنو حنظلة ، هم الذين غدلوا شرحبيل عم امرئ القيس . وجير معناها : حقاً كما فى اللسان

٢٢٨/٥ وفى م « إنهم خير »

لا حَمِيرِي فِي وَلَا عُدُسٌ وَلَا أَمْسَتْ غَيْرَ يَحْكُمُهَا الثَّنْفَرُ^(١)
 إِنْ بَنَى عَوْفٌ ابْتَنَوْا حَسَبًا ضَيْعُهُ الدُّخْلُونَ إِذْ غَدَرُوا^(٢)
 / وكقوله :

أَبْلَغُ شَهَابًا [بَل] وَأَبْلَغُ عَاصِمًا [وَمَالِكَا] هَلْ أَتَاكَ الْخُبْرُ مَالٍ^(٣)
 أَنَا تَرَكْنَا مِنْكُمْ قَتْلَى بِخَوْ عَى وَسُيَّيَا كَالسَّعَالِي^(٤)
 يَمْشِينَ بَيْنَ رِحَالِنَا مُعًا تَرَفَاتٍ بِجُوعٍ وَهَزَالٍ

* * *

ولم يقع مثل ذلك له وحده ؛ فقد قال الأعشى :

فَادْخَلَكَ اللَّهُ بَرْدَ الْجَنَّا نِ جَذْلَانَ فِي مَدْخَلٍ طَيِّبٍ^(٥)
 وقال أيضًا :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَاتِيهِ فَأَصَبْتُ حَيَّةً قَلْبَهَا وَطَحَالَهَا^(٦)
 وقال في فرسه :

وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِقَتِّ وَتَغْلِيْقٍ فَقَدْ كَادَ يَسْتَنُقُّ^(٧)

- (١) حميرى وعدس : رجلان من بنى حنظلة تولوا الغدر بعمه شرحبيل . والثنفر : السير الذى فى مؤخر السرج و يجعل تحت ذنب الدابة ، كما فى اللسان ١٧٣/٥
 (٢) هذا البيت الذى أخره المؤلف عن موضعه ، وهو أول الأبيات التى مدح بها الشاعر عوير بن شجعة العوفى ، وبعده فى الديوان ص ٦٤ :

أدوا إلى جارهم خفارته ولم يضع بالمغيب إذ نصروا
 وبنو عوف : هم قبيلة عوير ، الذى أجار هند بنت حجر ، أخت امرئ القيس ، ثم ردها سالمة مع ما أودعه من مال . وفى م ، س « ضيعه الداخلون » والداخلون هنا : الخاصة ، وهذه الكلمة من الأضداد ، قال أبو عبيدة : يقال للصديق والخليل دخل ، ويقال للحشو ومن يدخل نفسه فى قوم ليس منهم : دخل قال امرؤ القيس يقال : فلان دخل فلان : أى من خاصته ، ويقال : بينهم دخل ودخل ، أى إغواء ومودة ، وهو مأخوذ فى هذا المعنى من الدخيل والمداخل « راجع الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٠٤ » .
 (٣) الزيادة من ديوانه المخطوط ، رواية الطوسى . والخبر : العلم ، ومال : مرخم مالك .

(٤) خوعى : اسم موضع . وسبى : جمع سبى . والسعالى : الغيلان ومعنى معرفات : مصططرات ، والمعارف : الصابر (٥) ديوانه ص ٢٨ (٦) ديوانه ص ٢٩ والموشح ص ٥٣

(٧) اليعحوم : الفرس ، وفى اللسان ٣١/١٢ « السنق : البشم سنق الحمار وكل دابة سنقاً : إذا أكل من الرطب حتى أصابه كالبشم » والفصيل إذا أكثر من اللبن يكاد يمرض ؛ قال الأعشى

شَاوٍ مِثْلُ شُلُولٍ شُلْشُلٍ شَوْلٌ^(١)

وهذه الألفاظ في معنى واحد .

وقد وقع لزهير نحوه كقوله :

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مِثْنَى وَمَا سُجِّفَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(٢)

كيف يقول^(٣) هذا في قصيدة يقول فيها :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرُسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٤)

/ وكقول الطرمح :

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسٍ سَبَنْتَا ةً أَمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكِرَاضِ^(٥)

السَّبَنْتَاةُ : الناقة الصلبة . والكِرَاضُ : ماء الفحل ، أسالت ماء الفحل

مع البول ، فلم تعقد عليه ، ولم تحمل ، فتضعف والمائر : السائل .

* * *

(١) الجمهرة ١/١٥٣ وفي اللسان ١٣/٣٨٥ « ورجل مثل وشلول ، وشلش وشول : خفيف سريع

قال الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مثل شلول شلش شول

وقال أبو بكر في بيت الأعشى : الشاوى : الذى شوى ، والشلول : الخفيف ، والمثل : المطرد ،

والشلش : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة «

وانظر المعاني الكبير لابن قتيبة ١/٣٧٩

(٢) كذا في ديوانه ص ٩٩ . وفي م ، ك ، س : « وما سفعت » . س ، ك : « المقادير » .

وقال ثعلب في شرحه : « سحفت : حلفت . والمنازل : حيث ينزل الناس من مئى . والمقادير : مقادير

الرموس ، والقمل : يريد الشعر الذى فيه القمل .

(٣) س ، ك : « يقال » .

(٤) ديوانه ص ١١٥ وقال ثعلب في شرحه : « الخطى : الرماح ، نسبها إلى الخط ، وهى جزيرة

ترسى إليها سفن الرماح . يقول : لا تنبت القناة إلا القناة . والشيج : القنا ، واحدها وشيجة ، والشوج :

دخول الشيء . بعضه في بعض . يعنى أنهم كرام ولا يولد الكرام إلا في موضع كريم » .

(٥) في اللسان ٩/٩٣ « قال ابن برى : الكراض في شعر الطرمح : ماء الفحل ، فيكون على هذا

القول من باب إضافة الشيء إلى نفسه . . . وصف هذه الناقة بالقوة ، لأنها إذا لم تحمل كان أقوى لها . . .

وقال ابن الأعرابي : الكراض : ماء الفحل في رحم الناقة . وقال الجوهري : الكراض ماء الفحل تلفظه الناقة

من رحمها بعد ما قبلته ، وقد كرمت الناقة إذا لفظته « وانظر هناك تفصيل الخلاف في ذلك بن العلماء .

والكامل للمبرد ١/٩٧ .

فإن قال قائل : أجدك تحاملت على امرئ القيس ، ورأيت أن شعره يتفاوت بين اللين والشراسة ، وبين اللطف والشراسة ، وبين التوحش والاستئناس ، والتفاوت والتباعد ، ورأيت الكلام الأعدل أفضل ، والنظام المستوثق^(١) أكمل ، وأنت تجد البُحْثُرِيَّ يسبق^(٢) في هذا الميدان ، ويفوت الغاية في هذا الشأن ، وأنت ترى^(٣) الكتاب يُفَضَّلون كلامه على كل كلام ، ويقدمون رأيه في البلاغة على كل رأى ، وكذلك تجد^(٤) لأبي نُوَّاس من بهجة اللفظ ، ودقيق المعنى / ما يتحير فيه أهل الفضل^(٥) ، ويقدمه الشُّطَّار والظُّرَّافُ ٣٢٨ على كل شاعر ، ويرون لنظمه روعة لا يرون لنظم غيره ، وزبِرجًا لا يتَّفِقُ لسواه ؛ فكيف يعرف فضل ما سواه عليه ؟

فالجواب : أن الكلام في أن الشعر لا يجوز أن^(٦) يوازن به القرآن قد تقدم .

وإذ كنا قد بينا أن شعر امرئ القيس - وهو كبيرهم الذي يُقَرَّنُ بتقدمه ، وشيخهم الذي يعترفون بفضله ، وقائدهم الذي يأتمون به^(٧) ، وإمامهم الذي يرجعون إليه - كيف سبياه ، وكيف^(٨) طريق [سقوط]^(٩) منزلته عن منزلة نظم القرآن ، وأنه لا يلحظ^(١٠) شعره غُبارَ ذلك ، وهو إذا لَحِظَ ذلك كان كما قال^(١١) .

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْسَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ
مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْجَازِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ^(١٢)

/ وكما قال أيضاً :

رَاحَتْ مَشْرِقَةً وَرُحْتُ مُغْرَبًا فَمَتَى التَّقَاءُ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبٍ

(١) ك : « المستوثق »

(٢) م : « سبق في هذا الميدان بموب »

(٣) م : « سترى »

(٤) سقطت من م

(٥) كذا في ا ، م . وفي س ، ك : « أهل اللفظ »

(٦) م : « الشعر لا يوازن به »

(٧) م : « يعترفون بفضله ، وإمامهم »

(٨) م : « طريقة »

(٩) الزيادة من م

(١٠) كذا في ا ، م . وفي س ، ك : « لا يخلط شعره »

(١١) نسبه في اللسان ١٢٩/٢ لقيس بن الملوح ، ثم قال : وقد نسب المبرد هذا البيت إلى

« أبي حية النميري » لكنه في الكامل ١٧٢/١ لقيس

(١٢) في اللسان « في أعقاب نجم » . والمغرب : الذي يأخذ في ناحية المغرب

وإذا كنا قد أبنّا في القاعدة ما علمت ، وفصلنا لك في شعره ما عرفت — لم نحتاج إلى أن نتكلم على شعر [كل] ^(١) شاعر ، وكلام بليغ ، والقليل يدل على الكثير .

وقد بينّا — في الجملة — مُباينةَ أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب ، ومزيتة عليها في النظم والترتيب ، وتقديره عليها في ^(٢) كل حكمة وبراعة ، ثم تكلمنا على التفصيل — على ما شاهدت ^(٣) — فلا يبقى علينا بعد ذلك سؤال .

ثم نقول : أنت تعلم أن من يقول بتقديم البُحْتَرَى في الصنعة ، به من الشغل في تفضيله على ابن الرومي أو تسوية ما بينهما ما لا يطمع معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقته .

كذلك أبو نُوَّاس ، إنما يُعَدِّلُ شعره بشعر أشكاله ، ويقابلُ كلامه بكلام أضرابه من أهل عصره .، وإنما يقع بينهم التباين اليسير ، والتفاوت القليل .

٣٣٠ فأما أن يَظُنَّ ظَانٌّ ، أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر مُعارضٌ / لنظم ^(٤) القرآن

فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ ^(٥) .

وإنما هي خواطر يُغَيِّرُ بعضها على بعض ، ويقشدي فيها بعضٌ ببعض ، والغرض الذي يرى إليه ، ويصح ^(٦) التَّوَّافِي عليه ، في الجملة ، فهو قبيل متداول ، وجنس مُتنازع ، وشريعة مَوْرُودَةٌ ، وطريقة مسلوكة .

ألا ترى إلى ما روى عن الحسين بن الضحَّاك ، قال : أنشدت أبا نُوَّاس قصيدتي التي فيها :

وَسَاطِرِي اللِّسَانِ مُخْتَلِقُ التَّكْرِ رِيهِ شَابَ الْمُجُونُ بِالنَّسْكِ ^(٧)

(١) الزيادة من م (٢) م : « ومزيتة عليها في كل حكمة »

(٣) كذا في م ، ك ، وفي س : « التفصيل على ما شهدت ولا »

(٤) م : « يعارض بنظم » (٥) سورة الحج : ٢١

(٦) م : « ترى إليه يصح »

(٧) كذا في أ ، م والأغاني ١٧٥/٦ . وفي س ، ك : « زان المجون »

كَأَنَّهُ - نَصَبَ كَأْسِهِ - قَمَرٌ يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجُمِ الْفَلَكَ^(١)
قال : فأنشدني أبو نُوَاس بعد أيام قصيدته التي يقول فيها :

٣٣١

/ أَعَاذَلْ أَعْتَبْتُ الْإِمَامَ وَأَعْتَبَا
وَأَعْرَبْتُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَأَعْرَبَا^(٢)

وَقُلْتُ لِسَاقِيهَا : أَجْزَاهَا فَلَمْ أَكُنْ
لِيَابِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا^(٣)

فَجَوَّزَهَا عَنِّي عُقَّارًا تَرَى لَهَا
إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاءً مُطَنَّبَا

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلَتَهُ
يُقْبِلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكَبَا
قال : فقلت له : يَا أَبَا عَلِي ، هَذِهِ مُصَالَتَةٌ^(٤) . فقال : أَتَظُنُّ أَنَّهُ يُرَوِّى^(٥)
لَكَ مَعْنَى وَأَنَا حَتَّى ؟

فتأمل هذا الأخذ ، وهذا الوضع ، وهذا الاتباع^(٦) .
أما الخلدِيعُ فقد رأى الإبداعَ في المعنى ، فأما العبارات فإنها ليست على
ما ظنَّه ؛ لأن قوله : « يَكْرَعُ » ليس بصحيح ، وفيه ثقل بين / وتفاوت ، وفيه ٣٣٢
إحالة ؛ لأن القمر لا يصح تصوُّراً^(٧) أن يكرع في نجم .

(١) م : « كأنما » وقد ورد هذا البيت في الأغاني بروايتين : الأولى :
وتخالها نصب كأسه قمرًا يكرع في بعض أنجم الفلك
والثانية :

كأنما نصب كأسه قمر حاسده بعض أنجم الفلك
وفي العمدة بعد ذلك : « ففتر ففرة منكرة ، فقلت : مالك فقد أفرغتني ؟ فقال : هذا معنى مليح ،
وأنا أحق به ، وسترى لمن يروى . . . » إلخ

(٢) ديوانه ص ٢٤٤ والإمام : يقصد به الأمين
(٣) ك : « لساقينا »
(٤) كذا في م ، ك وفي الأغاني « مصالبه »
(٥) س : « يرى »
(٦) في الأغاني عن ابن مَهْرُوبِ « قال : لما أنشدت إبراهيم بن المدبر قول حسين بن الضحاك . . .
قال لي : إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى ، فإن كان سرقه منه فهو أحق به ،
لأنه قد برز عليه ، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصر عنه »
(٧) م : « يصح أن يتصور » . س « لا يصح تصور »

وأما قول أبي نواس : « إذا عبَّ فيها » ، فكلمة قد قصد فيها المتانة ، وكان سبيله أن يختار سواها من ألفاظ الشرب^(١) ، ولو فعل ذلك كان أملح .
وقوله : « شاربُ القوم » ، فيه ضرب من التكلف الذى لا بد له منه أو من مثله ، لإقامة الوزن .

ثم قوله : « خِلْتَهُ يُقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوُكْبَا » ، تشبيه بحالة واحدة من أحواله ، وهى أن يشرب حيث لا ضوء هناك ، وإنما يتناوله ليلاً ، فليس بتشبيه مستوفى ، على ما فيه من الوقوع والملاحاة [والصنعة]^(٢) .
وقد قال ابن الرومى ما هو أوقع منه وأملح وأبدع :

وَمُهَفِّهَفٍ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ حَتَّى تَجَاوَزَ مُنِيَّةَ النَّفْسِ^(٣)
تَصْبُو الْكُشُوفُ إِلَى مَرَاشِفِهِ وَتَحْنُ فِي يَدِهِ إِلَى الْحَبْسِ
أَبْصَرْتُهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْامِلِ خَمْسِ
وَكَاثِنَهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يَقْبَلُ غَارِضَ الشَّمْسِ^(٤)

٣٣٣ / ولا شك فى أن تشبيه ابن الرومى أحسن وأعجب^(٥) ، إلا أنه [لم] يتمكن من إيراد [إلا] فى^(٦) بيتين ، وهما - مع سبقهما إلى المعنى - أتتيا به فى بيت واحد .

وإنما أردت بهذا أن أعرفك أن هذه أمور متقاربة^(٧) ، يقع فيها التنافس والتعارض ، والأطماع تتعلق^(٨) بها ، والهمم تسمو إليها ، وهى إلف طباعينا ، وطوع مداركنا ، ومحاسن^(٩) لكلامنا .
وإعجاب قَوْمٍ بنحو هذا وما يجرى مجراه ، وإيثار أقوام لشعر البحرى

(١) س « الشراب » (٢) الزيادة من م

(٣) ديوانه ص ٢٤٤ والعمدة ١٧٣/٢ (٤) م : « فكأنها »

(٥) وفى العمدة ١٧٣/٢ : « وقد أربى ابن الرومى عليهما جميعاً بقوله : أبصرته ... »

وكأنها ... ولكن بيت أبي نواس أملاً للفم والسمع ، وأعظم هبة فى النفس والصدر ، ولذلك كان أسير »

(٦) س ، ك : « إلا أنه تمكن من إيراد فى بيتين »

(٧) م : « هذه الأمور المتقاربة » (٨) س : « معلقة »

(٩) م : « وهى إلف طباعها ، وطوع مداركها ، ومحاسن لكلامنا »

على أبي تَمَام ، وَعَبْد الصَّمَد ، وابن الرومي ، وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه وذهاب قوم عن المعرفة — ليس بأمر يضر بنا ولا سبب^(١) يعترض على أفهامنا .

* * *

ونحن نعتمد إلى بعض قصائد «البُحْتَرِي» فتكلم عليها^(٢) ، كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس ، ليزداد الناظر في كتابنا بَصِيرَةً ، ويستخلص / من سر المعرفة ٣٣٤ سريرة^(٣) ، ويعلم كيف تكون الموازنة ، وكيف تقع المشابهة والمقاربة . ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره .

سمعت الصَّاحِب إِسْمَاعِيل بن عَبَّاد يقول : سمعت أبا الفضل بن العميد يقول : سمعت أبا مسلم الرُّسْتَمِي يقول : سمعت البَحْتَرِي يذكر^(٤) أن أجود شعر قاله :

* أَهْلًا بِذَلِكُمُ الْخِيَالِ الْمُقْبِلِ *

قال : وسمعت أبا الفضل بن العميد يقول : أجود شعره هو قوله :

* فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ^(٥) *

قال : وسئلتُ عن ذلك ؟ فقلت : البَحْتَرِي أعرف شعر نفسه من غيره .

فنحن الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثل هذا :
/ قوله^(٥) :

٣٣٥

أَهْلًا بِذَلِكُمُ الْخِيَالِ الْمُقْبِلِ
فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَمْعَلِ

(١) م : « يضرنا ، ولا بسبب » (٢) م : « عليه »

(٣) م : « يقول إن »

(٤) في س وضع قوله : « زجر له لو كان ينزجر » في سطر وحده ، على أنه شطر بيت ! وقد جاء في ديوانه ٦٧٣/٢ وقال يمدح على بن مر الأرمي :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا أنه حجر
وهي قصيدة جيدة ؛ عدد أبياتها ٤١ بيتاً . ومنها البيتان المشهوران :

إذا محاسن الالئ أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتر

على نحت القوافي من مقاطعها وما على لم أن تفهم البقر

(٥) ملاح البَحْتَرِي بهذه القصيدة محمد بن علي بن عيسى القمي ، الكاتب ، وهي في ديوانه

٧٣٠/٢ - ٧٣٤ (طبع بيروت سنة ١٩١١ م) .

بَرَقَ سَرَى فِي بَطْنٍ وَجَرَّةً فَاهْتَدَتْ

بِسَنَاهُ أَغْنَأُ الرِّكَابِ الضَّلَلِ^(١)

البيت الأول ، في قوله : « ذلكم الخيال » ، ثقل روح ، وتطويل وحشو ، وغيره أصلح له^(٢) . وأخف منه قول الصنوبري :

أَهْلًا بِذَلِكَ الزَّوْرِ مِنْ زَوْرِ شَمْسٍ بَدَتْ فِي فَلَكِ الدَّوْرِ
وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف ، فيصير إلى الكثرآزة ، وتعود ملاحظته بذلك ملوحة ، وفصاحته عيباً ، وبراعته تكلفاً ، وسلاسته تعسفاً ، وملاسته تلويحاً وتعقداً . فهذا فصل .

وفيه شيء آخر ، وهو : أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهما خوطب به الخيال حال إقباله ، فأما أن يحكى الحال التي كانت وسلفت على هذه العيادة ٣٣٦ ففيه عهدة^(٣) ، وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عهدة^(٣) ، وهو / — لبراعته وحذقه في هذه الصنعة — يعلّق^(٤) نحو هذا الكلام ، ولا ينظر في عواقبه ؛ لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه نحو هذه الأمور .
ثم قوله : « فَعَلَّ الذي نَهَوَاهُ أو لم يفعل » ليست بكلمة رشيقة ، ولا لفظة ظريفة ، وإن كانت كسائر الكلام .

فأما بيته الثاني ، فهو عظيم الموقع في البهجة ، وبديع المأخذ^(٥) ، حسن الرواء أنيق المنظر والمسمع ، يملأ القلب والفهم ، ويفرح الحاطر ، وتسرى^(٦) بشاشته في العروق .

وكان البَحْثُ بِرِيَّ يسمى نحو هذه الأبيات : « عُرُوقَ الذهب » وفي نحوه ما يدل على براعته في الصناعة ، وحذقه^(٧) في البلاغة .

ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل ، مع الديباجة الحسنة ، والرونق المليح .

(١) م : « فاهتدت براه » (٢) م ، ا : « أملح له »

(٣) كذا في ك . وفي م : « على هذه العبارة ففيه عهدة ، ومن ركب الكلام غير هذا المعنى عقده »

(٤) ك : « تعلق » . م « يعلم بنحو » (٥) م ، ا : « وبديع الماء »

(٦) كذا في ك ، م ، ا . وفي س : « وتري »

(٧) م : « وفي نحوه ما يدل على البراعة في الصناعة ، وحقق » . ك : « وفي نحوه من الخلل مع

وذلك : أنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مَسْرَاه، كما يقال : إنه يسرى^(١) كنسيم الصَّبَا ، فيطيب ما مرَّ به ، كذلك يضيء ما مرَّ حوله ، وينور ما مرَّ به . وهذا غلو في الصنعة ، إلا أن ذكره « بطن / وجرة » حشو ، وفي ذكره خلل ؛ لأن ٣٣٧ النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمأن منها ، بخلاف ما يؤثر في غيرها ، فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة .

وتحديدُه المكان — على الحشو — أحمدُ من تحديد امرئ القيس من ذكر « سقط اللوى بين الدخول فحومل ، فتوضح فالمقراة » لم يقنع بذكر حدّ ، حتى حدّه بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل فيخشى — إن أخلَّ بحدّ — أن يكون بيعه فاسداً أو شرطه باطلاً !! فهذا باب .

ثم إنما يُذكر^(٢) الخيال بخفاء الأثر ، ودقة المطلب ، ولطف المسلك ، وهذا الذي ذكر يضادُّ هذا الوجه ، ويخالف ما وضع^(٣) عليه أصل الباب .

ولا يجوز أن يقدرَّ مقدّرٌ أن البحرى قطع الكلام الأوّل ، وابتدأ بذكر برق لسمّع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة ؛ لأن هذا القطع إن كان فعلمه كان خارجاً به عن النظم المحمود ، ولم يكن مبدعاً ، ثم كان^(٤) لا تكون فيه فائدة ؛ لأن كل برق شعل^(٥) وتكرر^(٦) وقع الاهتداء به في الظلام ، وكان^(٧) لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدماً . / وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ محمود ، ٣٣٨ ومعنى مُسْتَجَانِب^(٨) غير مقصود ، ويعلم بمثله أنه طلب العبارات ، وتعليق القول بالإشارات .

وهذا من الشعر الحسن^(٩) ، الذي يحلو لفظه ، وتقل فوائده ، كقول القائل^(١٠) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِئَى كُلِّ حَاجَةٍ
وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا مَسَّحُ

(١) م : « يقال سرى كنسيم » (٢) م : « ثم إنا نذكر »

(٣) س ، ك : « ما يوضع » (٤) أ : « ثم كان لا يكون بما نظمه مفيداً . . . »

(٥) م : « سمل » (٦) ب : « وتكرى » . (٧) م : « فكان »

(٨) كذا في م ، أ . وفي س : « مستحب » . ك : « مستجلب »

(٩) كذا في م ، أ وفي س ، ك : « من الشعر الحسن الذي »

(١٠) هو كثير كما في ديوانه ص ٧٩ وزهر الآداب ٢/٦٦ وقد ورد في أمالي الشريف المرتضى =

وَسَدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا
وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الذِي هُوَ رَائِحٌ^(١)

٣٣٩ / أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ^(٢)
هذه ألفاظ بديعة^(٣) المطالع والمقاطع ، حلوة المسجاني^(٤) والمواقع ، قليلة
المعاني والفوائد^(٥).

* * *

فأما قول البحري بعد ذلك :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْدُلْ
كَالْبَدْرِ غَيْرَ مُخَيَّلٍ ، وَالْغُصْنِ غَيْرَ مُمَيَّلٍ ، وَالِدُّعْصِ غَيْرَ مُهَيَّلٍ^(٦)
فالبيت الأول - على ما تكلف فيه من المطابقة ، وتَجَسَّهَمِ الصَّنْعَةَ -
٣٤٠ أَلْفَاضُهُ أَوْفَرُ مِنْ مَعَانِيهِ ، وَكَلِمَاتُهُ أَكْثَرُ مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ / وَضْعُ الْعِبَارَاتِ

= ١١٠/٢ « أخبرنا أبو عبيد الله : محمد بن عمران المرزباني قال : أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال :
أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب ، عن ابن الأعرابي للمضرب ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمة : ...
فلما قضينا من منى ... » وانظر معاهد التنقيص ١٣٤/٢

وقد ورد هذا الشعر غير منسوب في نقد الشعر ص ١٠ والخصائص ص ٢٦ ، ٢٢٥ ونوادر القالي
ص ١٦٦ والصناعتين ص ٤٢ ومصارع العشاق ص ٣٦٩ وأسرار البلاغة ص ١٦ - ١٨ والشعر والشعراء
١١/١ ومعجم البلدان ١٥٩/٨ ونظام الغريب ص ١٣٦

(١) في م : « فلا ينظر » . وفي نقد الشعر وأسرار البلاغة « على دهم المهاري ... ولم ينظر »
وفي اللسان ٩٩/٥ « فرس أدم : أسود ، والعرب تقول : ملوك الخيل دهمها »

(٢) قال القالي في النوادر ص ١٦٦ : « أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر »

(٣) س ، ك : « بعيدة » (٤) م : « المجاري »

(٥) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ١١ « وضرب منه حسن لفظه وحلا ؛ فإذا أنت فتشته لم
تجد هناك فائدة في المعنى ، كقول القائل : ولما قضينا إلخ ... هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء أخرج
ومطالع ومقاطع ، وإن نظرت إلى ما تحته من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان ، وعالينا
إبلنا الأنصاء ؛ ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ، ابتدأنا في الحديث ، وسارت المطى في الأبطح » .

(٦) غير مخيل : غير محبوب بغير . وفي س ، ك : « غير مخيل » والتصحيح من الديوان .
والدعص : الكتيب من الرمل .

في مثله ! ولو قال : هي ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله ، وتكثيره الكلام وتهويله . ثم هو معنى متداول مكرّر على كل لسان .

وأما البيت الثاني ، فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدّعص ، أمر منقول متداول^(١) ، ولا فضيلة في التشبيه بنحو^(٢) ذلك .

ولأنما يبقى تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في البيت ، وهذا أيضاً قريب ؛ لأن المعنى مكرر .

ويبقى له بعد ذلك شيء آخر ، وهو تعمُّله للتَّرصيع في البيت كله ، إلا أن هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كاف ، فإذا زاد فقال : كالغصن غير مُعَوَّج ، كان ذلك من باب التكلف خللاً ، وكان ذلك زيادةً يُستغنى عنها .

وكذلك قوله : « كالدّعص غير مُهَيَّل » ؛ لأنه إذا انهال خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى .

وأما قوله :

ما الحُسْنُ عندك يا سَعَادُ بِمُحْسِنٍ فيما أَتَاهُ ولا الجَمَالُ بِمُجْمِلٍ^(٣)
عُذِلَ المَشُوقُ وَإِنْ مِنْ سِيبَا الهَوَى في حيث يَجْهَلُهُ لَجَاجُ العُذْلِ^(٤) ٣٤١
قوله في البيت الأول : « عندك » ، حشو ، وليس بواقع ولا بديع ، وفيه كلُفَّة .

والمعنى الذي قصده ، أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء .

وفيه شيء آخر ؛ لأنه يذكر أن حسنهما لم يُحْسِنِ في تهيج وجده وتَهْنِيمِ قلبه ، وضد هذا المعنى هو الذي يميل إليه أهل الهوى والحب .

(١) في م : « متداول بين ضعفاء الشعراء »

(٢) م : « بمثل »

(٣) في ديوانه « عندك يا إمام بمحسن »

(٤) في ديوانه « وإن من سيبا الهوى » ، م ، ل « تجهله »

وبيتُ كشاجم ^(١) أسلمُ من هذا ، وأبعد من الخلل ، وهو قوله :
بحياة حُسْنِكِ أَحْسَنِ ، وبحقِّ مَنْ

جَعَلَ الجمالَ عليكِ وَقَفًا أَجْمَلِي ^(٢) .

وأما البيت الثاني فإنَّ قوله : « في حيث » ، حشا بقوله في كلامه ، ووقع ذلك مستنكرًا وحشيًا ، نافرًا عن طبعه ، جافيًا في وضعه ، فهو كرقعة من جلد في ديباج حسن ! فهو يمحو حسنه ، ويأتى على جماله .

ثم في المعنى شيء ، لأنَّ لَجَاجَ العُدَّال لا يدل على هوى مجهول ، ولو كان مجهولًا لم يهتدوا للعدل عليه . فعلم أن المقصد استجلابُ العبارات دون المعاني .

٣٤٢ / ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ، ولا شيء يفوت قول الشعراء في العُدَّال ؛ فإنَّ ذلك جَمَعَهُمُ الذَّلُول ، وقولهم المَكْرَر [المَقُول] ^(٣)

* * *

وأما قوله :

ماذا عليكِ مِنْ انتظارٍ مُتَّيِّمٍ
بَلْ مَا يَضُرُّكَ وَقَفَةٌ فِي مَنْزِلٍ

إِنْ سَبِيلَ عَمَى عَنْ الْجَوَابِ فَلَمْ يُطِيقْ

رَجْعًا ، فكيف يكون إن لم يُسأل !؟

لست أنكر حسين البيتين وظرفهما ، ورشاقتهما ولطفهما ، وماءهما وبهجتهما ، إلا أنَّ البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدم ضربًا من الانقطاع ؛ لأنَّه لم يجر لمشافهة العاذل ذِكْرٌ ، وإنما جرى ذكر العُدَّال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائمه ^(٤) .

ثم الذى ذَكَرَهُ مِنْ الانتظار — وإن كان مليحًا في اللفظ — فهو في

(١) لقب الشاعر محمود بن الحسين بن السندی بن شاهك ، طباح سيف الدولة . وهو الذى لقب نفسه بهذا اللقب ، فمثل عن ذلك فقال : الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ،

(٢) في ديوانه ١٤٣ « حَسَنُكَ أَقْصَرَى »

(٣) س : « ولا يلازم »

(٤) الزيادة من ا ، ب ، م

المعنى متكلف ؛ لأن الواقف في الدار لا ينظر أمراً ، وإنما يقف تحسراً وتلكد دأ^(١) وتحيراً .

/ والشطر الأخير من البيت واقع ، والأول مستجلب ؛ وفيه تعليق على أمر لم ٣٤٣
يسجّر له ذكر ؛ لأن وضع البيت يقتضي تقدّم عدل على الوقوف ، ولم يحصل
ذلك مذكوراً في شعره من قبل .

وأما البيت الثاني ، فإنه معلق بالأول ، لا يستقل إلا به ؛ وهم يعيرون وقوف
البيت على غيره ، ويرون أن البيت التام هو الحمود ، والمصراع التام بنفسه — بحيث
لا يقف على المصراع الآخر — أفضل وأتم وأحسن .

وقوله : « فكيف يكون إن لم يسأل » ، مليح جداً ، ولا تستمر^(٢) ملاحظة
ما قبله عليه ، ولا يطرد فيه الماء اطراده فيه .
وفيه شيء آخر ؛ لأنه لا يصح^(٣) أن يكون السؤال سبباً لأن يعنياً عن
الجواب ، وظاهر القول يقتضيه .

فأما قوله :

لا تكلفن لي الدموع فإن لي
دمعاً ينم عليه إن لم يفضل^(٤)
ولقد سكنت إلى الصدود من النوى
والشرى أرى عند أكل الحنظل^(٥)
/ وكذاك طرفة حين أوجس ضربة
في الرأس هان عليه فصد الأكمل^(٦)

٣٤٤

(١) س : « وتلكد » . وفي اللسان ٣٩٥/٤ « وتلد : تلفت يميناً وشمالاً وتحير متبداً »

(٢) م : « ولا تستمر » .

(٣) كذا في ا ، م وفي ب ، ك ، س : « لا يصلح »

(٤) كذا في س ، ك . وفي الديوان : « يتم عليه » . وفي م : « يعم عليه »

(٥) في اللسان ١٥٩/١٩ « والشرى بالتسكين الحنظل » . وفي ٢٩/١٨

« والأرى : العسل » . وفي س ، ك « عند طعم » . وفي ا . « عند أكل » و م « عند أهل » .

(٦) يشير إلى قصة مقتل طرفة بن العبد ، وهم يذكرون أن الربيع بن حوثة سقاه الخمر حتى أتمله ، =

إعجاز القرآن

فالبیت الأول مخالف لما عليه مذهبهم ، في طلب الإسعاد^(١) بالدموع ، والإسعاف بالبكاء ، ومُخَالَفٌ لأَوَّلِ كلامه ؛ لأنَّه يفيد مخاطبة العُدَلِ ، وهذا يفيد مخاطبة الرفيق .

وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الألفاظ وتصنيعها ، دون ضبط المعاني وترتيبها ؛ ولذلك^(٢) قال الله عز وجل : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ / وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾^(٣) ٣٤٥ فأخبر سبحانه أنهم يتَّبِعُونَ القولَ حيث توجهَ بهم ، واللفظَ كيف أطاعهم ، والمعاني كيف تتبع ألفاظهم . وذلك خلاف ما وُضع عليه الإبانةُ عن المقاصد بالخطاب ، ولذلك كان طلب الفصاحة فيه أسهل وأمكن ، فصار بهذا أبلغ خطابهم . ثم لو أن هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا ، لم يكن في ذلك شيء يفوت شعر شاعر ، أو كلام متكلم .

وأما قوله : « والشَّرُّى أَرَى » ، فإنه وإن كان قد تصنع له من جهة الطباق ، ومن جهة التجنيس المقارب ، فهي كلمة ثقيلة على اللسان ، وهم يذمُّون نحو هذا ، كما عابوا على أبي تمام قوله :

كريمٌ متى أمدَّحه أمدَّحه والورَى معى ، ومتى ما لُمَّته لُمَّته وحَدَى^(٤)
ذكر لى صاحب [إسماعيل]^(٥) بن عباد : أنه جارى أبا الفضل بن العَمِيد في محاسن [هذه]^(٥) القصيدة ، حتى انتهى إلى هذا البيت ، فذكر له في أن قوله : « أمدَّحه أمدَّحه » معيب ، لثقله من جهة تدارك حروف الحلق .

ثم فصد أكله . والأكل - كما في اللسان ١٤/١٠٥ « عرق في اليد يفصد ، وفصده : شقه وقطعه » . وفي م ، أ « قطع الأكل » . وقال أبو العلاء الممرى في عبث الوليد ص ١٨٥ « سكن راه طرفة متبعا لأبي تمام في قوله : والأعشين وطرفة وليدا . وذلك ليس يحسن . . . وتغيير الاسم بالتصغير أحسن من هذا التسكين . وبعض الناس ينشد : « وكذا عبيد حين أوجس ضربة » وبعضهم يقول « وكذا طريفة » ولم يضعه البحرى إلا على أن طرفة الذى قد خاف القتل فاختار قطع الأكل . ومن رواه « وكذا عبيد » حملة على أنه عبيد بن الأبرص ، قتله بعض ملوك الحيرة ، قيل ، عمرو بن هند ، وقيل : النعمان في يوم بؤساء ، فكانه لما أشرف على القتل هان عليه ما لاقى طرفة ، أى ذلك يسير عند ما فعل به »

(٢) م : « وكذلك »

(١) : « الإسعاف »

(٣) سورة الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٦

(٤) ديوانه ص ١٢٩ من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الراقى

(وه) الزيادة من أ ، م

ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكتة ، فعلمت أن ذلك شيء عند أهل الصنعة معروف .

/ ثم إن قوله : « عند أكل الحنظل » ، ليس بحسن ولا واقع . ٣٤٦

وأما البيت الثالث ، فهو أجنبى من كلامه ، غريب فى طباعه ، نافر من جملة شعره ، وفيه كنايةٌ وفجاجةٌ ، وإن كان المعنى صالحاً .

فأما قوله :

وَأَغَرَّ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغَرِّ مُحَجَّلٍ^(١)
كَالْهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلٍ
فالبيت الأول لم يتفق له فيه خروجٌ حسن ، بل هو مقطوع عما سلف من الكلام .

وعامةُ خروجه نحو هذا ، وهو غير بارع فى هذا الباب ، وهذا مذموم معيب منه ؛ لأن^(٢) من كان صناعته الشعر ، وهو يأكل به ، وتغافل عما يدفع^(٣) إليه فى كل قصيدة ، واستهان بإحكامه وتجويده ، مع تتبعه لأن^(٤) يكون عامة ما به يُصَدَّرُ أشعاره من النسيب عشرة أبيات ، وتنبه للصنعة الكثيرة ، وتركيب العبارات ، وتنقيح الألفاظ وتزويرها — كان ذلك أدخل فى عيبه ، وأدل على تقصيره أو قصوره ، وإنما^(٥) يقع له الخروج [الحسن فى مواضع يسيرة / . وأبو تمام ٣٤٧ أشدَّ تَتَبُّعاً لتحسين الخروج] ^(٦) منه .

وأما قوله : « وأغر فى الزمن البهيم محجل » ، فإن ذكر التَّحْجِيلِ فى الممدوح قريب ، وليس بالجيد ، وقد يمكن أن يقال : إنه إذا قُرِنَ بِالْأَغَرِّ حَسُنَ ، وَجَرَى مجراه ، وانخرط فى سلكه ، وأهْوَى إِلَى مِضْمَارِهِ ، وَلَمْ يُنْكَرْ لمكانه من جوارِهِ . فهذا عذر ، والعدول عنه أحسن .

(٢) م : « لأن كل من »

(٤) م : « بأن »

(٦) الزيادة من ا ، ب ، م

(١) ابن أبى الحديد : ٢ - ٢٤٤

(٣) كذا فى م ، ا ، و فى س ، ك : « يدفع »

(٥) س : « وأنه لا يقع »

وإنما أراد أن يَرُدَّ العَجْزَ عَلَى الصَّدْر ، ويأتى بوجه [فى] ^(١) التجنيس .
وفيه شيء ؛ لأن ظاهر كلامه يومهم أنه قد صار ممتطياً ^(٢) الأغر الأول
ورائحاً عليه .

ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء ، وأقاويل الناس .
فأما ذكر الهيكل فى البيت الثانى ، وردّه عجز البيت عليه ، وظنه أنه قد
ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئاً ، حتى كررها ، فهى كلمة فيها ثقل ، ونحن نجدهم
إذا أرادوا أن يصفوا بنحو ^(٣) هذا قالوا : « ما هو إلا صورة » ، و « ما هو إلا
نفس » ، و « ما هو إلا دُمُية » ، و « ما هو إلا ظبية » ، ونحو ذلك من
الكلمات الخفيفة على القلب واللسان .

٣٤٨ / وقد استدرك ^(٤) هو أيضاً على نفسه ، فذكر أنه كصورة فى هيكل ، ولو اقتصر
على ذكر الصورة وحذف الهيكل ، كان أولى وأجمل .
ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين ، لمرّاعهم بها ،
وأفرعهم بذكرها ! وذلك من كلامهم ، وشبيه بصناعتهم ^(٥) .

• • •

وأما قوله :

وَإِى الضُّلُوعِ يَشْدُ عَقْدَ حَزَامِهِ يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمِّ مُخْوَلِ
أَخْوَالُهُ لِلرُّسْتَمِينَ بِفَارِسِ وَجُدُّهُ لِلتَّبَعِينَ بِمَوْكَلِ
نُبُلُ الْمَحْزَمِ مِمَّا يمدح به الخيل ، فهو لم يأت فيه ببدیع .

وقوله : « يشد عقد حزامه » ، داخل فى التكلف والتعسف ، لا يقبل من
مثله وإن قبلناه من غيره ، لأنه يتبع الألفاظ وينقدّها نقداً شديداً ، فهلا
قال : « يشد ^(٦) حزامه » ، أو يأتى بحشو آخر سوى العقد ؟ فقد عقد هذا البيت
بذكر العقد .

ثم قوله : « يوم اللقاء » ، حشو آخر لا يحتاج إليه .

(٢) س ، ك : « ممتطى »

(٤) م : « استدركه أيضاً »

(٦) م : « شد »

(١) الزيادة من م ، ك ، ا

(٣) كذا فى ا ، م ، ك وفى س : « يصنموا نحو »

(٥) م : « بفظاعتهم »

وأما البيت الثاني فعنائه أصلح من ألفاظه ؛ لأنها غير مجانسة لطباعه ، وفيها غلظ ونفار .

* * *

/ وأما قوله :

يَهْوَى كَمَا تَهْوَى الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ
صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الْأَجْدَلِ^(١)
مُتَوَجِّسٌ بِرِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا
تُرْيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ^(٢)
مَا إِنْ يَعَافُ قَذَى ، وَلَوْ أوردته
يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ^(٣)

البيت الأول صالح ، وقد قاله الناس ولم يسبق إليه ، ولم يقل ما لم يقولوه ، بل هو منقول . وفي سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بأبدعها ، وقد يقولون : « يفوت الطَّرف » ، و « يسبق الريح » ، و « يجارى الوهم » و « يكد^(٤) النظر » ولو لأن الإتيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب ، لنقلت^(٥) لك جملة مما ذهبوا إليه في هذا المعنى . فتتبع تعلم أنه لم يأت فيها بما ٣٥٠ يسجل^٦ عن الوصف ، أو يفوت منتهى الحد .

على أن الهويّ يذكر عند الانقضااض خاصة ، وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة ، إلا أن يشبه حده^(٦) في العدو بحالة انقضااض البازي والعقّاب ، وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها .

وأما البيت الثاني ، ففقوله : إن الأذنين كأنهما من ورق موصل ، وإنما أراد

(١) كذا في الديوان وم ، ا . وفي س ، ك ، ب « وينقض انقضااض الأجل »

(٢) في اللسان ١٤٠/٨ « والتوجس : التسمع إلى الصوت الخفى » بريقتين : أى بأذنين

(٣) في ابن أبي الحديد ٢/٢٤٤ « ألا تراه كيف استطرد بذكر حمدويه الأحول الكاتب ، وكأنه لم يقصد ذلك ولا أراد ، وإنما جرته القافية ، ثم ترك ذكره وعاد إلى وصف الفرس ، ولو أقسم إنسان أنه ما بنى القصيدة منذ افتتاحها إلا على ذكره ، ولذلك أتى بها على روى اللام - لكان صادقاً »

(٤) س ، ك : « ويكر » (٥) م : « نقلت »

(٦) م : « حدته »

بذلك حِدَّتَهُمَا ، وسرعة حركتهما ، وإحساسهما بالصوت ، كما يحس الورق بِحَقِيفِ الرِّيحِ . وظاهر التشبيه غير واقع ، وإذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسناً ، ولكن لا يدل عليه اللفظ ، وإنما يجري مجرى الْمُضْمَنِّ .

وليس هذا البيت برائق اللفظ ، ولا مشاكل فيه لطبعه ، غير ^(١) قوله : « مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ » ، فإن هذا القدر هو حسن ^(٢) .

وأما البيت الثالث ، فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد ^(٣) ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره ، وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى .

٣٥١ / والذي وقع للبحر في هذا البيت عندي ^(٤) ليس بجيد في لفظ ولا معنى ، وهو بيت وَحِشٌ جَدًّا ، قد صار قَدَّيْ في عين هذه القصيدة ، بل وَخَزًّا فيها وَوَبَالًا عليها ، قد كدَّرَ صفاءها ، وأذهب بهاءها وماءها ، وطَمَسَ بِظُلْمَتِهِ سناءها .

وما وجه مدح الفرس بأنه لا يعاف قَدَّيْ من المياه إذا وَرَدَها ؟ ! كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار في قوله :

* وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ ^(٥) *

وإذا كان لهذا الباب مجانباً ، وعن هذا السَّمَتِ بعيداً ، فهلاً وصفها بغزة الشرب ؟ كما وصفها المتنبي في قوله :

وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ

فلو كان قَرْنُ الشمسِ ماءً لَأُورِدَا ^(٦)

وهلاً ^(٧) سلك فيه مسلك القائل :

وإني للماء الذي شابههُ القَدَى إذا كَثُرَتْ وُرَادُهُ لَعِيُوفُ ؟ ^(٨)

(٢) م : « الحسن »

(٤) سقطت هذه الكلمة من م

(١) م : « ثم قوله »

(٣) راجع ص ١٢٩

(٥) صدره : « فتي لا يبيت على دمنة »

(٦) ديوانه ١٨٧/١ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة

(٧) م : « وهذا »

(٨) غير منسوب في زهر الآداب ١٩٤/٢ وفيه : « للماء المخالط للقنَى »

ثم قوله : « ولو أوردته يوماً » ، حشو بارد !!

ثم قوله : « حَمْدَ وَيَه الْأَحْوَل » ، وحش جدياً ، فما أَمَقَّتْ هذا / البيت ٣٥٢ وأبغضه ، وما أثقله وأسخفه ! وإنما غَطَّى على عينه عيبه ، وزَيَّن له إيرادَه طمعه في الاستطراد^(١) ، وهلاً طمع فيه على وجه لا يَغْض من بهجة كلامه ، ولا معنى^(٢) ألفاظه ؟ ! فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذر .

فأما قوله :

ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرَّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبِلِ
تَتَوَهَّمُ الْجَوَزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ وَالْبَذَرُ فَوْقَ جَبِينِهِ الْمُتَهَلِّلِ
فالبيت الأول وحشُ الابتداء ، منقطع عما سبق من الكلام . وقد ذكرنا أنه لا يهتدى لوصل الكلام ، ونظام بعضه إلى بعضه ، وإنما يتصنع لغير هذا الوجه .

وكان يحتاج أن يقول : ذنب كالرداء ، فقد حذف^(٣) [و] الوصل غير متسق ولا مليح ، وكان من سيئه أن لا يخفى عليه ، ولا يذهب عن مثله .

ثم قوله : « كما سُحِبَ الرَّدَاء » ، قبيح في تحقيق التشبيه ، وليس بواقع ولا مستقيم في العبارة ، إلا على إضمار أنه ذنب يسحبه كما يُسْحَبُ الرَّدَاءُ !

/ وقوله : « يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ » ، ليس بحسن ولا صادق . والمحمود ما ذكره ٣٥٣ امرؤ القيس ، وهو قوله :

* فُوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ^(٤) *

وأما قوله : « تتوهم الجوزاء في أَرْسَاغِهِ » ، فهو تشبيه مليح ، ولكنه لم يَسْتَقِمْ إليه ، ولا انفرد به .

(٢) م : « ولا يعنى »

() انظر معجم الأدباء ٢٥٠/٩

(٣) س ، ك : « حذف الوصل »

(٤) في المعاني الكبير لابن قتيبة ١٤٩/١ :

بضاف فوق الأرض ليس بأعزل

ضليح إذا استدبرته سد فرجه

ضاف : سابع . سد فرجه : أى فرج ما بين فخذه ، يريد كثرة الذنب . والعزل : أن يعزل ذنبه في أحد الجانبين ، وذلك عادة لا خلقة »

ولو نسختُ لك ما قاله الشعراء في تشبيه الغرّة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الأمور ، وتشبيه الحجلول – لتعجبت من بدائع قد وقعوا عليها ، وأمور مليحة قد ذهبوا إليها ، وليس ذلك موضع كلامنا ، فلتتبع ذلك في أشعارهم ؛ تعلم ما وصفتُ لك .

واعلم أننا تركنا بقية كلامه في وصف الفرس ؛ لأنه ذكر عشرين بيتاً في ذلك . والذي ذكرناه في هذا المعنى يدل على ما بعده ، ولا يعدو ^(١) ما تركناه أن يكون [حسناً مقولاً ، وبديعاً منقولاً ؛ أو يكون] ^(٢) متوسطاً إلى حد لا يفوت طريقة الشعراء .

٣٥٤ / ولو تتبعنا أقاويل الشعراء في وصف الخيل ، علمت أنه وإن جمع فأوعى ، وحشّر فنادى ، ففهم من سبقه في ميدانه ، ومنهم من ساواه في شأوه ، ومنهم من دانه فالقيل واحد ، والنسيج متشاكل . ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من أشعارهم في ذلك ، لتقف على ما قلت . فتجاوزنا إلى الكلام على ما قاله في المدح في هذه القصيدة .

قال :

لمحمد بن علي الشرف الذي لا يلحظ الجوراء إلا من عل
وسحابة لولا تتابع مزننها فينا لراح المزن غير مبخل ^(٣)
والجود يعذله عليه حاتم سرفاً ولا جود لمن لم يعذل
البيت الأول منقطع عما قبله ، على ما وصفنا به شعره : من قطعه ^(٤)

(١) ك : « ولا بعده ما تركناه » (٢) الزيادة من م

(٣) كذا في الأصول ، وفي ديوانه ، « وسحابة لولا . . . غير منخل » وفي عبث الوليد ص ١٨٨ « وسحابة » قال المعري : « الرواية غير ، بالراء ، وهو المعنى المتعارف الذي يتردد في الشعر ، أي أنه جاد جوداً غزيراً بخل معه الغنام ، إذا كان قد يمسك في بعض الأعوام ، وطالما هلك السائمة والأنيس لفقد المطر . وهذا الممدوح ليس كذلك ؛ إذ كان يجود في كل الأوقات والسنين . وإن رويت « عين مبخل » فله معنى يصح على بعد ، وذلك أنه يراد أنه عين المزن بجوده ، فلا نحفل أصاب فينا المطر أم حقب ، فهذا وجه . ويحتمل أنه لما جاد فأحسبنا بالنائل كرهنا أن يبخل الغنام ؛ إذ كان نسبة جوده في بعض الأحيان ، فكأنه شفع إلينا في ترك تبخيله » . ومعنى حقب – بكسر ففتح – : احتبس . وأحسبنا : أي أعطانا حتى قلنا له : حسبنا

(٤) م : « في قطعه »

/ المعاني ، وفصله بينها ، وقلة تأتية لتجويد الخروج والوصل ، وذلك ^(١) نقصان ٣٥٥
في الصناعة ، وتخلّف في البراعة ، وهذا إذا وقع في مواضع قليلة عُذِرَ فيها ، وأمّا
إذا كان بناءُ الغالب من كلامه على هذا ، فلا عُذْرَ له .

وأما المعنى الذى ذكره ، فليس بشيء مما سبق إليه ، وهو شيء مشترك فيه ،
وقد قالوا في نحوه : إن مجده سماءُ السماء ، وقالوا في نحوه الكثير الذى يصعب
نقل جميعه ، وكما قال المُستَنبِى :

وَعَزَمَهُ بَعَثَهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ

من تحتها بمكانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلٍ ^(٢)

وحدثني إسماعيل بن عباد : أنه رأى ^(٣) أبا الفضل بن العَمِيد قام لرجل ،
ثم قال لمن حضره : أتدري من هذا ؟ هذا ^(٤) الذى قال في أبيه البحرى :
* محمد بن علي الشرف الذى ^(٥) .

فذلك يدل على استعظامه للميت ^(٦) ، بما مدح به من البيت .

/ والبيت الثانى فى تشبيه جوده بالسحاب قريب ، وهو حديث مكرر ، ليس ٣٥٦
ينفك مديح شاعر منه ، وكان من سبيله أن يبدع فيه زيادة إبداع ، كما قد يقع لهم
لهم فى نحو هذا ، ولكنه لم يتصنع له ، وأرسله لإرسالاً .

وقد وقع فى المصراع الثانى ضربٌ من الخلل ، وذلك : أن المزن إنما يُسَخَّلُ
إذا منع نيله ، وذلك ^(٧) موجود فى كل نيل ممنوح ، وكلاهما محمود مع الإسعاف ،
فإن أسعف أحدهما ومنع الآخر لم يمكن التشبيه ، وإن كان إنما شبه غالب [حال] ^(٨)
أحدهما بالآخر ، وذكر قصور أحدهما عن صاحبه ، حتى إنه قد يبخل فى وقت

(١) س ، ك : « ذلك »

(٢) فى ديوانه ٣٨/٢ من قصيدة مدح بها سيف الدولة . وقبلة :

مثل الأمير بنى أمراً فقربه طول الرياح وأيدى الخيل والإبل

يقول : وقربها عليه عزمة حركتها تملو على زحل - الكوكب المعروف - بقدر علو زحل عن

التراب »

(٤) ك : « قال : هذا » س : « هو الذى »

(٣) م : « أنه روى »

(٦) ا ، ك ، م : « للبيت » م : « البيت »

(٥) س : « محمد بن القاسم الشرف » !

(٨) الزيادة من م

(٧) س ، ك : « فذلك »

والآخر لا يبخل بحال - فهذا جيد ، وليس في حمل الألفاظ على الإشارة إلى هذا شيء .

والبيت الثالث ، وإن كان معناه مكرراً ، فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم ، يشبه ألفاظ المبتدئين .
وأما قوله :

فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ الْمَدَى بَعْدَ الْمَدَى كَالْفَاضِلِ الْمُتَفَضِّلِ
سَارٍ إِذَا ادْلَجَ الْعُقَاةُ إِلَى النَّدَى لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعْجَلٍ
فالبيت الأول منقطع عما قبله ، وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس
بيديع ، لتكرره على كل لسان .

٣٥٧ / وقوله : « مَا أَخَذَ الْمَدَى [بعد المدى] »^(١) ، فإنه لفظ مليح ، وهو كقول
القائل :

* قَدْ أَرْكَبُ الْآلَةَ بَعْدَ الْآلَةِ ^(٢) *

وروى ^(٣) : « الحالة بعد الحالة » . وكقول امرئ القيس :

* سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ ^(٤) *

ولكنها طريقة مذللة ، فهو فيها تابع .

وأما البيت الثاني فقريب في اللفظ والمعنى .

وقوله : « لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ » ليس بلفظ محمود .

وأما قوله :

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْحُسُودِ كَأَنَّمَا جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ النُّجُومِ بِأَخْبُلٍ ^(٥)
أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ

(١) الزيادة من ا ، ب ، م .

(٢) في اللسان ٤١/١٣ « والآلة : الحالة ، والجمع الآل ، يقال : هو بآلة سوء ، قال الراجز :

قد أركب الآلة بعد الآله واترك العاجز بالجداله

(٣) م : « وأروى »

(٤) صدره كما في ديوانه ص ١٠٨ • سموت إليها بعد ما نام أهلها •

(٥) في الديوان : « نظر الميون »

فالبیت الأول منكر جداً في جر النجوم بالأرسان^(١) [من]^(٢)/ موضعه إلى ٣٥٨
العلو ! والتكلف فيه واقع .

والبيت الثاني أجنبي عنه ، بعيد منه ، وافتتاحه ردىء . وما وجه الاستفهام
والتقرير والاستبانة والتوقيف ؟

والبيتان أجنبيان من كلامه ، غريبان في قصيدته .

ولم يقع له في المدح في هذه القصيدة شيء جيد .

ألا ترى أنه قال بعد ذلك .

نفسى فداؤك يا محمد من فتى يوفى على ظلم الخطوب فتنجلى^(٣)
إننى أريد أبا سعيد ، والعدى بينى وبين سحابه المتهلل
كان هذا ليس^(٤) من طبعه ولا من سبكه .
وقوله :

مُضِرُّ الجزيرة كلها وربيعه الـ خَابُورِ تُوَعِدُنِي وَأَزْدُ المَوْصِلِ
قد جُدَّتْ بِالطَّرْفِ الجَوَادِ فَتَنَّبِهْ لِأَخِيكَ مِنْ أَدَدِ أَبِيكَ بِمُنْصُلِ
البيت الأول حسن المعنى ، وإن كانت ألفاظه بذكر الأماكن لا يتأق في
التحسين .

وهذا المعنى قد يمكن إيراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه ،
كقوله :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ رَأَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا^(٥) ٣٥٩
والبيت الثاني قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلطف^(٦) ، وهو
قيح اللفظ ، حيث يقول فيه : « فَتَنَّنَهْ لِأَخِيكَ مِنْ أَدَدِ أَبِيكَ » ، ومن أخذه
بهذا التعرض^(٧) لهذا السجع ، وذكر هذا النسب ، حتى أفسد به شعره !

(١) م : « بالانسان » (٢) الزيادة من م ، ك . (٣) قبله في الديوان :

ضيف لهم يقرى الضيوف ونازل متكفل فيهم ببر النزل

(٤) م : « كان هذا شيء ليس »

(٥) البيت لجرير ، يهجو به العباس بن يزيد الكندي ، كما في معجم الشعراء ص ٢٦٤

(٦) م : « تلطف » (٧) م : « ومن أخذه بالتعرض »

وأما قوله بعد ذلك في وصف السيف ، يقول :

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَالُهَا عَفْوًا وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ الْمُقْفَلَ
بِإِبَانَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلٍ ^(١)
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تَمُضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطْلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ ^(٢)
ليس لفظ البيت الأول بمضاهٍ لديباجة شعره ، ولا له بهجة نظمه ؛ لظهور
أثر التكلف عليه ، وتبين ثقل فيه .

وأما « الْقَضَاءُ الْمُقْفَلُ » وفتح ، فكلام غير محمود ولا مرضى ! واستعارة
لؤلؤ يستعرها كان ^(٣) أولى به ! وهلاَّ عيبَ عليه كما عيب على أبي تمام
قوله :

٣٦٠ / فَضَرَبْتُ الشَّتَاءَ فِي أَخْضَدَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا ^(٤)
وقالوا : يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخذه ! وقد اتبعه البُحْتَرِيُّ
في استعارة الأخْدَع ، وَلَوْعًا باتباعه ، فقال في الفتح بن خاقان :

وَإِنِّي وَإِنْ أَبْلَغْتَنِي شَرَفَ الْعَلَا
وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْذَعِي ^(٥)

إنَّ شيطانه حيث زَيْنَ له هذه الكلمة ، [و] تابعه حين حسن عنده ^(٦)
هذه اللفظة — لحيثُ مَارِدٌ ، وَرَدِيٌّ مُعَانِدٌ ، أَرَادَ أَنْ يُطْلِقَ أَعِينَةَ الذَّمِّ
فيه ، وَيُسَرِّحَ جِيوشَ الْعَتَبِ إِلَيْهِ ! ولم يقنع بِقِفْلِ الْقَضَاءِ ؛ حتى جعل
لِلْحَتْفِ ظُلْمَةً تُجَلِّى بالسيف ، وجعل السيف هادياً في النفس المَسْجُوهِلِ
الذي لا يهتدى إليه ! وليس في هذا مع تحسين ^(٧) اللفظ وتنميقه شيء ؛ لأنَّ

(١) في الديوان : « إبانة في كل » (٢) س : « يمضه »

(٣) س ، ك : « كانت »

(٤) ديوانه ص ٢٧ وفيه « غادرته قودا » ، والقود والعود : الجمل . والأخدعان : عرقان في جازي

المنق ، كما في اللسان ٤١٩/٩

(٥) كذا في الديوان ، وفي ك ، س ، م « وإني وقد بلغتني الشرف العلا »

(٦) من قوله : « إن شيطانه » إلى هنا — سقط من م . والزيادة من أ ، ك .

(٧) م : « تحيس »

السلاح وإن كان معيًّا ، فإنه يهتدى إلى النفس .

وكان يجب أن يبدع في هذا إبداع المُتَسَبِّى في قوله :

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونٌ وَقَدْ طُبِعَتْ سِيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ^(١)

وَقَدْ صُغِتَ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنْ إِلَّا فِي فَوَادٍ^(٢)

٣٦١

/ فلا هتداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن .

وفي البيت الأول شيء آخر : وذلك أن قوله : « ويفتح في القضاء » ؛

في هذا الموضع حشو ردىء ، يلحق بصاحبه اللكنة ، وَيُلْزِمُهُ الْهَجْنَةُ .

وأما البيت الثالث ، فإنه أصلح^(٣) هذه الأبيات ، وإن كان ذكر الفارس

حشواً ، وتكلفاً ولغواً ؛ لأنَّ هذا لا يتغير بالفارس والراجل . على أنه ليس

فيه بديع .

وأما قوله :

يَغْشَى الْوَعَى وَالتُّرُسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ

مِنْ حَدِّهِ وَالْدَّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلٍ^(٤)

مُضْغٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى ، فإذا مَضَى

لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلْ

مُتَوَقِّدٌ يَبْرَى بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ

مَا أَذْرَكَتْ ، وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدْبُلٍ^(٥)

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه ، وهى طريقته/ التى ٣٦٢

يَجْتَنِيهَا^(٦) ، وذلك من السَّبْكِ الْكِتَابِيِّ وَالْكَلَامِ الْمَعْتَدِلِ ، إلا أنه لم يبدع

فيهما^(٧) بشىء ، وقد زيد عليه فيهما .

(١) ديوانه ٢٢٨/١ من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى

(٢) س : « فى الفؤاد » (٣) م : « فإنه أملح »

(٤) فى الديوان : « فالترس »

(٥) فى الديوان : « متألق يفرى » . ويذبل : اسم جبل فى بلاد نجد

(٦) كذا فى ١ ، ب . وفى س ، ك : « طريقه الذى يجتنىها » . وفى م « طريقته التى لم يبدع فيها

(٧) س : « فيها . . . فيها »

بشىء .»

ومن قصد إلى أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف ، فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة ، وأمور مذكورة ، وسبيله أن يُغرب ويُبَدع ، كما أبدع المتنبي في قوله :

سَلَّهُ الرُّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ (١)

هذا في باب صِقَالِهِ وَأَصْوَاتِهِ وَكَثْرَةِ مَائِهِ ، وكفوله :

رِيَّانٌ لَوْ قَدَفَ الَّذِي أَسْقَيْنَتْهُ

لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ (٢)

وقوله : « مُصْنَعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى » - إن تأملته - مقلوب ، كان ينبغي أن يقول : يصنع الردي إلى حكمه ، كما قال الآخر :

* فَالسَّيْفُ بِأَمْرِ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ (٣) *

٣٦٣ / وقوله : « وإذا قضى لم يعدل » ، متكرر على ألسنتهم في الشعر خاصة ، في نفس هذا المعنى .

والبيت الثالث سليم ، وهو كالأولين في خلوه عن البديع .

فأما (٤) قوله :

فَإِذَا أَصَابَ بِكُلِّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ
وَكَاثِمًا سُودُ النِّمَالِ وَحُمْرُهَا دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلٍ
البيت الأول يقصد بمثله صنعة (٥) اللفظ ، وهو في المعنى متفاوت ، لأن

(١) ديوانه ٣٧٤/١ من قصيدة يمدح بها علي بن صالح الروذباري الكاتب

(٢) ديوانه ٢١٥/١ من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد الطائي المنبجي

(٣) ذكر الطبري ٨٦/١٠ في مقتل أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة سنة ١٨٧ أن شاعراً قال :

تلمعظ السيف من شوق إلى أنس فالموت يلحظ والأقدار تنتظر

وأشده أبو تمام في الوحشيات لبعض بني ثعل ص ٣٨ وبعده :

أظله منك حتف قد تجلله حتى يؤامر فيه رأيك القدر

أمضى من السيف إلا عند قدرته وليس للسيف عفو حين يقتدر

والأبيات في عيون الأخبار ١٣٠/١ غير منسوبة ، العقد الفريد ١٨١/٢ لمسلم بن الوليد في

قصة طويلة (٤) م : « وأما »

(٥) كذا في ١ ، ب ، م . وفي س ، ك « يقصه به صنعة »

المضرب قد لا يكون مقتلاً ، وقد يطلق الشعراء ذلك ، ويرون أن هذا أبداع من قول المتنبي ، وأنه بضده ^(١) :

الْقَاتِلِ السِّيفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ
وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ أَجَالٌ ^(٢)

وهذه طريقة لهم يتمدحون بها في قَصْفِ الرمح طَعْنًا ، وقطع السيف ضربًا .

وفي قوله : « وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ » تعسف ؛ لأنه يريد بذلك أنه لا ينكسر ، فالتعبير بما عبّر به عن المعنى الذي ذكرناه يتضمن التكلف وضرباً من المحال ، وليس بالنادر ، والذي عليه الجملة ما حكيناه عن غيره .

ونحوه قال بعض أهل الزمان :

يُقَصِّفُ فِي الْفَارِسِ السَّمْهَرِيَّ وَصَدَرَ الْحُسَامِ فَرِيقًا فَرِيقًا ^(٣)
والبيت الثاني أيضاً هو معنى ^(٤) مكرر على ألسنة الشعراء .

وأما تَصْنِيعُهُ بِسُود ^(٥) النَّمَالِ وَحُمْرُهَا ، فليس بثىء ، ولعله أراد بالحرر الذرّ ، والتفصيل بارد ! والإعرابُ به مُنْكَرٌ ! وهو — كما حُكِيَ عن بعضهم أنه قال — : كان كذا حين كانت الثريا بِحِذَاءِ رَأْسِي عَلَى سَوَاءٍ ، أو منحرفاً قَدَرُ شِبْرٍ ، أو نصف شبر ، أو إصبعًا ، أو ما يقارب ذلك ! فقليل له : هذا من الورع الذي يبغضه الله ، ويمقتته الناس ! !

ورُبَّ زِيَادَةٍ كَانَتْ نَقْصَانًا .

وصفة النمل بالسواد والحمرة في هذا من ذلك الجنس ، وعليه خرج بقية البيت في قوله :

* دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلُ *

وكان يكفي ذكر الأرجل عن ذكر الأيدي .

(١) م : « وإنه لضده »

(٢) كذا في الديوان . وفي م : « ويقتل » . وس ، ك : « يقتل »

(٣) م : « ويقصف »

(٤) م : « هو بيت »

(٥) م : « وأما تصريفه سود »

٣٦٥ / ووصف^(١) الفِرْنَنْد بِمَدْبَ النَّمَلِ شَيْءٌ لَا يَشْدُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ^(٢) ..
وأما قوله :

وَكَاَنَّ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَضَوَى بِهِ الزَّرَّ حَفَنَانِ يَعْصِي بِالسَّمَاءِ الْأَعَزَلَ^(٣)
حَمَلْتُ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَسْلَةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذْبُلِ
البيت الأول منهما فيه ضرب من التكلف ، وهو منقول من أشعارهم وألفاظهم ،
وإنما يقول :

[وترأه في ظلم الوغى فتخاله قمرًا يشدُّ على الرجال بكوكب]^(٤)
فجعل ذلك الكوكب السَّمَاءَ ، واحتاج إلى أن يجعله أعزَلَ ، للقافية !
٣٦٦ ولولم يحتاج إلى ذلك كان خيرًا له ؛ لأنَّ هذه الصفة^(٥) في هذا الموضع / تغض
من الموصوف^(٦) ؛ وموضع^(٧) التكلف الذي ادَّعِيَاهُ ، الحشَو الذي ذكره من
قوله : « إِذَا اسْتَضَوَى بِهِ الزَّحْفَانِ » وكان يكفي أن يقول : كَأَنَّ صاحبه
يَعْصِي بِالسَّمَاءِ ؛ وهذا ، وإن كان قد تعمل فيه للفظ ، فهو لغو^(٨) ، على
ما بيننا .

وأما البيت الثاني ففيه لغو من جهة قوله : [« حمائله القديمة » ، ولا يوصف
السيف بأن]^(٩) حمائله قديمة ، ولا فضيلة له في ذلك .

(١) م : « ويصف »

(٢) في ديوان المعاني ٥٧/٢ « ويشبه الفرند بمدب الذر ، فن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :

متوسداً غضباً مضارباً في متنه كسدية النمل

(٣) كذا في النسخ ، وفي الديوان :

وَكَاَنَّ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَعْصَى بِهِ فِي الرُّوعِ يَعْصِي بِالسَّمَاءِ الْأَعَزَلَ

وفي اللسان ٢٩٤/١٩ « وعصى بسيفه وعصابه يعصو عصاً : أخذه أخذ العصا ، أو ضرب به ضربه

بها » .

وفي اللسان ٣٢٨/١٢ « والسماكان : نجمان نيران ، أحدهما السماء الأعزل ، والآخر السماء

الرامح . . . وسمي أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب ، كالأعزل الذي لا رمح معه ، ويقال : سمي
أعزل لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها » .

(٤) الزيادة من م . وفي س ، ك : « وإنما يقول : قمر يشد على الرجال بكوكب » .

(٥) م : « هذه القصة » . (٦) م : « نقص » س : « تفننه » .

(٧) م ، ك : « من الموضع » . (٨) م : « فيه بلفظ فهو لغو » .

(٩) الزيادة من م .

ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة ، والكلام الرذل النذل ؛ لأن العامة ^(١) قد يتفق منها تشبيه واقع حسن .

ثم انظر إلى هذا المقطع الذي هو بالعبي أشبه منه بالفصاحة ، وإلى اللكنة أقرب منه إلى البراعة .

وقد بينا أن مراعاة الفواتح والخواتم ، والمطامع والمقاطع ، والفصل والوصل ، بعد صحة الكلام ، ووجود الفصاحة فيه - مما لا بد منه ، وأن الإخلال بذلك يخل بالنظم ، ويذهب رونقه ، ويحيل بهجته ، ويأخذ ماءه وبهاءه ^(٢) .

* * *

/ وقد أطلت عليك فيما نقلت ، وتكلف ما سطرت ؛ لأن هذا القليل قليل ^{٣٦٧} موضوع ، متعمل مصنوع ^(٣) .

وأصل الباب في الشعر على أن ينظر إلى جملة القصة ، ثم يتعمل الألفاظ ، ولا ينظر بعد ذلك إلى مواقعها ، ولا يتأمل مطارحها . وقد يقصد تارة إلى تحقيق الأغراض ، وتصوير المعاني التي في النفوس ، ولكنه يلحق بأصل بابه ، ويميل بك إلى موضوعه ، وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها ^(٤) التفاضل .

وإن أردت أن تعرف وصاف الفرس ، فقد ذكرت لك أن الشعراء قد تصرفوا في ذلك بما يقع إليك - إن كنت من أهل الصنعة - مما يطول علمي نقله ، وكذلك في السيف .

وذكر لي بعض أهل الأدب : أن أحسن قطعة في السيف قول أبي الهول الحميري ^(٥) :

(١) م : « تشبها العامة البذل ، لأن العامة » (٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٣) س ، ك : « إلى موضعه » (٤) م : « فيه »

(٥) اسمه عامر بن عبد الرحمن ، مدح المهدي والهادي والرشيد والأمين . وكان خبيث اللسان ، هجا خلقاً كثيراً ، منهم : جعفر بن يحيى البرمكي . راجع تاريخ بغداد ١٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ وفي ديوان المعاني ٥٢ / ٢ « ومن بليغ ما قيل في وصف السيف قول ابن يامين . قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الإياضي القاضي ، عن الهيثم بن عدي قال : لما صار سيف عمرو بن معدى كرب - الذي يسمى : الصمصامة - إلى الهادي ، وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص ، فتوارثه ولده إلى أن مات ، فاشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل ، وكان موسى من أوسع بني العباس خلقاً وأكثرهم عطاء للمال . قال : فجرده ووضعه = إعجاز القرآن

- ٣٦٨ / حَازَ صَمَامَةَ الزَّيْدِيَّ مِنْ بَيْدِ
سَيْفِ عَمْرُو وَكَانَ - فِيمَا سَمِعْنَا -
أَخْضَرَ اللَّوْنِ بَيْنَ بُرْدِيهِ حَدِّ
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا
فَإِذَا مَا شَهَرَتْهُ بَهَرِ الشَّمَّةِ
يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارَ كَالْقَبَسِ الْمُشَّةِ
٣٦٩ / وَكَأَنَّ الْفَرِيدَ وَالرَّوْنَقَ الْجَا
نِعَمَ مِخْرَاقُ ذِي الْحَفِيظَةِ فِي الْهَيْدِ
ن جميع الأَنَام موسى الأَمِينُ (١)
خَيْرَ مَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِ الْجُنُونُ (٢)
مِنْ دُعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ الْمَنُونُ (٣)
ثُمَّ شَابَتْ لَهُ الدُّعَافُ الْقِيُونُ (٤)
سَ ضِيَاءٌ فَلَمْ تَكُذْ تَسْتَبِينُ (٥)
عَلَى لَا تَسْتَقِيمُ فِيهِ الْعِيُونُ (٦)
رَى فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءَ مَعِينُ (٧)
جَاءَ يَعْصِي بِهِ ، وَنَعَمَ الْقَرِينُ (٨)

= بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكتل فيه دنائير فقال: قولوا في هذه السيف، فبدرهم ابن يامين فقال: حاز ، إلخ . وكذلك نسب هذا الشعر لابن يامين البصري في وفيات الأعيان ١٥٩/٥ ومروج الذهب ٢٤٥/٣ وهو لأبي الهول الحميري في الحيوان ٨٧/٥ وقد ذكر المعاني بن زكريا في الجليس والأنيس أن موسى الهادي أمر بإحضار الشعراء فكان بالباب منهم أبو الهول ، وأبو الغول التميمي ، وسلم الخاسر . . . فأما أبو الهول فلم يصف شيئاً ، وأما سلم فلم يرض ما قال ، وأما أبو الغول فوصف فأحسن وأخذ الصلة : عشرة آلاف درهم والحملان والخلع وانصرف . وأمر لأبي الهول وسلم الخاسر بخمسة آلاف ، خمسة آلاف وانصرفا ، فكان الشعر لأبي الغول حيث يقول : حاز ، إلخ . وانظر كتاب التشبيهات لابن أبي عون ص ١٤٢ - ١٤٣

(١) في اللسان ٢٤٠/١٥ «الصمصام والصمصامة : السيف الذي لا ينثنى ، والصمصامة : سيف عمرو بن معدى كرب»

(٢) كذا في الحيوان . وفي الجليس والأنيس ، وديوان المعاني ، ومروج الذهب ، وفيات الأعيان «خير ما أغمدت»

(٣) في وفيات الأعيان «بين حديه برد من ذباح تميس»

(٤) في وفيات الأعيان «شابت فيه» . وديوان المعاني «شابت به» . وفي الحيوان «ثم ساطت به الزعاف المنون» . والدعاف : سم ساعة ، كما في اللسان ٨/١١

(٥) في م ، ا ، ب و وفيات الأعيان وديوان المعاني «إذا ما سلته» .

(٦) في ديوان المعاني وفيات الأعيان «ما تستقر»

(٧) في المرجعين السابقين : «والجوهر الجاري» . وفي م : «على صفحته» . و س «في صفحته» . وفي اللسان ٣٤٤/٣ «وصفح السيف وصفحه : عرضه ، والجمع : أصفاح . وصفحتا السيف وجهاه» .
(٨) م : «يقضى» . وفي ديوان المعاني : «في الهيجا بمضاتها»

ما يُبَالِي إِذَا انْتَحَادَ بِضَرْبِ أَشْهَالٍ سَطَّتْ بِهِ أُمُّ يَمِينٍ^(١)

* * *

وإنما يُوازن شعر البُحْتَرِيِّ بشعر شاعر من طبقته ، ومن أهل عصره ، ومن هو في مضماره أو في منزلته .

ومعرفةُ أَجْنَاسِ الكلام ، والوقوف على أسرارهِ ، والوقوف على مقداره ، شيءٌ — وإن كان عزيزاً ، وأمرٌ — وإن كان بعيداً — فهو سهل على أهله ، مستجيب لأصحابه ، مطيع لأربابه ، ينقدون الحروف ، ويعرفون الصُرُوفَ .
وإنما تبقى الشبهة في ترتيب الحال بين البُحْتَرِيِّ ، وأبي تَمَّامٍ ، وابن الرومي ، وغيره .

ونحن وإن كنا نفضِّل البُحْتَرِيَّ بديباجة شعره ، على ابن الرومي / وغيره من ٣٧٠ أهل زمانه — نقدّمه بحسن عبارته ، وسلاسة كلامه^(٢) ، وعذوبة ألفاظه ، وقلة تعقّد قوله .

والشعرُ قَبِيلٌ مُلْتَمَسٌ مستدرَكٌ ، وأمرٌ ممكنٌ مُطِيعٌ^(٣) .
ونظم القرآن عال عن أن يعلق به الوهم ، أو يسمو إليه الفكر ، أو يطمع فيه طامع ، أو يطلبه طالب : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٤) .

وكنْتُ قد ذكرتُ لك قبل هذا : أنك إن كنت بصنعة علم اللسان مُتَدَرِّباً ، وفيه متوجهاً متقدماً ، أمكنكَ الوقوف على ما ذكرنا ، والنفوذ فيما وصفنا ، وإلا فاجلس في مجلس المقلدين ، وارْضَ بمواقف المتحيرين .

ونصحتُ لك حيثُ قلتُ : انظر ، هل تعرفُ عُرُوقَ الذهب ، ومحاسن الجوهر ، وبدائع الياقوت ، ودقائق^(٥) السحر ، من غير معرفة بأسباب هذه الأمور ومقدماتها ؟ وهل يُقطع سَمْتُ البلاد من غير اهتداء فيها ؟

(١) في ديوان المعاني : « إذا انتضاه » . ويَعْدُهُ فِيهِ :

وكان المتن نيطت إليه فهو من كل جانيبه منون
أخذ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس ؛ لأنه قد حطه درجات

(٢) م : « عبارته ، وعذوبة ألفاظه » (٣) س : « منطبع »

(٤) سورة فصلت : ٤٢ (٥) س : « ودقائق »

ولكل شيء طريق يُتَوَصَّلُ إليه به ، وباب يُؤْخَذُ نحوه فيه ، ووجه يُؤْتَى منه .

٣٧٠ / ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت ^(١) لك ؛ وأغمض وأدق وألطف .

وتصوير ما في النفس ، وتشكيل ما في القلب ، حتى تعلمه وكأنك مشاهده ، وإن كان قد تَقَبَّعَ بالإشارة ، ويحصل بالدلالة والأمانة ، كما يحصل بالنطق الصريح ، والقول الفصيح — فللإشارات أيضاً مراتب ، وللأسان ^(٢) منازل . ورب وصف يُصَوِّرُ لك الموصوف كما هو على جهته لا خُلفَ فيه ، ورب وصفٌ بَيِّنٌ ^(٣) عليه ^(٤) ويتعداه ، ورب وصف يقصر عنه .

ثم إذا صدق الوصف ، انقسم إلى صحة وإتقان ، وحسن وإحسان ، وإلى إجمال وشرح ، وإلى استيفاء وتقريب ، وإلى غير ذلك من الوجوه .

ولكل مذهب وطريق ، وله ^(٥) باب وسبيل :

فوصف الجملة الواقعة ، كقوله تعالى : ﴿لَوْ اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ ^(٦) .

٣٧٢ والتفسير كقوله : ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ^(٧) إلى آخر الآيات في هذا المعنى .

وكسحو قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ^(٨) . هذا مما يصور الشيء على جهته ، ويمثل أهواز ذلك اليوم .

ومما يصور لك الكلام الواقع في الصفة ، كقوله حكاية عن السحرة لما تَوَعَّدَهم فرعون بما تَوَعَّدَهم به حين آمنوا : ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ ، إِنَّا إِلَى رَبِّنَا

(٢) ا ، ب : « ومنازل »

(١) م : « ما ذكرت »

(٤) م : « علته » !

(٣) كذا في ا ، ب ، م ، ك . وفي س : « يربو »

(٦) سورة الكهف ١٨

(٥) س : « وكل مذهب وطريق له باب »

(٨) سورة الحج ٢ - ٢

(٧) سورة الكهف : ٤٧

مُنْقَلِبُونَ ، إِنَّا فَطَمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) .
وقال في موضع آخر : ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . وَمَا نُنْقِصُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ
آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ ^(٢) ﴾
وهذا ينبئ عن كلام الحزين لِمَا ناله ، الجازع لما مسه .

ومن باب التسخير والتكوين ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ^(٣) ﴾ .

٣٧٣

/ وقوله : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ^(٤) ﴾ .

وكقوله : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ
كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ^(٥) ﴾ .

وتقصي أقسام ذلك مما يطول ، ولم أقصد استيفاء ذلك ، وإنما ضربت لك
المثل بما ذكرت لتستدل ، وأشرت إليك بما أشرت لتأمل .

* * *

وإنما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحري ؛ لأن الكتاب يفضلونه على أهل
دهره ، ويقدمونه على من في عصره ؛ ومنهم من يدعي له الإعجاز علوًّا ، ويزعم
أنه يُنَاغِي النَجْمَ في قوله علوًّا ؛ والمُلْحِدَةُ تَسْتَظْهِرُ بشعره ، وتكثر
بقوله ^(٦) ، وترى كلامه من شبهاتهم ، وعباراته مُضَافَةٌ ^(٧) إلى ما عندهم من
تُرَاهَاتِهِمْ . فَبَيَّنَّا قَدْرَ درجته وموضع رتبته ، وحدَّ كلامه .

وهيهات أن يكون المطموع فيه كالمأيوس منه ^(٨) ، وأن يكون الليل كالنهار ،
والباطل كالحق ، وكلام رب العالمين ككلام البشر ^(٩) .

* * *

/ فلإن قال قائل: فقد قدَحَ الملحد « في نظم » القرآن ، وادَّعى عليه الخلل في ٣٧٤

(٢) سورة الأعراف: ١٢٥ - ١٢٦

(٤) سورة البقرة: ٦٥

(٦) كذا في م ، ك وفي س « وتدعى »

(٨) م : « كالمعجوز عنه » :

(١) سورة الشعراء: ٥١ - ٥٢

(٣) سورة يس: ٨٢

(٥) سورة الشعراء: ٦٣

(٧) س : « مضافاً »

(٩) م : « ككلام الآدميين »

البيان ؛ وأضاف إليه الخطأ في المعنى واللفظ ، [وزعم ما زعم]^(١) ، وقال ما قال فهل من فصل ؟

قيل : الكلام على مطاعن الملعدة في القرآن مما قد سبقنا إليه ، وصنّف أهل الأدب في بعضه ، فكفّفوا ، وأتى المتكلمون على ما وقع إليهم ، فشّفّوا ؛ ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا .

* وأما الغرض الذي صنّفنا فيه في التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن^(٢) ، فلم نجده على التقريب الذي قصدنا ، وقد رجونا أن يكون ذلك مُغْنِيًا ووافيًا .

وإن سهل الله لنا ما نوبناه : من إملاء « معاني القرآن »^(٣) ذكرنا في ذلك ما يشبه من الجنس الذي ذكره ؛ لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه ، فإنما يقع على جهل القوم بالمعاني ، أو بطريقة كلام العرب .

وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »^(٤) .

وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ، ومهدّدنا الطريق ، فمن كمل طبعه للوقوع^(٥) على فضل أجناس الكلام استدرك ما بيّنا . ومن تعذّر عليه الحكم بين شعر جرير والفرزدق والأخطل ، والحكم بين فضل زهير والنّابغة ، أو الفضل^(٦) بين البحترى وأصحابه ، ولم يعرف سُخْف^(٧) مُسَيْلَمَةَ في نظمه ، ولم يعلم أنه من الباب الذي يُهْزَأُ به ويُسْخَرُ منه ، كشعر أبي العنّيس^(٨) في جملة

(١) الزيادة من أ ، ب ، م

(٢) ما بين الرقمين ساقط من م

(٣) يقول الشيخ أحمد محمد شاكر في تخريجه لهذا الحديث : رواه الترمذی من حديث أبي سعيد الخدري (٤ : ٥٧ من شرح المباركفوري) ، ضمن حديث ، وقال الترمذی : « هذا حديث حسن غريب » وكذلك رواه الدارمی في سننه (٢ : ٤٤١ طبعة دمشق) . ونقله الحافظ ابن حجر في فتح الباری (٩ : ٥٨ - ٥٩) عن الترمذی ، وقال : « رجاله ثقات إلا عطية العوفي ، ففيه ضعف »

(٤) كذا في م ، ك ، وفي س « للوقوف »

(٥) م : « والفصل »

(٦) م : « فضل مسيلمة » !!

(٧) كذا في م ، ك . وفي أ : « أبي العيس » . و س : « أبي العيس » . وأبو العنيس : هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنيس بن المغيرة بن ماهان ، أحد الأدباء الملحاه ، كان خبيث اللسان ، هاجى أكثر من شعراء زمانه ، وفادم المتوكل ، وله مع البحترى خبر مشهور ، توفي سنة خمس وسبعين ومائتين . راجع تاريخ بغداد ٢٣٨/١ ومعجم الشعراء ص ٤٤٢ والأغاني ١٨/١٧٣ - ١٧٥ .

الشعر، وشعر على بن صلاء^(١) - : فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا ، والحكم على ما بيننا ؟ !

* * *

/ فإن قال^(٢) قائل : فاذكر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الأشعر ٣٧٦ والأبلغ .

قيل له : هذا أيضاً خارج عن غرض هذا الكتاب ، وقد تكلم فيه الأدباء . ويحتاج أن يجرّد^(٣) لنحو هذا كتاب^(٤) ، ويفرد له باب ؛ وليس من قبيل ما نحن فيه بسبيل .

وليس لقائل أن يقول : قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب ، ويبلغ أمدّه^(٥) في الفصاحة والمنظم العجيب ؛ ولا يبلغ عندكم حدّ المعجز ؛ فلم قضيت بما قضيت به في القرآن دون غيره من الكلام ؟

ولما لم يصح^(٦) هذا السؤال ، وما نذكر فيه من أشعار في نهاية الحسن ، وخطب ورسائل في غاية الفضل - لأننا قد بينّا أن هذه الأجناس قد وقع التنازع^(٧) فيها ، والمُسَامَاةُ عليها ، والتنافس في طرقها ، والتنافر في بابها . وكان البسوّ بين البعض والبعض في الطبقة الواحدة قريباً ، والتفاوت خفيفاً ، وذلك القدر من سبق إن ذهب عنه^(٨) / الواحد ، لم يئأس منه الباقون ، ولم ٣٧٧ ينقطع الطمع في مثله .

وليس كذلك سمّت القرآن ؛ لأنه قد عُرِفَ أن الوهم ينقطع دون مُجَارَاتِهِ ، والطَّمَع يرتفع عن مُبَارَاتِهِ ومُسَامَاتِهِ ؛ وأنّ الكلّ في العجز عنه على حدّ واحد .

وكذلك قد يزعم زاعمون^(٩) : أن كلام الجاحظ من السمّت الذي لا يؤخذ^(١٠) فيه ، والباب الذي لا يذهب^(١١) عنه ؛ وأنت تجد قوماً يرون كلامه قريباً ،

(١) كذا في أ . وفي م « على بن صلابه » . و س ، ك « على بن صلاء »

(٢) أ ، ب « قال لنا » (٣) كذا في م ، ب . وفي أ « يوجد » . و س ، ك « يجدد »

(٤) أ : « كتابا » (٥) م : « أمره »

(٦) م : « يصح » (٧) س : « النزاع »

(٨) س : « عن » (٩) م : « زاعم »

(١٠) م : « لا يوجد » (١١) كذا في ب ، ك . وفي م : « الذي يذهب عنه »

ومِنْهَا جَهَ مَعْبِيًّا ، ونطاق قوله ضيقًا ، حتى يستعين بكلام غيره ، ويفزع إلى ما يُوشَّحُ به كلامه : من بيت سائر ، ومثَّل (١) نادر ، وحكمة مُمهَّدة منقولة ، وقصة عجيبة مأثورة : وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة ، وألفاظ يسيرة ، فإذا أحوَجَ إلى تطويل الكلام خاليًا عن شيء يستعين به — فيخلط بقوله من قول غيره — كان كلامًا (٢) ككلام غيره .

فإن أردت أن تحقق هذا ، فانظر في كتبه في «نظم القرآن» وفي «الرد على النصارى» وفي «خبر الواحد» وغير ذلك مما يجري / هذا الجرى ، هل تجد في ذلك كله ورقة [واحدة] (٣) تشتمل على نظم بدیع ، أو كلام مليح ؟ على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقته ، وجأذبوه على منهجه ، فمنهم من ساواه حين ساماه ، ومنهم من أبرَّ عليه إذ باراه .

هذا «أبو الفضل بن العميد» قد سلك مسلكه (٤) ، وأخذ طريقه ، فلم يُقَصِّرْ عنه ، ولعلَّه قد بانَ تَقَدُّمُه عليه (٥) ، لأنَّه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه ، ويكملها على شروط صناعته ، ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو كلامه ، كما ترى «الجاحظ» يفعل في كتبه ، متى ذكَّرَ من كلامه سطرًا أتبعه من كلام الناس (٦) أوراقًا ؛ وإذا ذكَّرَ منه صفحةً بنى عليه من قول غيره كتابًا .

وهذا يدلُّك على أن الشيء إذا استُحْسِنَ اتَّبِعَ ، وإذا استُملِحَ قُصِدَ له وتُعَمِّدَ (٧) . وهذا الشيء يرجع إلى الأخذ بالفضل ، والتنافس في التقدم . فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده — لكثرت المعارضات ، ودامت المنافسات .

٣٧٩ فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها ، وجَوَالِبُ لا حَدَّ لكثرتها / لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا إلى تكذيبه ، ثم إلى قَطْعِ المحامين دونه عنه ، أو تنفيرهم عليه ، وإدخال الشبهات (٨) على قلوبهم ، وكان القومُ يكتفون بذلك عن بذل

(١) كذا في ا ، ب ، م . وفي س : « ويتصل » . وك : « ومثَّل بيت نادر »

(٢) سقطت هذه الكلمة من م (٣) الزيادة من ا ، م ، ب

(٤) م ، ا ، ب : « سلك مذهبه » (٦) م : « من كلام غيره »

(٥) معاذ النوق أن نوافق الباقلاني على هواه هذا (٧) م : « وتعمل »

(٨) م : « أو بقلوبهم عليه بإدخال الشبه »

النفوس ، ونَصَب الأرواح ، والإخْطَارِ بالأموال والذَّرَارِي ، فِي وَجْهِ عَدَاوَتِهِ
وَيَسْتَغْنُونَ بِكَلَامٍ — هُوَ طَبَعُهُمْ وَعَادَتُهُمْ وَصَنَاعَتُهُمْ — عَنْ مُحَارَبَتِهِ ، وَطُولِ
مُنَاقَشَتِهِ ^(١) وَمُجَادَبَتِهِ .

وَهَذَا الَّذِي عَرْضْنَاهُ عَلَى [عَقْلِكَ ، وَجَلُونَاهُ عَلَى] ^(٢) قَلْبِكَ ، يَكْفِي إِنْ
هُدِيتَ لِرُشْدِكَ ، وَيُشْفَى إِنْ دُلِلْتَ عَلَى قَصْدِكَ .
وَنَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ التَّوْفِيقِ ، وَالْعِصْمَةَ وَالتَّسَدِيدَ ؛ إِنَّهُ لَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِهْدَايَتِهِ
وَلَا عِصْمَةَ إِلَّا بِكَفَايَتِهِ ؛ وَهُوَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

/ فصل

فإن^(١) قال قائل : قد يجوز أن يكون أهلُ عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، وإن كان مَنْ بعدهم من أهل الأعصار لم يعجزوا .

قيل : هذا سؤال معروف ، وقد أجيب عنه بوجوه ، منها ما هو صواب ، ومنها ما فيه^(٢) خلل :

لأنَّ من كان يجب عنه : بأنهم^(٣) لا يقدرّون على معارضته في الإخبار عن الغيوب إن قدروا على مثل نظمه — فقد سلّم المسألة ؛ لأننا ذكرنا أن نظمه معجز لا يُقدر عليه ، فإذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل على مراده .
والوجه أن يقال : فيه طرق :

منها : أنّا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله ، فمَنْ بَعْدَهُمْ أعجزُ ؛ لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفننون^(٤) فيه من القول ، مما لا يزيد عليه فصاحة مَنْ بعدهم ، / وأحسن^(٥) أحوالهم أن يُقَارَبوهم أو يُسَاوَوْهم ، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم ، فلا .

ومنها : أنّا قد علمنا عجز سائر أهل الأعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الأول ، والطريق في العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد ؛ لأنَّ التحدّي في الكلّ على جهة واحدة ، والتنافس^(٦) في الطباع على حدّ [واحد]^(٧) ، والتكليف^(٨) على منهاج لا يختلف . ولذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لَّسْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٩) .

(٢) م : « ما هو »

(٤) م : « يتقنون »

(٦) س : « والتنافر »

(٨) كذا في ا ، م ، ب وفي س ، ك « والتكلف »

(١) ا : « إن »

(٣) م : « لأنهم »

(٥) م : « من بعدهم ، فإذا أحسن »

(٧) الزيادة من م

(٩) سورة الإسراء : ٨٨

/ فصل

في التحدّي

يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن : يدَّعُوا فيها أنها من دلالتهم وآياتهم ؛ لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتَى دلالة ، ويؤيدَ بآية ؛ لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته ^(١) ، ولا يقول نفسه ، ولا بشيء آخر ، سوى البرهان الذي يظهر عليه ، فيستدل به على صدقه .

فإذا ذكّرَ لهم أن هذه آيتي ، وكانوا عاجزين عنها — صح له ما ادّعاه . ولو كانوا غير عاجزين عنها — لم يصح أن يكون برهاناً له .

وليس يكون معجزاً إلا بأن يتحداهم إلى أن يأتوا بمثله . فإذا تحداهم وبأن عجزُهم — صار ذلك معجزاً .

ولأنما احتيج في باب القرآن إلى التحدّي ؛ لأن من النَّاس من لا يعرف كونه معجزاً ، فإنما يُعرف أولاً إعجازه بطريق ^(٢) ؛ لأنَّ الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه ^(٣) وصورته ، ولأنما يحتاجُ إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزاً .

/ فإن كان لا يعرف بعضهم إعجازه ، فيجب أن يعرف هذا ، حتى يمكنه أن ٣٨٣ يستدل به .

ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم ، مع التحدّي إليه ، والتفريع به ، والتمكين ^(٤) منه — صارَ حينئذ بمنزلة من رأى اليدَ البَيْضَاءَ ، وانقلابَ العصي ثعباناً تَتَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُون .

وأما من كان من أهل صنعة العربية ، والتقدُّم في البلاغة ، ومعرفة فنون ^(٥) القول ، ووجوه المنطق — فإنه يُعرف — حين يسمعه — عجزه عن الإتيان بمثله ،

(٢) س : « بطريقة »

(٤) ا : « والتمكن »

(١) م : « في صورته »

(٣) م : « من صورته »

(٥) م : « والمعرفة بفنون »

ويعرف أيضاً أهل عصره ، ممن هو في طبقته أو يدانيه في صناعته ، عَجَزَهُمْ عنه ، فلا يحتاج إلى التَّحَدِّي حتى يعلم به كونه مُعْجَزاً .

ولو كان أهل الصَّنعة الذين صفتهم ما بَسِينَا لا يعرفون كَوْنَهُ معجِزاً حتى يعرفوا عَجَزَ غيرهم عنه — لم يجوز أن يعرف النبي صلى الله عليه وسلم ، أن القرآن معجز حتى يَرَى عَجَزَ قريش عنه بعد التَّحَدِّي إليه ، وإذا عَرَفَ عَجَزَ قريش لم يعرف عَجَزَ سائر العرب عنه حتى ينتهي إلى التحدى إلى أقصاهم ، وحتى يعرف عجز مُسَيِّلِمَةَ الكذاب عنه ، ثم يعرف حينئذ كونه مُعْجَزاً .

وهذا القول — إن قيل — أفحش ما يكون من الخطأ !!

/ فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة في معرفة إعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليدَ البَيْضَاءَ وفلَّحَ الْبَحْرَ ، بأن ذلك معجز .

وأما مَنْ لم يكن من أهل الصنعة ، فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة ، يعرف بها كونه معجِزاً ، فيساوى حينئذ أهل الصنعة ، فيكون استدلالها في تلك الحالة به على صدق مَنْ ظَهَرَ ذلك عليه على سَوَاء^(١) ، إذا ادَّعاه — دلالة على نبوته ، وبرهانه على صدقه .

فأما مَنْ قَدَّرَ أن القرآن لا يصير معجِزاً إلا بالتحدى إليه ، فهو كتقدير من ظنَّ أن جميع آيات موسى وعيسى ، عليهما السلام ، ليست بآيات حتى التحدى إليها والحض عليها ، ثم يقع العجز عنها ، فيعلم حينئذ أنها معجزات^(٢) .

وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغنى عن الإعادة .

وبيين ما ذكرناه في غير البليغ : أن الأعجمي الآن لا يعرف إعجاز القرآن إلا بأمور زائدة على الأعجمي الذي كان في ذلك الزمان مشاهداً له ؛ لأنَّ مَنْ هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولاً أن العرب عجزوا عنه ، وإنما يعلم عجزهم عنه بنقل الناقلة إليه أن^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب إليه فعجزوا عنه ، ويحتاج في النقل إلى شروط ، وليس يصير القرآن بهذا النقل

(١) س : « سواء »

(٢) م : « معجزة »

معجزاً، كذلك لا يصير معجزاً بأن° / يعلم العربى الذى ليس ببلغ أنهم قد عجزوا ٣٨٥
 عنه بأجمعهم^(١)، بل هو معجز فى نفسه ، وإنما طريق معرفة هذا^(٢) وقوفهم على
 العلم بعجزهم عنه .

(١) س : « بأبلغهم »

(٢) س : « ... »

/ فصل

في قدر المعجز من القرآن

الذى ذهب إليه عامة أصحابنا - وهو قول [الشيخ]^(١) أبي الحسن الأشعري في كتبه - أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها .
قال : فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة^(٢) ، وإن كانت سورة الكوثر ، فذلك معجز .

قال : ولم يقدّم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر .
وذهبت^(٣) « الْمُعْتَزِلَةُ » إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة .
وقد حكى عنهم نحو قولنا ، إلا أن منهم من لم يشترط كَوْن الآية بقدر السورة ، بل شَرَط الآيات الكثيرة .
وقد علمنا أنه تحداهم تحدياً إلى السور كلها ، ولم يَخْصَّ . ولم يأتوا لشيء منها بمثل ، فعلم أن جميع ذلك معجز .

وأما قوله عز وجل : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾^(٤) فليس بمخالف ٣٨٧ / لهذا ؛ لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة .

وهذا يؤكد ما ذهب إليه أصحابنا ويؤيده ، وإن كان قد يتأول قوله : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ على أن يكون راجعاً إلى القَبِيل دون التفصيل .

وكذلك يُحْمَلُ قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾^(٥) على القبيل ؛ لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الإتيان بجميعه من أوله إلى آخره .

فإن قيل : هل تعرفون إعجاز السور القصار بما تعرفون إعجاز السور الطوال ؟

(٢) س : « السورة »

(١) الزيادة من م

(٤) سورة الطور : ٥٢

(٣) س : « وذهب »

(٥) سورة الإسراء : ٨٨

وهل تعرفون إعجاز كل قَدَرٍ من القرآن بلغ الحدَّ الذي قدرتموه بمثل ما تعرفون به إعجاز سورة البقرة ونحوها ؟

فالجواب : أن [شيخنا] ^(١) أبا الحسن الأشعري ، رحمه الله ^(٢) ، أجاب عن ذلك : بأن كلَّ سورة قد علِّمَ كَوْنُهَا مُعْجَزَةً بعجز العرب عنها . وسمعت بعضَ الكبراءِ من أهل هذا الشأن ، يقول : إن ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفاً .

والطريقة الأولى أسدٌ . وليس هذا الذي ذكرناه أخيراً بمنافٍ له ؛ لأنَّه لا يمتنع ٣٨٨ أن يعلم إعجازه بطرق مختلفة تتَّوَفَّى عليه وتجتمع فيه .

واعلم أن تحت اختلاف هذه الأجوبة ضرباً من الفائدة .

لأن الطريقة الأولى تبين أن ما علم به كون جميع القرآن معجزاً — موجودٌ في كل سورة ، صغرت أو كبرت ، فيجب أن يكون الحكم في الكل واحداً . والطريقة الأخيرة تتضمن تعذُّرَ معرفة إعجاز القرآن بالطريقة التي سلكتها في كتابنا ^(٣) من التفصيل الذي بيَّنا ، فيما تعرف به في الكلام الفصاحة ، وتبيين به ^(٤) البلاغة ، حتى يعلم ذلك بوجهه ^(٥) آخر ، فيستوى في هذا القَدَرِ البليغ وغيره في أن لا يعلمه معجزاً حتى يستدلَّ به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلاء من التقدُّم في الصنعة ، وهذا غير ممتنع .

ألا ترى أن الإعجاز في بعض السور والآيات أظهرٌ ، وفي بعضها أغمض [وأدق ؟ فلا يفتقر البليغ] ^(٦) في النظر في حال بعضها إلى تأمل كثير ، ولا بحث شديد ، حتى يتبين له الإعجاز .

ويفتقر في بعضها إلى نظر دقيق وبحث لطيف ، حتى يقع على الجليَّة ، ويصل إلى المطلب .

/ ولا ^(٧) يمتنع أن يذهب عليه الوجه في بعض السور ، فيحتاج أن يفرع فيه إلى ٣٨٩ إجماع أو توقيف ، أو ما علمه من عجز العرب قاطبة عنه .

(٢) م : « رحمة الله عليه »

(٤) س ، ك : « فيه »

(١) الزيادة من م

(٣) س : « في بناء من التفصيل »

(٥) م : « توجه »

(٦) الزيادة من ا ، ب ، م ، ك وفي س « أغمض وقد لا يحتاج في النظر »

(٧) م : « فلا »

فإن ادّعى ملحد^١ ، أو زعم زنديق^٢ ، أنه لا يقع العجز عن الإتيان بمثل
السور القصار أو الآيات بهذا المقدار !

قلنا له : إن الإعجاز قد حصل بما بيناه ، وعُرف بما وقفنا عليه^(١) من
عجز العرب عنه .

ثم فيه شيء آخر ، وهو : أن هذا سؤال لا يستقيم للملحد^(٢) ، لأنه يزعم^٣
أنه ليس في القرآن كله إعجاز ، فكيف يجوز أن نناظره على تفصيله^(٣) ؟ !

وإذا ثبت لنا معه إعجازه في السور الطوال ، قامت الحجة عليه ، وثبتت
المعجزة ، ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمعجزات . ونحن نعلم أن^(٤) إعجاز البعض
بما بيناه ، والبعض الآخر بأنه^(٥) إذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك إلا قولنا ؛ لأننا
عرّفنا في البعض^(٦) الإعجاز بما بينا ، ثم عرّفنا في الباقي بالتوقيف ،
ونحو ذلك .

٣٩٠ / وليس بممتنع اختلاف حال الكلام ، حتى يكون الإعجاز على بعضه أظهر ،
وفي بعضه أغمض ؛ ومن آمن ببعض دون بعض كان مذموماً ، على ما قال الله
تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾^(٧) وقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ
الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٨) فظاهره عند بعض أهل التأويل
كالدليل على أن الشفاء^(٩) ببعضه أوقع ، وإن كنّا نقول : إنه يدل على أن
الشفاء^(٩) في جميعه .

واعلم أن الكلام يقع فيه الأبلغ والبليغ ، ولذلك كانوا يسمون الكلمة :
« يتيمة » ، ويسمون البيت الواحد : « يتيماً »^(١٠) .

سمعت إسماعيل بن عبيد^(١١) يقول : سمعت أبا بكر بن مقسم^(١٢) يقول :

(١) م : « بما وصفناه من »

(٢) م : « على تفصله »

(٣) م : « لأنه »

(٤) م : « في بعض »

(٥) م : « يتيماً »

(٦) م : « بيتاً »

(٧) سورة البقرة : ٨٥

(٨) سورة الإسراء : ٨٢

(٩) ما بين الرقيمين ساقط من م

(١٠) س : « عبادة » وقد توفي الصاحب إسماعيل بن عباد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، كما في وفيات

الأعيان ٢٩٠/١

(١٢) اسمه محمد بن الحسن بن يعقوب ، ولد سنة ٢٦٥ ومات سنة ٣٥٤ راجع ترجمته في معجم

سمعت ثعلباً يقول : [سمعت سلمة ^(١) يقول] ^(٢) : سمعت الفراء / يقول : العرب ٣٩١
 تسمى البيت الواحد يتيماً ، وكذلك يقال ^(٣) : « الدرة اليتيمة » ، لانفرادها ، فإذا
 بلغ البيت ثلاثاً فهي « نتفة » ، وإلى العشرة تسمى « قطعة » ، وإذا بلغ العشرين
 استحق أن يسمى « قصيداً » . وذلك مأخوذ من المخ القصيد ، وهو المتراكم
 بعضه على بعض ، وهو ضد الرار ^(٤) ، ومثله الرثيد ^(٥) .
 انتهت الحكاية ، ثم استشهد بقول لبيد ^(٦) :

فَتَذَكَّرَا ثَقَلًا رَثِيدًا بَعْدَمَا أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ ^(٧) ٣٩٢
 / يريد بيض النعام ، لأنه ينضد بعضه على بعض .

وكذلك يقع في الكلام البيت الوَحْشِيُّ والنَّادِر ، والمثل السائر : والمعنى
 الغريب ، والشئ الذى لو اجتهد له لم يقع عليه ، فَيَتَّفَقُ له ويصادفه .
 قال لى بعض علماء هذه الصنعة - وجاريتُهُ في ذلك - إن هذا مما

(١) هوسمة بن عاصم النحوى ، وراق الفراء ، راجع ترجمته في بغية الوعاة ص ٢٦٠ ومعجم
 الأدباء ٢٤٢/١١ - ٢٤٣ وتاريخ بغداد ١٣٤/٩

(٢) الزيادة من ا ، ب ، م . وفى س ، ك «ثعلبا يقول سمعت الفراء» وهو خطأ فإن الفراء مات
 سنة سبع ومائتين ، عن سبع وستين سنة ، وقد ولد ثعلب سنة مائتين ، وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين .
 كما فى بغية الوعاة ص ١١١ ، ١٧٣

(٣) م : « تقول » .

(٤) فى اللسان ٣٥٤/٤ « وأصله من القصيد وهو المخ السمين الذى يتقصّد ، أى يتكسر لسمته ،
 وضده الرير والرار ، وهو المخ السائل الذائب الذى يميع كالماء ولا يتقصّد »

(٥) س : « الرثيد »

(٦) فى اللسان ١٥٢/٤ « وقال ثعلبة بن صعيّر المازنى - وذكر الظلم والنعامة ، وأنها تذكر
 بيضهما فى أحدهما فأسرعا إليه - فتذكر ثقالا إلخ والرثد بالتحريك : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض
 والمتاع رثيد ومرثود » ونسبه لثعلبة أيضاً فى ٤٦٣/٦ ، كما نسبه له أيضاً ابن قتيبة فى الشعر والشعراء
 ٢٤٣/١ وهو لثعلبة من قصيدة فى المفضليات ص ١٣٠

(٧) س : « رثيدا » م : « فى كفار » وفى اللسان ٤٦٣/٦ « وذكاء : اسم للشمس . ألفت
 يمينها فى كافر : أى بدأت للسقيب . قال الجوهري : ويحتمل أن يكون أراد الليل ، وذكر ابن السكيت أن
 لبيدا سرق هذا المعنى فقال :

حتى إذا ألفت يداً فى كافر وأجن عورات الثغور ظلامها

وانظر الشعر والشعراء ٢٤٣/١

لا سبب له يخصه ، وإنما سببه الغزارة^(١) في أصل الصنعة . والتقدم في عيون^(٢) المعرفة ؛ فإذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرد عن حساب ، وبما يشدّ عن تفصيل الحساب .

فأما ما قلنا : من أن ما يبلغ قدر السورة مُعْجَزٌ ، فإنّ ذلك صحيح .

(١) كذا في س ، ك ، م ، ب وفي «القرارة»

(٢) كذا في س ، ك وفي ا ، ب ، م «في عنوان»

/ فصل

في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟

ذهب [الشيخ] ^(١) أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك عن ^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم ، يُعلم ضرورةً ، وكونه معجزاً يعلم باستدلال ^(٣) .
وهذا المذهب محكى عن المخالفين .

والذى نقوله فى هذا: إن الأعجمى لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً ، وكذلك من لم يكن بليغاً .

فأما البليغ الذى قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة — فإنه يعلم من نفسه ضرورةً عجزه عن الإتيان بمثله ، ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه ؛ كما أنه إذا علم الواحد متناً أنه لا يقدر على ذلك ، فهو ^(٤) يعلم عجز غيره استدلالاً .

(١) الزيادة من م

(٢) م ، ك : « على »

(٣) م : « بالاستدلال »

(٤) م : « فقد » . ك : « وهو » . ا : « وقد »

! فصل

فيما يتعلق به الإعجاز

إن قال قائل : بَيَّنُّوا لنا ما الذى وقع التحدى إليه ؟ أهو الحروف المَنْظُومَة ؟
أو الكلام القائم بالذات ؟ أو غير ذلك ؟

قيل : الذى تحدّاهم به : أن يأتوا بمثل الحروف التى هى نظم القرآن ، منظومة
كنظمها ، متتابعةً كمتابعتها ، مُطَرِّدَةً كاطِّرادها ؛ ولم يتحدّهم إلى أن يأتوا
بمثل الكلام القديم الذى لا مثل له .

وإن كان كذلك فالتحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة ، التى هى
عبارة عن كلام الله تعالى فى نظمها وتأليفها ، وهى حكاية لكلامه ، ودلالات
عليه ، وأمّارات^(١) له ، على أن يكونوا مستأنفين لذلك ، لا حاكين بما أتى به النبى
صلى الله عليه وسلم .

ولا يجب أن يُقَدَّرَ مقدر أو يظنَّ ظانُّ أننا حين قلنا : إن القرآن معجز ،
وإنّه^(٢) تحدّاهم إلى أن يأتوا بمثله — أردنا غير ما فسّرناه ، من العبارات عن
الكلام القديم القائم بالذات .

وقد بينّا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزاً ، لكونه عبارة عن /الكلام^(٣) القديم ،
لأن التوراة والإنجيل عبارة عن الكلام^(٤) القديم . وليس ذلك بمعجز فى النظم
والتأليف . وكذلك ما دون الآية — كاللفظة — عبارة عن كلامه ، وليس بمفردة
بمعجزة .

وقد جرّز بعض أصحابنا : أن يتحدّاهم إلى مثل كلامه القديم القائم بنفسه !
والذى عول عليه مشايخنا ما قدّمنا ذكره ، وعلى ذلك أكثر مذاهب
الناس .

(٢) س : « فإنه »

(٤) ك ، م : « كلام »

(١) م : « ودلالة . . . وأمارة »

(٣) م ، ك : « كلام »

ولم نُحِبَّ أن نفسرونذكر مُوجِبَ هذا المذهب الذى حكيناه وما يتصل به ؛ لأنه خارج عن غرض كتابنا ، لأن الإعجاز وَاَقْدَمُ^(١) فى نظم الحروف التى هى دلالات وعبارات عن كلامه . وإلى مثل هذا النظم وقع التحدى ، فبيننا وجه ذلك ، وكيفية ما نتصور^(٢) القول فيه ، وأزلنا تَوَهَّمَ مَنْ يَتَوَهَّمُ^(٣) أن القديم حروف منظومة ، أو حروف غير منظومة ، أو شئ مؤلف^(٤) ، أو غير ذلك ، مما يصح أن يُتَوَهَّمَ على ما سبق من إطلاق القول فيما مضى .

(٢) س ، ك : « مايتصور »

(٤) ا ، م : « مؤلف أو نحو »

(١) س : « وقع »

(٣) س ، ك : « من يتوهم »

/ فصل

فى وصف وجوه من البلاغة

ذكر بعض أهل الأدب والكلام^(١) : أن البلاغة على عشرة أقسام^(٢) :
الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ،
والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان^(٣) .
فأما « الإيجاز » فإنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى ، فيأتى باللفظ
القليل الشامل لأشياء كثيرة .

وذلك ينقسم إلى حذف ، وقصر :

/ فالحذف : الإسقاط للتخفيف ، كقوله : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾^(٤) . وقوله :
﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾^(٥) .

وحذف الجواب كقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ
بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ لَبِيدَةٌ ﴾^(٦) . كأنه قيل : لكان هذا القرآن .
والحذف أبلغ من الذكر ؛ لأن النفس تذهب كل مذهب فى القصد من
الجواب^(٧) .

(١) هذا البعض الذى لم يشأ المؤلف أن يصرح باسمه هو معاصره أبو الحسن : على بن عيسى الرمانى ،
المعتزلى (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ) صاحب كتاب النكت فى إعجاز القرآن ، الذى نقل عنه المؤلف هذا الفصل
الطويل . راجع ترجمة الرمانى فى ابن خلكان ٢/ ٤٦١ ، وبغية الوعاة ٣٤٤ والإمتاع والمؤانسة ١٣٣/ ١
ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٣ - ٧٨ وفهرست ابن النديم ص ١٤ ، ٧٣ ، ٧٨ ونزهة الألبا ص ٣٨٩ - ٣٩٢
(٢) النكت ص ١

(٣) قال الرمانى بعد ذلك : « ونحن نفسرها باباً باباً : الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال
بالمعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة فالألفاظ القليلة إيجاز . والإيجاز على وجهين :
حذف وقصر ، فالحذف إسقاط كلمة للإجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام . والقصر :
بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف » .

(٤) سورة يوسف : ٨٢

(٥) سورة محمد : ٢١

(٦) سورة الرعد : ٣١

(٧) فى النكت بعد ذلك : « ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذى تضمنه البيان » .

والإيجازُ بالقصر^(١) كقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٢) .
 وقوله : ﴿ يَخْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾^(٣) .
 وقوله : ﴿ إِنَّمَا بِغَيِّكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٤) .
 وقوله : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٥) .
 /والإطناب^(٦) فيه بلاغة ، فأما التطويل ففيه عبي^(٧) .

٣٩٨

/وأما التشبيه ، فهو العقد^(٨) على أن أحد الشيثين يسدُّ مسدَّ الآخر في ٣٩٩

(١) قال الرماني ص ٢ : « وأما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف ، وإن كان الحذف غامضاً للحاجة إلى العلم بالمواضع التي تصلح من المواضع التي لا تصلح »

(٢) سورة البقرة : ١٧٩ (٣) سورة المنافقون : ٤

(٤) سورة يونس : ٢٣

(٥) سورة فاطر ٤٣ . وقال الرماني بعد استشهاده بالآيات السابقة :

« وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن كثير . وقد استحسّن الناس من الإيجاز قولهم : القتل أنفى للقتل . وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز . وذلك يظهر من أربعة أوجه : أنه أكثر في الفائدة ، وأوجز في العبارة ، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة ، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلازمة . أما الكثرة في الفائدة ففيه كل ما في قولهم : القتل أنفى للقتل ، وزيادة معان حسنة : منها إبانة العدل لذكره القصاص ، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله به ، وأما الإيجاز في العبارة ، فإن الذي هو نظير : القتل أنفى للقتل - قوله تعالى « القصاص حياة » والأول أربعة عشر حرفاً ، والثاني عشرة حروف . وأما بعده عن الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة ، فإن في قولهم : القتل أنفى للقتل - تكريراً غيره أبلغ منه ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة . وأما الحسن بتأليف الحروف المتلازمة فهو مدرك بالحس ، وموجود في اللفظ ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة ؛ لبعد الهمزة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من اللام إلى اللام . فاجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن ، وإن كان الأول بليغاً حسناً »

(٦) س : « وإطناب »

(٧) قال الرماني ص ٣ : « والإيجاز بلاغة والتقصير عبي ، كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عبي . والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه ، وليس كذلك التقصير ، لأنه لا بد فيه من الإخلال . فأما الإطناب فإنما يمكن في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل . . . فأما التطويل فعيب وعبي ، لأنه تكلف الكثير فيما يكفي فيه القليل ، فكان كالتسلك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب . وأما الإطناب فليس كذلك ؛ لأنه كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من الزهدة الكثيرة والفوائد العظيمة ، فيحصل له في الطريق إلى غرضه من الفائدة نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب »

(٨) س ، ك : « التشبيه بالعقد » . والتصحيح من م والنكت ص ٥

حسن أو عقل ، كقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّالِمَانُ مَاءً ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ
فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ (٣) .

٤٠ / وقوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا
وَارْيَيْتُ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا
حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ .

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴾ (٥) .

(١) سورة النور : ٣٩ . وقال الرماني بعد ذكره لهذه الآية ص ٦ : « وهذا بيان قد أخرج ما لا تقع
عليه الحاسة ، إلى ما تقع عليه الحاسة ، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة .
ولو قيل : يحسبه الرأي ماء ، ثم يظهر أنه على خلاف ما قد رأى لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن ؛
لأن الظلمان أشد حرصاً عليه ، وتعلق قلب به . ثم بعد هذه الحية حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب
الأبد في النار ، نعوذ بالله من هذه الحال . وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا
تضمن مع ذلك حسن النظم ، وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة »

(٢) سورة إبراهيم : ١٨ . وقال الرماني ص ٧ : « فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما
تقع عليه الحاسة . فقد اجتمع المشبه والمشبّه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات ؛ وفي
ذلك الحسرة العظيمة ، والموعظة البليغة »

(٣) سورة الأعراف : ١٧١ . وقال الرماني ص ٧ : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما
قد جرت به العادة ، وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة . وفيه أعظم الآية لمن فكر في مقدورات الله
تعالى عند مشاهداته لذلك أو علمه به ؛ ليطلب الفوز من قبله ، ونيل المنافع بطاعته » .

(٤) سورة يونس : ٢٤ . وقال الرماني ص ٧ : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد
جرت به العادة . وقد اجتمع المشبه والمشبّه به في الزينة والبهجة ، ثم الهلاك بعده . وفي ذلك العبرة لمن اعتبر .
والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طال مدتة ، وصغير وإن كبر قدره » .

(٥) سورة القمر : ١٩ ، ٢٠ . وقال الرماني ص ٨ : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى
ما قد جرت به العادة . وقد اجتمعا في قلع الريح لها ، وإهلاكها إياها . وفي ذلك الآية الدالة على عظيم
القدرة ، والتخويف من تعجيل العقوبة » .

وقوله : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفْنَأُخِرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ . كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ/ نَبَاتُهُ ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا . ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنْكُبُوتِ/ اتَّخَذَتْ ٤٠٢

(١) سورة الرحمن : ٣٧ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمعا في الحمرة وفي لين الجواهر السيالة ، وفي ذلك الدلالة على عظيم الشأن ونفوذ السلطان ، لتصرف الهمم إلى ما هنالك بالأمل » .

(٢) سورة الحديد : ٢٠ . وقال الرماني ص ٨ : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به . وقد اجتمعا في شدة الإعجاب ، ثم في التغير بالانقلاب . وفي ذلك الاحتقار للدنيا ، والتحذير من الاعتزاز بها والسكون إليها » .

(٣) سورة الحديد : ٢١ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية وفي ذلك البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور ، والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع ما لها من السعة » .

(٤) سورة الجمعة : ٤ . وقال الرماني ص ٨ : « وهذا تشبيه قد أخرج فيه ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية . وقد اجتمعا في الجهل بما حملا . وفي ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية » !

(٥) سورة الأعراف : ١٧٦ . وقال الرماني ص ٧ : « فهذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه . قد اجتمعا في ترك الطاعة على كل وجه من وجود التدبير ، وفي التخييس ، فالكلب لا يطيعك في ترك اللمث حملت عليه أو تركته . وكذلك الكافر لا يطيعك بالإيمان على رفق ولا عنف . وهذا يدل على حكمة الله سبحانه أنه لا يمنع اللطف » .

(٦) سورة الحاقة : ٧ . وقال الرماني ص ٩ : « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية . وقد اجتمعا في خلو الأجساد من الأرواح . وفي ذلك الاحتقار لكل شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المال » .

بَيِّنًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيَّتُ الْعَنَكُبُوتِ ﴿١١﴾ .
 وقوله : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (١٢)
 وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (١٣) . ونحو ذلك

ومن ذلك : « باب الاستعارة » وذلك يُباين^(٤) « التشبيه » .
 كقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٥) .
 / وكقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) .
 وكقوله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ (٧) .
 وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ (٨) .

٤٠٣

(١) سورة العنكبوت: ٤١ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بالبدئية . وقد اجتماعا في ضعف المعتمد وهوى المستند . وفي ذلك التحذير من حمل النفس على الفرور بالعمل على غير يقين ، مع الشعور بما فيه من التوهين »

(٢) سورة الرحمن: ٢٤ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له القوة فيها . وقد اجتماعا في العظم ، إلا أن الجبال أعظم . وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها ، وما في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها »

(٣) سورة الرحمن: ١٤ . وقال الرماني : « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له القوة . وقد اجتماعا في الرخاوة والجفاف ، وإن كان أحدهما بالنار والآخر بالرياح »

(٤) كذا في ١ ، م . وفي ك ، س : « لاستعارة وهو بيان التشبيه »

(٥) سورة الفرقان: ٢٣ . وقال الرماني ص ١٠ : « حقيقة "قدما" هنا : عدنا . وقدمنا أبلغ منه ، لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر ؛ لأنه من أجل إمهاله لهم كعامة الغائب عنهم ثم قدم فرأهم على خلاف ما أمرهم . وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال . والمعنى الذي يجمعهما العدل ؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل . القدوم أبلغ لما بينا . وأما هباء منثوراً فبيان قد أخرج ما لا تقع عليه حاسة إلى ما تقع عليه حاسة »

(٦) سورة الحجر: ٩٤ . وقال الرماني ص ١١ : « حقيقة : بلغ ما تؤمر به . والاستعارة أبلغ من الحقيقة ؛ لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج . والتبليغ قد يضمف حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع . والمعنى البني يجمعهما الإيصال ، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاج أبلغ »

(٧) سورة الحاقة: ١١ . وقال الرماني ص ١١ : « حقيقة : علا . والاستعارة أبلغ ، لأن طغى علا قاهراً . وهو مبالغة في عظم الحال »

(٨) سورة الأعراف: ١٥٤ . وقال الرماني ص ١٢ : « حقيقة : انتفاء الغضب . والاستعارة بسكت أبلغ ؛ لأنه انتفى انتفاء مراد بالعودة ، فهو كالسكوت على مرادة الكلام بما توجه الحكمة في الحال ، فانقضى الغضب بالسكوت عما يكره . والمعنى الجامع بينهما الإمساك عما يكره »

وكقوله : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(١).
 وقوله : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(٢)
 فالدمغ والقذف مستعار .

٤٠٤

أ وقوله : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾^(٣).
 وقوله : ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾^(٤)
 وقوله : ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾^(٥).
 وقوله : ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٦).
 وقوله : ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(٧).
 وقوله : ﴿مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا﴾^(٨).

(١) سورة الإسراء : ١١ . وقال الرماني ص ١٢ : « فبصرة هاهنا استعارة . وحقيقتها : مضية . وهي أبلغ من مضية ؛ لأنه أدل على موقع النعمة ، لأنه يكشف عن وجه المنفعة . وقيل هو بمعنى ذات إبصار ، وعلى هذا يكون حقيقة »

(٢) سورة الأنبياء : ١٢ . وقال الرماني ص ١٣ : « القذف والدمغ هاهنا مستعار . وهو أبلغ ، لأن في القذف دليلاً على القهر ، لأنك إذا قلت : قذف به إليه ، فإنما معناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر . فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار لا على جهة الشك والارتياب . ويدمغه أبلغ من يدهبه ، لما في دمهغه من التأثير فيه ، فهو أظهر في النكاة وأعلى في تأثير القوة »

(٣) سورة يس : ٣٧ . وقال الرماني : « نسلخ مستعار ، وحقيقته : نخرج . والاستعارة أبلغ ؛ لأن السلخ إخراج الشيء مما لا يسه وعسر انتزاعه منه لالتحامه به ، فكذلك قياس الليل »

(٤) سورة الأنفال : ٧ . وقال الرماني ص ١٣ : « اللفظ هاهنا بالشوكة مستعار ، وهو أبلغ . وحقيقته : السلاح ، فذكر الحاد الذي به تقع المخافة واعتمد على الإيماء إلى النكته ، وإذا كان السلاح يشتمل على ما له حد وما ليس له حد ، فشوكة السلاح هي التي تبق

(٥) سورة فصلت : ٥١ . وقال الرماني : « عريض هاهنا مستعار . وحقيقته : كثير . والاستعارة فيه أبلغ ، لأنه أظهر بوقوع الحاسة عليه ، وليس كذلك كل كثرة . وقيل : عريض لأن المرض أدل على الطول »

(٦) سورة محمد : ٤ . وقال الرماني ص ١٤ : « وهذا مستعار . وحقيقته : حتى يضع أهل الحرب أثقالها ، فجعل وضع أهلها الأثقال وضعاً لها على جهة التفتيح لشأنها »

(٧) سورة التكوين : ١٨ . وقال الرماني ص ١١ : « وتنفس هاهنا مستعار . وحقيقته : إذا بدأ انتشاره . وتنفس أبلغ منه . ومعنى الابتداء فيها ، إلا أنه في التنفس أبلغ ؛ لما فيه من الترويح عن النفس » .

(٨) سورة البقرة : ٢١٤ . وقال الرماني ص ١٤ : « هذا مستعار . وزلزلوا أبلغ من كل لفظ كان يعبر به عن غلظ ما نالهم . ومعنى حركة الإزعاج فيها ، إلا أن الزلزلة أبلغ وأشد . »

/ وقوله : ﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾^(١) .
 وقوله : ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾^(٢) .
 وقوله : ﴿حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(٤) .
 وقوله : ﴿وَدَّاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٥) .
 وقوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾^(٦) .

/ وقوله : ﴿وَلَنُذَيِّقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾^(٧) .
 وقوله : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ يريد : أن لا إحساس بآذانهم من غير صمم^(٨) .

(١) سورة آل عمران : ١٧٨ . وقال الرماني : « حقيقته : تعرضوا للغفلة عنه . والاستعارة أبلغ ؛ لما فيه من الإحالة على ما يتصور »

(٢) سورة يونس : ٢٤ . وقال الرماني ص ١٦ : « أصل الحصيد للنبات . وحقيقته : مهلكة . والاستعارة أبلغ ؛ لما فيه من الإحالة على إدراك البصر »

(٣) سورة الأنبياء : ١٥ . وقال الرماني : « أصل الحمد للنار ، وحقيقته : هادئين . والاستعارة أبلغ ؛ لأن خلود النار أقوى في الدلالة على الهلاك ، على حد قولهم : طغى فلان كما يطفأ السراج »
 (٤) سورة الشعراء : ٢٢٥ . وقال الرماني ص ١٦ : « واد هاهنا مستعار . وكذلك الهيان . وهو من أحسن البيان ، وحقيقته : يخلطون فيما يقولون ، لأنهم ليسوا على قصد الطريق الحق . والاستعارة أبلغ ، لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يقع عليه الإدراك من تخليط الإنسان بالهيان في كل واد يمن له فيه الذهاب »

(٥) سورة الأحزاب : ٤٦ . وقال الرماني ص ١٦ : « السراج هاهنا مستعار ، وحقيقته : مبيئاً ، والاستعارة أبلغ ، للإحالة على ما يظهر بالحاسة »

(٦) سورة الإسراء : ٢٩ . وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : لا تمنع نائل كل المنع . والاستعارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد إلى العنق ، وذلك مما يحس الحال ، والتشبيه فيه بالمنع فيما ، إلا أن حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكرر »

(٧) سورة السجدة : ٢١ . وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : لنعذبهم . والاستعارة أبلغ ، لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يذوقه ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستدل إحساس الآلام لأن الأسبق في الذوق ذوق الطعام »

(٨) سورة الكهف : ١١ . وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم . والاستعارة أبلغ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ ، كذلك المنع من الإحساس فلا يحس . وإنما دل على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار لأنه أدل على المراد من حيث كان قد يضرب على الأبصار من غير عى فلا يبطل الإدراك رأساً ، وذلك بتغميض الأجفان ، وليس كذلك منع السمع من غير صمم في الآذان ؛ لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جراحة يصح بها الإدراك ، ولأن الأذن لما كانت طريقاً إلى الانتباه ثم ضرب عليها لم يكن سبيل إليه .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(١) .
وهذا أوقع من اللفظ الظاهر ، وأبلغ من الكلام الموضوع [له] ^(٢) .

*/وأما «التلاؤم» ، فهو: تعديل الحروف في التأليف . وهو نقيض «التنافر» ٤٠٧
[الذي هو] ^(٣) كقول الشاعر :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ ^(٤)
قالوا : هو من شعر الجن ! وحروفه متنافرة ، لا يمكن إنشاده إلاَّ بِتَتَعْتَعُ فيه ! ^(٥) . « والتلاؤم » على ضربين :
أحدهما في الطبقة الوسطى ، كقوله ^(٦) :

رَمَتْنِي وَسَتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ ^(٧)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا : ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهُيمُ ^(٨)
/أَلَا رُبَّ يَوْمٍ أَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتُهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ ^(٩) ٤٠٨

(١) سورة الأعراف : ١٤٩ . وقال الرماني ص ١٧ : « هذا مستعار . وحقيقته : ندموا لما رأوا من أسباب الندم . إلا أن الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس لما يوجب الندم بما سقط في اليد ، فكانت حاله أكشف في سوء الاختيار لما يوجب الوبال »

(٢) الزيادة من ا ، ك ، م (٣) الزيادة من م

(٤) البيت مجهول النسبة ، بل نسب إلى الجن ، وحرب : هو حرب بن أمية بن عبد شمس ، والد أبي سفيان بن حرب : راجع البيان والتبيين ١/٦٥ والحيوان ٦/٢٠٧ وشرح شواهد الشافعية ص ٤٨٧ ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي ص ٢٦ والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٧٧

(٥) نص عبارة الرماني ص ١٨ : « وذكروا أن هذا من أشعار الجن ، لأنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتبع . وإنما السبب في ذلك ما ذكرناه من تنافر الحروف »

(٦) هو أبو حية النيمري كما في الكامل للمبرد ص ١٩ وأمالى الشريف ٢/١٠٢ وحجاسة ابن الشجرى ص ١٥٣ وأمالى القالي ٢/٢٨٠

(٧) في الكامل ص ١٩ : « قيل : في ستر الله : الإسلام ، وقيل : إنه الشيب ، وقيل ما حرم الله » . وفي الأمالى : « عشية أحجار الكناس » وكذلك في اللسان ١٥/١٤٨ وفيه : « أراد بأحجار الكناس : رمل الكناس » والكناس : الموضع الذي تأوى إليه الظباء . ورقيم اسم جارية ، مأخوذ من العظام الرقيم ، وهي البالية ، كما قال الأخفش في زياداته على الكامل ص ١٩ وفي اللسان : « ورقيم من أسماء الصبا وبه سميت المرأة » ثم أنشد البيت شاهداً على ذلك «

(٨) سقط هذا البيت من ا ، م

(٩) قال أبو العباس المبرد : « يقول : رميت بطرفها وأصابني بمحاسنها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رميت ، وقتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب »

قالوا^(١): والمتلاؤم في الطبقة العليا : القرآن كله ، وإن كان بعض الناس أحسن إحساساً له من بعض ، كما أن بعضهم يفتن للموزون بخلاف بعض .

و«التلاؤم»^(٢): حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، ووقع المعنى في القلب . وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي ، والمتنافر/ كالخط القبيح ، فإذا انضاف إلى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات — ظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع ، وبصيراً بجواهر^(٣) الكلام ، كما يظهر له أعلى طبقة الشعر^(٤) .

و«المتنافر» ، ذهب الخليل إلى أنه من بُعد شديد ، أو قرب شديد ؛ فإذا بُعد فهو كالطفر^(٥) . وإذا قرب جداً كان بمنزلة مثنى المقيّد . ويبين بقرب مخارج الحروف وتباعدها .

* * *

وأما « الفواصل » : فهي حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة . والأسجاع عيب ؛ لأن السجع يتبعه^(٦) المعنى ، والفواصل تابعة

(١) نص عبارة الرماني بعد الأبيات : « والمتلاؤم في الطبقة العليا القرآن كله ، وذلك بين لمن تأمله ، والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف ، على نحو الفرق بين المتلاؤم والمتنافر في الطبقة الوسطى . وبعض الناس أشد إحساساً بذلك وفطنة له من بعض ، كما أن بعضهم أشد إحساساً بتمييز الموزون في الشعر من المكسور ، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والأخلاق . والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، فكلمة كان أعدل كان أشد تلاؤماً »

(٢) قال الرماني ص ١٨ : « والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليه من حسن الصورة وطريق الدلالة . ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والظرف ، وقراءته في أقيح ما يكون من الظرف والخط ، فذلك متفاوت في الصورة وإن كانت المعاني واحدة . . . والتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد ، وذلك يظهر بسهولته على اللسان ، وحسنه في الاتماع ، وتقبله في الطباع . فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات — ظهر الإعجاز للجيد الطباع ، البصير بجواهر الكلام ، كما يظهر له أعلى طبقات الشعر من أدناها إذا تفاوت ما بينهما »

(٣) قال الرماني ص ١٨ : « وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد ، أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مثنى المقيّد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال »

(٤) س ، ك : « يتبع »

(٥) س ، ك : « كالطفر »

للمعاني^(١) . والسجع كقول « مسيلمة » .

ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة ، كما قد تقع على حروف ٤١٠ متقاربة ؛ ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل ، لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة ، لأن الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي وإقامة الوزن^(٢) .

وأما « التَّجَانُّسُ » ، فهو : بيان بأنواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد . وهو على وجهين : مُزَاوَجَةٌ ، ومناسبة .

المُزَاوَجَةُ كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) .

٤١١ / وقوله : ﴿ وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرَ اللَّهُ ﴾^(٤) .
وكقول عَمْرُو بن كُلثُوم^(٥) :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(٦)

(١) قال الرمانى ص ١٩ : « والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجب الحكمة في الدلالة ، إذ كان الغرض الذى هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التى الحاجة إليها ماسة ، فإذا كانت المشاكلة وصلته إليه فهو بلاغة ، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولُكْنَةٌ ، لأنه تكلف من غير الوجه الذى توجب الحكمة ، ومثله مثل من رصع تاجاً ثم ألبسه زنجياً ساقطاً ، أو نظم قلادة در ثم ألبسها كلباً ! وقبح ذلك وعيبه بين لمن له أدنى فهم . . . وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها طريق إلى إظهار المعاني التى يحتاج إليها فى أحسن صورة يدل بها عليها »

(٢) قال الرمانى ص ٢٠ : « وإنما حسن فى الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد فى تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة . وأما القوافي فلا تحتل ذلك ؛ لأنها ليست فى الطبقة العليا من البلاغة . وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي ، فلو بطل أحد الشئيين خرج عن ذلك المنهاج ، وبطل ذلك الحسن الذى له فى الأسماع ، ونقصت رتبته فى الأفهام . والفائدة فى الفواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وإبدائها فى الآتى بالنظائر »
(٣) سورة البقرة : ١٩٤ . وقال الرمانى ص ٢١ : « فالمرآوجة تقع فى الجزء كقوله تعالى : " فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ " أى جازوه بما يستحق على طريق العدل ، إلا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار ، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان » .

(٤) سورة آل عمران : ٥٤ . وقال الرمانى ص ٢١ : « أى جازاهم على مكرمهم ، فاستعير للجزء على المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم »

(٥) من مملقته ، وهو فى شرح القصائد العشر ص ٢٣٨ وأمالى المرتضى ٨/٢ والصاحبى ص ١٩٦ وما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن الكريم المبرد ص ١٤ وأساس البلاغة ١٤٥/١ وجميع البيان ٥٢/١

(٦) قال الرمانى ص ٢٢ : « فهذا حسن فى البلاغة ولكنه دون بلاغة القرآن ، لأنه لا يؤذن بالعدل كما أذنت بلاغة القرآن ، وإنما فيه الإيدان براجع الوبال فقط . . . »

* * *

وَأَمَّا «الْمُنَاسِبَةُ» ، فهي كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾^(١) وقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٢) .

* * *

٤١٢ / وَأَمَّا «التَّصْرِيفُ»^(٣) فهو : تصريف الكلام في المعاني ، كتصريفه في الدلالات المختلفة^(٤) ؛ كتصريف «الملك» في معاني الصفات ، فَصُرِّفَ في معنى «مالك» و «ملك» و «ذی الملکوت» و «الملیک» ، وفي معنى «التملیک» و «التملک» و «الإملاک» ؛ وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة ، كما كرر من قصة موسى في مواضع^(٥) .

* * *

وَأَمَّا «التَّضْمِينُ» فهو : حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هي عبارة عنه^(٦) .

(١) سورة التوبة: ١٢٧ . وقال الرماني ص ٢٢ : «والثاني من التجانس وهو المناسبة، وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد ، فن ذلك قوله : "ثُمَّ انصرفوا ..." فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير . والأصل فيه واحد ، وهو الذهاب عن الشيء ؛ أما هم فذهبوا عن الذكر ، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير»

(٢) سورة النور : ٣٧ . وقال الرماني : «فجونس بالقلوب التقلب . والأصل واحد فالقلوب تتقلب بالخواطر ، والأبصار تتقلب في المناظر . والأصل التصرف»

(٣) بقية كلام الرماني بعد ذلك : «وهو عقدها به على جهة التعاقب . فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة ، وهو عقدها به على جهة المعاقبة كتصريف الملك» إلخ .

(٤) قال الرماني ص ٢٣ : «... وهذا الضرب من التصريف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه» .

(٥) قال الرماني ص ٢٣ : «أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة ، منها قصة موسى عليه السلام ، ذكرت في سورة الأعراف ، وفي طه ، والشعراء ، وغيرها ، لوجوه من الحكمة : منها التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة . ومنها تمكين العبرة والموعظة . ومنها حل شبهة في المعجزة ...»

(٦) قال الرماني بعد ذلك ص ٢٤ : «والتضمين على وجهين : أحدهما ما كان يدل عليه الكلام ما كان يدل عليه الإخبار . والآخر ما يدل عليه دلالة القياس . فالأول كذكرك الشيء بأنه محدث ، فهذا يدل على الحدث دلالة الإخبار ، فأما حادث فيدل على الحدث دلالة القياس دون دلالة الإخبار . والتضمين في الصفتين جميعاً ، إلا أنه على الوجه الذي بينا ...»

تضمنين "توجبه" البنية ، كقولنا : « معلوم » ، يوجب انه لا بد من علم .
وتضمنين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به ، كالصفة بضارب ،
على مضروب^(١) .

والتضمنين كله إيجاز . [وذكر : أن] التضمنين الذى تدل عليه دلالات
القياس أيضاً إيجاز^(٢) .

وذكر : أن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من باب التضمنين ؛ لأنه/تضمن ٤١٤
تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى ، أو التبرك
باسمه^(٣) .

* * *

وأما « المبالغة » ، فهي : الدلالة على كثرة المعنى . وذلك على وجوه :
منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك ، كقولك : « رَحْمَانٌ » عدل عن « رَاحِمٌ »^(٤) .

(١) قال الرماني ص ٢٤ : « والتضمنين على وجهين : تضمنين توجبه البنية ؛ وتضمنين يوجبه معنى
العبارة من حيث لا يصح إلا به ، ومن حيث جرت العادة بأن يقصد به . فالذى توجبه نفس البنية فالصفة
بمعلوم توجب أنه لا بد من عالم وكذلك مكرم . وأما الذى يوجبه معنى العبارة من حيث لا تصح إلا به
فكالصفة بقاتل ، تدل على مقتول من حيث لا يصح معه معنى قاتل ولا مقتول ، فهو على دلالة التضمنين .
والتضمنين الذى يوجبه معنى العبارة من جهة جريان العادة فكقولهم : الكثرُ بستين ، المعنى فيه بستين ديناراً ،
فهذا ما حذف وضمن الكلام معناه لجريان العادة به » .

(٢) قال الرماني : « والتضمنين كله إيجاز استغنى به عن التفصيل ؛ إذ كان مما يدل دلالة الأخبار
في كلام الناس ، وأما التضمنين الذى يدل عليه دلالة القياس فهو إيجاز في كلام الله عز وجل خاصة ؛ لأنه
تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة ، فنصبه لها يوجب أن يكون قد دل عليها من كل وجه يصح
أن يدل عليه ، وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة ؛ لأنه قد يذهب عنه دلالتها من جهة
القياس ، ولا يخرج ذلك عن أن يكون قد قصد بها الإبانة عما وضعت له في اللغة من غير أن يلحقه فساد
في العبارة » .

(٣) قال الرماني : « وكل آية فلا تخلو من تضمنين لم يذكر باسم أو صفة ، فن ذلك : " بسم الله
الرحمن الرحيم " قد ضمن التعليم لاستفتاح الأمور على جهة التبرك به والتعظيم لله بذكره ، وأنه أدب من
آداب الدين وشعار المسلمين ، وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي من أجل نعمه ، وأنه ملجأ
الخائف ، ومعتمد للمستنجح » .

(٤) س : ك : « عدل عن ذلك للمبالغة » وقال الرماني بعد ذلك : « ولا يجوز أن يوصف به إلا الله
عز وجل ؛ لأنه يدل على معنى لا يكون إلا له ، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء » .

للمبالغة ، وكقوله : « غَفَّار » وكذلك فَعَّال ^(١) وفَعُول ، كقوله : « شكور »
و « غفور » ، وفَعِيل ، كقوله : « رحيم » و « قدير » .

ومن ذلك أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة ^(٢) ، كقوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٣) وكقوله : ﴿ فَاتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ ^(٤) .

٤١٥ / وكقوله : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ^(٥)

وكقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٦) .
وقد يدخل فيه الحذف الذي تقدم ذكره للمبالغة ^(٧) .

* * *

وأما « حُسْنُ البَيَان » فالبيان على أربعة أقسام ^(٨) : كلام ، وحال ، وإشارة ،
وعلاوة .

٤١٦ / ويقع التفاضل في البيان ، ولذلك قال عزَّ من قائل : ﴿ الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ

(١) غفار مثال لفعال . وقد ترك المؤلف من الأوزان التي ذكرها الرمانى : مفعل كدعس ومطعن ،
ومفعال كمنحار ومطعام

(٢) قال الرمانى ص ٢٥ : « الضرب الثانى المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة » كقوله ، إلخ

(٣) سورة الزمر : ٦٢

(٤) سورة النحل : ٢٦ وهذه الآية قد مثل بها الرمانى للضرب الثالث من ضروب المبالغة ، وهو
إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ثم قال : « أى أتاهم بعظيم بأسه نجعل ذلك إتياناً
له على المبالغة »

(٥) سورة الأعراف : ٤٠ وقد مثل بها الرمانى للضرب الرابع ، وهو إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة

(٦) سورة سبأ : ٢٤ وقد مثل بها الرمانى للضرب الخامس ، وهو إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة
في العدل ، والمظاهرة في الحجاج .

(٧) قال الرمانى ص ٢٦ : « الضرب السادس حذف الأجوبة للمبالغة كقوله تعالى : (ولو ترى
إذ وقفوا على النار) و (لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب) ومنه (ص والقرآن ذى الذكر) كأنه
قيل : بلاء الحق ، أو لعظم الأمر ، أو بلاء بالصدق . كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفتيم .
والحذف أبلغ من الذكر ؛ لأن الذكر يقصر على وجه ، والحذف يذهب بالوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم ،
لما قد قسمته من التفتيم »

(٨) قال الرمانى ص ٢٦ : « البيان هو الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك . والبيان
على أربعة أقسام . . . والكلام على وجهين : كلام يظهر به تمييز الشيء من غيره فهو بيان ، وكلام لا يظهر
به تمييز الشيء فليس ببيان ، كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به معنى . وليس كل بيان يفهم به المراد
فهو حسن ؛ من قبل أنه قد يكون على عى وفساد » ثم حكى ما حكى عن عى باقل وإفلات الظبي
من يده ، ثم قال : « فهذا وإن كان قد أكد للأفهام فهو أبعد الناس عن حسن البيان »

الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ^(١) .

[ونقيضه العيى ، ومنه]^(٢) قيل : أعْيَا من بَاقِلٍ ، سئل عن ظبية في يده : بكم اشتراها ؟ فأراد أن يقول : بأحد عشر ، فأشار بيديه ماداً أصابعه العشر ، ثم أدلّع لسانه ، فأفلتت الظبية من يده ! !

* * *

ثم البيان على مراتب^(٣) .

قلنا^(٤) : قد كنا حكيمنا أن من الناس من يريد أن يأخذ إعجاز القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا أنها تسمى « البديع » في أول الكتاب ، مما مضت أمثلته في الشعر .

ومن الناس من زعم : أنه يأخذ ذلك من هذه الوجوه التي عددناها في هذا الفصل .

/ واعلم أن الذي بيناه قبل هذا وذهبنا إليه هو شديد^(٥) ، وهو أن هذه الأمور ٤١٧ تنقسم :

فمنها ما يمكن الوقوع عليه ، والتعمّل له ، ويُدرّك بالتعلم ؛ فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به .

وأما ما لا سبيل إليه بالتعلم والتعمّل من البلاغات ، فذلك هو الذي يدل على إعجازه ؛ ونحن نضرب لذلك أمثلة^(٦) ، لتقف على ما ذهبنا إليه .

وذكرنا في هذا الفصل عن هذا « القائل » أن التشبيه تعرف به البلاغة . وذلك مسلم ، ولكن^(٦) إن قلنا : ما وقع من التشبيد في القرآن معجز — عرض^(٧) علينا

(١) سورة الرحمن : ١-٤ . وسبب استشهاد الرمان بهذه الآية أنه قال : ص ٢٧ « وليس يحسن أن يطلق اسم بيان على قبيح من الكلام ؛ لأن الله قد مدح البيان واعتد به في آياده الجسام فقال (الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان) ولكن إذا قيد بما يدل على أنه يعنى به إلهام المراد جاز »

(٢) الزيادة من م

(٣) قال الرمان ص ٢٧ : « وحسن البيان في الكلام على مراتب : فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ، ويسهل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرهان ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة . . . والقرآن كله في نهاية حسن البيان . . . »

(٥) ل : « شديد »

(٤) م : « فإننا قد »

(٧) م : « اعترض »

(٦) م : « وذلك إن »

من التشبيهات الجارية في الأشعار ما لا يخفى عليك ، وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه السحر ، وقد تتبّع في هذا ما لم يتتبّع غيره ، واتّفق له ما لم يتفق لغيره من الشعراء .

وكذلك كثير من وجوه البلاغة ، قد بينّا أن تعلّمها يمكن ، وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره .

فإن كان إنما يعني هذا «القائل» أنه إذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة العالية ، ثم كان ما يصل به كلامه بعضه ببعض ، وينتهي/ منه إلى متصرفاته — : ٤١٨ على أتم البلاغة وأبدع البراعة — فهذا مما لا نأباه ، بل نقول به .

وإنما ننكر أن يقول قائل : إن بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الإعجاز من غير أن يقارنه ما يصل به [من] ^(١) الكلام ويُفَضِّي إليه ، مثل ما يقول ^(٢) : إن ما أقسم به وحده بنفسه معجز ، وإن التشبيه معجز ، وإن التجنيس معجز ، والمطابقة بنفسها معجزة .

فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه ، فإن ادّعى إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفها — فإنّي لا أدفع ذلك وأصححه ، ولكن لا أدعى إعجازها لموضع التشبيه .

وصاحب «المقالة» التي حكيناها ، أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرّن به من الوجوه ، ومن تلك الوجوه ما قد بينّا أن الإعجاز يتعلق به كالبيان ، وذلك لا يختص بجنس من المبيّن ^(٣) دون جنس ، ولذلك قال : ﴿ هذا بيّانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٤) وقال : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٥) وقال : ﴿ بَلِّسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(٦) فكرر في مواضع [جمل] ^(٧) ذكره : أنه مبين .

٤١٩ / فالقرآن أعلى منازل البيان . وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحُسْنِ وأسبابه ، وطرقه وأبوابه : من تعديل النظم وسلامته ^(٨) ، وحسنه وبهجته ، وحسن موقعه في السمع ، وسهولته على اللسان ، ووقوعه في النفس موقع القبول ، وتصوره تصور المشاهد ،

(٢) م « ما نقول »

(٤) سورة آل عمران : ١٣٨

(٦) سورة الشعراء : ١٩٥

(٨) م « وسلامته »

(١) الزيادة من م

(٣) م « بجنس دون جنس »

(٥) سورة النحل : ٨٩

(٧) الزيادة من م

وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف ، مما لا ينحصر حسناً وبهجةً وسناءً ورفعةً .

وإذا علا الكلام في نفسه ، كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ، ما يُذهل ويُبهج ، ويُقلق ويُؤنس ، ويُطمع ويُؤيس ، ويُضحك ويبكى ، ويُحزن ويُفرح ، ويُسكن ويُزعج ، ويُشجى ويطرب^(١) . ويَهْزُ الأعْطَافُ ، وَيَسْتَمِيلُ نحوه الأسماع^(٢) . ويُورث الأريحية والعِزَّةَ ، وقد يبعث على بَدْءِ المُهْجِ والأموال شجاعةً وجُوداً ، ويرى السامع من وراء رأيه مرمى^(٣) بعيداً . وله مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل إلى القلوب دقيقة .

وبحسب ما يترتب في نظمه ، ويتنزل في موقعه ، ويجرى على سَمْتِ مَطْلَعِهِ ومقطعه - يكونُ عَجِيبُ تأثيراته ، وبديعُ مقتضياته . وكذلك على حسب مصادره ، يتصورُ وجوه مَوارِدِهِ .

/ وقد^(٤) ينشأ الكلام عن محل صاحبه ، ويدل على مكان متكلمه ، ويُنبه ٤٢٠ على عظيم شأن أهله ، وعلى علو محله .

ألا ترى أن الشعر في الغزل إذا صدر عن محبٍّ ، كان أرقَّ وأحسن ؛ وإذا صدر عن مُتَعَمِّلٍ^(٥) ، وحصل من متصنع - نادى على نفسه بالمُدْجَاةِ ، وأخبر عن خَبِيئَتِهِ في المراءاة^(٦) ؟ !

وكذلك قد يصدر الشعر في وصف الحرب عن الشجاع ، فيعلم وجه صلوره ، ويدل على كنهه وحقيقته .

وقد يصدر عن المتشبه ، ويخرج عن المتصنع ، فيعرف من حاله ما ظن أنه يخفيه ، ويظهر من أمره خلاف ما يبديه . وأنت تعرف^(٧) لقول المُتَنَبِّئِي :

فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي

وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٨)

(١-١) ما بين الرقمين ساقط من م (٢) م « ويرى السامع من ورائه مرمى »

(٣) م : « فقد » (٤) س ، ك : « متفزل »

(٥) أ : « خبيثه » م « جنسه في المرامات » (٦) كذا في أ ، م ، ك : « وفي س » تجد .

(٧) ديوانه ٢٦٢/٢ وهي رواية الواحدى ، وفي ك : « والحرب والطنن » أ « والطنن والضرب » .

من الوقع^(١) في القلب - لما^(٢) تعلم أنه من أهل الشجاعة - ما لا تجده
للبحترى في قوله :

٤٢١ / وأنا الشجاع وقد بدا لك موقفي بعقرقيس والمشرقية شهدي^(٣)
وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب ، في الفخر وغيره ، ما لا تجده
لغيره ؛ لأنه إذا قال :

إذا شئت أوفرت البلاد حوافراً وسارت ورأى هاشم ونزار
وعم السماء النقع حتى كأنه دخان وأطراف الرماح شرار^(٤)
وقال :

قد ترديت بالكارم دهرأ وكفتني نفسي من الافتخار^(٥)
أنا جيش إذا غزوت وحيداً ووحيـد في الجحفل الجرار
وقال :

أيها السائل عـن الحسب الأظـ يب ما فوقه لخلق مزيـد^(٦)
نحن آل الرسول والعتره الحق ق وأهل القربى ، فماذا تريد ؟^(٧)
ولنا ما أضاء صبح عليه وأنته رايات ليل سود^(٨)
وكما أنشدنا الحسن بن عبد الله ، قال : أنشدنا محمد بن يحيى لابن المعتز
قصيدته التي يقول فيها :

أنا ابن الذي سادهم في الحيا ة وسادهم بي تحت الثرى^(٩)
٤٢٢ / ومالي في أحد مرغـب بلى في يرغب كل الورى
وأشهر للمجد والمكرمات إذا اكتحلت أعين بالكرى^(١٠)

(١) م : « الوقع » . ك : « الواقع » (٢) م : « ما تعلم »

(٣) ديوانه ٤٦١ (٤) ديوانه ص ٣٧ وفي م ، ك : « وعم شام النقع »

(٥) ديوانه ص ٣٩ وفي ا ، ك ، م : « بالكارم حول »

(٦) ديوانه ص ٣٠ (٧) ا ، م ، ك : « القربى » س : « القرى »

(٨) م : « وأنا ما أضاء » وفي الديوان : « أنته آيات »

(٩) ديوانه ص ٦ (١٠) م ، ك : « اكتحلت » س : « كحت »

فانظر في (١) القصيدة كلها ، ثم في جميع شعره ، تعلم أنه مَلِكُ الشعر ، وأنه يليق به من الفخر خاصة ، ثم مما يتبعه مما يتعاطاه — ما لا يليق بغيره ، بل ينفر عن سواه .

ولم أحب أن أكثر عليك ، فأطوّل الكتاب بما يخرج عن غرضه .
وكما ترى من (٢) قول أبي فراس الحمداني في نفسك إذا قال :

ولا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بَغَارَةَ
ولا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلَى النُّذُرِ (٣)

وَيَا رَبَّ دَارٍ لَمْ تَخَفْنِي مَنِيعَةَ
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
وَسَاحِبَةِ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيَتْهَا

فلم يلقها جاني اللقاء ولا وعْرُ (٤)

٤٢٣

وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلَّهُ
وَأَبْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْيَاتِهَا سِتْرُ (٥)

وما رَاحَ يُطْغِنِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى
ولا بات يَشْنِينِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ

وما حاجتي في المال أَبْغَى وَفُورُهُ
إِذَا لَمْ أَفِرْ وَفَرَى فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ (٦)

والشيء إذا صدر من أهله ، وبدا من أصله ، وانتسب إلى ذويه — سلم في نفسه ، وبانت فخامته ، وشُوهِدَ (٧) أثر الاستحقاق فيه .

وإذا صدر من متكلف ، وبدا من متصنع — بَانَ أثرُ الغربة (٨) عليه ،

(١) م « فانظر هذه »

(٢) م : « في »

(٣) ديوانه ٢١٢/٢

(٤) في الديوان رواية أخرى هي : « جهم اللقاء »

(٥) هذه رواية في الديوان ، وهناك رواية أخرى وهي : « ورحت ولم يكشف لأثوابها ستر »

وفي م : « وهبت له »

(٦) هذه رواية م والديوان . وفي س ، ك : « إذا لم أفر وفرى » .

(٧) س : « وشواهد »

(٨) ١ ، ك « الغربة » م « العربة » س « الغرابية »

وظهرت مخايل الاستيحاش فيه ، وعُرف شئائل السحير^(١) منه .
 إِنَّا نَعْرِفُ فِي شَعْرِ أَبِي نَوَاسٍ أَثَرَ الشَّطَارَةِ : وَتَمَكَّنَ الْبَطَالَةُ : وَمَوْقِعُ
 ٤٢٤ كَلَامِهِ فِي وَصْفِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنْ أَمْرِ الْعِيَارَةِ^(٢) ، وَوَصْفِ / الْخَمْرِ وَالْخَمَارِ .
 كَمَا نَعْرِفُ مَوْقِعَ كَلَامِ ذِي الرِّمَّةِ فِي وَصْفِ الْمَهْطَامَةِ وَالْبَوَادِي وَالْجُمَالِ وَالْأَنْسَاعِ
 وَالْأَزْمَةِ .

وَعَيْبُ أَبِي نَوَاسٍ التَّصَرُّفُ فِي وَصْفِ الطَّلُولِ وَالرِّبَاعِ وَالْوَحْشِ :
 فَفَكَرْتُ فِي قَوْلِهِ :

دَعِ الْأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الْجَنُوبُ	وَتُبْلَى عَهْدَ جِدَّتِهَا الْخُطُوبُ ^(٣)
وَحُلْ لِرَاكِبِ الْوَجْنَاءِ أَرْضاً	تَخْبُ بِهَ النَّجِيصَةِ وَالنَّجِيبِ ^(٤)
بِلَادُ نَبْتِهَا عَشْرُ وَطْلَحُ	وَأَكْثَرُ صَيْدِهَا ضَبْعُ وَذِيبِ ^(٥)
وَلَا تَأْخُذْ عَنِ الْأَعْرَابِ لَهْوَ	وَلَا عَيْشاً . فَعَيْشُهُمْ جَدِيبُ
دَعِ الْأَلْبَانَ يَشْرِبُهَا رِجَالُ	رَقِيقُ الْعَيْشِ عِنْدَهُمْ غَرِيبُ ^(٦)
إِذَا رَابَ الْحَلِيبُ فَبَلَّ عَلَيْهِ	وَلَا تَحْرَجْ ، فَمَا فِي ذَاكَ حُوبُ ^(٧)
فَأَطِيبُ مِنْهُ صَافِيَةٌ شَمُولُ	يَطُوفُ بِكَأْسِهَا سَاقُ أَدِيبِ ^(٨)
كَأَنَّ هَدِيرَهَا فِي الدَّنِّ يَحْكِي	قِرَادَةَ الْقَسِّ قَابِلَهُ الصَّلِيبُ
أَعَاذَلْ أَقْصَرِي عَنْ طَوْلِ لَوِي	فَرَاغِي تَوْبَتِي عِنْدِي يَخِيبُ
تَعْيِينَ الذُّنُوبَ ، وَأَيَّ حُرِّ	مِنْ الْفَتَيَانِ لَيْسَ لَهُ ذَنْبُ ؟ !

٤٢٥ / وقوله :

صِفَةُ الطَّلُولِ بِلَاغَةُ الْقَدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابِنَةَ الْكَرَمِ^(٩)

(١) س « شئائل التخير » لك « بشئائل التخير »

(٢) كذا في ١ ، ك . وفي م « من أمر العناية في وصف الخمر » س « من أمر المغازلة ووصف » .

وفي اللسان ٣٠٢/٦ « يقال غلام عيار : نشيط في المعاصي »

(٣) ديوانه ص ١٠٤ وفي ١ « تسقيها » (٤) س : « تخب بها »

(٥) راجع وصف أبي حنيفة للعشر في اللسان ٢٥٠/٦ والطلع في اللسان ٣٦٥/٣

(٦) سقط هذا البيت من م (٧) م : « ولا تتجرعن في ذلك »

(٨) م : « ساق أريب » (٩) ديوانه ٣٢٣

وسمعت الصاحب إسماعيل بن عبَّاد يقول : سمعت براكويته^(١) الزنجاني يقول :

أنشد بعض الشعراء هلال بن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الأعشى :
ودَّعَ هَرِيرَةً إِنَّ الرُّكْبَ مُرْتَحِلٌ وهل تُطِيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ ؟
وكان وصف فيها الطلل ، قال براكويه^(٢) : فقال لي هلال : فقلت
بديهاً :

إذا سمعت فتى يبيكي على طللٍ مِنْ أَهْلِ زَنْجَانَ ، فاعلم أنه طللٌ

* * *

وإنما ذكرت لك هذه الأمور ، لتعلم أن الشيء في معدنه أعزّ . وإلى
مَظَانِه أَحْسَن^(٣) . وإلى أصله أَنْزَع . وبأسبابه أَلْيَق ؛ وهو^(٤) يدل على ما صَدَرَ
منه ، وينبئ ما أنتج عنه ، ويكون قراره على موجب صورته ، وأنواره على حسب
محله ؛ ولكل شيء حدّ ومذهب . ولكل كلام سبيل ومنهج .
وقد ذكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلام مُسَيَّلِمَةٍ ما أخبرتك
به ، فقال : إن هذا كلام لم يخرج من إل^(٥) . فدل على أن الكلام الصادر
عن عزّة الربوبية ورفعة الإلهية . يتميز عما لم يكن كذلك .

* * *

ثم رجع الكلام بنا إلى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان^(٦) ، ولو لم يكن فيه
إلا ما مَنَّ به الله على خلقه بقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾^(٧) .

(١) في ل ، س : « برلكويه » . وفي م : « ابن راكويه » . وانظر ترجمة « براكويه » في يتيمة
الدهر للشمالي ٤٠٤/٣ - ٤٠٥

(٢) راجع التعليق السابق . وفي م : « فقال ابن زاكويه قال : ما تقول ؟ فقلت بديهاً »

(٣) كذا في ل ، م . وفي س : « وفي مَظَانِه أَحْسَن » (٤) م : « وهذا »

(٥) في اللسان ٢٦/١٣ عن ابن سيدة « والإل : الله عز وجل ، بالكسر ، وفي حديث أبي بكر
رضي الله عنه لما تلى عليه صبح مسيلة : إن هذا لشيء ما جاء من إل ولا بر ، فأين ذهب بكم ؟ أي من
ربوبية . وقيل : الإل : الأصل الجيد ، أي لم ينجي من الأصل الذي جاء منه القرآن . وقيل : الإل :
النسب والقرابة . فيكون المعنى : إن هذا كلام غير صادر من مناسبة الحق ، ولا إدلاء بسبب بينه وبين
الصدق » . والنسب في اللسان محرف ، صححناه بما يستقيم به

(٧) بل الحق إنه رجع إلى نقل كلام الرمانى في البيان الذي سبق نقله لبعضه

فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان وأهداه ، وأكمله وأعلاه ، وأبلغه وأسناه .

٤٢٧ / تأمل قوله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ ^(١) في شدة التنبيه على تركهم الحق والإعراض عنه . وموضع امتنانه بالذكر والتحذير ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ^(٣) وهذا بليغ في التحسير .

وقوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ ^(٤) وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر ، معودين لمخالفة النهى والأمر ^(٥) .

وقوله : ﴿ الْآخِلَاءِ يُؤْمِنُ بِغُضُوبِ عَدُوِّهِ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٦) هو في نهاية المنع ^(٧) من الخلّة إلا على التقوى .

وقوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ ^(٨) . وهذا نهاية في التحذير من التفريط .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٤٢٨ / اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ^(٩) هو النهاية في الوعيد والتهديد ^(١٠) .

وقوله : ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ : هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ

(١) سورة الزخرف : ٥

(٢) نص عبارة الرمانى ص ٢٨ . « فهذا أشد ما يكون من التفريع »

(٣) سورة الزخرف : ٣٩ . وقال الرمانى : « فهذا أعظم ما يكون من التحسير »

(٤) سورة الأنعام : ٢٨

(٥) قال الرمانى : « وهذا أدل دليل على العدل ، من حيث لم يقطعوا عما يتخلصون به من ضرر الجرم ، ولا كانت قبائحهم على طريق الخير »

(٦) سورة الزخرف : ٦٧ . وقال الرمانى : « وهذا أشد ما يكون له من التفريع عن الخلّة إلا على التقوى »

(٧) س ، ك « الوضع »

(٨) سورة الزمر : ٥٦ وقال الرمانى : « فهذا أشد ما يكون من التحذير من التفريط »

(٩) سورة فصلت : ٤٠ (١٠) الرمانى ص ٢٨

سَبِيلٍ . وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِيلِ . يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴿١﴾
نهاية في الوعيد .

وقوله : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢)
نهاية في الترغيب .

وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٣) ؛ وكذلك قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٤) نهاية في الحجاج (٥) .

وقوله : ﴿ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٦) نهاية في الدلالة على علمه بالخفيات .

/ ولا وجه للتطويل ؛ فإن بيان الجميع في الرفعة وكبر المنزلة على سواء (٧) . ٤٢٩
وقد ذكرنا من قبل : أن البيان يصح أن يتعلق به الإعجاز ، وهو معجز من القرآن .

* * *

وما جئنا عن «صاحب الكلام» : من «المبالغة» في اللفظ — فليس ذلك بطريق الإعجاز ؛ لأن الوجوه التي ذكرها قد تتفق في كلام غيره ، وليس ذلك بمعجز ، بل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة ، وجوه من اللفظ تثمر (٨) الإعجاز .

* * *

و«تَضْمِينُ المعاني» أيضاً (٩) قد يتعلق به الإعجاز إذا حصلت للعبارة طريق البلاغة في أعلى (١٠) درجاتها .

(١) سورة الشورى : ٤٤ - ٤٥

(٢) سورة الزخرف : ٧١

(٣) سورة المؤمنون : ٩١

(٤) سورة الأنبياء : ٢١

(٥) قال الرماني ص ٢٩ : « وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج ، وهو الأصل الذي عليه الاعتماد في صحة التوحيد ؛ لأنه لو كان إله آخر لبطل الخلق بالتمانع بوجودهما دون أفعالهما » .

(٦) سورة الملك : ١٣ - ١٤

(٧) سقطت من م

(٨) س : « يشمر »

(٩) م : « بالعبرة ... من أعلى » .

وأما «الفَوَاصِلُ» فقد بينّا أنه يصح أن يتعلق بها الإعجاز ، وكذلك قد بينّا في المقاطع والمطالع نحو هذا ، وبينّا في «تلاؤم» الكلام ما سبق : من صحة تعلق الإعجاز به .

٤٣٠ / والتصرف في «الاستعارة» البديعة يصح أن يتعلق به الإعجاز ، كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام ؛ لأن البلاغة في كل واحد من البابين تجري مجرى واحداً وتأخذ مأخذاً مفرداً .

* * *

وأما «الإيجاز والبَسْطُ» فيصح أن يتعلق بهما الإعجاز^(١) ، كما يتعلق بالحقائق .

* * *

و «الاستعارة» و «البيان» في كل واحد منهما ما لا^(٢) يضبط حدّه ، ولا يقدر قدره ، ولا يمكن التوصل إلى ساحل بحره بالتعلم ، ولا يُتطَرَّقُ إلى غوره بالتَّسْبِيب . وكلُّ ما يمكن تعلمه ، وينتهي تَلَقُّقُه ، ويمكن تحصيله^(٣) ، ويستدرك أخذه — فلا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز به .

ولذلك قلنا : إن «السجع» ما ليس يلتمس فيه الإعجاز ؛ لأن ذلك أمر محدود ، وسبيل مَورُودٌ ؛ ومتى تدرب الإنسان به واعتاده لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه .

وكذلك «التَّجْنِيسُ» و «التَّطْبِيقُ» متى أخذ أخذهما^(٤) وطلب وجههما ، استوفى ما شاء ، ولم يتعدّر عليه أن يملأ خطابه منه ، كما أولع بذلك أبو تَمَّام والبُحْتَرِيُّ ، وإن كان البحترى أشغف بالمطابق ، وأقل طلباً للمُجَانَس .

فإن قال قائل : هلا قلت : إن هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية ، لا يوصل إليها بالتعلم ، ولا تملك بالتعمّل ؛ كما ذكرتم في البيان وغير ذلك ؟

قلنا : لو عمد إلى كتاب «الأجناس» ، ونظر في كتاب «العَيْن» ؛ لم يتعدّر عليه التجنيس الكثير .

فأما «الإطباق» فهو أقرب منه . وليس كذلك البيان والوجه التي رأينا الإعجاز فيها ؛ لأنها لا تستوفى بالتعلم .

(٢) م «منهما لا يضبط»

(١) س : «إعجاز»

(٣) كذا في أ ، م . وفي ك ، س «تخليصه» .

فإن قيل : فالبيان قد يتعلم ؟

قيل : إن الذى يمكن أن يتوصل إليه بالتعلّم يتقارب^(١) فيه الناس ، وتتناهى فيه العادات ، وهو كما يعلم من مقادير القوى فى حمل الثقل ، وأن الناس يتقاربون^(٢) فى ذلك ، فسيَرْمُون^(٣) فيه إلى حد ، فإذا تَجَاوَزُوهُ وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطى ، ولم يقدرُوا على التعدى ؛ إلا أن يحصل ما يخرق العادة ، وينقض العُرْف ؛ ولن يكون ذلك إلا للدلالة على النبوات ، على شروط فى ذلك .

/ والقدرُ الذى يفوت الحدَّ فى البيان ، ويتجاوز الوهم^(٤) ، ويشذَّ عن الصنعة ، ٤٣٢ ويقذفه الطبع فى النادر القليل ، كالبيت البديع ، والقطعة الشريفة التى تتفق فى ديوان شاعر^(٥) ، والقصيدة تتفق فى رسالة^(٦) كاتب ، حتى يكون الشاعر ابن بيت أو بيتين ، أو قطعة أو قطعتين ؛ والأديب شهير^(٧) كلمة أو كلمتين - ذلك أمر قليل^(٨) .

ولو كان كلامه كله يطرّد على ذلك المسلك ، ويستمر على ذلك المنهج ؛ أمكن أن يدعى فيه الإعجاز .

ولكنك إن كنت من أهل الصنعة : تعلم قلة الأبيات الشّوَارِد ، والكلمات الفَرَائِد^(٩) ، وأمّهات القلائد .

فإن أردت أن تجد قصيدةً كلّها وحشية ، وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتها مرضية - لم تجد ذلك فى الدواوين ، ولم تظفر بذلك إلى يوم الدين .

ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ، ولفظة بديعة ؛ وإنما أنكرنا

٤٣٣ أن يقدرُوا على مثل نظم سورة أو^(١٠) نحوها ، وأحلّنا أن/يتمكنوا من حدّ فى البلاغة ، ومقدار فى الخطابة .

وهذا كما قلناه : من^(١١) أن صورة الشعر قد تتفق فى القرآن ، وإن لم يكن له حكم الشعر .

- | | |
|---------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) كذا فى م ، ك . وفى س « يتفاوتون » | (٢) كذا فى ك . وفى م « يتفاوتون » |
| (٣) ك ، م « ويرمون » | (٤) م : « ويتجاوز الفهم . . . على » |
| (٥) م : « الشاعر » | (٦) س ، ك : « فى رسالة » |
| (٧) س ، ك : « شهيد » | (٩) م : « قريب » . |
| (٨) م ، ا : « الفوارد » | (١٠) م : « ونحوها » . |
| (١١) سقطت . | |

* * *

فأما قَدَرُ المعجز فقد بينّا أنها السورةُ ، طالت أو قصرت ، وبعد ذلك خلاف :

من ^(١) الناس من قال : مقدار كل سورة أو أطول آية ، فهو معجز .
وعندنا كل واحد من الأمرين معجز ، والدلالة عليه ما تقدم ^(٢) ، والبلاغة لا تتبين بأقل من ذلك ، فلذلك لم نحكم بإعجازه ، وما صح أن تتبين فيه ^(٣) .
البلاغة ؛ ومحصولها الإبانةُ في الإبلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظ ، وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام .

فإذا بلغ الكلامُ غايته في هذا المعنى ، كان بالغاً وبلغاً . فإذا ^(٤) تجاوز حد البلاغة إلى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة ، وانتهى إلى أمد ^(٥) يعجز عنه الكامل في البراعة — صح أن يكون له حكم المعجزات ، وجاز أن يقع موقع الدلالات .

٤٣٤ / وقد ذكرنا أنه بحسبه ^(٦) وأسلوبه مُباينٌ لسائر كلامهم ، ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحد الذي يقدر عليه البشر .

* * *

فإن قيل : فإذا ^(٧) كان يجوز عندكم أن يتفق في شعر الشاعر قطعةٌ عجيبة شاردة ، تبين جميع ديوانه في البلاغة ، ويقع في ديوانه بيتٌ واحد يخالف ^(٨) مألوف طبعه ، ولا يُعرفُ سببُ ذلك البيت ، ولا تلك القطعة في التفصيل ، ولو أراد أن يأتي بمثل ذلك أو يجعل ^(٩) جميع كلامه من ذلك النمط ، لم يجد إلى ذلك سبيلاً ، وله سبب في الجملة وهو التقدم في الصناعة ؛ لأنه ^(١٠) يتفق من المتأخر فيها — فهلاً قلتم : إنه إذا بلغ في العلم بالصناعة مَبَالِغَهُ الْقُصْوَى ^(١١) ،

(١) م : « بين »

(٢) م : « ما قد »

(٣) م : « فيه من »

(٤) م : « وإذا »

(٥) م : « لجنسه »

(٦) م : « أمر »

(٧) م : « كذا في ا ، م . وفي ك ، س : « أمر »

(٨) م : « ك »

(٩) م : « إذا »

(١٠) م : « لا يتفق »

(١١) م : « ك »

(١١) م : « مبالغة قصوى » . م ، ا « الغاية القصوى »

كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وسمت تلك القطعة ؟ وهلا قلتم : إن القرآن من هذا الباب ؟

فالجواب : أنا لم نجد أحداً بلغ الحد الذي وصفتم في العادة . وهذا الناس وأهل البلاغة أشعارهم عندنا محفوظة ، وخطبهم منقولة ، ورسائلهم مأثورة ، وبلاغاتهم مسروية ، وحكمهم مشهورة ؛ وكذلك أهل الكهانة والبلاغة ، مثل ٤٣٥ قس بن ساعدة ، وسحبان وآيل ، ومثل ^(١) شق ، وسطيح ، وغيرهم - كلامهم معروف عندنا ، وموضوع بين أيدينا ، لا يخفى علينا في الجملة بلاغة بليغ ، ولا خطابة خطيب ، ولا براعة شاعر مفلح ، ولا كتابة كاتب مدقق .

فلما لم نجد في شيء من ذلك ما يداني القرآن في البلاغة ، أو يشاكله في الإعجاز ، مع ما وقع من التحدى إليه المدة الطويلة ، وتقدم من التقرير في المجازة ^(٢) الأمد المديد ، وثبت له وحده خاصة قصص السبق ، والاستيلاء على الأمد ^(٣) ، وعجز الكل عنه ، ووقفوا دونه حيارى ، يعرفون عجزهم ، وإن جهل قوم سببه ، ويعلمون نقصهم ، وإن أغفل قوم وجهه - رأينا أنه ناقض للعادة ، ورأينا ^(٤) أنه خارق للمعروف في الجيلة ^(٥) . وخرق العادة إنما يقع بالمعجزات على وجه إقامة البرهان على النبوات ، وعلى أن من ظهرت عليه ، ووقعت موقع الهداية إليه ، صادق فيما يدعيه من نبوته ، ومحقق في قوله ، ومصيب في هديته ، قد شهدت ^(٦) له الحججة البالغة ، والكلمة التامة ، والبرهان النير ، والدليل البين .

(٢) كذا في ك ، م . وفي س « والمجازة »

(٤) هنا خرم في ا

(١) سقطت من ا

(٣) كذا في م ، ا . وفي س ، ك « الأمر »

(٥) كذا في م ، ب . وفي س ، ك « في الحيلة »

(٦) كذا في ك ، م ، ب . وفي س « قد سادت »

فصل /

في حقيقة المعجز^(١)

معنى قولنا : « إن القرآن معجز » على أصولنا : أنه لا يقدر العبادُ عليه . وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لا يصح دخوله تحت قدرة^(٢) العباد ، وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ، ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه ، كما يستحيل عجزهم عن فعل الأجسام ، فنحن لا نقدر على^(٣) ذلك وإن لم يصح وصفنا بأننا عاجزون عن ذلك حقيقة ، وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا .

فلما لم يقدر عليه أحدٌ شُبّه بما يعجز عنه العاجز ، وإنما لا يقدر العباد على^(٤) الإتيان بمثله ؛ لأنه لو صح أن يقدرُوا عليه بطلت^(٥) دلالة المعجز ، وقد أجرى [الله]^(٦) العادة بأن يتعذر فعل ذلك منهم^(٧) ، وأن لا يقدرُوا عليه .

٤٣٧ / ولو كان غير خارج عن العادة لأتوا بمثله ، أو عرضوا^(٨) عليه من كلام فصحاتهم وبلغائهم ، ما يعارضه .

فلما لم يشتغلوا بذلك ، علم أنهم فطنوا لخروج^(٩) ذلك عن أوزان كلامهم ، وأساليب نظامهم ؛ وزالت أطماعهم عنه .

وقد كنا بيننا أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر^(١٠) ووجوه النظم المستحسنة في الأوزان المطربة للسمع ، لا يحتاج في مثله إلى توقيف ، وأنه يتبين أن مثل ذلك يجري في الخطاب ، فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه [وطلبوه]^(١١) ؛ وطلبوا أنواع الأوزان والقوافي ، ثم وقفوا^(١٢) على حسن ذلك وقدروا عليه ، بتوفيق الله عز وجل^(١٣) ، وهو الذي جمع خواطرهم عليه ، وهداهم له^(١٤)

(١) م ، ب : « المعجزة »

(٢) م « الأجسام ثم لا يقدرُوا على » (٤) ك ، ب : « وإنما تمذر على العباد الإتيان »

(٥) م ، ك : « بطل » (٦) الزيادة من ب

(٧) م : « أن . منه » (٨) س : « وعرضوا »

(٩) ك : « فطنوا لخروج » (١٠) م : « الشعراء »

(١١) الزيادة من ب ، م : « وطلبوا » (١٢) م : « ووقفوا »

(١٣) ب : « وهذا » (١٤) ك : « وبدأ . م : « وبدا »

وهيّا دواعيهم إليه . ولكنّه أقدرهم على حدّ محدود . وغاية في العُرفِ مَضْرُوبَةٌ :
لعلمه بأنّه ^(١) سيجعل القرآن معجزاً . ودلّ على عظم ^(٢) شأنه بأنهم قدروا على
ما بينّا من التّأليف ، وعلى ما وصفنا من النظم . / من غير توقّيف ولا اقتضاء ^(٣) ٤٣٨
أثر . ولا تحدّ إليه ولا تقصّير .

فلو كان هذا من ذلك القَبِيل . أو من أجنس الذي عرفوه وألفوه — لم تَزَلْ
أطماعُهم عنه . ولم يُدْهِشُوا عند وروده عليهم . فكيف ^(٤) وقد أمهلهم وفسّح
لهم في الوقت . وكان يدعو إليه سنين كثيرة . وقال عز من قائل : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ
مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ ^(٥) .

وبظهور العجز عنه بعد طول التقريع والتحدّي . بأنّ أنّه خارجٌ عن
عاداتهم ، وأنّهم لا يقدرّون عليه .

وقد ذكرنا أنّ العرب كانت تعرف ما يُباين عادتها ^(٦) من الكلام البليغ ،
لأنّ ذلك طبعُهم ولغتهم . فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن ، وهذا في
البلغاء منهم ، دون المتأخرين في الصنعة .

والذي ذكرناه يدلّك على أنّه لا كلامَ أزيد في قدر البلاغة من القرآن .

وكل من جوز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله في البلاغة — لم
يُمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال .

/ ولو لم يكن جرى في المعلوم ^(٧) أنّه سيجعل القرآن معجزاً ، لكان ^(٨) يجوز أن
تجرى عادات ^(٩) البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة ، وأمر يفوق ما عرفوه
من الفصاحة .

(١) س : « بأن » (٢) كذا في ك . وفي م : « عظيم »

(٣) كذا في م ، ا ، ك . وفي س « ولا اقتضاء » ! (٤) م ، ا ، ك « كيف »

(٥) سورة فاطر : ٥٥ (٦) س ، ك « عادتها »

(٧) س « العلوم » (٨) م « كان »

(٩) م « عادة » . وبلى هذه الكلمة في سائر النسخ المطبوعة قبل طبعنا هذه ما يل « الأولين وأخبار
المُرسلين ، وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمّنه من الإخبار عن الغيوب » — إلى قول المؤلف : « وكذلك من
يسمع القرآن يعلم أنّه كلام الله وإن اختلف الحال في ذلك » .

وهذا الكلام الطويل الذي تبلغ سطور : ٤١ سطرًا مقمّح هنا في غير موضعه ، وقد سبق بنصه وفصّه
في ص ١٧ إلى ص ١٩ س ١ من طبعة السلفية ، وهو في طبعنا هذه من ص ١٣ سطر ١٢ إلى
ص ١٥ ! وهذا من أعجب العجائب !!! .

وأما «نظم القرآن» فقد قال أصحابنا [فيه] ^(١) : إن الله تعالى يَقْدِرُ على نظم [هيئة أخرى تزيد في الفصاحة عليه ، كما يقدر على مثله .

وأما بلوغ بعض ^(٢) [نظم ^(٣) القرآن الرتبة ^(٤) التي لا مزيد عليها ، فقد ^(٥) قال مخالفونا : إن هذا غير ممتنع . لأن فيه من الكلمات الشريفة ، الجامعة للمعاني البديعة ، وانضمام ^(٦) إلى ذلك حسنُ الموقع ، فيجب أن يكون قد بلغ النهاية ، ٤٤٠ لأنه عندهم — وإن زاد على ما في العادة — فإن الزائد عليها وإن تفاوت ، فلا بد ^(٧) من أن ينتهي إلى حد لا مزيد عليه .

والذي نقوله ^(٨) : إنه لا يمتنع أن يقال : إنه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم ^(٩) أبلغ وأبدع ^(١٠) من القرآن كله .

وأما قَدَرُ ^(١١) العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه ، مما تصح قدرتهم عليه .

(٢) ب « بعضهم نظم »

(٤) س « في الرتبة »

(٦) م « فانضمام »

(٨) س : « نقول »

(١٠) م ، أ : « وبرز »

(١) الزيادة من أ ، ك

(٣) الزيادة من أ ، ي ، م

(٥) س : « وقال »

(٧) سقطت من م

(٩) م : « بنظم القرآن »

(١١) كذا في أ ، م . وفي س : « قدرة »

في كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأمر تتصل بالإعجاز

إن قال قائل : إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب - وقد قال هذا في حديث مشهور ، وهو صادق في قوله - فهلاً قلتم إن القرآن من نظمه لقدرته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره ؟

قيل : قد علمنا أنه لم يتحدّهم إلى مثل قوله وفصاحته . والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء^(١) ، كقدر ما بين شعر الشاعرين ، وكلام الخطيبين في الفصاحة^(٢) ، وذلك مما لا يقع به الإعجاز .

وقد بينّا قبل هذا : أنا إذا وازنّا بين خطبه ورسائله وكلامه المنشور ، وبين نظم القرآن - تَبَيَّنَ من البَيِّنِ بينهما مثلُ ما بين كلام الله عز وجل و [بين]^(٣) كلام الناس ، فلا^(٤) معنى لقول من ادّعى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم معجز ، وإن كان دون القرآن في الإعجاز .

فإن^(٥) قيل : لولا أن كلامه معجز لم يَشْتَبِهْ على ابن مسعود الفصلُ بين المعوَّذَتَيْنِ وبين غيرهما من القرآن^(٦) ؟

(١) كذا في س ، ك . وفي م . : « والقدر الذي بين كلامه وكلامهم من الفصاحة كقدر »

(٢) م : « وذلك ما لا يقع الإعجاز به » (٣) الزيادة من م

(٤) س : « ولا » (٥) م : « فلو »

(٦) يزعم بعض الرواة عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي أنه قال : « كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول : إنها ليستا من كتاب الله » !!! وقال السيوطي في الإتقان ١٣٧/٢ : « وقال النووي في شرح المذهب : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح . وقال ابن حزم في كتاب القدر المحلى ، تنميم المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع » . وقد أبى ابن حجر إلا تصحيح تلك الرواية ، فقال في شرح البخاري : « فقول من قال إنه كذب عليه مردود ، والظن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الرواية صحيحة ، والتأويل محتمل » . ثم لم يستطع تأويلاً مقبولاً ، والله يغفر لنا وله . وانظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٠ ، ٢١ ، ٣٣ - ٣٥ .

وكذلك لم يشته دعاءُ القنوت^(١) في أنه هل هو^(٢) من القرآن أم لا ؟
[قيل : هذا من تخطيط الملحدّين ؛ لأن عندنا أن الصحابة لم يَخَفَ عليهم
ما هو من القرآن]^(٣).

ولا يجوز أن يخفى عليهم القرآن من غيره : وعددُ السورِ عندهم محفوظ
مضبوط .

وقد يجوز أن يكون شدّة عن مصحفه ، لا لأنه نَفَاهُ من القرآن ، بل عَوَّلَ
على حفظ الكلِّ إِيَّاهُ .

٤٤٣ / على أن الذي يروونه خَبَرُ واحدٍ ، لا يُسَكَّنُ إليه في مثل هذا ،
ولا يعمل عليه .

ويجوز أن يكتبَ على ظهر مصحفه دُعَاءَ الْقُنُوتِ لئلا ينساه ، كما يكتب
الواحد منا بعض الأدعية على ظهر مصحفه .

وهذا نحو ما يذكره الجهال : من اختلاف كثير بين مصحف ابن مسعود ،
وبين مصحف عثمان رحمة الله عليهما .

ونحن لا ننكر أن يَغْلَطَ في حروف معدودة ، كما يَغْلَطُ الحافظُ في حروف
وَيَنْسَى ، وما لا نجيزه^(٤) على الحُفَاطِ مما لم نجزه عليه .

ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادَّعَوْا ، لكانت الصحابة تناظره على
ذلك ، وكان يظهر وينتشر ؛ فقد تناظروا في أقل من هذا ، وهذا أمر يوجب
التكفير والتضليل ، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟ ! وقد^(٥) علمنا إجماعهم
على ما جمعه في المصحف ، فكيف يُقَدِّحُ بمثل^(٦) هذه الحكايات الشاذّة
المولدة^(٧) في الإجماع المُقَرَّر ، والاتفاق المعروف ؟ !

٤٤٤ ويجوز^(٨) أن يكون الناقل اشتبه^(٩) عليه ، لأنه خائف في النظم / والترتيب ،

(١) م « هل بين من القرآن هذا من تخطيط الملحدّين »

(٢) اشتبه ذلك على أبي فزادة في مصحفه على أنه قرآن ؛ لأنه - كما قال ابن قتيبة في تأويل مشكل
القرآن ص ٣٣ - « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به في الصلاة دعاء دائماً ، فظن أنه من
القرآن ، وأقام على ظنه ، ومخالفة الصحابة جميعاً ، كما أقام على التطبيق »

(٣) الزيادة من أ ، ب (٤) ك : « وما لا يجيزه » م « وما لا يجيزه الحفاظ منا لم نجزه عليه »

(٥) م « لقد » (٦) م « تقدح مثل »

(٧) م « الشاذّة المؤلفة » . س « بالإجماع » (٨) م « فيجوز »

(٩) كذا في أ ، م ، ك . وفي س « أشبه »

فلم يثبتهما في آخر القرآن ، والاختلاف بينهم في موضع الإثبات غير الكلام في الأصل ، ألا تَرَى أَنَّهُمْ قَدْ اختلفوا في أول ما نزل من القرآن :

فمنهم من قال : قوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(١) .

ومنهم من قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ^(٢) .

ومنهم من قال : فاتحة الكتاب ^(٣) .

واختلفوا أيضاً في آخر ما أنزل ^(٤) :

فقال ابن عباس : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ^(٥) .

وقالت عائشة : سورة المائدة .

وقال البراء بن عازب ^(٦) : آخر ما أنزل سورة براءة .

/وقال سعيد بن جبير ^(٧) : آخر ما أنزل قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ ٤٤٥

فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٨) .

وقال السدي ^(٩) : آخر ما أنزل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ ^(١٠) .

(١) سورة الملق : ١ وهذا القول هو الصحيح ، وهو أول قول أورده السيوطي في الإتيان ٣٩/١

(٢) سورة المدثر : ١ وهذا القول في الإتيان ٤٠/١ (٣) انظره في الإتيان ٤٠/١

(٤) راجع أقوال العلماء في ذلك في الإتيان ٤٤/١ - ٤٨

(٥) سورة النصر : ١

(٦) هو أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن جشم بن مجدعة الأوسي الأنصاري ،

استصفه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرد ، ثم غزا معه خمس عشرة غزوة . وتوفي سنة اثنتين وسبعين

وقيل : سنة إحدى وسبعين . راجع تاريخ الإسلام ١٣٩/٣ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٣٩ والمعارف

ص ١٤٢

(٧) كتب سعيد بن جبير لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم كتب لأبي بردة وهو على القضاء وبيت

المال . وخرج مع ابن الأشعث ، فلما انهزم أصحاب ابن الأشعث من دير الجماجم ، هرب سعيد إلى مكة ،

فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، وكان والي الوليد بن عبد الملك على مكة ، فبعث به إلى الحجاج ،

فأمر الحجاج ففصرت عنقه سنة أربع وتسعين ، راجع المعارف ص ١٩٧

(٨) سورة البقرة : ٢٨١

(٩) هو إسماعيل بن عبد الرحمن ، مولى قریش حجازي الأصل ، رأى ابن عمر وابن عباس .

وروى عن أنس بن مالك . توفي سنة سبع وعشرين ومائة ، في إمارة ابن هبيرة على العراق . انظر اللباب

٥٣٧/١ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٣٠ (١٠) سورة التوبة : ١٢٩

ويجوز أن يكون في مثل هذا خلاف^(١) ، وأن يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع .

ولو كان القرآن من كلامه : لكان البتّون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئهما^(٢) رجل واحد ، وكانوا يعارضونه : لأننا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلى حد الإعجاز . ولا يتفاوت التفاوت الكثير ، ولا يخفى كلامه^(٣) من جنس أوزان كلامهم : وليس كذلك نظم القرآن ، لأنه خارج من جميع ذلك . فإن قيل : لو كان على ما ادّعيتم ، لعرفنا بالضرورة أنه معجز^(٤) دون غيره ؟

قيل : معرفة الفصل بين وزن الشعر [أو غيره من أوزان الكلام لا يقع ضرورة ، ويحتاج في معرفة ذوق الشعر]^(٥) ووزنه ، والفرق بينه وبين غيره من الأوزان يحتاج^(٦) إلى نظر وتأمل ، وفكر وروية واكتساب . وإن كان النظم المختلف الشديد التباين إذا وُجد أدرك اختلافه بالحاسة . إلا أن كل وزن وقبيل إذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه^(٧) إلى الفكرة والتأمل^(٨) .

فإن قيل : لو كان معجزاً لم يختلف أهل الملة^(٩) في وجه إعجازه ؟ قيل : قد يثبت الشيء دليلاً وإن اختلفوا في وجه دلالة البرهان . كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث^(١٠) العالم من الحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق .

٤٤٧ / فأما المخالفون ، فإنه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام الله ، لأن مذهبهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزاً ، لأنه إن خصّه بقدر من العلم لم تسجّر العادة بمثله ،

(٢) س : « ينشأ »
(٤) م « لعرفنا أنه معجز ضرورة »
(٦) س « يحتاج إلى »
(٨) ا « الفكر »
(١٠) م « حدث »

(١) م : « اختلاف »
(٣) ج س « كلام »
(٥) الزيادة من ا ، م
(٧) سقطت من م
(٩) م « الملل »

أمكنه أن يأتي بما له هذه الرتبة ، وكان متعذراً على غيره ، لفقد علمه بكيفية النظم .

وليس القوم بعاجزين عن الكلام ، ولا عن النظم والتأليف . والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا : فقَدْ العلم بكيفية النظم ، وقد بينا قبل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدرّون عليه .

والمُفْصَحُ قد يعلم كيفية الأوزان واختلافها ، وكيفية التركيب ، وهو لا يقدر على نظم الشعر .

وقد يعلم الشاعران ^(١) وجوه الفصاحة . وإذا قالوا الشعر جاء شعرُ أحدهما في الطبقة العالية ، وشعرُ الآخر في الطبقة الوضيعة .

وقد يطرّد ^(٢) في شعر المبتدئ والمتأخّر في الحذق — القطعة الشريفة والبيت النادر ، مما لا ^(٣) يتفق للشاعر المتقدم .

والعلم بهذا الشأن في التفصيل لا يغني . ويحتاج معه إلى مادة من الطبع ، وتوفيق من الأصل .

/ وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنسّاجية ، ثم يتفق لأحدهما من ٤٤٨ اللطف في الصناعة ، ما لا يتفق للآخر ^(٤) .

وكذلك أهل نظم الكلام — يتفاضلون . مع العلم بكيفية النظم ؛ وكذلك أهل الرّمى يتفاضلون في الإصابة ، مع العلم بكيفية الإصابة .

وإذا وجدت للشاعر بيتاً أو قطعةً أحسن من شعر امرئ القيس ، لم يدل ^(٥) ذلك على أنه أعلم بالنظم منه . لأنه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحد ، وبحسب ذلك البيت في الشرف والحسن والبراعة ، ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة ويجهل نظم مثلها . وإن ^(٦) كان كذلك ، علم أن هذا لا يرجع إلى قدره ^(٧) من العلم . ولنا نقول : إنه يستغنى عن العلم في النظم ، بل يكفي علم به في الجملة ، ثم يقف الأمر على القدرة .

(١) م «الشاعرين» س «الشاعر» (٢) كذا في ا ، م ، ك . وفي س «تد»

(٣) م ، ا ، ك : «وما لا يتفق» (٤) س : «في الآخر»

(٥) كذا في ك ، م . وفي س «لا يدل» (٦) م : «فإذا» . س «وإن»

(٧) كذا في ك ، ب . وفي ا ، م «ما قدره» . س «إلى قدرة»

وهذا يبين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرًا ، فلو أراد أن يأتي بمثله بحيث لا يغادر منه شيئًا لتعذر ، والعلم حاصل .

وكذلك قد يحسن^(١) كيفية الخط ، ويميز^(٢) الجيد منه من الرديء ، ولا يمكنه أن يأتي بأرفع درجات الجيد .

٤٤٩ / وقد يعلم قوم كيفية إدارة^(٣) الأقلام ، وكيفية تصوير الخط ، ثم يتفاوتون في التفصيل^(٤) ، ويختلفون في التصوير .

وألزمهم أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على إحداث الأجسام ، وإنما يتعذر وقوع ذلك منّا بأنّا^(٥) لا نعلم الأسباب التي إذا عرفنا إيقاعها على وجوه اتفق لنا فعل الأجسام .

وقد ذهب بعض المخالفين إلى أن العادة انتقضت بأن أنزله جبريل ، فصار القرآن معجزاً لنزوله على هذا الوجه ، ومن قبله لم يكن معجزاً !!

هذا قول أبي هاشم^(٦) ، وهو ظاهر الخطأ ، لأنه يوجب^(٧) أن يكونوا قادرين على مثل القرآن ، وأنه لم [يكن]^(٨) يتعذر عليهم فعل مثله ، وإنما تعذر بإنزاله ، ولو كانوا قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق من بعضهم مثله .

وإن كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله ، فهو قولنا .

٤٥٠ / وأما قول كثير من المخالفين ، فهو على ما بينا ، لأن معنى المعجز عندهم تعذر فعل مثله ، وكان ذلك متعذراً قبل نزوله وبعده .

فأما الكلام في أن التأليف هل له نهاية ؟

فقد اختلف المخالفون من المتكلمين فيه :

فمنهم من قال : ليس لذلك نهاية ، كالعدد ، فلا^(٩) يمكن أن يقال : إنه

(١) سقطت هذه الكلمة من م (٢) سقطت هذه الكلمة من ك

(٣) سقطت هذه الكلمة من م

(٤) كذا في ك ، س . وفي م ، ا « يتقاربون في التشكيل » . و ب « في التشكيل »

(٥) س « لأننا »

(٦) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي (٢٤٧ - ٣٢١) ، وكان يعتبر أن الواجب

على المكلف هو الشك ؛ لأن النظر العقلي من غير سابقة شك تحصيل حاصل

(٧) كذا في ا ، ب ، ك ، م . وفي س « يلزم »

(٨) م : « وإن لم يتعذر » (٩) م : « ولا »

لا يتأتى قول قصيدة إلا وقد قيلت من قبل .

ومنهم من قال : إن ما جرت به العادة فله نهاية ، وما لم تَجْرُ به العادة فلا يمكن أن تُعلم^(١) نهاية الرتبة فيه .

وقد بيّنا : أن على أصولنا قد تقرر لكلامنا [ونظّمنا]^(٢) حدّ في العادة ، ولا سبيل إلى تجاوزه ، ولا يقدر [عليه]^(٣) ، فإن القرآن خرق العادة فزاد عليها .

(٢) م : « يقرر » . س « قد تقدر لكلامنا حد »

(١) س : « نعلم » . م « يعلم »

(٣) س : « ولا يقدر فإن »

/ فصل

إن قيل : هل من شرط المعجز أن^(١) يعلم أنه أتى به من ظهر عليه ؟
 قيل : لا بد من ذلك ؛ لأننا إن^(٢) لم نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم
 هو الذى أتى بالقرآن ، وظهر ذلك من جهته — لَمْ يُمْكِنْ أَنْ نَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى
 نبوته .

وعلى هذا لو تَلَقَّى رجلٌ منه سورةً ، فأتى بها بلدًا ، وادَّعَى ظُهُورَهَا
 عليه ، وأنها معجزةٌ له — لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا ويتسبَّبُوا أَنَّهَا
 ظهرت عليه .

وقد تحققنا^(٣) أن القرآن أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وظهر
 من جهته ، وجعلناه علمًا على نبوته ، وعلمنا ذلك ضرورةً فصار حجةً
 علينا .

(١) م « وأنه »

(٢) سقطت منك

(٣) كذا في م ، أ ، ب ، ك . وفي س « حققنا »

قد ذكرنا في الإبانة عن معجز القرآن وجيزاً من القول ، رَجَوْنَا أَنْ يَكْفَى ،
وَأَمَلْنَا أَنْ يُقْنِعَ . والكلام في أوصافه — إن استقصي — بعيدُ الأطراف ، واسع
الأكْثَاف : لعلو شأنه ، وشريف مكانه .

والذي سطرناه في الكتاب ، وإن كان موجزاً . وما أَمَلَيْنَا فِيهِ ، وإن كان
خَفِيفاً — فإنه يُنْبِئُهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ . ويدلُّ عَلَى الْوَجْهِ ، ويَهْدِي ^(١) إِلَى
الْحُجَّةِ .

وَمَتَى عَظُمَ مَحَلُّ الشَّيْءِ فَقَدْ يَكُونُ الْإِسْهَابُ فِيهِ عِيّاً ، وَالْإِكْثَارُ فِي وَصْفِهِ
تَقْصِيراً .

وقد قال الحكيم [وقد] ^(٢) سئل عن البليغ : متى يكون عِيّاً ؟ فقال :
متى وصف هوَّى أو حبيباً .

وضلَّ أعرابى في سفر له ليلاً ، وطلع القمر فاهتدى به ، فقال : ما أقول
لك ؟ أقول ^(٣) : رفعلك الله ؟ وقد رفعلك ، أم أقول : نَوَّرَكَ الله ؟ وقد نوَّرَكَ ،
أم أقول : جَمَلَّكَ الله ؟ وقد جَمَلَّكَ !

ولولا أن العقول تختلف ، والأفهام تتباين ، والمعارف تتفاضل — لم نَحْتَجِجْ
إِلَى مَا تَكَلَّفْنَا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْمَعْرِفَةِ ، وَلَوْ اتَّفَقُوا / فِيهَا لَمْ يَسْجُرْ أَنْ يَتَّفَقُوا ٤٥٣
فِي مَعْرِفَةِ هَذَا الْفَنِّ ، أَوْ يَجْتَمِعُوا فِي الْمَدَايِئِ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ ؛ لِاتِّصَالِهِ بِأَسْبَابِ
[خَفِيَّةٍ] وَتَعَلُّقِهِ بِعُلُومٍ غَامِضَةِ الْغَوْرِ . عميقة الْقَعْرِ ^(٤) ، كَثِيرَةُ الْمَذَاهِبِ ،
قَلِيلَةُ الطَّلَافِ ، ضَعِيفَةُ الْأَصْحَابِ . وبحسب تأتتى ^(٥) مواقعه تَنَقَّعُ الْأَفْهَامُ
ذَوْنَهُ . وعلى قدر لطف مَسَالِكِهِ يَكُونُ الْقُصُورُ عَنْهُ .

أَنشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الزَّعْفَرَانِيُّ ، قَالَ : أَنشَدَنِي الْمُتَنَبِّئِي ، لِنَفْسِهِ ، الْقِطْعَةَ
الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

(١) م : « ويهديك »

(٢) الزيادة من م ، ك

(٣) سقطت من م

(٤) الزيادة من م

(٥) م : « تنامي »

وكم من عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّمِيمِ^(١)
ولكن تأخذُ الآذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ
وأنشدني الحسن بن عبد الله . قال : أنشدنا بعضُ مشايخنا ، للبحرِيِّ :
أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَامًا ذَوِي سِنَةٍ لَوْ أَنَّهُمْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا^(٢)
عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهْمٍ أَنَّ تَفْهَمَ الْبَقَرِ^(٣)
٤٥٤ فإذا كان نقدُ الكلام كله صعباً ، وتمييزه شديداً ، والوقوع على / اختلاف
فنونه^(٤) متعذراً ؛ وهذا في كلام الآدميين^(٥) — فما ظنك بكلام ربِّ
العالمين ؟ !

* * *

قد أبنتاً لك أن مَنْ قَدَّرَ أَنَّ البلاغة في عشرة أوجه من الكلام ، لا يعرفُ
من البلاغة إلا القليل^(٦) ، ولا يفظن منها إلا اليسير .
ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرناه من قبل عنهم^(٧) في الشعر ، فهو
متطرف .

بَلَى ، إن كانوا يقولون : إن هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع وأصول
اللطيف ، وإن ما يجري مجرى ذلك ويشاكله مُلْحَقٌ بالأصل ، ومردودٌ على
القاعدة — فهذا قريب .

وقد بينا في نظم القرآن : أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة ، والأسلوب
يختصُّ بمعنى آخر من الشرف .
ثم الفتوح والخواتم ، والمبَادِي والمثاني^(٨) ، والطَوَالِعِ والمَقَاطِعِ ،
والوَسَائِلِ والفَوَاصِلِ .

(١) في ديوانه ٣٧٩/٢

(٢) ديوانه ٦٧٣ « ذوى ومن في الجهل لو ضربوا »

(٣) م : « نعوته »

(٤) م : « من معادنها »

(٥) م : « إلا قليلا »

(٦) س ، ك : « الأدنى »

(٧) م : « والمثاني والمباني »

(٨) م : « ما قلناه من قيل عنهم »

ثم الكلام في نَظْم السور والآيات ، ثم في تفاصيل التفاصيل ، / ثم في الكثير ٤٥٥ والقليل ^(١) .

ثم الكلام الموشَّح والمُرَصَّع ، والمُفَصَّل والمُصَرَّع ، والمُجَنَّس والمُوشَّع ^(٢) ؛ والمُحَلَّى والمُكَلَّل ، والمُطَوَّق والمُتَوَّج ؛ والمُوزُون والخارج عن الوزن ، والمعتدل في النظم والمتشابه فيه .

ثم الخروج من فصل إلى فصل ، ووصل ^(٣) إلى وصل ، ومعنى إلى معنى ، ومعنى في معنى ؛ والجمع بين المؤتلف والمُختَلِف ، والمتَّفِق والمتَّسِق .

وكثرة التصرف ، وسلامة ^(٤) القول في ذلك كله ^(٥) من التعسف ، وخروجه عن التعمق ^(٦) والتشدد ، وبعده من التَّعَمُّل والتَّكَلُّف ، والألفاظ المفردة ، والإبداع في الحروف والأدوات ، كالإبداع في المعاني والكلمات . والبسط ^(٧) والقبض ، والبناء والتَّقْض ، والاختصار ^(٨) والشرح ، والتشبيه ^(٩) والوصف .

/ وتمييز الابتداء ^(١٠) من الاتباع ، كتميز المطبوع عن المصنوع ^(١١) ، والقول ٤٥٦ الواقع عن غير تكلف ولا تعمل .

* * *

وأنت تتبين ^(١٢) في كل ما تَصَرَّف فيه من الأنواع أنه على سَمَت شريف ، ومَرَقَب مُنِيف ، يبهز إذا أخذ في النوع الرَّبِّي ^(١٣) ، والأمر الشرعي ، والكلام الإلهي ، الدال على أنه يَصْدُرُ عن عِزَّة المَلَكُوت ، وشَرَف الجِبَرُوت ، وما لا يبلغ الوهم مَوَاقِعَه : من حكمة ^(١٤) وأحكام ، واحتجاج وتقرير ، واستشهاد وتقرير ، وإعذار وإنذار ، وتبشير وتحذير ، وتنبيه وتلويح ، وإشباع ^(١٥) وتصريح ، وإشارة ودلالة ، وتعليم أخلاق زَكِيَّة ، وأسباب رُضِيَّة ، وسياسات

(٢) كذا في ا ، ب ، م ، ك . وفي س « والموشى »

(٤) م : « وسلاسة »

(١) م : « والقريب »

(٣) م : « ومن وصل »

(٦) م : « العمق »

(٥) م : « كله وسلامته من » . وا « عن »

(٨) م : « والاختصار »

(٧) م : « والكلمات والاختصار والبسط »

(١٠) س : « وتمييز الإبداع . . كتمييز »

(٩) م : « والتشبيه والأمثال والوصف »

(١٢) م : « ترى » . ك « تتبينه »

(١١) م : « عن المصبوغ »

(١٣) م ، ا « الدينى » . وفي اللسان ٣٨٨/١ « والرئى : منسوب إلى الرب »

(١٥) م : « واتساع »

(١٤) م : « من حكم »

جامعة ، ومواعظ نافعة ، وأوامر صادقة ، وقصص مفيدة ، وثناء على ^(١) الله عز وجل بما هو أهله ، وأوصاف كما يستحقه ، وتحميد كما يستوجه ، وأخبار عن كائنات في التأني صدقت ، وأحاديث عن المؤتلف تحققت ، ونسواه ٤٥٧ / زاجرة عن القبائح والفواحش ، وإباحة الطيبات ، وتحريم المضار والخبائث ، وحث على الجميل والإحسان .

تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب ، مَجْلُوءٌ عليك في منظر بهيج ، ونظم أنيق ، ومعرض رشيق ، غير مُعْتَص ^(٢) على الأسماع ولا مُتَلَو ^(٣) على الأفهام ، ولا مُسْتَكْرَه في اللفظ ، ولا مُسْتَوْحَش ^(٤) في المنظر . غريب في الجنس غير غريب في القَبِيل ، مُسْتَلَبِي ماءً ونَضَارَةً ، ولطفًا وغمَضَارَةً ، يَسْرِي في القلب كما يسرى السرور ؛ ويمرُّ إلى مواقفه كما يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر . طموح العُباب ، جَمُوح على المُتَنَاول المُنتَاب ، كالرُّوح في البدن ؛ والنور المُسْتَطِير في الأفق ، والغيث الشامل ، والضياء الباهر ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ^(٥) .

من تَوَهَّم أن الشعر يلحظ ^(٦) شَأْوَةً بان ضلاله ، ووضع ^(٧) جهله ؛ إذ الشعر سَمَتْ قد تناولته الألسن ، وتداولته القلوب ، وانثالت عليه الهواجس ، وضرب الشيطان فيه بسهمه ، وأخذ منه بحظه . وما دُونُهُ مِنْ كلامهم فهو أدنى محلا ، وأقرب مأخذًا ، وأسهل مطلبًا ، ولذلك / قالوا : فلان مُفْحَم ، فأخرجوه مخرج العيب ، كما قالوا : فلان عبي ^(٨) ، فأوردوه مورد النقص .

* * *

والقرآن كتابٌ دل على صدق مُتَحَمِّله ، ورسالةٌ دلت على صحة قول المرسل بها ، وبرهان شهد له برهان الأنبياء ^(٩) المتقدمين ، وبينه على طريقة مَنْ

(١) م : « عن »

(٢) كذا في ل ، م . وفي س « ولا مفلق »

(٣) س : « متعاص »

(٤) س : « ولا متوحش »

(٥) سورة فصلت ٤٢

(٦) كذا في ل ، م . وفي س « يلحق »

(٧) س : « ك »

(٨) س : « عى »

(٩) كذا في ا ، ب ، م . وفي ك ، س « براهين الأولياء »

سلف من الأولين^(١). حيرهم^(٢) فيه ، إذ كان من جنس القول الذى زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ؛ فعرفوا عجزهم ، كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ أقصى الممكن فى العلاج ، والوصول إلى أعلى مراتب الطب ، فجاءهم بما بهتروهم : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ؛ وكما أتى موسى بالعصا التى تلففت ما دققوا^(٣) فيه من سحرهم ، وأتت على ما أجمعو عليه من أمرهم ، وكما سخر لسليمان الريح^(٤) والطير والجن . حين كانوا يولعون به من فائق الصنعة ، وبدائع اللطف^(٥) . ثم كانت هذه المعجزة / مما يقف عليها^(٦) الأول والآخر وقوفاً واحداً ، ويبقى حكمها إلى يوم القيامة . ٤٥٩

* * *

انظر وفقك الله لما هديناك إليه ، وفكر فى الذى دللناك عليه ؛ فالحق منهج واضح ، والدين ميزان راجح ؛ والجهل لا يزيد إلا عمى^(٧) ، ولا يورث إلا ندماً .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٨)

وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾^(٩) .

وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً ﴾^(١٠) .
وعلى حسب ما آتى من الفضل ، وأعطى من الكمال والعقل — تنفع الهداية والتبيين ؛ فإن الأمور تم^(١١) بأسبابها ، وتحصل بآلتها ، ومن سلبه

(١) كذا فى م ، ب . وفى ك « ما سلف إلى الأولين »

(٢) كذا فى ك ، م ، ا . وفى س « تحدام »

(٣) م : « التى تلفت » . س « تلففت ما برعوا »

(٤) س ، ل « لسليمان من الرياح »

(٥) ل ، م « يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف »

(٧) س : « الإغيا »

(٦) س ، ك « عليه »

(٩) سورة الشورى : ٥٢

(٨) سورة الزمر : ٩

(١١) م : « تستمر »

(١٠) سورة البقرة : ٢٦

٤٦٠ / التوفيق ، وحرمة الإرشاد^(١) والتسديد — ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٢) ، ﴿لَا يَسْتَتِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾^(٣) .

فأحمد الله على ما رزقك من الفهم إن فهمت^(٤) . ﴿وَقُلْ : رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٥) . [إن أنت علمت]^(٦) ؛ ﴿وَقُلْ : رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(٧) .

وإن ارتبت فيما بيننا فازدد في تعام الصنعة ، وتقدم في المعرفة ؛ فسيقع بك على الطريق^(٨) الأرشد ، وستقف^(٩) بك على الوجه الأحمد ؛ فإنك إذا فعلت ذلك أحطت علماً ، وتيقنت فهماً .

ولا^(١٠) يوسوس إليك الشيطان بأنه قد كان ممن^(١١) هو أعلم منك بالعربية ، وأدرب^(١٢) منك في الفصاحة ؛ أقوام^(١٣) [وأى] أقوام ، ورجال^(١٤) [وأى] رجال ، فكذبوا ، وارتابوا ؛ لأن القوم لم يذهبوا عن الإعجاز ، ولكن اختلفت أحوالهم ؛ فكانوا بين جاهل وجاحد ، وبين / كافر نعمة وحاسد^(١٥) ؛ وبين ذاهب عن طريق الاستدلال بالمعجزات ، وحائد^(١٦) عن النظر في الدلالات ؛ وناقص في باب البحث ، ومُخْتَلِ الآلة^(١٧) في وجه الفحص ، ومستهن بأمر الأديان ، وغاوا^(١٨) تحت حبال الشيطان ، ومقدوف بخذلان الرحمن . وأسباب الخذلان والجهالة كثيرة ، ودرجات الحرمان مختلفة .

وهل جعلت بإزاء الكفرة ، مثل « لبيد بن ربيعة العامري » في حسن

(٢) سورة الحج : ٣١

(١) س : « وحرمة الرشاد »

(٤) سقطت إن فهمت من م

(٣) سورة النساء : ٩٨

(٦) الزيادة من ب

(٥) سورة طه : ١١٤

(٨) م : « السبيل »

(٧) سورة المؤمنون : ٩٧ - ٩٨

(٩) س : « ويقف » . م « وستقف على الوجه الأحمد »

(١١) م : « من »

(١٠) م : « فلا »

(١٢) كذا في م . وفي س ، ك « وأرجح » . وفي ا ، ب « وأدهى » .

(١٤) ك : « وحامد »

(١٣) الزيادة من م

(١٦) م : « ونخيل الآلة »

(١٥) س : « وحائر »

(١٧) م : « وعار »

إسلامه ، و « كعب بن زهير » في صدق إيمانه ، و « حسان بن ثابت »^(١) وغيرهم : من الشعراء والخطباء الذين أسلموا ؟

على أن الصدر الأول ما فيهم إلا نجم زاهر ، أو بحر زاهر .
وقد بينا : أن لا اعتصام إلا بهداية الله^(٢) ، ولا توفيق إلا بنعمة الله .
﴿ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) .

فتأمل ما عرفناك في كتابنا ، وفرغ له قلبك ، واجمع عليه^(٤) لبك ؛
/ ثم اعتصم بالله يهْدِيكَ ، وتوكل عليه يُعِينِكَ^(٥) ، ويُجِرِكَ ، واسترشد به ٤٦٢
يُرْشِدُكَ ؛ وهو حسبي وحسبك ، ونِعْمَ الوكيل^(٦) .

(١) م : « في سلامة أنبائه » (٢) م : « وبحر »

(٣) م : « الله تعالى » (٤) سورة الجمعة : ٤

(٥) كذا في أ ، م . وفي ك ، ب ، س « له »

(٦) كذا في م ، ب . وفي س ، ك « يفتك »

(٧) جاء في آخر م ، أ ، ك بعد ذلك ما يلي :

أ - في م : « تم كتاب الإعجاز ، والحمد لله على نعمه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وسلم تسليماً كثيراً » . وبعد ذلك بخط مغاير : « هذا ما كتبه المؤلف لخزانة كتب عضد الدولة ، وطالع فيه الحسن ابن المؤلف ، سنة تسع وتسعين بعد الثلاثمائة . . . »

ب - في أ : « والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . وكان الفراغ منه في غرة ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . نسخته من أصل الفقيه الإمام أبي الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخمي ، الذي عليه خط شيخه عمدة أهل الحق ، أبي عبد الله التميمي ، وأخبرني أنه نسخته من نسخة صحيحة ، عليها مكتوب : فرغ من نسخها في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربع مائة . وقال لي : توفي القاضي المؤلف ، رحمه الله ، سنة أربع وأربع مائة . وعارضت نسختي هذه بالأصل ، وقرأتها عليه وهو يمسك أصله ، والحمد لله رب العالمين »

ج - وجاء في ك : « تم كتاب الإعجاز في القرآن العظيم . وكان الفراغ من نسخه سلخ الشهر المعظم رجب سنة ثمانية عشر وسبعمائة . علقة الشريف حسن ، ابن الشريف محمد ، ابن الشريف علي ، ابن الشريف حسين الحسيني ، السمرقندي ، الناسخ . وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً » .

مفاتيح الكتاب

[illegible]

١ - فهرس الآيات

رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية
٢٦٨	١٧٨	٢٣	٢ - سورة البقرة
	٤ - سورة النساء	٧٧	٢
٢٠٦، ١٧١، ٣٦	٨٢	١٧	١٦
٣٠٤	٩٨ (اقتباس)	٣٠٣، ٢٠٤	٢٤-٢٣
	٥ - سورة المائدة	٢٤٥	٢٦
٢٠٠	٤	٢٥٦	٦٥
١٠١	٣٨	٤٩	٨٥
١٠١، ٩٢	٣٩	٧٧	٩٥-٩٤
	٦ - سورة الأنعام	٢٧٤	١٣٨
٣	٧		١٦٥ وصوابها
٨٤	٢٦	٨٠	(ولو يرى الذين ظلموا)
٢٧٤	٢٧	٢٦٢، ٨٠، ٦٦	١٧٥
٢٨٢	٢٨	٢٦٣ هـ	١٧٩
٨٤	٨٢	٢٧١	١٩٤
١٨٨	٩٦	٢٦٧	٢١٤
٣٤	١٠٥	٩٥ - ٩٤	٢٥٧
	٧ - سورة الأعراف	١٣١	٢٧٩ (اقتباس)
٢٧٤	٤٠	٢٩٣	٢٨١
٢٤٥	١٢٥ - ١٢٦		٣ - سورة آل عمران
٢٦٨	١٤٩	٣٤	١٢
٢٦٦	١٥٤	٦٠	٤٩ - ٤٨
٢٠١	١٥٧	٢٧١	٥٤
٢٦٤	١٧١	٤٩	٦٠
		٢٧٦	١٣٨

رقم الصفحة	اسم السورة . ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة . ورقم الآية
	١٢ - سورة يوسف	١٠١	١٧٥
٦٦	٨٠	٢٦٥ . ١٠١	١٧٦
٢٦٢	٨٢	٩٦	٢٠٢ - ٢٠١
٨٣	٨٤		
	١٣ - سورة الرعد		٨ - سورة الأنفال
٢٦٢ . ١٨٥ . ٩١	٣١	٤٨ . ٣٤	٧
	١٤ - سورة إبراهيم	٥٤	٢١
	٢ - ١	٤٣ . ٢١ . ١٩	٣١
٩	١٨		٩ - سورة التوبة
٢٦٤	٢٠ - ١٩	٢٨ . ٩	٦
١٠١		٥٢	١٤
	١٥ - سورة الحجر	٤٩	٢٣
٢١	٦	٦٠	٢٤
٢٣	٩	٣٣	٣٣
٣	١٥	١٣١	٣٦ (اقتباس)
٢٢	٨٨	٤٨	٨٣
٢٢	٩١	٢٧٢	١٢٧
٢٦٦	٩٤	٢٩٣	١٢٩
	١٦ - سورة النحل		١٠ - سورة يونس
٢٣	٢	١٠١	٢٢
٢٩	٤	٢٦٣	٢٣
٢٧٤	٢٦	٢٦٨ . ٢٦٤	٢٤
٦٠	٢٧		
١٠٦	٤٨ - ٤٩		١١ - سورة هود
٨٨ . ٦٦	٥٣		١٣ - ١٤
٨٨	٥٤	١٧	٤٩
٢٧٦	٨٩	٥٠	

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٢٦٧	١٢	٢٠٣	٩٨
٢٦٨	١٥		
٢٨٧	٢١		١٧ - سورة الإسراء
٢٠١	٢٢ - ٢٣	٢١٠	٨ - ٨
٨٧	٣٧	٢٦٧	١١
		٦٠	١٦
	٢٢ - سورة الحج	٩٣	٢١
٢٤٤	١ - ٢	٦٦	٢٤
٢١٦	٣١	٢٦٨	٢٩
٣٠٤	٣١ (اقتباس)	٢٥٦	٨٢
٦٦	٥٥	١٨٥، ٣٨، ٢٢، ١٨	٨٨
٩٩، ٨٠	٦١	٢٥٤، ٢٥٠	
	٢٣ - سورة المؤمنون		١٨ - سورة الكهف
٥١	٣٦	٢٦٨	١١
٢٨٣	٩١	٢٤٤	١٨
٣٠٤	٨٩ - ٩٧ (اقتباس)	٢٤٤	٤٧
	٢٤ - سورة النور		١٩ - سورة مريم
٦٦	٣٥	٦٦، ٦٠	٤
٢٧٢	٣٧	٢١	٩٧
٢٦٤	٣٩		
٤٨	٥٥		٢٠ - سورة طه
	٢٥ - سورة الفرقان	١٨٩	١٠
٢٠١، ١٤	١ - ٢	٣٠٤	١١٤
٢٢	٤		
٢٢، ٤	٥		٢١ - سورة الأنبياء
٢٢	٨	١٤	٣
٧٨	١٢	٥٤	٥

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٢٢	٣٦	٢٦٦	٢٣
٤٩	٤٦، ٤٤		
١٩٤	٧٧، ٦٨، ٥٨		٢٦ - سورة الشعراء
١٩٤	٨٨، ٨١	٢٤٥	٥١
		٢٤٥، ١٩٥	٥٢
	٢٩ - سورة العنكبوت	١٩٦	٦٠ - ٥٧
١٠٠	٢٤، ١٧، ١٦	٢٠٥، ١٩٦	٦٣
٢٦٦	٤١	٣١، ٩	١٩٥ - ١٩٢
٤٩، ٣٤	٤٨	٢٧٦، ٢٠٦	
١٤	٥١ - ٥٠	١٩٦	٢١٥ - ٢١٤
		٢٢٦، ٥١	٢٢٤
	٣٠ - سورة الروم	٢٦٨، ٢٢٦، ٥٠	٢٢٥
٤٨	٤ - ١	٢٢٦	٢٢٦
٨٠	١٩	١٩٦	٢٢٧
٨٣	٤٢		
			٢٧ - سورة النمل
	٣١ - سورة لقمان	١٩٤	٥
٩٥	٣٤	١٨٩	٦
		١٨٩	٨
	٣٢ - سورة السجدة	١٩١	٣٢ - ٣١
٢٦٨	٢١	١٩٢، ١٩١	٣٤
		٨٣	٤٤
	٣٣ - سورة الأحزاب	٦٦	٩١
٢٦٨	٤٦		
			٢٨ - سورة القصص
	٣٤ - سورة سبأ	١٩٣، ١٠٣	٤
٥١	١٣	١٠٣	٨ - ٥
٢٧٤	٢٤	١٨٩	٢٩
٥٤	٤٣		

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
	٤٠ - سورة غافر		٣٥ - سورة فاطر
١٩٧، ٩	١ - ٣	٥٢	١٨
٩	٤	٢٦٣	٤٣
١٩٧، ٩	٥ - ٦	٢٨٩	٤٥
١٩٩، ١٩٨، ٩	٧		
١٩٩، ٩	١٣		٣٦ - سورة يس
١٩٩	١٤	٢٦٧، ١٨٨، ٦٦	٣٧
١٩٩، ١٣	١٥	١٨٨	٣٨ - ٣٩
١٩٩، ١٠٢	١٦	٥١	٦٩
٢٠٠	١٨ - ٢٠	٢٤٥	٨٢
٩	٢١، ٣٥		
٢٠١	٦٥		٣٧ - سورة الصافات
١١، ١٥	٦٩، ٧٠، ٧٨، ٨٥	٢٠٢	١ - ١٠
	٤١ - سورة فصلت	٢٢، ٥٤	٣٦
		٧٣	٤٩
٢٧، ١٢	١ - ٢		
٢٧، ١٢، ٧	٣		٣٨ - سورة ص
٢٧، ١٣، ١٢	٤	٥٢٧٤	١
١٢	٦، ٨، ١٣	١٩	٧
١٣	١٩، ٢٦، ٣٠، ٣٦، ٤١		
٢٨٢، ١٣	٤٠		٣٩ - سورة الزمر
٣٠٢، ٢٤٣، ١٨٥	٤٢	٢٠٢	٨
		٣٠٣	٩
١٨٥	٤٢ (اقتباس)	٨٧	١٤ - ١٥
١٣	٤٤، ٥٢	٢٠٦، ٢٠٤، ٣٦، ٢٣	٢٣
٢٦٧	٥١	٢٠٦	٢٨
	٤٢ - سورة الشورى	١٤٤	٣٣
١٤	٢٤	٢٨٢	٥٦
٢٨٣	٤٤ - ٤٥	٢٧٤	٦٢

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٥٣	٥١ - سورة الذاريات ٣-١	٣٠٣، ١٨٧	٥٢
		١٨٧	٥٣
	٥٢ - سورة الطور		٤٣ - سورة الزخرف
٩٦	٢-١	٧	٣
١٨	٣٣	٦٦	٤
١٨٩، ٦٢، ١٨	٣٤	٢٨٢	٥
٢٥٤	٥٢	٥٥٣	١٣
		٢٨٢	٣٩
	٥٤ - سورة القمر	٧٧، ٢٣	٤٤
٢٦٤	٢٠-١٩	٢١	٥٨
٤٨	٤٥	٢٨٢	٦٧
		٢٨٢	٧١
	٥٥ - سورة الرحمن		٤٦ - سورة الأحقاف
٢٧٥	٤-١	٤١	٢٩
٢٦٦	١٤		
٢٦٦، ٧٣	٢٤		٤٧ - سورة محمد
٢٦٥	٣٧	٢٦٧	٤
		٢٦٢	٢١
	٥٧ - سورة الحديد		
٢٦٥	٢١-٢٠		٤٨ - سورة الفتح
		٤٨	٤٥، ١٦
	٥٩ - سورة الحشر		
١٨٥	٢١		٤٩ - سورة الحجرات
		١٣٢	١٣
	٦٢ - سورة الجمعة		
٣٠٥	٤ (اقتباس)		٥٠ - سورة ق
٢٦٥	٥	٧٨	٣٠

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٩٦	٧٩ - سورة النازعات ٤ - ٣	٢٦٣	٦٣ - سورة المنافقون ٤
٢٦٧	٨١ - سورة التكويد ١٨	٥٢	٦٥ - سورة الطلاق ٣ - ٢
٨٩	٨٥ - سورة البروج ٣ - ١	٢٠١	٦٧ - سورة الملك ١
١٠٦	٩٤ - سورة الانشراح ٦ - ٥	٧٨ ٢٨٣	٨ ١٣ - ١٤
٢٩٣	٩٦ - سورة العلق ١	٩٦	٦٨ - سورة القلم ٣ - ٢
٥٣	١٠٠ - سورة العاديات ٢ - ١	٢٦٥	٦٩ - سورة الحاقة ٧
٩٦	٨ - ٧	٢٦٦ ٥١	١١ ٤١
٥٢	١٠٧ - سورة الماعون ١٤	١٨٥	٧٢ - سورة الجن ٢ (اقتباس)
١٠٦	١٠٩ - سورة الكافرون ١	٢٩٣	٧٤ - سورة المدثر ١
٢٩٣	١١٠ - سورة النصر ١	١٦٩، ٨٠ ٣٠	٤ ١٨ - ٢٥
٥٥٤	١١١ - سورة المسد ١	٥٢	٧٦ - سورة الإنسان ١٤

٢ - فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
« أسجاعةٌ كسجاعة الكهان »	٥٨، ٥٧
« أسلمُ سالمها اللهُ ، وغفارٌ غفر الله لها ، وعُصيّةٌ عصت الله ورسوله ، وتُجيبُ أجابَ الله ورسوله »	٨٤
« أنا أفصحُ العرب (إشارة)	٢٩١
« إنكم تكثرون عند الفرع ، وتقلون عند الطمع »	٨١
« إن مما يُنبئ الربيعُ ، ما يَقتلُ حَبِطًا أو يلم »	٦٧

قوله صلى الله عليه وسلم - حين سُئِلَ عن المخرج من افتتان أمته من بعد وفاته :	
« بكتاب الله العزيز الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ؛ تنزيلٌ من حكيم حميد »	١٨٥
« ثلاث لا يغفل عليهن قلب المؤمن »	٢٠٢

« خيرُ الناس رجلٌ : ممسكٌ بفرسه فى سبيل الله ، كلما سمع هَيِعةً طار إليها »	٦٧

« ربنا : تَقْبَلُ تَوْبَتِي ، واغسل حَوْبَتِي »	٦٧

« الظلمُ ظُلُماتٌ يوم القيامة »	٨٤
« غلب عليكم داءُ الأمم قبلكم : الحسدُ والبغضاء ، وهى حالقة الدين ، لا حالقةُ الشعر »	٦٧
« غيروا الشيب ، ولا تشبهوا باليهود »	٦٨

« فضلُ كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه »	٢٤٦
« من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة »	١٨٦

* * *

٨٤

« لا يكون ذو الوجهين وجيها عند الله »

* * *

٦٧

« الناس كإبل مائة : لا تجدُ فيها راحلةً »

* * *

٧٦

« نصرتُ بالرعب ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ؛ وليدخلنُ
هذا الدين على مادخل عليه الليلُ »

* * *

٦٧

« هل يسكب الناس على مناخرهم في نار جهنم ، إلا حصائدُ
ألسنتهم »

٣ - فهرس الشعر

١ - الأبيات

(ب)

رقم الصفحة			
	أعاذل أعتبتُ الإمام	... في الضمير وأعربا	
٢١٧	صرمتُ ولم أصرمكمُ	... وأبَّ ليذهبا	أبو نواس
١٠٢	قومٌ إذا عقدوا	... فوفه الكسربنا	الأعشى
١٠٣	إذا غضبتُ عليك	... كلهمُ غضاباً	الخطيئة
٢٥٣	فصربتُ الشتاء	... عتوداً ركوبا	جرير
٢٣٦، ١١٠	إن النجومَ أعطى	... في مفترى الكذبِ	أبو تمام
١٠٢ هـ	تسعون ألفاً	... نُضجِ التينِ والعنبِ	المبرد
١٠٩	راحتُ مشرقة	... مشرق ومغربِ	أبو تمام
٢١٥	فأدخلك الله	... في مدخل طيبِ	امرؤ القيس
٢١٣	فأصبحتُ من ليل الغداة	... أعجاز نجم مغربِ	الأعشى
٢١٥	فظل لنا يومٌ	... نحسه متغيبِ	امرؤ القيس أو النميرى أو ابن الملوح
٩٠		طرفة أو امرؤ القيس	

...	لم يُثَقِّبْ	...	كأن عيونَ الوحش
٩٢، ٧٢	امرؤ القيس أو علقمة الفحل	...	وتراه في ظُلَمِ الوغى
٢٤٠	الرجال بكوكب غير منسوب	...	وسامعتان يُعرفُ
٧	وسط ررب	...	وعينان كالماويتين
٧٣، ٥٧	امرؤ القيس	...	كليني لهم يا أميمة
...	بطيء الكواكب	...	وصدر أراح الليل
١١١	النابعة الذبياني	...	ولا عيبَ فيهم
٧٤	من كل جانب	...	ولا يحسبون الخير
١٠٧	النابعة الذبياني	...	يقدر السلوق
٨٢	ضربة لازب	...	يمدون من أيدٍ
١٤٤، ٧٧	النابعة الذبياني	...	أجعل دارمًا
٨٧	قواض قواضب	...	إن يقتلوك فقد تَلَّتْ
...	أبو تمام	...	عصافير وذبان
...	الغنيمة كالركاب	...	فخية من يخيب
٥٩٠	الفرزدق	...	
٢٠٨	الحارث بن شهاب	...	
٢١٢	أبو ذؤاب الأسدي أو ربيعة الأشتر	...	
٩٠	مجلحة الذئب	...	
...	امرؤ القيس	...	
...	أعصر والرباب	...	
...	زيد الخيل	...	

رقم الصفحة

٢١٢	من الغنمة بالإياب امرؤ القيس	... فقد طوفتُ
٩٠ هـ	زید الخیل	... وأدى الغنمُ
١٠٦	السرى الرفاء	... نزع الوش لنا
٧٦	سلّم الخاسر	... فانت كاهر
٧٠	أبو تمام	... لها منظرٌ سيدُ
٧٦	البحرئى	... ولو أنهم ركبوا
٧٧	نصيب	... فعاجوا فائتوا
١٠٧	عريقة بن مسافع العبسى	... حلیم إذا ما الحلم
٢٨٠	أبو نواس	... دع الأطلال تشفيها
١٢٥	غير منسوب	... للحرب والضرب أقوامُ
٧٢	بشار بن برد	... كأنّ مشار النقع

إذا ما عقدنا له

... وعقدَ الكَرْبُ

أبو دُوَا ١٠٣

* * *

(ت)

... الرماحَ أَجَرَّتْ

فلو أن قومي

٧٩ عمرو بن معديك

* * *

... بِعُرَا صُحْبَتِهِ

رُبَّ أَخ

٥٦ غير منسو

* * *

(ج)

... بِالْجَهْلِ مُسْرِجُ

ولي فرسٌ للحلم

٩٥ محمد بن وهيب الحمير

* * *

(ح)

... وَسَطَ رِيحٍ

مَرْفُوعُهَا زَوَلٌ

٥٩٠ طرفة بن العبد

* * *

... وَالْمَطَى طُلُوحُ

وقالوا : حمامات

٨٥ أبوحية النما

* * *

... مَن هُوَ مَاسِحُ

ولما قضينا من منى

٢٢١ كثير عزة أو المضا

* * *

... يَرِثُ نَجَاحَهُ

فلراهب أن لا

٩٧ ابن الم

رقم الصفحة

(د)

	إذا ما الثريا	... سلكه فتبددًا	
١٧٥	وصول إلى التصعبات	... ماء لأوردا	ابن الطرية
٢٣٠	وإن يأكلوا	... بنيت لهم مجدًا	المتنبى
٩٤	وقصيدة قد بتجمع	... * * *	المقنع الكندى
١٢٢	ألا لا يمد الدهر	... فتقطع من الزند	عدي بن الرقاع
١١٠	بكل تداوينا	... خير من البعد	أبو تمام
١٠٢	سرت تستجير	... عندها كل مرقد	ابن الأندلسية
١٠٩	كريم متى أمد	... لمتة وحدى	أبو تمام
٢٢٦	لعمري لقد حُرر	... وحده لم يبرد	أبو تمام
١٠٩	وأنا الشجاع وقد	... والمشرقة شهدى	أبو تمام
٢٧٨	وأنجدتم من بعد	... ساكنى نجد	المتنبى
١٠٠	وتسرى الثريا	... يلحن بفد قد	أبو تمام
١٧٤	وسامعتان يعرف	... بحومل مفرد	ابن المعتز
٧٢	وعينان كاذبتين	... قلمت مورد	طرفة
٥٧٢		طرفة	

٥٤	طرفة	... أَسَى وَتَجَلَد	وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي
١١٥	البحرَى	... نِظَامٌ فُرِيدُ * * *	فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ
٧٧	النَّمْرُ بْنُ تَوَلَّبَ	... أَثَرُهُ بَادِي * * *	أَبْقَى الْحَوَادِثُ
٧٠	الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْغَرُ	... وَالرَّهَانُ جَوَادُ * * *	بِمُقْلَصٍ عَتَدَ
١٠٧	أَبُو تَمَامٍ	... النَّصِيحَةُ وَالْوَدَادُ * * *	تَنْصَلُ رَبِّهَا
٢٣٧	الْمُتَنَبِّي	... مِنْ رُقَادٍ * * *	كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهِجَا
٩٣	غَيْرُ مَنْسُوبٍ	... بِالْمُودَةِ قَاصِدُ * * *	أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ
٢٣٨	الْمُتَنَبِّي	... بِحَرٍّ مُزْبِدُ * * *	رَبَّانٍ لَوْ قَدَفَ الَّذِي
٩١	زَهِيرٌ أَوْ أَبُو الْجَوَيْرَةِ	... أَوْ مَجْدُهُمْ قَعَدُوا * * *	لَوْ كَانَ يَنْقَعُدُ
٢٧٨	ابْنُ الْمُعْتَزِ	... لَخَلَقَ مُزِيدُ * * *	أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ
٢٧٨	ابْنُ الْمُعْتَزِ	... تَحْتَ الثَّرَى (ر)	أَنَا ابْنُ الَّذِي سَادَهُمْ
٩١	النَّابِغَةُ الْجَعْدِي	... ذَلِكَ مَظْهَرًا * * *	بَلَّغْنَا السَّمَاءَ

رقم الصفحة

- وكانت فَرَارَةً تَصَلَّى ... أوَّلَى فَرَارًا
 ١٠٦ عوف بن عطية الربابي
- أخشى الفواحش ... * * *
 ٨٨ عبد الله بن سليم الأزدي
- طرب الحمام ... وأيسك ناصر
 ١٠٠ جرير
- فتذكر أثقالاً ... يمينها في كافر
 ٢٥٧ لبيد
- فله در الغول ... خائف متقفر
 ٤٠ عبيد بن أيوب
- وكم عرست ... أصوات سامر
 ٤٠ ذو الرمة
- وإذا حديث ساعى ... سرني لم أبشر (أو أشرر)
 ٨٨ عبد الله بن سليم الأزدي
- فبت أفرش خدى ... * * *
 ١٧٧ ابن المعتز
- وفؤادى كعبيده ... ولم يتغير
 ٥٣ غير منسوب
- أحلاً بذاك الزور ... * * *
 ٢٢٠ الصنوبري
- سأئننى على عهد ... بالساكنين وبالقطر
 ٨٧ ابن المعتز
- فقال فريق القوم ... ويحك ما نندرى
 ٢٩ نصيب
- له همم لا منتهى ... أجل من الدهر
 ٩٢ حسان بن ثابت أو بكر بن النطاح

...	صَوَادِرَ عَنْ غَدِير	...	مِثْلُ الظُّبَاءِ سَمَتْ
١٧٩	أَبُو نَوَاسٍ		

...	ثَقَّةُ إِزَارَى	...	أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَفْصٍ
٨٠	أَبُو الْمُنْهَالِ		
...	مِنَ النَّارِ	...	إِنَّ الشَّقَى الَّذِي
١١٤	سَحِيمٌ		
...	هَنَ مِنْهُ عَوَّارٌ	...	دِيَارُ نَوَّارٍ
٩٦، ٨٧	أَبُو نَوَاسٍ	...	قَدْ تَرَدَيْتُ بِالْمَكَارِمِ
...	مِنَ الْإِفْتِخَارِ	...	
٢٧٨	ابْنُ الْمُعْتَزِ	...	مَا شَقَوْتُ الْمَرْءَ
...	يَوْمًا بِإِكْثَارِ	...	
١١٤ هـ	سَحِيمٌ		

...	سَكَنَ الدَّهْرُ	...	عَجِبْتُ لِسَعَى الدَّهْرِ
٩٣	أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِي		
...	وَأَنْهَمُ سَفَرُ	...	هِيَ الدَّارُ إِلَّا
٨٧	ابْنُ الْمُعْتَزِ		
...	بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ	...	وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
٧٦	الْأَخْطَلُ		
...	حَرْبُ قَبْرِ	...	وَقَبْرِ حَرْبٍ
٢٦٩	أَحَدُ الْجَنِّ		
...	قَبْلَى النَّذْرِ	...	وَلَا أَصْبَحُ الْحَى
٢٧٩	أَبُو فِرَاسٍ		
...	مِنْ عِنْدِكَ النَّصْرُ	...	وَمَا بِي انْتِصَارٌ
١٠٢	أَبُو الْبَيْدَاءِ الرِّيَّاحِي		
...	لَهَا الشُّكْرُ	...	يَا مَنَّةً إِمْتَنَنَهَا
٩٦	أَبُو نَوَاسٍ		

رقم الصفحة

- إذا محاسنى اللأى ... فقل لى : كيف أعندر ؟
البحترى ٢١٩ هـ
- أظله منك حتفٌ ... رأيتك القدرُ * * *
٢٣٨ هـ بعض بنى ثعل
أهز بالشعر أقواماً ... بالسيف ما شعروا
٣٠٠ البحترى
- تلمظ السيفُ ... والأقدارُ تنتظرُ
٢٣٨ هـ بعض بنى ثعل أو مسلم بن الوليد
فى الشيب زجر له ... لولا أنه حجير
٢١٩ هـ البحترى
- للأمانى حديثٌ ... من قد يسرُّ
٨٧ هـ ابن المعتز
لم يفعلوا فعلَ ... بثما ائتمروا
٢١٢ امرؤ القيس
- فخالط سهل الأرض ... خزيانُ ينظرُ * * *
٧٧ تأبط شرا
فلا الجودُ يفنى ... والحدُ مدبرُ
٨٣ تمثل به الحسن بن على
ولو انّ مشتاقاً ... إليك المنبرُ
٧٨ البحترى
- أبدانهُنَّ وما ... معاً حريرُ * * *
٩٦ ابن الرومى
- إذا شئتُ أو فرتُ ... هاشم ونزارُ * * *
٢٨٧ ابن المعتز
حامى الحقيقة ... تفّاع وضرارُ
٩٧ الخنساء

رقم الصفحة

	...	للجيش جَرَّارُ	حَمَالُ أَلْوِيَّة
٥٩٧	الخنساء	...	لولا إحياءُ
١١٧	جرير	...	والشيبُ يَنْهَضُ
٨٢	الفرزدق	...	فأيقنت أني
٥٧٦	الفرزدق	...	ولو حملتني الريحُ
٧٦	الفرزدق	...	فلا تَجْزَعَنَّ من سُنَّة
٨٩	خالد بن محرز أو ابن زهير الهذلي	...	في الذَّاهِبِينَ
١٥٢	قس بن ساعدة	...	قد سقاني المدامَ
١٧٤	ابن المعتز	...	سَلَمَةُ الرُّكُضُ
٢٣٨	المتنبي	...	ومُهْمَمُهْزَ تَمَتْ
٢١٨	ابن الرومي	...	

رقم الصفحة

...	مُستأنس عتريس	وأقطع الهوجل
٨١	الأفوه الأودى	
...	***	
...	مثل أمسه	كل يوم
٥٢	غير منسوب	
...	***	
...	(ض)	
...	القيصري العضوض	له قُصْرِيَا عَيْرٍ
٢١٢	امرؤ القيس	
...	عَبِلَ الْيَدِين قَبِيضٍ	وقد أعتدى والطير
٢١٢ هـ	امرؤ القيس	
...	بمدلاج الهجيز نهوض	وسين كسنيق
٢١١	امرؤ القيس	
...	ماء الكراض	سوف تدنيك من ليس
٢١٤	الطرماح	
...	***	
...	أو لجام مُفضض	كان الثريا
١٧٤	ابن المعتز	
...	***	
...	(ط)	
...	أرادته وقد سقطا	وقد هوى النجم
١٧٤	ابن المعتز	
...	***	
...	بجانب الغرب قُرط	طيب ريقه
١٧٤	ابن الرومي	

رقم الصفة

(ظ)

وبعضُ قَرِيضِ القوم ... الناطق المتحفظ
٢٠٧ خَلَفَ الأحمر

* * *

(ع)

أبيتُ بأبوابِ القوافي ... منَ الوحشِ نُزْعًا
١٢٢ سويد بن كراع
إذا أنتَ لم تَنفَعْ ... يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
٨٣ قيس بن الخطيم أو عبد الأعلى بن عبد الله

* * *

ولما رَدَّها في الشول ... لها لِفَاءً
٨٦ القطامي

* * *

رجالٌ إذا لم يَقْبَلُوا ... بالسيوفِ القواطع
٩٥ نافع بن خليفة

* * *

ولني وإنْ أبلغتني ... المطامع أخذَ عي
٢٣٦ البحري

* * *

بانَ الخَلِيطُ برَامَتَيْنِ ... لبينَ تَمَجَّزَعُ
١٧٧ جرير

وتقولُ بَوَزَعُ ... بغيرنا يا بوزعُ
١٧٧ جرير

* * *

أقضى نهارى ... بالليلِ جامعُ
٧٤ ابن الدمينه

فإنك كالليلِ الذي ... عنكَ واسعُ
٧٥ النابغة الذبياني

رقم الصفحة

- طربت فأبكتك ... غصون نوائع
 ٥٧ غير منسوب
- وما لامرئٍ حاولته ... السماء المطالعُ
 ٧٦ على بن جبلة
- إذا لم تستطع شيئاً ... ما تستطيع
 ٩٤ عمرو بن معدى كرب
- تشكّى الوجى ... مرّت بقیعُها
 ٦٠ البحرى
- وذاكم أن ذُلّ ... لا تعرفُ الأنفقا
 ٨٥ التوزى
- هل لما فات من ... الصباية شاف
 ٨٦ البحرى
- وإني للماء الذى ... ورّاد دُلعوف
 ٢٣٠ غير منسوب
- يقصّفُ فى الفارس ... فريقيّاً فريقيّاً
 ٢٣٩ بعض معاصرى الباقلانى
- فإن كنت مأكولاً ... ولما أمزق (مضمن)
 ١٤٣ الممزق العبدى

وردتُ اعتسافاً	... ابنُ ماءٍ مُحلق	١٧٣
	ذو الرمة	

فناوَلْنِيهَا والثريا	... حَيّاً الندامى به الساقى	١٧٤
	ابن المعتز	

حتى يَسْجىء بحال	... بعدَ ذاكَ لَقَوْا	١٥٢ هـ
	قس بن ساعدة	
وإنَّ عتاقَ العيس	... أعجازهنَّ مُعلقُ	٧٧
	الأعشى	
ويأمرُ لليحموم	... فقد كادَ يَسْنَقُ	٢١٣
	الأعشى	
يا ناعى الموت	... بَزَّهمْ خرقُ	١٥٢
	قس بن ساعدة	

	(ك)	
أهزُ به فى تدوّة	... بالهجان الأوارك	٨٨
	تأبط شراً	

وشاطرىّ اللسان	... شابّ المحوّن بالنسك	٢١٦
	الحسين بن الضحّاك	

فإنّهم طاوَعوكِ	... مَن عصاك	٩٠
	خلّيد مولى العباس بن محمد	

	(ل)	
تَمَسْكاً مِنّى	... العهد ولا	٥٦
	غير منسوب	

وأدهمَ قد جُبْتُ	... الكاعبُ الخيعلا	رقم الصفحة
ونحنُ حفزنا	... الجوف أشكلا	٣٩ تأبط شرا
عهدتُ لها منزلاً	... يَحْمِلْنَ آلا	٨٤ قيس بن عاصم المنقري
لو أن الباذلينَ	... مثك المطالا	٨١ أبو دُواد
ونكرمُ جارنا	... حيثُ مالا	١٠٠ كثير عزة
لو كان كلفها عبيدٌ	... شَدَقَمًا ولى جَدِيلا	٩١ عُمَيْر بن الأيهم أو غيره
وفتية في مجلس	... عدموا التثقيلا	١١٠ أبو تمام
فرميتُ غفلة عينه	... قلبها وطحالها	٥٢ أبو نواس
لى حيلةٌ فيمنُ	... الكذاب حيلة	٢١٣ الأعشى
قد أركبُ الآلة	... العاجزَ بالجدالة	١٠٢ بشار أو غيره
سقى الرملَ	... حنلَ بالرمْلِ	٥٢٣٤ راجز
فلو شاء قوى	... أعدائهم جهلى	٩٣ جرير
متوسداً عَضْبًا	... كدبة النملِ	٨٩ جرير
	امرؤ القيس	٥٢٤٠

ورمل عزيفُ الجن	... المغنينَ بالطبل	رقم الصفحة
تعرضتُ لى	... فى الطَّوَل	٤١ ذو الرمة
تعرضتُ لى	... عن قَتلى	١٧٣ منظور بن مرثد الأسدى أو زهير
تمسكًا منى	... ذى أَمَلٍ	١٧٣ منظور بن مرثد الأسدى أو زهير
مثلُ الأميرِ بَغى	... وأيدى الخيل والإبل	٥٦ غيرُ منسوب
وعزوة بعثتها همة	... الترب من زُحل	٢٣٣ المتنبي
وقدْ أَرانى الشابُ	... الروحَ فى بَدَلَى	٢٣٣ المتنبي
يحولُ عنه	... فيه أَمَلَى	٨٧ المتنبي
أخواله للرسامين	... لتبعين بموكلٍ	٥٦ غير منسوب
إذا قامتنا تَضَوَّعَ	... برِيبًا القرنفلِ	٢٢٨ البحتري
إذا ما بَكَى من خلفها	... شقها لم يُحول	٢٢٨ امرؤ القيس
إذا ما الثريا	... الوشاح المفضل	١٧٧ امرؤ القيس
أغرك منى	... القلبَ يَفْعَل	١٧٢ امرؤ القيس
أفاطمَ مَهلاً	... صررى فأجملَى	١٦٨، ١٦٨ امرؤ القيس
	... صررى فأجملَى	١٦٨ امرؤ القيس

رقم الصفحة

...	فيكَ بأمثل	ألا أيها الليلُ الطويلُ	١٨١
...	بدارة جُلجل	ألا رُبَّ يوم	١٦٣
...	إن لم يُسألِ	إن سِيلَ عَيَّ عن الجواب	٢٢٤
...	لم تُقتل	إن التي ناولتني	١٠٠
...	سحابه المنتهل	إني أريدُ أبا سَعِيد	٢٣٥
...	أو لم يفعلِ	أهلاً بذلكمُ الخيال	٢١٩
...	ثم لم يَتَحَوَّل	أو ما رأيتَ المجدَّ	٢٣٤
...	نفسى مَسْجَهِل	بإبانة في كل	٢٣٦
...	وقفًا أجملِ	بِحياة حُسْنِكَ أحسنِ	٢٢٤
...	الركاب الضُّلَّلِ	بَرَقُ سَرَى	٢٢٠
...	فَنَوَقَ جَبِينَهُ المنتهل	تَوَهَّمُ الجوزاءَ	٢٣١
...	لو يُسْرُونَ مَقْتَلِ	تجاوزتُ أحراسًا	١٧١
...	وَحَشَّ وَجْرَةَ مُطْفَل	تصد وتُبْدِي	١٧٨
...	يا امرأ القيس فانزل	تقولُ وقد مال الغبيطُ	١٦٦
...	غَضَّةٌ لم تُذْبل	حَمَلَتْ حَمَائِلَهُ	٢٤٠

٢٣١	البحترى	... كالقناع المسبيل	ذنبٌ كما سُحِبَ الرداءُ
٢٣٤	البحترى	... غير مُعْجَلٍ	سار إذا ادلجَ العفاهُ
٥ ٢٣١	امرؤ القيس	... ليسَ بأعزَل	ضَلِيعٌ إذا استدْبَرْتَهُ
٢٣٤	البحترى	... النجوم بأَحْبَل	عال على نظر الحسود
٢٢٣	البحترى	... لجأَجُ العَدَل	عُدَلُ المشوقُ
٢٣٨	البحترى	... من مَقْتَل	فإذا أَصَابَ فكل
١٦٩	امرؤ القيس	... من ثيابك تنسل	فإن كنت قد ساءتلك
١٥٩	امرؤ القيس	... جَنُوبَ وشَمَّال	فتوضَّحَ فالمرقاة
١٧٦	امرؤ القيس	... لبسة المتفضل	فَجَنَّتْ وقد نَضَّتْ
١٠٣	البحترى	... إذا لم أنزل	فدَعُوا نَزَال
٢٣٤	البحترى	... ربيعة بن مقروم الضبي ... كالفاضل المتفضل	فضلٌ وإفضالٌ
١٦٤	امرؤ القيس	... الدمقْسِ المقتل	فظل العذارى
١٦٣	امرؤ القيس	... بَلْ دَمْعِي محملى	ففاضتْ دموعُ العين
١٧٦	امرؤ القيس	... عنك الغواية تَنْجَلِي	فقلت : يمين الله
١٦٦	امرؤ القيس	... مِنْ جَنَّاك المعلن	فقلتُ لها : سيري

رقم الصفحة			
	... وناءً بكل كل	فقلتُ له لما تمطى	
١٨١	امرؤ القيس		
	... مرطٌ مُرجَلٌ	فقمْتُ بها أمشي	
١٧٦	امرؤ القيس		
	... ذى حفافٍ عَقَنْقَلٌ	فلما أجزَنا	
١٧٦	امرؤ القيس		
	... ذى تمامٍ مُحْنولٌ	فذاك حبلِي	
١٦٦	امرؤ القيس		
	... أهلك بمنصُلٌ	قد جُدتَ بالطرفِ	
٢٣٥	البحرَى		
	... الدخولِ فحوَّملٌ	ففا نيك من ذكرى	
١٥٩	امرؤ القيس		
	... غيرَ مُهيَلٌ	كالبدْرِ غيرَ مُخِيلٌ	
٢٢٢	البحرَى		
	... أم الربابِ بمأسَلٌ	كدأبك من أم الحويرث	
١٦٢	امرؤ القيس		
	... كصورةٍ في هَيْكَلٌ	كالهَيْكَلِ المَبْنَى	
٢٢٧	البحرَى		
	... إن لم يَفْضُلٌ	لا تكلفن لى الدَموعَ	
٢٢٥	البحرَى		
	... إلا من عَمَلٌ	لمحمد بن على الشرفُ	
٢٣٢	البحرَى		
	... وتَقَرِيبُ تَنْفُلٌ	لهُ أَيْظِلًا ظَبْيٌ	
١٨٢، ٧٣	امرؤ القيس		
	... حَمْدَ وَبِهِ الْأَحْوَلُ	ما إن يَبْعَافُ قَدَّيْ	
٢٢٩، ١٠٥	البحرَى		
	... ولا الجمالِ بِمُجْمَلٌ	ما الحسنُ عِنْدَكَ يَا سَعَادُ	
٢٢٣	وقفه في منزل		
٢٢٤	البحرَى		

ماض وإن لم تُحمِضه	... وإن لم يُصْفَل	البحترى	٢٣٦
مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ	... عليه مُوَصَّل	البحترى	٢٢٩
مُتَوَقِّدٌ يَبْرِى	... فى يَدُ بُل	البحترى	٢٣٧
مُصْنَعٌ إِلَى حُكْمِ الردى	... لم يَعْدِل	البحترى	٢٣٧
مُضَرُّ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا	... وَأَزْدُ الْمُوَصَّل	البحترى	٢٣٥
مَكْرٌ مَفْر	... حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَمَل	البحترى	١٨٢
مِنْ غَادَةِ مُنْعَتٍ	... لم تَبْدُل	البحترى	٢٢٢
مُهْفَهْفَةٌ بِيضَاءُ	... مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَل	البحترى	١٧٨
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدُ	... الْخَطُوبُ فَتَنْجَلِي	البحترى	٢٣٥
هَضَرْتُ بِغَضْنِي دَوْحَةَ	... رِيًّا الْمُخْلَخَل	البحترى	١٧٨
وَأَغْرَ فِى الزَّمَنِ الْبَهِيمِ	... عَلَى أَغْرٍ مُّحْجَل	البحترى	٢٢٧
وَإِنْ شَفَائِي عِبْرَةٌ	... مِنْ مُعُول	البحترى	١٦٢
وَافِى الضَّلُوعِ	... عَلَى مُعَمِّ مُخُول	البحترى	٢٢٨
وَالْجُودُ يُعَدُّ لَهُ عَلَيْهِ	... لِمَنْ لَمْ يُعْدَلْ	البحترى	٢٣٢
وَبِيضَةُ خَدَرٍ	... غَيْرُ مُعْجَل	البحترى	١٧١

رقم الصفحة

...	ولا بمُعطل	وجيد كجيد الريم
١٧٨	امرؤ القيس	وسحابة لولا تتابع
...	غير مُبَخَّل	...
٢٣٢	البحري	وقد أغتدى والطير
...	الأوبد هيكَل	...
١٨١، ٦٩	امرؤ القيس	وُقُوفًا بها صَحْبِي
...	أسى وتَحْمَل	...
١٦٢، ٥٤	امرؤ القيس	وكانَ شاهِرُهُ إذا
...	بالسماك الأعزل	...
٢٤٠	البحري	وكانما سودُ النمال
...	فراه وأرجل	...
٢٣٨	البحري	وكذاك طَرْفُهُ
...	فَصَدُّ الأَكْحَل	...
٢٢٥	البحري	ولقد سكنتُ إلى الصدود
...	عند أكل الحنظل	...
٢٢٥	البحري	وليل كموج البحر
...	الهموم ليتلى	...
١٨٠، ٧٤	امرؤ القيس	وما ذرفتُ عيناك
...	أعشار قلب مُقتل	...
١٦٩، ٧٩	امرؤ القيس	ويُضْحِي فتيتُ المسك
...	عن تفضل	...
١٨٠	امرؤ القيس	ويومًا على ظهر الثيب
...	حلفة لم تُحلل	...
١٦٧	امرؤ القيس	ويومَ دخلتُ الخدرَ
...	إنك مُرجلى	...
١٦٦	امرؤ القيس	ويوم عَقَرْتُ للعذارى
...	من رَحَلها المتحمل	...
١٦٤	امرؤ القيس	يتناولُ الروحَ البعيد
...	في القضاء المقفل	...
٢٣٦	البحري	

	... ليس بمعقل	يفشى الوغى والرس
٢٣٧	البحترى	يهوى كما تهوى العقاب
	... انتصاب الأجدال	
٢٢٩	البحترى	
	... * * *	
	... وآثار محول	ألم تنزع على
٩٦	ابن المعتز	وشعر كعبر الكباش
	... فى القريض دحيل	
٢٠٦	أبو النيداء الرياحى	
	... * * *	
	... أذاك الخبر مال	أبلغ شهاباً بل
٢١٣	امرؤ القيس	ساكن الريح
	... منحل العزالي	
٥٢	غير منسوب	سليم الشظا
	... على الفال	
٨٩	امرؤ القيس	سموت إليها
	... على حال	
٧٤	امرؤ القيس	قريب المدى
	... حتى تكون معالي	
٦٠	البحترى	كأن قلوب الطير
	... والحشف البالى	
٧٢	امرؤ القيس	
	... * * *	
	... وهو مجمل	وأجمل إذا ما كنت
١٠١	عبد الله بن معاوية	ولاحت يسارها الثريا
	... قرط مسلسل	
١٧٤	الأشهب بن ربيعة	وما بلغت كف امرئ
	... حيثما نلت أطول	
٩٢	الخنساء	يود الفتى
	... طول السلامة يفعل	
٩٣	النمر بن تولب	

رقم الصفحة

- ... فاعلم أنه طللُ ... إذا سمعتُ فتىً يبكي
- ٢٨٩ هلال بن يزيد ... ودعْ هريرةَ إن
- ٢٨٩ الأعشى ... أيها الرجل
- ... لحزمهم مثلُ ... بعزْمةِ مأمورٍ
- ٨٢ زهير ... توهمتها في كأسها
- ٩١ أبو نواس ... فأقسمتُ جهداً بالنازل
- ٢١٤ زهير ... المقاديمُ والقَمَلُ
- ٥٢١٤ الأعشى ... شلشلُ شَوَلُ
- ٢١٤ زهير ... وهل يُنبِتُ الخطيَّ
- ... أو أصابك جاهلُ ... إذا أنت لم تُقصرْ
- ٨٩ زهير ... متى أنت عن ذهليته
- ١٠٨ أبو تمام ... مدةَ الدهرِ أهلُ
- ... ليس منك قليلُ ... أليس قليلاً نظرةً
- ١٠١ يزيد بن الطثيرة ... وأحمرَ كالديباج
- ٩٨ طفيل الغنوي ... وإنا لقومٌ لا نرى
- ١٠٤ السموأل ... عامرٌ وسلولُ
- ... الأكثرين ذليلُ ... وما ضرَّنا أنا قليلُ
- ٨٣ السموأل

رقم الصفحة

- وَنُكْرُ إِنْ شَتْنَا ... حِينَ نَقُولُ
 ٩٨ غير منسوب
- القَاتِلُ السِّيفَ فِي ... لِلنَّاسِ آجَالُ
 ٢٣٩ المتنبي
- صَحَابَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى ... الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ
 ٧٤ زهير
- وَلِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعْلَلُ ... نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا
 ٩٣ ذو الرمة
- صُبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ... (م) يَوْمَ الرُّوعِ مُتَقِمَا
 ١٠٥ أبو تمام
- وَقَرَا مُعَلَّنَا ... الْفَوَادِ السَّقِيَا
 ٥٢ أبو نواس
- عَشَوْنَا نَارِي فَقَلْتُ ... عَمُوا ظِلَامَا
 ٤٠ شُمَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ الضَّبِّي
- وَتَسْرُومُ ... السَّمَاءِ مَرَامَا
 ١٧٤ ابن المعتز
- فَلَا صَرْمُهُ يَبِيدُو ... لَنَا فَنَكَارُمُهُ
 ١٠٠ ابن ميادة
- فَازَوْرَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا ... بَعْبَرَةٌ وَتَحْمَنُحُمُ
 ٧٧ عَنَرَةُ بْنُ شَدَاد

رقم الصفحة		فَتَنْتِجْ لَكُمْ عِلْمَانِ أَشَامَ ... ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَقْطِمْ -	زهير	١٧٢ هـ
		فَلَمَّا وَرَدَ نَ الْمَاءَ ... الْحَاضِرِ الْمُتَمَخِّمِ * * *	زهير	٧٦
		لَقَدْ كُنْتَ فِيهَا يَا فَرَزْدَقُ ... تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ	جرير	١٠٣
		وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ ... كُلُّ لُذْمِ	زهير	٧٩
		وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ ... عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ	زهير	٨٩
		يَا أُخْتَ بَنِ سَامَةَ ... إِنَّ طَلَبُوا دِي ...	الفرزدق	١١٧
		صِفَةُ الطَّلُولِ بِلَاغَةً ... لَا بِنَةَ الْكَرْمِ * * *	أبو نواس	٢٨٠
		لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنَ مَنْ قَدْ جَاءَ ... مَوْطِئُ الْقَدَمِ	أبو تمام	٧٨
		أَزْمَانٌ فُوهَا فَلَمَّا ... فِي الْقَدَامِ * * *	امرؤ القيس	٢١٢
		إِنْ كُنْتَ كَاذِبُهُ الَّذِي ... الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ	حسان بن ثابت	١٠٤
		فَلَيْسَ الَّذِي حَلَلْتَهُ ... حَرَمَتُهُ بِحَرَامِ	البحرئى	٩٢
		فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ ... أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ	إسحق الموصلى	١٠٤
		وَهُمْ تَرَكُواكَ أَسْلَحَ ... مِنْ نَعَامِ	أوس بن غلفاء	٩١

- ... الفهم السقيم * * *
 ٣٠٠ المتنبي
- بيضاء تُسحبُ من قيام ... وَصَفُ أُسْحَمِ * * *
 ٩٤ بكر بن النطاح
- فكأنها فيه نهارٌ ... عليها مُظلمٌ * * *
 ٩٤ بكر بن النطاح
- إن البخيلَ مَلُومٌ ... على علاته هَرِمٌ * * *
 ١٠٤ زهير
- فالحيلُ والليلُ ... وانقرطاسُ والقلمُ * * *
 ٢٧٧ المتنبي
- قف بالديار التي ... الأرواحُ والدِّيسَمُ * * *
 ١٦١، ١٠١ زهير
- هم يُضربون حَبِيكَ البيض ... إذا ما اسْتَلْحَمُوا وَحِمُوا * * *
 ٨٦ زهير
- بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْط ... عبدُ شمسٍ وهاشمٌ * * *
 ٧١ عمر بن أبي ربيعة
- وكنْتُ إذا قومٌ غَزَوْنِي ... يا لَهْمْدَانَ ظالمٌ * * *
 ١٥٠ عمرو بن بَرِاقَةَ الهمداني
- مَتَى كان الخِيامُ ... أَيْتِها الخِيامُ * * *
 ٩٩ جرير
- ونَبِثْتَهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ ... كاهِلٌ وَسَمَانٌ * * *
 ٨١ زيادُ الأعجم
- رَمَتْنِي وَسَرُّ الله ... الكناسِ رَمِيمٌ * * *
 ٢٦٩ أبو حية النميري

رقم الصفحة

قد أعسفُ النَّازِحَ المجهول ... يَدْعُوْهُ هَامَهُ الْبَوْمُ
٤٠ ذو الرمة

* * *

حتى إذا أَلْقَتْ يَدَا ... الثَّغُورَ ظِلَامُهَا
٢٥٧ هـ لبيد

* * *

إذا أَيْقَظْتَكَ حُرُوبُ ... عُمْرًا ثُمَّ نَمَ
٩٧ بشار

* * *

(ن)

لَيْتَ حَظِي كُلْحِظَةَ الْعَيْنِ ... الْقَلِيلَ الْمُهَنَّا
١٠١ ابن هرمة

هَلَا سَأَلْتَ جُمُوعَ ... أَيْنَ آيُنَا ؟
١٠٦ عبيدُ بن الأبرص

وإذا الدَّرْزَانُ حُسْنُ ... وَجْهَكَ زَيْنَا
٩٩ مالك بن أسماء

* * *

يَسْجُرُونَ مَنْ ظَلُمَ ... السَّوْءَ إِحْسَانًا
٨٢ قُرَيْطُ بن أَنَيْفٍ

يَسْمِشِينَ هَيْبَلَ النِّقَا ... الثَّرَى حِينَا
٨٦ ابن مُقْبِلٍ

أَلَا دَارَهَا بِالْمَاءِ ... حَتَّى تُنْهِنَهَا
٨٧ أبو نَوَاسٍ

* * *

لَوْلَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرَّمَاحِ ... مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ
١٠٩ أبو تَمَامٍ

* * *

أَلَا زَعَمْتَ بَنُو سَعْدٍ ... كَبِيرُ السِّنِّ فَانِي
٩٩ النابغة الجعدي

رقم الصفحة

- بمن لو أراه عانياً ... عانياً لفداني
 ٩٤ عروة بن حزام
 مخش مخش ... الحلب العدوان
 ٩٦ امرؤ القيس
 وتردي على صم صلاب ... لينات متان
 ٨٢ امرؤ القيس
 وسابح هطل التعداء ... غير خيوان
 ١٠٥ أبو تمام

* * *

- حاز صمصامة الزبيدي ... موسى الأمين
 أبو الهول الحميري ، أو ابن يامين البصري أو أبو الغول
 ٢٤٢ التميمي
 خليل من كعب أعينا ... إن الكريم معين
 ١٠٤ بشار
 وكان المنون نيطت ... كل جانبيه منون
 ٢٤٣ هـ ابن يامين أو غيره

* * *

- أهين لهم نفسي ... التي لا تهنئها
 ٨٢ أعرابي

* * *

- سبحان من سخر هذا ... له مقرنين
 ٥٣ أبو نواس
 قد قلت لما حاولوا ... لما تواعدون
 ٥١ غير منسوب

* * *

- الحاظه قديد عيون ... طريف يتعداه
 ٧٠ غير منسوب

رقم الصفحة

* * *

(ى)

- أقولُ وقدْ شَدُّوا لسانى ... أطلقوا عن لسانى
- ٨٠ عبد يغوث الحارثى
- بني عمنا لا تذكروا الشعرَ ... الغمير القوافيا
- ٧٩ الشمندر الحارثى أو سويد المرتدى
- فتى تَمَّ فيه ما يسر ... ما يسوءُ الأعاديا
- ١٠٧، ٨٨ النابغة الجعدى أوجندل بن جابر الفزارى
- فتى كملت أخلاقه ... من المال باقيةنا
- ١٠٧ النابغة الجعدى
- فسرى كما علانى ... مثل ضوء نهاريا
- ٨٣ غير منسوب
- وباسطُ خير فيكمُ ... عنكمُ بشمالينا
- ٨٢ جرير

* * *

- لنا غمٌّ نسوقها ... جليتها عصي
- ٥٢ امرؤ القيس

* * *

٢. أنصاف الأبيات

(ب)

- شمو عباب الماء جاشت غواربه • أبو تمام
- ٧٥

* * *

(ت)

- ولا مثل يوم فى قنذاران ظلمته • امرؤ القيس
- ٧٥ هـ

* * *

(د)

٢٣٣ البحرى * محمد بن على الشرف الذى *

* * *

(ر)

١٣٠ جليح بن شُميد * أقبلن من مصر يبارين البرى *

٧٥ امرؤ القيس * كأتى وأصحابى على قرن أعفراً *

* * *

* فالسيف يأمر والأقدار تنتظر *

٢٣٨ بعض بنى ثعل أو مسلم بن الوليد

٢١٩ البحرى * فى الشيب زجر له لو كان يتزجر *

* * *

(ش)

٥٧١ امرؤ القيس * ويضحى فتبت المسك فوق فراشها *

* * *

٧٠ غير منسوب * قبيد الحسن عليه الحدقا *

٩٨ امرؤ القيس * عود على عود على عود خلّق *

* * *

(ل)

٥٧٤ ابن الدمينه * أظل نهارى فيكم متعللاً *

٥٨٦ جليح بن شُميد * يشكون قرحاً بالدفوف والكلى *

* * *

٧١ امرؤ القيس * وليل كوج البحر أرخى سدوله *

٢٣٤ راجز * قد أركب الآلة بعد الآله *

رقم الصفحة

- ***
- أَهْلًا بِذَلِكَمُ الْخِيَالِ الْمَقْبِلُ *
 ٢١٩ البحتري
- عَلَى بَأْنَوعِ الْهَمُومِ لَيْتَلِي *
 ٧١ امرؤ القيس
- فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعُولٍ *
 ١٦١ امرؤ القيس
- فَوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلَ *
 ٢٥٣ امرؤ القيس
- قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ *
 ٦٣ ، ٤٦ امرؤ القيس
- تَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَسْتَنْطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ *
 ٧١ امرؤ القيس
- ***
- سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ *
 ٢٣٤ امرؤ القيس
- ***
- شَاوٍ مِثْلَ شَلُولٍ شُلْشُلٌ شَوْلٌ *
 ٢١٤ الأعشى
- ***
- سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا *
 ٧٤ امرؤ القيس
- ***
- (م)
- إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا *
 ١٦٣ امرؤ القيس
- سَمَّا لِلْعَلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا *
 ٧٥ أبو تمام
- ***
- وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بَدَمٌ *
 ٢٣٠ بشار
- ***
- (ن)
- خَشَنْتَ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنٍ *
 ١١٠ أبو تمام
- وَأُنَجِّجَ فَيْكَ قَوْلُ الْعَاذِلِينَ *
 ١١٠ هـ أبو تمام
- ***
- أَلَا يَا دِيَارَ الْحَى بِالسَّبْعَانِ *
 ٨٥ هـ تميم بن أبي بن مقبل
- أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبَلَى الْمَلَوَانِ *
 ٨٥ تميم بن أبي بن مقبل

...

(و)

• له علاماتٌ على حدِّ الصَوَى • جليح بن شميذ ٨٦ هـ

...

(ي)

• عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِن تَجْهَزْتَ غَادِيَا • سُحَيْم ١١٤ هـ
• كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا • سُحَيْم ١١٤

٤ - فهرس الأعلام

آدم عليه السلام : ٣٤ ، ١٣٢

إبراهيم عليه السلام : ٣٤ ، ١٠٠ ، ١٥٣ ، ١٩٥

إبراهيم بن المدبر : ٢١٧ هـ

أبوه = عروة بن الزبير

ابن الأثير : ٢٠٢ هـ

أحمد بن حنبل : ١٣٣ هـ

أحمد بن أبي دؤاد : ١٠٧ هـ

أحمد بن عبيد الله بن عمار : ١٠٩

أحمد بن عثمان أبو عبد الرحمن : ١٨٥

أحمد بن علي بن الحسن : ١٨٥ - ١٨٦

أحمد بن محمد بن الحسين القزويني : ١٨٥

أحمد محمد شاكر : ١٨٦ هـ ، ٢٤٦ هـ

أحمد بن هشام : ١٠٤

أحمد بن يحيى أبو العباس = ثعلب

الأخطل : ٧٦ ، ١٢١ ، ٢٤٦

الأخفش : ٨٥ ، ٢٦٩ هـ

أذريجان : ١٨٣ هـ

أردشير : ٦٨

الأردن : ٣٣

إرمينية : ٣٣

الأزارقة : ٧٨ هـ

الأزد : ٢٣٥

الأزهرى : ٦٧ هـ ، ١٧٠ هـ

أسامة بن أبي عطاء : ١٨٦

إسحق بن إبراهيم الطاهري : ١٦٩ هـ

إسحق بن إبراهيم المصعبي : ١٠٥ هـ

إسحق بن إبراهيم الموصلي : ٩٩ ، ١٤٤ هـ

أسلم (قبيلة) : ٨٤

إسماعيل عليه السلام : ١٥٣

الأسود بن يعفر الإيادي : ٧٠

الأشاعرة : ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٣

أشجع السلمي : ١١٥

ابن الأشعث : ٢٩٣ هـ

الأشعث بن قيس الكندي : ٩٠ هـ

الأشهب بن رُميلة : ١٧٤

أصحاب رسول الله : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ٢٩٢

إصطخر : ٣٣

أصمّ باهلة : ٩٠ هـ

الأصمعي : ٧٠ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩٩ ، ١١٦ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ،

٢١٢

ابن الأعرابي : ٩٠ هـ ، ١١٤ هـ ، ١٣٥ هـ ، ٢٢٢ هـ ، ٢١٤ هـ

الأعشى : ٧٧ ، ١٠٢ ، ١٠٢ هـ ، ١٢١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ هـ ، ٢٨١

أعشى تغلب : ٩١ هـ

الآفوه الأودي : ٨١

أبو أمانة : ١٨٦

أمرؤ القيس : ١٩ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٦٠ ، ٥٤ ، ٦٩ ، ٨٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٤ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٨٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١١٤ ، ١٢١ ،

١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢١١ هـ ، ٢١٥ ،

٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٩٥

الأمين : ٢٤٢

أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة : ٢٣٨ هـ

أنس بن مالك الأنصاري : ٢٩٣ هـ

أنوشروان : ٦٨

الأنصار : ٨١

أوس بن خلفاء : ٩١ هـ

إياد (قبيلة) : ١٥٣

الإياسي القاضي : ٢٤١ هـ

باب الأبواب : ٣٣

باقل : ٢٧٥

الباقلاني : ٤٩ هـ ، ٥٢ هـ ، ٥٧ هـ ، ٦٨ هـ ، ٨٦ هـ ، ١٥٨ هـ ، ١٩٢ هـ

باهلة بن أعصر : ٩٠

البحري : ٣٨ ، ٦٠ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ هـ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ هـ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٧٨ ،

٢٨٤ ، ٣٠٠

البحرين : ٣٣

البخاري : ١٨٦ هـ

أبو البخري الطائي : ١٨٥

بدر : ٢٩٢ هـ

البراء بن عازب : ٢٩٣

براقة : ١٥٠ هـ

براكويه الزنجاني : ٢٨١

البرامكة : ٢٣٨ هـ

البراهمة : ٥

أبو بردة : ٢٩٣ هـ

ابن بري : ١٦٩ ، ١٧١ هـ ، ٢١٤ هـ

بزر جمهر : ٣٢

بشار بن برد : ٧٢ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ هـ ، ١١٦

بشر بن عبد الوهاب : ١٨٥ ، ١٨٦

بشر بن نمير القشيري : ١٨٦

البصرة : ٦٧ ، ١٤٦ ، ١٦٤ هـ

البسعيث : ١٢١

بغداد : ١٠٥ هـ ، ١١٦ هـ

أبو بكر (ابن الأنباري) : ٢١٤

أبو بكر الصديق : ٣٣ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ٢٨١

أبو بكر بن مقسم : ٢٥٦

بكر بن النطاح : ٩٢ هـ ، ٩٤ هـ

البكري : ٧٣ هـ ، ٨٥ هـ

بلخ : ٣٣

بلعنبر : ٨٩

بوزع (بشعر جرير) : ١٧٧

البيت الحرام : ١٥٣

أبو البيداء الرياحي : ١٠٢ ، ٢٠٦ هـ

(ت)

تأبط شرًا : ٣٩ ، ٧٧ ، ٨٨

تُجيب (قبيلة) : ٨٣

تدمر (بشعر أبي تمام) : ١٠٤

الترك : ١١٣

الترمذي (صاحب السنن) : ٢٤٦ هـ

تُستسر : ١٣٣

أبو تمام : ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٩١ هـ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ هـ ،

١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٨١ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ هـ ، ٢٢٦

٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٨٤

بنو تميم (بشعر جرير) : ٢٣٥

تميم بن أبي مُقبل : ٨٤ هـ

توضح (بشعر امرئ القيس) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١

التوزي : ٨٥

تم (قبيلة : في شعر) : ٧٩

(ث)

ثعلب : ٤٦ ، ١١٦ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، ٢١٤ هـ ، ٢٢١ هـ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ هـ

إعجاز القرآن

ثعلبة بن صُغير المازني : ٢٥٧ هـ

ثمود : ١٥٣

(ج)

الجاحظ : ٥ ، ٥٤ ، ٩٧ هـ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ هـ ، ١٤٩ ، ٢٠٦ هـ ،

٢٤٧ ، ٢٤٨

جبير بن مُطعم : ٢٧

جدود (موضع) : ٨٤ هـ

جرير : ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ،

١٢٣ ، ١٧٧ ، ٢٣٥ هـ ، ٢٤٦

جعفر بن محمد : ١٥١

جعفر بن يحيى البرمكي : ٢٣٤

جليح بن شميذ : ٨٦ هـ

الجن : ١٧ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ١٨٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٩ ، ٣٠٢

جندل بن جابر القزاري : ٨٧

أبو جهل بن هشام : ٢٧ ، ١٠٤ هـ

الجوهري : ١٣٥ هـ ، ٢١٤ هـ ، ٢٥٧ هـ

أبو الجويرة عيسى بن أوس : ٩١ هـ

جيحون : ٣٣

(ح)

ابن أبي حاتم الرازي : ١٨٥ هـ

أبو حاتم السجستاني : ١٠٣ . ١٥٣ هـ

حاتم الطائي : ٢٣٢

حاجز السروي : ٣٩ هـ

الحارث الأعور : ١٨٥

الحارث بن شريك الشيباني : ٨٤ هـ

الحارث بن هشام : ١٠٤

الحجاج بن يوسف : ٦٨ ، ٧١ ، ١٥٠ ، ٢٩٣ هـ

ابن حجر الحافظ : ١٥١ هـ ، ٢٤٦ هـ ، ٢٩١ هـ

الحديبية : ١٣٤

حرب بن أمية (في شعر) : ٢٦٩

حزم بن أبي راشد : ١٥٣ هـ

ابن حزم الظاهري : ٢٩١ هـ

حسان بن ثابت : ٩٢ هـ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ٣٠٤

أبو الحسن الأشعري : ٥٧ ، ٦٥ هـ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩

الحسن (البصري) : ٩٨

الحسن بن أبي بكر الباقلائي : ٣٠٥ هـ

أبو الحسين التميمي : ١٠٢ هـ

الحسن بن عبد الله (بن سهل) بن سعيد العسكري : ٥٧ ، ٨٧ هـ

٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٥١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩

الحسن بن علي بن أبي طالب : ٨٣

أبو الحسن علي بن محمد الأنباري : ١٠٥ هـ

حسن بن محمد بن علي الشريف : ٣٠٥ هـ

الحسين بن الضحاك : ١٥١

الخطيبة : ١٠٢ ، ١٠٨ هـ

حماد (الراوية) : ٧٠

حمار باهلة : ٢١١

حماد و به الأحول (بشعر البحري) : ١٠٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

حمير الحنظلي (بشعر امرئ القيس) : ٢١٢

آل حنظلة (بشعر امرئ القيس) : ٢١٢

حنظلة الغسيل : ١٥١

بنو حنيفة : ١٥٧

أبو حنيفة (الدينوري) : ٨١ هـ ، ٢٨٠ هـ

حومل (بشعر امرئ القيس) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١

أم الحويرث (بشعر امرئ القيس) : ١٦٢

أبو حيان التوحيدى : ١٣٤ هـ ، ١٦٨ هـ

أبو حية التميمي : ٨٥ هـ ، ٢١٥ هـ ، ٢٦٩ هـ

(خ)

- خالد بن عبد الله القسري : ٢٩٣ هـ
 خالد بن محبث : ٨٩ هـ
 خالد بن الوليد : ٦٨
 الخبز رزقي (أبو القاسم نصر بن أحمد البصري) : ١٦٤
 خديجة بنت خويلد : ١٥٣
 الخط (جزيرة) : ٢١٤ هـ
 خلف الأحمر : ١١٥ ، ١١٩ ، ٢٠٦ هـ
 خليد : ٨٩ هـ
 الخليع = الحسين بن الضحاك .
 الخليل بن أحمد : ٨٠ ، ٨٣ ، ٢٧٠ هـ
 الخنساء : ٩١ ، ٩٧
 الخوارج : ٦٨
 الخيف : ١٣٢

(د)

- دارم (في شعر) : ٩١ هـ
 الدارمي (صاحب السنن) : ٢٤٦ هـ
 ابنا دُخان = غني وباهلة
 الدخول (بشعر امرئ القيس) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٣١
 ابن دُرَيْد : ٥٧ ، ١٠٣
 دعبل بن علي الخزازي : ١١٦
 أبو دلف العجلي : ٧٥ هـ ، ٩٢ هـ
 ابن الدمينة : ٧٤ ، ٨٩ هـ
 أبو دُوَاد الأسدي : ٨١ ، ١٠٢ ، ٢٠٨
 دير الجماجم : ٢٩٣ هـ

(ذ)

- ذُوآبُ بن ربيعة الأشتر : ٢٠٨ هـ
 أبو ذؤيب الهذلي : ٨٩ هـ

الذَّهَبِيَّ الحَافِظُ : ١٨٦ هـ

ذَهْلُ (قَبِيلَةٍ) : ١٠٧ هـ

ذُو الرِّمَّةِ : ٤٠ ، ٩٢ هـ ، ١٧٣

ذُو طُلُوحٍ (بَشْعَرٍ جَرِيرٍ) : ٩٩

(ر)

رُؤْبَةُ بْنُ الْعِجَاجِ : ٦٩

الرَّاعِي النَّمِيرِي : ٨٥ هـ ، ١١٠

أُمُّ الرَّبَابِ (بَشْعَرُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ) : ١٦٢

الرَّبَابُ (قَبِيلَةٌ : فِي شَعْرِ زَيْدِ الْحَيْلِ) : ٩٠

الرَّبِيعُ بْنُ حَتَوَاتِرَةَ : ٢٢٥ هـ

رَبِيعَةُ الْأَشْتَرُ : ٢٠٨ هـ

رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : ١٣١

رَبِيعَةُ الْخَابُورِ (قَبِيلَةٌ : فِي شَعْرِ الْبَحْثَرِيِّ) : ٢٣٥

رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّي : ١٠٣ هـ

الرَّسْتَمَانُ (بَشْعَرُ الْبَحْثَرِيِّ) : ٢٢٨

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ .

١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٤٩ هـ ، ٥١ هـ ،

٥٥٨ هـ ، ٦٥ هـ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،

١٤٧ ، ١٥٠ هـ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ هـ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ .

٢٠٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩١ هـ .

٢٩٢ هـ ، ٢٩٨

آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٣ ، ٢٧٨

الرَّشِيدُ : ٢٤١ هـ

الرَّمَانِيُّ (أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى) : ٢٦٢ ، ٢٧٥ هـ ، ٢٨١ - ٢٨٢ هـ

رَمِيمُ (بَشْعَرُ أَبِي حَتِيَّةٍ) : ٢٦٩

الرَّوْحُ الْأَمِينُ (جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ٩ ، ١٥١ هـ ، ١٩٦ ، ٢٩٦

الرَّوْمُ : ٤٠ هـ ، ٤٨

ابْنُ الرَّوْمِيِّ : ٩٦ ، ١٢١ ، ١٧٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٤٢

(ز)

زَرَادُشت : ٣٢

زُهَيْرُ بن أبي سُلَيمٍ : ٣٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٦ ،

٨٩ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢١٤ ، ٢٤٦

زياد الأعجم : ٨١

أبو زياد اللغوي : ١٦١ هـ

زيد بن ثابت الأنصاري : ١٣٢ ، ١٣٣ هـ

زيد الخيل : ٩٠

(س)

سالم "مولى أبي حذيفة" : ١٨٠ هـ

سَجَّاحُ بنت الحارث بن عقبان : ١٥٧

سجستان : ٣٣

سحبان وائل : ٢٨٧

سَحِيمُ عبد بني الحسحاس : ١١٤ ، ١١٤ هـ

السدّي (إسماعيل بن عبد الرحمن) : ٢٩٣

السري الرفاء : ١٠٥

سَطِيحُ الكاهن : ٢٨٧

سعاد (بشعر البحري) : ٢٢٣

بنو سعد (بشعر البايغة الجعدي) : ٩٩

سعد بن أبي وقاص : ٣٣

أبو سعيد (بشعر البحري) : ٢٣٥

سعيد بن جبير : ٢٩٣

أبو سعيد الخدري : ١٣٣ ، ٢٤٦ هـ

سعيد بن العاص : ٢٤١ هـ

أبو سفيان بن حرب : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٦٩ هـ

سقط اللوى (بشعر امرئ القيس) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١

السقيفة : ١٣٨

ابن السكيت : ٢٥٧ هـ

- سَلَمُ "الخاسر : ٧٦ ، ٢٤٢ هـ
 سَلَمَةُ بن عاصم النحوي : ٢٥٦
 سَلُول (قبيلة : في شعر السموأل) : ١٠٤
 سُلَيْمِي (بشعر جرير) : ٩٩
 سليمان عليه السلام : ٨٣ ، ١٩١ ، ٣٠٣
 السموأل بن عدى : ٨٣ ، ١٠٤
 أبو سنان : ١٢٠
 سهيل بن عمرو : ١٣٤
 سَوَّار بن حَيَّانَ المنقري : ٨٤ هـ
 سُويْد بن صَمِيع المرثدي : ٧٩ هـ
 أخو سُويْد بن صَمِيع : ٧٩ هـ
 سُويْد بن أبي كاهل اليشكري : ٨١
 سُويْد بن كراع : ١٢٢
 ابن السَّيِّد البظليوسي : ٨٤ هـ ، ٩٨ هـ ، ١٠٣ هـ
 ابن سيده اللغوي : ١٣١ هـ ، ١٩٢ هـ
 سيف الدولة الحمداني : ٢٢٧ هـ ، ٢٣٠ هـ ، ٢٣٣ هـ
 سَيْفُ بن ذِي يَزَن الحميري : ٦٠
 السيوطي : ٢٦٤ هـ

(ش)

- الشام : ٣٣
 شُجاع بن محمد الطائي : ٢٣٧ هـ
 شرحبيل عم امرئ القيس : ٢١٢ هـ
 الشريف الرضي : ٦٦ هـ ، ١٤٩ هـ
 شُعْبَةُ بن الحجاج : ١٨٦ هـ
 الشعبي : ١٥١
 شَقِيَّ الكاهن : ٢٨٧
 الشَّماع : ٨٦ هـ
 الشَّمِيدُ الحارثي : ٨٠ هـ
 شُمَيْرُ بن الحارث الضبي : ٤٠ هـ

شهابٌ (بشعر امرئ القيس) : ٢١٣
شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : ٢٧

(ص)

الصاحب (إسماعيل بن عباد) : ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٥٦ ، ٢٨١
صالح بن جناح اللخمي : ٩٥ هـ
صحراء الغمير (في شعر) : ٨٠
صخر بن الشريد (أخو الحنساء) : ٩١ هـ
أبو صخر الهذلي : ٩٣ هـ
الصنوبري : ١٢٩
الصول = محمد بن يحيى .

(ط)

أبو طالب : ٦٠ ، ١٥٣
الطبري : ٢٣٧ هـ
طرفة بن العبد : ٥٤ ، ٧٢ هـ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ٢٢٥
الطرماح : ٢١٤
طُفَيْلُ الغنوي : ٩٨ هـ
آل طلحة (بشعر البحري) : ١٦٨
طلحة بن عبيد الله التميمي : ١٢٩
الطهوي : ١٦١ هـ
الطور : ٤٩ ، ٩٦

(ع)

عائشة : ٢٩٢
عاد : ١٥٣
أبو العاص : ٢٠٦ هـ
عاصم (بشعر امرئ القيس) : ٢١٣
عامر (قبيلة : بشعر السموأل) : ١٠٤
عباد بن سليمان : ٦٤ ، ٦٥ هـ

- العباس بن عبد المطلب : ١٣١
العباس بن محمد بن علي العباسي : ٨٩ هـ
العباس بن يزيد الكندي : ٢٣٥ هـ
عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر : ٨٣ هـ
عبد الحميد الكاتب : ١١٥
عبد الرحمن بن عوف : ١٣٨
عبد الرحمن بن يزيد النخعي : ٢٩١ هـ
عبد الصمد [بن المزدل] : ٢١٨
عبد القادر البغدادي : ١٧٣ هـ ، ١٧٥
ابن عبد الله (بشعر السري الرفاء) : ١٠٥
أبو عبيد الله التميمي : ٣٠٥ هـ
عبد الله بن الحسين : ١١٥
عبد الله بن داود بن عبد الرحمن العمري : ١٥١
عبد الله بن سعيد : ٧٥
عبد الله بن سليم الأزدي : ٨٨ هـ
عبد الله بن عباس : ٦٧ ، ٨٤ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ٢٩٣
عبد الله بن عتبة بن مسعود : ٢٩٣ هـ
عبد الله بن عمر : ٢٩٣
عبد الله بن عياش المتوف : ٩٧ هـ ، ١٥٠ هـ
عبد الله بن قيس = أبو موسى الأشعري
عبد الله بن مسعود : ١٤٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ هـ ، ٢٩٢
عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر : ١٥١
عبد الله بن المعتز : ٨٠ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٩ هـ ، ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨
عبد الله بن وهب الراسبي : ٦٨
عبد المطلب : ٦٠ هـ
عبد الملك بن نعيم : ١٥١ هـ
عبد يغوث بن وقاص الحارثي : ٧٩ هـ
عبيد بن الأبرص : ١٠٦ هـ ، ٢٢٦ هـ
عبيد بن أيوب : ٣٩

- أبو عبيد : ٦٧ هـ ، ١٣٥ هـ
 عبيد الله بن الضحاك : ١٥٢
 عبيد الله بن طاهر : ١١٦
 عبيد الله بن قَزْعَة : ١٠٤
 عبيدَة بن الأسود بن سعيد الهمداني : ١٨٥
 أبو عبيدة بن الجراح : ١٩٩
 أبو عبيدة : ٧٠ ، ٥٧٩ هـ ، ٩١ هـ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣
 ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ٢١٢ هـ
 عتبة بن ربيعة : ٢٧
 عتبة بن أبي سفيان : ١٤٦
 عتبة بن هارون : ٦٩
 عتيبة بن الحارث بن شهاب : ٢٠٨
 عثمان بن إدريس السامي : ١٠٤
 عثمان بن عفان : ١٨ ، ١٤٢ ، ٢٩٢
 أبو عثمان المازني : ٧٥
 عثمان بن مظعون : ٢٧
 العجم : ٤٠ هـ ، ١١٣
 عندس الحنظلي (بشعر امرئ القيس) : ٢١٢
 ابن عدى : ١٥١ هـ
 عدى بن الرقاع العاملي : ١٢٢
 العراق : ٢٩٣ هـ
 عروة بن حزام : ٩٤
 عروة بن الزبير : ١٥٢
 عريقة بن مسافع العبسي : ١٠٧ هـ
 غسل بن ذكوان : ٧٥
 عصبية (وقبيلة) : ٨٣
 عطية العوفي : ٢٤٦ هـ
 عضد الدولة : ٣٠٥ هـ
 عقبة بن كعب بن زهير : ٢١٥ هـ
 عكاظ : ١٥١
 أبو العلاء المعري : ٢٢٥ هـ ، ٢٣٢

علقمة (الفحل) : ٧٣ ، ٩٢ هـ

علي بن إبراهيم : ١٥١

علي بن إبراهيم التنوخي : ٢٣٦ هـ

علي بن جبلة : ٧٦

علي بن الجهم : ١١٥

علي بن الحسين بن إسماعيل : ١٥١

علي بن صالح الروذباري : ٢٣٧ هـ

علي بن صلاة : ٢٤٦

علي بن أبي طالب : ٦٨ ، ٦٩ هـ ، ٧٦ هـ ، ١٤٢ — ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٤٩ هـ ، ١٨٥ ، ١٨٦

علي بن العباس : ١١٦

علي بن محمد الأنصاري الحنظلي : ١٥١

علي بن مرّ الأرمني : ٢١٢ هـ

علي المنجم : ٩٨

عمر بن الأيهم التغلبي : ٩١ هـ

عمر بن الخطاب : ١٨ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٤٨ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٩٧ ، ١١٣ ،

١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢

عمر بن ذر : ٩٧

عمر بن أبي ربيعة : ٧١ هـ

عمر (صاحب امرئ القيس) : ٣٩

عمر بن عبد العزيز : ١٤٩

عمر بن العلاء : ٩٧ هـ

أبو عمر (غلام ثعلب) : ٦٣

عمر بن برة أمة الحمداني : ١٥٠

عمر بن جندب (بشر الطهوري) : ١٦١ هـ

أبو عمرو (ابن العلاء) : ٧٠ ، ٧٥ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٣٥ هـ ، ١٧٣ ،

٢٠٣ ، ٢١١

عمر بن كلثوم : ٢٧٢

عمر بن مرة : ١٨٥

عمر بن معدى كرب : ٧٩ ، ٩٣ ، ٢٤١ هـ ، ٢٤٢

عمر بن هند : ٢٢٥ هـ

عمورية : ٣٣

أبو العميثل : ٨٩ هـ

ابنُ العميد (أبو الفضل) : ١٢١ ، ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٨

عجير بن الأيهم : ٩١ هـ

عميرة (بشعر سحيم) : ١١٤ هـ

عميرة بن الأهم التغلبي : ٩١ هـ

أبو العنيس = محمد بن إسحق بن إبراهيم

عنيرة بن شدّاد العبسي : ٧٧

عنيرة (بشعر امرئ القيس) : ١٦٦

بنو عوف (بشعر امرئ القيس) : ٢١٢

عوف بن عطية بن الخرع الربابي : ١٠٦ هـ

عون بن محمد الكندي : ٧٥

عوير بن شحنة العوفي : ٢١٢

عيسى بن مريم عليهما السلام : ١٣٤ ، ٢٥٢ ، ٣٠٢

(غ)

الغار : ١٤٤

غفار (قبيلة) : ٨٣

غني (قبيلة) : في شعر زيد الخيل والفرزدق) : ٩٠ ، ٩١ هـ

أبو الغول التميمي : ٢٤٢ هـ

الغيلان : ٣٩

(ف)

فارس : ٣٣ ، ٢٢٨

الفراء : ٢٥٦

الفراءات : ٣٣

أبو فراس الحمداني : ٢٧٨

الفراعة : ٣٤

أبو الفرج الأصفهاني : ٧٤ هـ

الفرزدق : ٧٥ ، ٨٢ ، ٩١ هـ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٤٦

الْفُرْسُ : ٣٢ ، ٤٨

فرعونُ موسى : ١٠٣ ، ١٩٣ ، ٢٤٤

فَزَارَةُ (قبيلة : في شعر عَوَفَ الرِّبَاقِ) : ١٠٦

فُسْطَاطُ مِصْرَ : ٣٣

فلسطين : ٣٣

(ق)

أبو القاسم الزعفراني : ٢٩٩

القاسمُ (بن عبد الرحمن) : ١٨٦

القاسمُ بن مَهْرَوَيْه : ١٠٩ هـ

أبو القاسم نصر بن أحمد البصري : ١٦٤ هـ

ابنُ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي : ٩٠ هـ ، ١٠٣ هـ ، ٢١١ هـ ، ٢٢٢ هـ ، ٢٥٧ هـ

قُدَامَةُ بن جعفر : ٧٠ ، ٧١ هـ ، ٧٨ ، ٨١ هـ ، ٨١ هـ

قُدَارَانُ (موضع : في شعر امرئ القيس) : ٧٥ هـ

قُرَيْشُ : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٨٦

قُرَيْظُ بن أنيف : ٨٢ هـ

ابن قُرَيْعَةَ القاضى : ١٠٢ هـ

قُسَّ بن ساعدة الإيادي : ١٥١ ، ١٥١ هـ ، ١٥٢ ، ١٥٣ - ٢٨٧

قُشَيْرُ (قبيلة : بشعر زيد الخيل) : ٩٠ هـ

القصرُ (بشعر ابن المعتز) : ٨٦

القطامي : ٨٦

قَعْنَبُ بن مُحَرَّر : ٧٥

قيسُ بن الخطيم : ٨٣

قيسُ بن ذُرَيْح : ٧٤ هـ

قيسُ بن عاصم المنقري : ٨٤

قيسُ بن الملووح : ٢١٥ هـ

قيضرُ : ٣٣

(ك)

كُثَيِّر عَزَّةَ : ٩٩ ، ٢٢١ هـ

كرمان : ٣٣

كسرى : ٣٣ ، ١٣٣

كشاجم (محمود بن الحسين بن السندی) : ٢٢٣

كعب (قبيلة : في شعر بشار) : ١٠٤

كعب بن زهير : ٣٠٤

كلاب (قبيلة : في شعر زيد الخيل) : ٩٠ هـ

كندة (قبيلة : في شعر عبيد بن الأبرص) : ١٠٦

كهان العرب : ٨٦ - ٨٥

كور الأهواز : ١٢٣ هـ

(ل)

ليد بن ربيعة العامري : ٢٢٦ هـ ، ٢٥٧ ، ٣٠٤

أبو لهب : ٥٤ هـ

بنو ليث : ١٣١

ليلي (بشعر امرئ القيس)

(م)

مسائل (موضع : بشعر امرئ القيس) : ٢١٣

المأمون : ١٠٥ هـ

مالك (بشعر امرئ القيس) : ٢١٣

مالك بن أسناء بن خارجة : ٩٨ هـ

ماني : ٣٢

المبرد : ٨٥ ، ١٠٢ هـ - ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ هـ ، ٢٦٩ هـ

المتكلمون : ٧ ، ١٥٤ ، ١٨٠

المتنبى : ٨٧ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

٢٩٩ ، ٢٦٥

مجالد بن سعيدهمدا في الكوفي : ١٣٧ هـ ، ١٥١

- مجنون ليلي : ٧٤ هـ
 المجوس : ٣٢
 محمد بن أحمد الكاتب : ٢٢١ هـ
 محمد بن إسحق بن إبراهيم بن أبي العنيس : ٢٤٦ هـ
 محمد بن حجاج اللخمي : ١٥١
 محمد بن حزم الباهلي : ٩٥ هـ
 محمد بن حسان السمتي البغدادى : ١٥١
 محمد بن داود بن الجراح أبو عبد الله : ١٠٩ هـ ، ٢٤١
 محمد بن راشد : ١٩٨ هـ
 محمد بن زكريا : ١٥٢
 محمد بن سلمة : ١٨٥
 محمد بن عبد الله الصولي : ٩٨ هـ
 محمد بن عبد الملك الزيات : ١١٥ هـ
 محمد بن علي الأنباري : ١٠٤
 محمد بن علي الأنصاري : ١٥١
 محمد بن علي بن موسى القمي : ٢١٩ هـ
 محمد بن عمر (ممدوح البحري) : ٦٠ هـ
 محمد بن عمر أبو عبيد الله المرزباني : ٢٢١ هـ
 محمد بن القاسم بن مهنويه : ١٠٨ هـ
 محمد بن وهيب الحميري : ٩٥ هـ
 محمد بن يحيى الصولي : ٧٤ هـ ، ٧٥ ، ٨٣ هـ ، ٩٨ ، ١٠٢ هـ ،
 ١٠٤ ، ١١٥ ، ٢٧٨
 محمود محمد شاكر : ١٨٠ هـ
 محمود بن مروان بن أبي حفصة : ١٠٢ هـ
 المدينة : ١٤٣
 مرازبة الفرس : ٦٨
 مرید البصرة : ٢٥٠ هـ
 المرزباني : ١٠٢ هـ
 المرزوقي : ٧٧ هـ ، ٧٩ - ٧٩ هـ
 مروان بن محمد الأموي : ٧٨
 أبو مروان يحيى بن مروان : ١٠٢ هـ

- مَرْوُ الرُّوذ : ٣٣
 مَرْوُ الشَّاهِجَان : ٣٣
 مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ عَلَيْهَا السَّلَام : ١٣٤
 الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى : ٢٠٩
 الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ : ٤٨ ، ٢٠٩
 أَبُو مُسْلِمِ الرَّسْتَمِيِّ : ٢١٩
 مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ : ١٠٩ هـ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٣٨ هـ
 الْمُسَيْبُ بْنُ شَرِيكَ : ١٨٥ - ١٨٦
 مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٨١
 مِصْر : ٨٦ هـ
 مُضَرُّ الْجَزِيرَةِ (بِشْعَرِ الْبَحْرِيِّ) : ٢٣٥
 الْمُطِيرَةُ (بِشْعَرِ ابْنِ الْمُعْتَزِ) : ٨٦
 مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : ١٣٩
 الْمُعَاوِيَةُ بْنُ زَكْرِيَا : ٢٤٢ هـ
 مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : ٨٤ ، ١٤٧ ، ١٤٩ هـ
 الْمُعْتَزَلَةُ : ٦٤ هـ ، ٢٥٤
 الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : ٨٨
 الْمُفَضَّلُ الْقُصْبِيُّ : ١١٦
 ابْنُ مُقْبِلٍ : ٨٦
 الْمُقَرَّرَةُ (مَوْضِعُ : فِي شَعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١
 ابْنُ الْمُقَفَّعِ : ٣٢
 الْمُقَفَّعُ الْكَنْدِيُّ : ٩٤
 مَكَّةُ : ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ٢٩٣ هـ
 مَكْرَانُ : ٣٣
 الْمَلَانِكَةُ : ١٠ ، ٢٢ ، ٤١ ، ١٠٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩
 الْمَمْزُقُ الْعَبْدِيُّ : ١٤٣ هـ
 مَنَى : ١٣٣ ، ٢١٤ ، ٢٢١
 الْمَنْصُورُ : ٩٧ ، ١١٦
 مَنظُورُ بْنُ مَرْثَدِ الْأَسَدِيِّ : ١٧٢ هـ
 أَبُو الْمُنْهَالِ (بَقِيلَةُ الْأَكْبَرِ الْأَشْجَعِيِّ) : ٨٠ هـ
 الْمَهْدِيُّ : ٢٤١

ابن مَهْرَوَيْه : ٢١٧ هـ

المهلبُ بن أبي صفرة : ٧٨

الموصلُ : ٢٣٥

موكل : (في شعر البحري) : ٢٢٨

موسى بن إبراهيم الرافقي : ٢٢٦ هـ

أبو موسى الأشعري : ١٤٠ ، ١٤٦

موسى عليه السلام : ١٠ ، ١٥ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦١ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

١٩٥ - ٢٠٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٠٢ .

ابن مَيَّادَة : ١٠٠

(ن)

النابعةُ الجعدى : ٨٧ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٧

النابعةُ الذبياني : ٣٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١١١ ،

١١٤ ، ١٢١ ، ١٨١ ، ٢٤٦

نافعُ بن خَلِيفَة : ٩٥

النجاشي : ١٣٤

نزار (قبيلة : في شعر ابن المعتز) : ٢٩٣ .

نَصْرُ بن منصور بن بسام أبو العباس : ١٠٩ هـ

نَضِيب : ٧٧ ، ٩٣

النظام : ٦٤ ، ٦٥ هـ

النعمانُ بن المنذر : ١١٠ هـ ، ١٤٣ هـ ، ٢٢٥ هـ

النمرُ بن تَوَلَب : ٧٧ ، ٩٣ هـ

النوار : ١١٦

أبو نُوَّاس : ٥٢ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٦٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ هـ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

نُوحٌ عليه السلام : ٣٤

النووي : ٢٩١ هـ

(هـ)

الهادي : ٢٤١ هـ ، ٢٤٢

هارُونُ عليه السلام : ٥٧ ، ٦١

هاشم (قبيلة : بشعر ابن المعتز) : ٢٧٨

بنو هاشم : ٨٤

أبو هاشم بن أبي عليّ الجبائي : ٢٩٦

هبنقة : ٢١١

ابن هبيرة : ٢٩٣ هـ

هرم بن سنان (بشعر زهير) : ١٠٤

ابن هرمة : ١٠١ ، ١١١

هريرة (بشعر الأعشى) : ٢٨٠

هذيل (قبيلة) : ١٣١

هشام بن عبيد الله : ١٨٦

هشام (بن عروة) : ١٥٢

هشام الفوطي : ٦٤ ، ٦٥ هـ

أبو هفان : ٢٤١ هـ

أبو هلال العسكري = الحسن بن عبد الله

هلال بن يزيد : ٢٨٠

حمدان (قبيلة : في شعر ابن بركة) : ١٥٠

الهند : ١٢٧ هـ

هند بنت النعمان : ٨٨

هند بنت حنجر : ٢١٢ هـ

أبو الهول الحميري (عامر بن عبد الرحمن) : ٢٤١ ، ٢٤٢ هـ

الهيثم بن عدي : ١٣٧ هـ ، ١٥٠ هـ ، ١٧٥ هـ

(و)

الواحدى : ٢٧٧ هـ

الوكيد بن عبد الملك : ٢٩٣ هـ

(ى)

ابن يامين البصري : ٢٤١ ، ٢٤٢ هـ

يحيى بن سعيد القمطاني : ١٨٦ هـ

يحيى بن العلاء : ١٨٦ هـ

يحيى بن علي المنجم : ٩٨

يزيد بن الطثرية : ١٠١ هـ

يزيد بن عمرو بن الصعق : ٩١

يزيد بن الوليد الأموي : ٧٨

بنو يشكر : ٨١ هـ

أبو يوسف الصيدلاني : ١٠ ، ٨٣

يوسف بن عبد العزيز اللخمي : ٣٠٥ هـ

يوسف عليه السلام : ١٠ ، ٨٣

يونس (بن حبيب) : ١١٦

٥ - فهرس الكتب الواردة بكتاب الإعجاز

(أ)

الإنجيل : ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٢٠١ ، ٢٦٠

(ب)

البيان والتبيين للجاحظ : ١٢٦

(ت)

التوراة : ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥

(ح)

الحماسة لأبي تمام الطائي : ١١٦

(د)

الدرة لابن المقفع : ٣٢

(ص)

الصّحف : ٣١

(ك)

كتاب الأجناس : ٢٨٤

كتاب الأصول للباقلاني : ٤٦

كتاب بُزْرُجْمَهْرُ في الحكمة : ٣٢

كتاب خبر الواحد للجاحظ : ٢٤٧

كتاب الردّ على النصاري للجاحظ : ٢٤٧

كتابُ زَرَّادُشت : ٣٢
 كتابُ العين (للخليل بن أحمد) : ٢٨٤
 كتابُ ماني : ٣٢

(م)

معاني القرآن للباقلاني : ٢٠٨ ، ٢٤٦

(ن)

نظم القرآن للجاحظ : ٥ ، ٢٤٧

(و)

الوحشيات لأبي تمام الطائي : ١١٦
 اليتيمة لابن المقفع : ٣١ — ٣٢

٦ - فهرس المراجع

(أ)

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (حجازي ١٣٦٠ هـ)
أخبار أبي تمام للصولي (لجنة التأليف ١٣٥٦ هـ)
أخبار أبي نواس لابن منظور (الجزء الثاني . بغداد)
أدب الكاتب لابن قتيبة (الرحمانية ١٣٥٥ هـ)
أساس البلاغة للزمخشري (دار الكتب المصرية ١٣٤١ هـ)
أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (المنار)
الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر (السعادة ١٣٢٣ هـ)
الأصمعيات (ليسك ١٩٠٢ م)
الأضداد لابن الأنباري (الحسينية ١٣٢٥ هـ)
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (بولاق ١٢٨٥ هـ)
الاقتضاب لابن السيد البطليوسي (الآداب بيروت ١٩٠١ م)
أمالى القالى (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)
أمالى المرتضى (السعادة ١٣٢٥ هـ)
إمتاع الأسماع للمقرئ (لجنة التأليف ١٩٤١ م)
الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي (لجنة التأليف ١٩٤٢ م)

(ب)

- البداية والنهاية لابن كثير (السعادة ١٣٥١ هـ)
البديع لابن المعتز (مصطفى الحلبي ١٣٦٤ هـ)
البصائر والذخائر للتوحيدي (لجنة التأليف ١٣٧٣ هـ)
بغية الوعاة للسيوطي (السعادة ١٣٤٩ هـ)
البيان والتبيين للجاحظ (لجنة التأليف ١٣٦٩ هـ)

(ت)

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (عيسى الحلبي ١٣٧٣ هـ)
تاريخ الإسلام للذهبي (القدسي ١٦٧ هـ)

- تاريخ الأمم والملوك للطبري (الحسينية ١٣٢٣ هـ)
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (السعادة ١٣٤٩ هـ)
 التاريخ الكبير للبخاري (حيدر آباد)
 التشبيهات لابن أبي عون (لندن ١٩٥٢ م)
 تفسير ابن جرير الطبري (بولاق ١٣٢٩ هـ)
 التمهيد للباقلاني (دار الفكر العربي ١٣٦٦ هـ)
 تهذيب التهذيب لابن حجر (حيدر آباد ١٣٢٥ هـ)

(ج)

- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (حيدر آباد)
 جمهرة أشعار العرب لأبي زيد (بولاق ١٣٠٨ هـ)
 جمهرة أنساب العرب لابن حزم (المعارف ١٩٤٨ م)
 جمهرة اللغة لابن دريد (حيدر آباد ١٣٥١ هـ)

(ح)

- حماسة البحتري (الكاثوليكية بيروت ١٩١٠ م)
 حماسة ابن الشجري (حيدر آباد ١٣٤٥ هـ)
 الحيوان للجاحظ (مصطفى الحلبي ١٣٦٤ هـ)

(خ)

- خاص الخاص للثعالبي (الخانجي ١٩٠٨ م)
 خزانة الأدب لابن حجة الحموي (الخيرية)
 خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (بولاق ١٢٩٩ هـ)
 الخصائص لابن حني (دار الكتب المصرية)
 خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي (الخيرية ١٣٢٢ هـ)

(د)

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (المنار ١٣٦٧ هـ)
 دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (حيدر آباد . أولى)

- ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١ م)
 ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧ م)
 ديوان الأفوه الأودى (ضمن الطرائف الأدبية . لجنة التأليف ١٩٣٧ م)
 ديوان امرئ القيس (الرحمانية ١٩٣٠ م)
 ديوان البحترى (بيروت ١٩١١ م)
 ديوان أبى تمام (بيروت)
 ديوان جرير (الصاوى ١٣٥٣ هـ)
 ديوان حسان بن ثابت (الرحمانية ١٣٤٧ هـ)
 ديوان الحطيئة (التقدم ١٣٢٥ هـ)
 ديوان الخنساء (الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م)
 ديوان ابن الدمينه (القاهرة ١٣٣٧ هـ)
 ديوان أبى ذؤيب الهذلى (ضمن شعر الهذليين . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ)
 ديوان ذى الرمة (كمبردج ١٩١٩ م)
 ديوان ابن الرومى (القاهرة ١٩١٧ م)
 ديوان زهير بشرح الأعلم الشنتمرى
 ديوان زهير بشرح ثعلب (دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ)
 ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس (دار الكتب المصرية ١٩٤٩ م)
 ديوان السرى الرفاء (القدس)
 ديوان الشماخ (السعادة ١٣٢٧ هـ)
 ديوان طرفة بن العبد (فازان ١٩٠٩ م)
 ديوان عبيد بن الأبرص (ليدن ١٩١٣ م)
 ديوان علقمة الفحل (المحمودية ١٣٤٣ هـ)
 ديوان عمر بن أبى ربيعة (التجارية)
 ديوان الفرزدق (الصاوى ١٣٥٤ هـ)
 ديوان كثير عزة (الجزائر ١٩٢٨ م)
 ديوان كشاجم (بيروت)
 ديوان المتنبي بشرح البرقوقى (الرحمانية ١٣٤٨ هـ)
 ديوان المعانى لأبى هلال العسكري (القدس ١٣٥٢ هـ)
 ديوان ابن المعتز (بيروت ١٣٣٢ هـ)
 ديوان النابغة الذبياني (بيروت ١٣٤٧ هـ)
 ديوان أبى نواس (واصل ١٢٩٣ هـ)

(د)

الذخائر والأعلاق (القاهرة)

ذيل أمالي القالى (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)

(ر)

الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى (الخانجى ١٣٥٧ هـ)

(ز)

زهر الآداب للحصرى (الرحمانية ١٩٢٥ م)

الزهرة لابن أبى داود

(س)

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى (الرحمانية ١٣٥٠ م)

سنن الدارمى (دمشق)

سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى (المصرية)

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى (المؤيد ١٣٣١ هـ)

(ش)

شرح أدب الكاتب للجوالقى (القدسى ١٣٥٠ هـ)

شرح الحماسة للتبريزى (التجارية ١٣٥٧ هـ)

شرح الحماسة للمرزوقى (لجنة التأليف ١٣٧١ هـ)

شرح سنن الترمذى للمباركفوزى (الهند)

شرح شواهد الشافية للبغدادى (حجازى ١٣٥٩ هـ)

شرح شواهد المغنى للسيوطى (البهية ١٣٢٢ هـ)

شرح القصائد العشر للتبريزى (السلفية ١٣٤٣ هـ)

شرح المعلقات لازوزنى (الرافعى)

شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (الحلبي ١٣٢٩ هـ)

الشعر والشعراء لابن قتيبة (عيسى الحلبي ١٣٧٠ هـ)

(ص)

الصاحبي لابن فارس (السلفية ١٣٢٨ هـ)
الصناعتين لأبي هلال العسكري (الآستانة ١٣٢٠ هـ)

(ط)

طبقات الشافعية للسبكي (الحسينية)
طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (المعارف ١٩٤٢ م)
الطبقات الكبرى لابن سعد (ليدن ١٣٢٢ هـ)

(ع)

عبث الوليد للمعري (الترقى بدمشق ١٣٥٥ هـ)
العقد الفريد لابن عبد ربه (لجنة التأليف ١٣٥٩ هـ)
العمدة لابن رشيق (التجارية ١٣٤٣ هـ)
عيون الأثر لابن سيد الناس (القدس ١٣٥٦ هـ)
عيون الأخبار لابن قتيبة (دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ)

(غ)

غرر الخصائص الواضحة للوطواط (الأدبية ١٣١٨ هـ)

(ف)

الفائق للزمخشري (عيسى الحلبي ١٣٦٦ هـ)
فتح الباري لابن حجر (بولاق)
فهرست ابن النديم (التجارية ١٣٤٨ هـ)

(ك)

الكامل للمبرد (مصطفى الحلبي ١٣٥٦ هـ)
الكتاب لسيبويه (بولاق ١٣١٧ هـ)

(ل)

اللاالى شرح الأمالى للبكرى (لجنة التأليف ١٣٥٤ هـ)
لسان العرب لابن منظور (بولاق ١٣٠٨ هـ)

(م)

المؤتلف والمختلف للآمدى (القدسى ١٣٥٤ هـ)
ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن الكريم للمبرد (السلفية ١٣٥٠ هـ)
مبادئ اللغة للخطيب الإسكافى (الخانجى ١٣٢٥ هـ)
المجازات النبوية للشريف الرضى (مصطفى الحلبي ١٣٥٦ هـ)
مجمع الأمثال للميدانى (القاهرة ١٣٥٢ هـ)
مجمع البيان للطبرسى (صيدا ١٣٥٤ هـ)
مختارات ابن السجرى (الاعتماد ١٩٢٥ م)
مروج الذهب للمسعودى (السعادة ١٣٦٧ هـ)
مصارع العشاق للسراج (الجوائب ١٣٠١ هـ)
مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (الميمنية ١٣٢٤ هـ)
المفضليات (المعارف ١٩٥٢ م)
المعارف لابن قتيبة (القاهرة ١٣٥٣ هـ)
المعانى الكبير لابن قتيبة (حيدر آباد ١٣٦٨ هـ)
معاهد التنصيص للعباسى (السعادة ١٣٦٧ هـ)
معجم الأدباء لياقوت (رفاعى ١٣٥٧ هـ)
معجم البلدان لياقوت (الخانجى ١٣٢٣ هـ)
معجم الشعراء للمرزبانى (القدسى ١٣٥٤ هـ)
المعمرين لأبى حاتم السجستانى (السعادة ١٣٢٣ هـ)
مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى (الأول . السعادة ١٣٢٣ هـ)
المنتظم لابن الجوزى (حيدر آباد ١٣٥٨ هـ)
الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى (حجازى ١٣٦٣ هـ)
الموشح للمرزبانى (السلفية ١٣٤٣ هـ)
ميزان الاعتدال للذهبي (السعادة ١٣٢٥ هـ)
الميسر والقдах لابن قتيبة (السلفية ١٣٤٣ هـ)

- نثار الأزهار لابن منظور (الجوائب)
- نزهة الألبا في طبقات الأدبا لابن الأنباري (حجر ١٢٩٤ هـ)
- نظام الغريب للرعي (أمين هندية)
- النقائص بين جرير والفرزدق (ليدن ١٩٠٥ م)
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر (الجوائب ١٣٠٢ هـ)
- النكت في إعجاز القرآن للرماني (دهلي ١٩٣٤ م)
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي (الآداب والمؤيد)
- نهج البلاغة جمع الشريف الرضي (الاستقامة)
- نوادير أبي زيد (بيروت ١٨٩٤ م)
- نوادير القالي (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)
- (٥)

يتيمة الدهر للثعالبي (حجازي)

٧ - فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلف :	٧ - ٣
بيان شرف القرآن الكريم ، وأن البحث فيه والكشف عن معانيه من أهم ما يجب على المسلمين . السبب في خوض الملحددين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف ، في كل يقين - أقوال الملاحدة في القرآن - موازنة بعض الجهال القرآن بالشعر وتفضيله الشعر على القرآن .	٥ - ٣
تقصير المؤلفين في معاني القرآن في بيان وجه إعجاز القرآن ، وما نجم عنه . تقصير الجاحظ في كتاب « نظم القرآن » . سبب تأليف الكتاب ، وبيان منهج المؤلف فيه .	٦ - ٥
فصل : في أن القرآن معجزة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .	١٥ - ٨
بيان أن القرآن معجزة عامة للإنس والجن ، في سائر العصور .	٩ - ٨
تخطئة زعم : أن عجز أهل العصر الأول عن معارضة القرآن كاف في الدلالة على النبوة ، وغير مستلزم عجز أهل الأعصر التالية .	
بيان أن كثيراً من الآيات والسور - : كسورة المؤمن ، وسورة فصلت : يدل على أن الله لما ابتعث النبي جعل القرآن معجزته ، وبني أمر نبوته عليه ، كما جعله حجة لازمة عامة ، وبين وجه إعجازه .	١٤ - ٩
بيان مفارقة حكم القرآن حكم غيره من الكتب المنزلة السابقة .	١٥ - ١٤
فصل : في تبين كيفية الدلالة على كون القرآن معجزاً .	٣٢ - ١٦
نقل الباقلاني عن العلماء : أن الأصل في ذلك هو علم كون القرآن المرسوم في المصاحف ، هو الذي جاء النبي به ، والذي تلاه من في عصره . وبيان الطريق إلى معرفة ذلك ، والدليل على عدم حدوث تحريف فيه ، أو كتمان شيء منه .	٢٠ - ١٦

- ١٧ - ١٨ إبطال زعم أنه لا يمكن علم وحدانية الله بالقرآن .
- ١٨ - ٢٠ اختلاف الدواعي إلى ضبط البشر القرآن ، وحفظهم إياه .
- ١٩ - ٢٤ إثبات أن النبي قد تحدى العرب بالقرآن ، وأنهم لم يأتوا بمثله ، وعجزوا عنه .
- ٢٤ - ٢٩ ذكر بعض الاعتراضات التي ترد على ذلك ؛ ودفعها .
- ٢٧ سبب إسلام جبير بن مطعم ، وعمر بن الخطاب .
- ٢٧ بعث وجوه قريش بعتبة بن ربيعة ، إلى النبي ، ليجادله ؛ وما حدث منه .
- ٢٧ - ٢٨ بيان أن الله جعل سماع القرآن حجة على بعض المشركين ؛ وأن ذلك لا يستلزم أن يسلم الجميع عند سماعه .
- ٢٨ مجيء أبي سفيان بن حرب إلى النبي - عام الفتح - ليسلم ؛ وما كان منه .
- ٢٩ - ٣١ القول بالصرف ، والرد عليه .
- ٣١ - ٣٢ الاعتراض بالإنزام كون الكتب السماوية الأخرى معجزة ؛ ودفعه .
- ٣٢ الرد على زعم المجوس أن بعض كتبهم معجزة ، وعلى زعم : أن ابن المقفع قد عارض القرآن .
- ٣٣ - ٤٧ فصل : في جملة وجوه إعجاز القرآن .
- ٣٣ - ٣٥ نقل الباقلاني عن الأشاعرة ، ثلاثة أوجه .
- ٣٣ - ٣٤ الوجه الأول : تضمن القرآن الإخبار عن الغيب . الاستدلال له
- ٣٤ - ٣٥ الوجه الثاني : إتيان القرآن بجمل ما حدث - : من عظيمة الأمور ، ومهمات السير - من بدء الخليقة إلى حين بعثة النبي ، مع كونه صلى الله عليه وسلم أمياً ، لا يعرف شيئاً من كتب السابقين وأنبيائهم . والاستدلال له .
- ٣٥ ✓ الوجه الثالث : بديع نظم القرآن ، وعجيب تأليفه ، وتناهيه في البلاغة .
- ٤٧ بيان الباقلاني الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن ، وتأليفه ، وبلاغته .
- ٣٥ المعنى الأول : ما يرجع إلى جملته .

- المعنى الثانى ٣٦ : كون كلام العرب غير مشتمل على فصاحة القرآن وغرابته ، ولطيف معانيه ، وغزير فوائده وما إلى ذلك .
- المعنى الثالث ٣٦ - ٣٨ : عدم التفاوت والتباين فى عجيب نظم القرآن ، وبديع تأليفه .
- المعنى الرابع ٣٨ : كون كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً ظاهراً فى الفصل والوصل ، والعلو والنزول ؛ وغير ذلك .
- المعنى الخامس ٣٨ - ٤١ : كون نظم القرآن - من حيث البلاغة - خارجاً عن عادة كلام الثقلين . ودفع ما قد يرد على ذلك .
- ٣٩ - ٤١ : لامية تأبط شراً فى مقابلة الغيلان ؛ وأبيات لامرئ القيس وغيره فى مخاطبة الجان .
- المعنى السادس ٤٢ : اشتغال القرآن على جميع أنواع الخطاب عند العرب ؛ مع تجاوزه حدود المعتاد بينهم .
- المعنى السابع ٤٢ : تضمن القرآن ما يمتنع على البشر من المعانى فى أصل وضع الأحكام والقواعد ، والاحتجاج فى العقائد ، والرد على المعاند .
- المعنى الثامن ٤٢ - ٤٤ : كون الكلمة من القرآن يتمثل بها خاصة فى تضاعيف كلام كثير .
- المعنى التاسع ٤٤ - ٤٦ : كون الحروف التى بنى عليها كلام العرب : تسعة وعشرين حرفاً ؛ مع أن عدد سور القرآن - المفتحة بذكر الحروف - : ثمان وعشرون سورة ؛ وجملة الحروف المذكورة فى أوائل السور أربعة عشر حرفاً . وشرح ذلك .
- المعنى العاشر ٤٦ - ٤٧ : سهولة سبيل القرآن ، وخروجه عن الوحشى المستكره ، والغريب المستنكر ؛ وبعده عن التصنع والتكلف ؛ وقربه إلى الفهم .
- ٤٧ : عدم موافقة الباقلانى ، بعض الأشاعرة فى جعله كون الأحكام الشرعية معللة بعلل موافقة لمقتضى العقل - : وجهاً من وجوه الإعجاز .

- ٤٧ بيان الباقلاني كون إعجاز القرآن ليس من جهة كونه حكاية لكلام الله النفسى القديم ، أو كونه عبارة عنه ، أو قديماً في نفسه .
- ٤٨ — ٥٠ فصل : في شرح وجوه إعجاز القرآن المتقدمة :
- ٤٨ — ٤٩ شرح الوجه الأول .
- ٤٩ — ٥٠ شرح الوجه الثاني
- ٥٠ شرح الوجه الثالث .
- ٥١ — ٥٦ فصل : في نفي الشعر من القرآن .
- ٥١ — ٥٣ بيان ادعاء أن في القرآن شعراً كثيراً .
- ٥٣ — ٥٦ الجواب عن هذا الادعاء .
- ٥٦ بيان أن ليس في القرآن كلام موزون كوزن الشعر ، وإن كان غير مقفى .
- ٥٧ — ٦٥ فصل : في نفي السجع من القرآن .
- ٥٧ — ١٠٠ بيان أقوى أدلة مثبتى السجع ، ونقضها .
- ٦٢ — ٦٤ اختلاف العلماء في الشعر كيف اتفق للعرب ؟
- ٦٤ — ٦٥ إلزام الباقلاني مجوزى السجع في القرآن بالقول بالصرقة ، وبوقوع الخطب في طريقة نظمه ، وبلاستهانة بعجيب تأليفه .
- ٦٦ — ١١٢ فصل : في ذكر البديع من الكلام .
- ٦٦ — ٦٩ تصدير الباقلاني ، الجواب عن كون إعجاز القرآن : هل يمكن معرفته من جهة أنواع البديع التى تضمنها — : بذكر ألفاظ من الكتاب والسنة وكلام البلغاء ، تضمنت بعض أنواع البديع .
- ٦٩ — ١٠٧ نقل الباقلاني جملة من طريق البديع الكثيرة ، التى اشتمل عليها الشعر ؛ مع بيان معانيها ، وذكر شواهد لها أيضاً من القرآن وكلام البلغاء .
- ٦٩ — ١١٢ الاستعارة البليغة أو الإرداف .
- ٧٢ — ٧٧ التشبيه الحسن ، وبعض أنواع الاستعارة .
- ٧٧ — ٧٨ الغلو والإفراط في الصنعة .
- ٧٨ — ٨٠ التمثيل أو المماثلة .
- ٨٠ — ٨٣ التضاد أو المطابقة .
- ٨٣ — ٨٧ التجنيس أو المجانسة .

المقابلة .	٨٧ - ٨٨
الموازنة .	٨٨ - ٨٩
المساواة .	٨٩ - ٩٠
الإشارة .	٩٠ - ٩١
الغلو والمبالغة .	٩١ - ٩٢
الإيغال .	٩٢
التوشيح .	٩٢
رد عجز الكلام على صدره .	٩٣ - ٩٤
صحة التقسيم .	٩٤ - ٩٥
صحة التفسير .	٩٥
التكميل والتنميم .	٩٥ - ٩٦
الترصيع وأنواعه .	١٤٤ - ١٤٦
المضارعة .	٩٧
التكافؤ .	٩٧
التعطف .	٩٨
السلب والإيجاب ، والكناية والتعريض .	٩٨
العكس والتبديل .	٩٨ - ٩٩
الالتفات .	٩٩ - ١٠١
الاعتراض والرجوع .	١٠١ - ١٠٢
التذليل .	١٠٢ - ١٠٣
الاستطراد .	١٠٣ - ١٠٦
التكرار .	١٠٦
الاستثناء .	١٠٦ - ١٠٧
رد الباقلاني على من زعم إمكان استفادة إعجاز القرآن ، من أنواع البديع المتقدمة .	١٠٧ - ١١٢
بعض لامية أبي تمام : (متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل) ؛ ونقده مع نقد أبيات أخرى له .	١٠٨ - ١٠٩
بيان أن البحترى لا يرى في التجنيس ما يراه الطائي ، ويقل التصنيع له .	١١٠

- ١١١ - ١١٢ رجوع الكلام إلى أنه لا سبيل إلى إمكان استفادة الإعجاز ،
من أنواع البديع .
- ١١٣ - ١٥٤ فصل : في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن .
- ١١٣ - ١١٤ معرفة إعجاز القرآن لا تنهياً إلا للعربي المنتهى الفصاحة .
- ١١٣ - ١١٧ اختلاف أدل الصنعة في اختيار الكلام .
- ١١٥ بعض دالية البحترى في مدح ابن الزيات .
- ١١٥ شرح قول علي بن الجهم - عن شعر أشجع السلمى - :
إنه يخلى .
- ١١٦ الخلاف في التفصيل بين أبى نواس ومسلم بن الوليد ، ثم بين
المرزوق وجريز .
- ١١٧ بيان أن اختيار أبى تمام - في كتابيه : الحماسة ، والوحشيات -
أعدل اختيار .
- ١١٨ - ١١٩ بيان وجه تفضيل العربية على غيرها .
- ١١٨ - ١٢٠ بيان أن الكلام أحق بأن يكون شريفاً ؟
- ١٢٠ - ١٢٦ بيان أن المتقدم في صنعة الفصاحة ، لا تخفى عليه وجوه الكلام ،
ولا تشبه عليه طرقه ؛ بل يستطيع نقدها ، ومعرفة المتماثل منها ،
والتمييز بين شعر الشعراء ، وبين رسائل البلغاء ؛ وإدراك الفرق
بين الكلام العلوى ، واللفظ السوقى ؛ وإدراك التابع من المتبوع .
وبيان أن معرفة البليغ انعلو شأن القرآن وعجيب نظمه أمر
يستحيل غيره ، ولا يشتهى على ذى بصيرة .
- ١٢٦ - ١٤٦ ذكر الأمثلة ، وعرض الأساليب ، وتصوير صور الشئ وانتم :
التي تفسح أمام البليغ الطريق ، وتفتح له الباب لإدراك إعجاز
القرآن ، ومعرفة الفرق الواضح بينه وبين سائر الكلام .
- ١٢٦ - ١٢٧ ما حكاه الجاحظ - في حلد البلاغة - عن بعض الأمم والجماعات .
- ١٢٧ ما ذكره أهل اللغة عن حلد البراعة ، واختلافهم في معنى الفصاحة .
- ١٢٧ - ١٢٨ شروع الباقلانى في ذكر شئ من كلام النبي ، لإظهار الفرق
بين كلام الله . وكلام البشر .
- ١٢٩ خطبة النبي : « توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا . . . » .
- ١٢٩ خطبة النبي : « . . . إياكم معالم ، فاسهوا إلى معالمكم . . . » .

- خطبة النبي : « ... نعوذ بالله من شرور أنفسنا ... » . ١٣٠
- خطبة النبي في أيام التشريق : « ... أتدرون في أي شهر أنتم ؟ ... » . ١٣٠ - ١٣٢
- خطبة النبي يوم فتح مكة : « لا إله إلا الله وحده ، صديق وعده » . ١٣٢
- خطبة النبي بالحيف : « نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها » . ١٣٢ - ١٣٣
- خطبة النبي : « ألا إن الدنيا خضرة حلوة ... » ١٣٣ - ١٣٤
- كتاب النبي : إلى كسرى ملك فارس . ١٣٤
- كتاب النبي : إلى النجاشي ملك الحبشة . ١٣٤
- نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية . ١٣٥ - ١٣٧
- بيان أن من كان له حظ في الصنعة ، وقسط من العربية ، لا يشتبه عليه الفرق بين القرآن وكلام النبي . ١٣٥ - ١٣٧
- شروع للباقلاني في ذكر جملة من كلام الصحابة والبلغاء ، زيادة في تبين الفرق بين القرآن وغيره . ١٣٦ - ١٣٧
- خطبة أبي بكر الصديق : « أما بعد : فإني وليت أركانكم ، ولست بخيركم ... » . ١٣٧
- عهد أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب . ١٣٧ - ١٣٨
- كلام أبي بكر الصديق - في علته التي مات فيها - مع عبد الرحمن بن عوف . ١٣٧ - ١٣٩
- كتاب أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، إلى عمر بن الخطاب ، في نصيحته . ١٣٩
- رد عمر عليهما . ١٣٩ - ١٤٠
- عهد عمر إلى أبي موسى الأشعري ، في شأن القضاء . ١٤٠ - ١٤٢
- خطبة عثمان بن عفان : « إن لكل شيء آفة ... » . ١٤٢
- كتاب عثمان بن عفان - وهو محصور - إلى علي بن أبي طالب . ١٤٣
- رثاء علي أبا بكر . وقد تضمن بعض الأحاديث الشريفة التي تعلقت بوصفه . ١٤٣ - ١٤٥
- خطبة علي : « أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت ... » . ١٤٥ - ١٤٦
- خطبة علي : « ... اتقوا الله ؛ فما خلق امرؤ عبثاً ... » . ١٤٦
- كتاب علي إلى عبد الله بن عباس ، وهو بالبصرة . ١٤٦
- كلام لابن عباس ، يبين فيه المانع من إرسال علي إياه يوم . ١٤٦

- ١٤٧ خطبة عبد الله بن مسعود : « أصدق الحديث كتاب الله ... » .
- ١٤٨ - ١٤٩ خطبة علي - المنسوبة إلى معاوية بن أبي سفيان - « ... إنا قد أصبحنا في دهر عنود ... » .
- ١٥٠ خطبة عمر بن عبد العزيز : « أيها الناس : إنكم ميتون ... » .
- ١٥٠ خطبة الحجاج بن يوسف : « يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ... » .
- ١٥١ - ١٥٢ الخطبة المنسوبة إلى قس بن ساعدة : « أيها الناس ، اجتمعوا ... »
- ١٥٢ - ١٥٣ الخطبة الأخرى المنسوبة إليه أيضاً ، والتي صدرت بأبيات أولها : « يا ناعي الموت والأموال في حدث ... » .
- ١٥٣ خطبة أبي طالب في شأن زواج النبي من خديجة .
- ١٥٣ - ١٥٤ بيان أن من تأمل الخطب المتقدمة ونحوها ، سيقع له الفصل بين كلام الآدميين ، وكلام رب العالمين .
- ١٥٥ - ٢٤٩ باب : في بيان ما إذا كان الشعر أفصح من الخطب ، وأبرع من الرسائل - : فيحتاج إلى الموازنة بين نظمه وبين القرآن - أو أن النثر يتأق فيه من الفصاحة والبلاغة ؛ مالا يتأق في الشعر ، ثم نقد بعض القصائد الكثيرة ، لبيان عظيم شأن القرآن .
- ١٥٥ ما حكى من أن المتنبي أنكر نظره في المصحف الشريف .
- ١٥٦ - ١٥٨ ذكر شيء من كلام مسيلمة الكذاب ؛ وبيان أنه أحقر من أن يهتم به ، وأسخف من أن يفكر فيه .
- ١٥٨ - ١٨٣ الكلام على جودة شعر امرئ القيس ؛ ثم نقد معلقته ؛ وبيان أن شعره لا يصح أن يوازن بين القرآن وبينه .
- ١٧٣ - ١٧٥ أبيات بديعة في وصف الثريا .
- ١٨٠ - ١٨١ التفاضل بين أبيات امرئ القيس ، وأبيات انبأغة الديباني ؛ في وصف الليل .
- ١٨٣ - ٢١١ بيان الباقلاني أن نهج القرآن ونظمه ، وتأليفه ورصفه ؛ تنبيه العقول في جهته ، وتفضل دون وصفه ، واستشهادته لذلك بأبيات كثيرة ، في القصص والأخبار ، والعقائد والأحكام ؛ وما إلى ذلك . مع توضيح ما تضمنته توضيحاً جليلاً شافياً .
- ٢٠٨ بيان أن من القرآن ما لا يمكن إظهار البراعة فيه ، وإبانة الفصاحة

عليه ، وأن المعتبر في مثله تنزيل الخطاب ، وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى .

٢٠٨ - ٢٠٩ بيان أن الآيات الأحكاميات -- التي لا بد فيها من أمر البلاغة - يعتبر فيها من الألفاظ ، ما يعتبر في غيرها .

٢٠٩ - ٢١٠ بيان أن من آيات القرآن ، ما زاد الإفهام به على الإيضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح ؛ فكان النهاية في معناه .

٢١١ - ٢٢١ تصريح الباقلاني بأن الذى عارض القرآن بشعر امرئ القيس ، لأضل من حمار باهلة ، وأحمق من هبنقة . واستدل له لذلك .

٢١٥ - ٢١٨ بيان الباقلاني أن جنس الشعر عامة -- رديئه وجيده - لا يصح موازنته بالقرآن ؛ وأن تخلف شعر امرئ القيس عن ذلك ، يستلزم تخلف شعر غيره ؛ وأن الجيد - من الأشعار - إنما يعدل بمثله ، لا بالقرآن ، وأن الشعراء يغير بعضهم على بعض .

٢١٦ - ٢١٧ إغارة أبي نواس ، على معنى للضحاك ، فى وصف شارب الخمر ؛ وأبيات جيدة لابن الرومى فى ذلك .

٢١٩ - ٢٢٠ نقد الباقلاني لامية البحرى : (أهلا بذلكم الخيال المقبل . . .) التى تعتبر أجود شعره .

٢٤١ - ٢٤٣ قطعة أبى الهول الحميرى ، أو ابن يامين البصرى ، فى وصف السيف .

٢٤٣ بيان أن شعر البحرى إنما يوازن بشعر شاعر من طبقة ؛ وأن نظم القرآن عال عن أن يعلق الوهم به ، أو يسمو الفكر إليه .

٢٤٤ - ٢٤٥ ذكر بعض أقسام الوصف الصادق ، والتمثيل لها من القرآن الكريم .

٢٤٥ السبب فى اقتصار الباقلاني ، على نقد قصيدة البحرى ، دون شعر غيره من المحدثين .

٢٤٥ - ٢٤٦ بيان نباقلاني أن الغرض من تصنيف كتابه هذا ، هو الكشف عن إعجاز القرآن ؛ دون الرد على مطاعن الملاحدة عليه .

٢٤٧ بيان الباقلاني أن ذكر الأشعر والأبلغ من الشعراء ، خارج عن غرض الكتاب .

٢٤٧-٢٤٨ رد الباقلاني على من يزعم أن سلامة بعض الكلام من العوارض والعيوب ، وبلوغه الأمد في الفصاحة والنظم العجيب - يقتضى إعجازه .

٢٤٧-٢٤٨ انتقاد الباقلاني أسلوب الجاحظ وطريقته ؛ وبيانه أن بعض متأخري الكتاب - كابن العميد - قد نازعه فيها ، وساواه أو تقدم عليه .

٢٤٨-٢٤٩ بيان أن ليس في مقدور البشر معارضة القرآن بحال .

٢٥٠ فصل : في الرد على من زعم أن عجز أهل عصر النبوة ، عن معارضة القرآن والإتيان بمثله - لا يستلزم عجز أهل الأعصر التالية .

٢٥١-٢٥٣ فصل : في التحدى ، وبيان أنه قد يكون ضرورياً في معرفة كون القرآن معجزاً ؛ وقد يكون استدلالياً .

٢٥٤-٢٥٨ فصل : في قدر المعجز من القرآن ؛ وبيان الخلاف - بين الأشاعرة والمعتزلة - في ذلك .

٢٥٤-٢٥٦ اختيار الباقلاني مذهب الأشعرى ، واستدلاله له ، ودفعه ما يرد عليه .

٢٥٥-٢٥٦ بيان الباقلاني أن زعم الملاحدة أنه لا يقع العجز عن الإتيان بسورة قصيرة أو آيات بقدرها ، يخالفه الواقع ؛ ولا يستقيم مع زعمهم أن ليس في القرآن كله إعجاز .

٢٥٦ بيان أن الإعجاز يتفاوت ظهوراً وغموضاً ، بسبب اختلاف حال الكلام .

٢٥٦-٢٥٧ نقل الفراء عن العرب : مبي يسمى الشعر يتيمساً ، أو نطفة ، أو قطعة ، أو قصيداً ؟

٢٥٧ بيان أن اشتمال الكلام على البيت النادر ، أو المثل السائر ، أو المعنى الغريب - سببه الغزارة في أصل الصنعة .

٢٥٩ فصل : في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ أو استدلالاً ؟ وأنه استدلالى في حق الأعجبي ، ضرورى في حق المحيط بمذاهب العربية ، وغرائب الصنعة .

- ٢٦١ فصل : فيما يتعلق به الإعجاز : أهو الحروف المنظومة ؟

أو الكلام القديم القائم بالذات ؟ أو غير ذلك ؟ - وبيان الخلاف فيه .

٢٨٧ - ٢٦٢ فصل : في وصف وجوه من البلاغة ؛ مع التمثيل لها
٢٨٣ - ٢٦٢ نقل الباقلائي عن بعض أهل الكلام والأدب - وهو أبو الحسن
الرماني . - : أن البلاغة على عشرة أقسام . وبيانه لها .
٢٦٣ - ٢٦٢ الكلام عن الإنجاز وأقسامه .

٢٦٣ » » الإطناب ؛ والفرق بينه وبين التطويل .
٢٦٣ - ٢٦٦ » » التشبيه .
٢٦٦ - ٢٦٩ » » الاستعارة .
٢٦٩ - ٢٧٠ » » التلاؤم وأضرابه ؛ والفرق بينه وبين التنافر .
٢٧٠ - ٢٧١ » » الفواصل ؛ والفرق بينها وبين الأسجاع .
٢٧١ » » التجانس ووجوهه .
٢٧٢ » » المناسبة .
٢٧٢ » » التصريف .
٢٧٢ - ٢٧٣ » » التضمين ووجوهه .
٢٧٣ - ٢٧٤ » » المبانعة ووجوهها .
٢٧٤ - ٢٨٣ » » حسن البيان ؛ وذكر أقسام البيان ومراتبه ، والفرق بينه وبين العي .

٢٧٥ - ٢٨٦ بيان فساد زعم أن إعجاز القرآن يؤخذ من جميع وجوه البلاغة
المتقدمة . وبيان أن الذي لا يستوفى بالتعلم والتعمل منها ، هو
الذي يؤخذ ذلك منه .

٢٧٦ - ٢٨٣ بيان أن الإعجاز يتعلق بالبيان ؛ وأن القرآن أعلى منازلته .
٢٧٨ شعر جيد لابن المعتز في الفخر .

٢٧٩ قطعة من رائية لأبي فراس في الفخر ؛ أولها : (ولا أصبح الحى
الخلوف بغارة ...) .

٢٨٠ أبيات لأبي نواس في وصف الطلول : (دع الأطلال تسفيها
الجنوب ...) .

٢٨١ معارضة هلال بن يزيد ، ببيت الأعشى : (ودع هريرة إن
الركب مرتحل ...) .

٢٨٢ - ٢٨٣ الاستدلال على أن بيان القرآن أشرف بيان وأعلاه .

٢٨٣ - ٢٨٤ بيان أن المبالغة لا يتعلق بها الإعجاز : دون التضمين ،
والفواصل ، والتلازم ، والتصرف في الاستعارة البديعة ، والإيجاز ،
والبسط .

٢٨٤ - ٢٨٥ بيان أن كل ما لا يضبط حده ، ولا يقدر قدره - كالاستعارة
والبيان - يتعلق الإعجاز به ، وأن كل ما يمكن تعلمه ، ويستدرك
أخذه - كالسجع والتجنيس والتطبيق - لا يجب أن يطلب وقوع
الإعجاز به .

٢٨٥ - ٢٨٥ الرد على من زعم أن البيان قد يتعلم .

بيان متى يمكن أن يدعى في كلام البشر الإعجاز ؟ وبيان
أنه يمكنهم استدراك كلمة شريفة ، دون نظم نحو السورة ؛ وأن
البلاغة لا تتبين بأقل من مقدار السورة أو أطول آية .

٢٨٦ - ٢٨٧ بيان أنه لا يوجد شاعر أو ناثر جميع كلامه اعجيب شارد ،
مخالف للمألوف الطبع ، وغير معروف سببه في التفصيل . وإن
اتفق وقوع شيء من ذلك في كلامه .

٢٨٨ - ٢٩٠ فصل : في بيان حقيقة المعجز ؛ وانفراد الله تعالى بالقدرة
على المعجز الدال على صدق النبي ؛ وأنه خارج عن عادة
البشر .

٢٨٩ - ٢٩٠ نقل الباقلائي عن الأشاعرة أن الله تعالى يقدر على نظم هيئة
أخرى تزيد على القرآن في الفصاحة . ونقله عن مخالفينهم أن
بعض نظم القرآن يجوز أن يكون قد بلغ الرتبة التي لا مزيد عليها
ورده على ذلك .

٢٩١ - ٢٩٧ فصل : في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتصل
بالإعجاز .

٢٩١ - ٢٩٤ بيان أن القرآن ليس من نظم النبي ؛ وإن كان قادراً في الفصاحة ،
على مقدار لا يبلغه سواه من البشر . ودفع ما اعترض به على ذلك ،
من أن ابن مسعود اشتبه عليه الفصل بين المعوذتين وغيرهما من
القرآن ؛ كما اشتبه دعاء القنوت على أبي بن كعب . وبيان أن نحو
ذلك إنما هو تخليط الملاحدة .

٢٩٣ - ٢٩٤ الاختلاف في أول القرآن نزولاً ، وآخره .
بيان أنه لا يلزم من كون نظم القرآن خارجاً من جنس أوزان

- العرب ، أن تكون معروفة إعجازه ضرورية .
- ٢٩٤ - ٢٩٦ بيان أنه لا يلزم من اختلاف أهل الملة في إعجاز القرآن ، عدم إعجازه .
- ٢٩٦ - ٢٩٧ الرد على ما ذهب إليه أبو هاشم الجبائي ، من أن إعجاز القرآن إنما تحقق بسبب أن جبريل أنزله .
- ٢٩٦ - ٢٩٧ بيان المذاهب في أن التأليف له نهاية ، أم لا .
- ٢٩٨ فصل : في بيان أن شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه .
- ٢٩٩ - ٣٠٠ فصل : في بيان أن ما تقدم - من الإبانة عن كون القرآن معجزاً - كاف ومقنع مع وجازته . وأن الإسهاب في ذلك ، يكون نوعاً من العي الذي لا فائدة منه .
- ٢٩٩ بيان بعض الحكماء متى يكون البليغ عيباً ؟
- ٢٩٩ وصف أعرابي القمر ، بسبب اهتدائه في السير به .
- ٣٠٠ - ٣٠٥ كلمة ختامية للباقلاني ، تضمنت وصف القرآن الكريم ، وسرد أنواع البلاغة والبديع التي تحققت فيه ؛ ثم وصف الشعر والفرق بينهما .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية

تحت رقم ٤٣٤٥ / ١٩٧١

مطابع دار المعارف بمصر

١/٧٤/٧٨

